

1611

قصته
فاير وانشاء
ابن المسلك ضاراب

كن طارقا بأحاديث الأولى سلفوا يريدك العرف آدابا على أدب
غرب نفع عزيز لست تدركه بدا بما أغمضته سالف الحقب



المجلد الثالث

الطبعة الأولى



ملزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفى

بشاعة المشرك الحسين رقم ١٨

التراسيلات : مصدر - صندوق بوشية القومية رقم ٣٧

الجزء العشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك خسرو

وفي الحال أمر أن يعطى للشاه سرور قصر من قصوره الخاصة وأن تقام له فيه
الحفلات والعياد . فسروا بذلك مزيد السرور وفرحوا به الفرح وأملوا النجاح والتوفيق
وقد قال طيفور للشاه سرور ألم أقل لك يا سيدي أن الملك قيصر يقبلنا وأنه هو وحده
الذي يقدر أن يخلصنا من سطوة الملك خسرو بن من ظله ولا ريب بعد قليل من الأيام
أن ترى يمينك فيروز شاه بجند لا على وجه الصيد تنهش الثيران منه ومثل ذلك يصير
في هزاد والملك خسرو بن من يروق ما تمكر من صافي عيشك وترجع إلى بلادك وتحكم فيها
كما كنت حاكما قبل ولا بد لنا عند رجوعنا إليها أن نمسك الشاه سلم الخائن الناكث
ونجازه على لعله وعلى ما أظهره عندنا من المناوأة وبئسنا صاكرنا إلى ثنائنا وانضمامهم
إلى عدونا . قال هذا لا بد لنا منه إذا تيسر لنا أن نرجع إلى قراء الذين إنما دون ذلك
أموال جمة ولا يخطر في بال قط أن الملك خسرو بن يقصد هذه البلاد بعد حصوله على
عين الحياة وزواجها بانه قال إنني أؤكد لك أن عين الحياة لا ترضى بأن ترضى عليه
وأنت غير راض عنها ومع كل ذلك فانه وإن اقترن فيروز شاه بعين الحياة لا بد له من
تأثرنا والسعي خلفنا لأنه مصر على هلاكنا لا يمكن أن يعفو عنا ولو كنت أعلم أنه
من الملوك أصحاب الرحمة والشفقة لكنت أطلعتك من الأول إلى مصاهرته والتقرب
منه وجعل ظيافته هلاكنا فكيف نسلم بأنفسنا له وسوف ترى ذلك وتعلم صدق قول
على أنه ولو فرض أنه لم يرض أن يأتي هذه البلاد تحسبا من هلاكه وخوفا من الملك
قيصر فلا بد من أن ندعه يجمع جيوشه ويسير في فرسانه العظام إلى بلاد مصر أو بلاد
فارس أينما كان مقامه فيذل به الويل والعبر . ولهذا أطلقوا مزيد الأمل بالنجاح وبأنوا
يتظفرون ما يأتهم به الزمان وهم يسرون من معاملة قيصر لهم ومن اهتمامه بجميع
العساكر وحدهما من أقصى بلاده إلى أذانيها وكان الفرح الأعظم عند أنبوش ابن
الملك قيصر لأنه وعد نفسه بعين الحياة وصار يحسب ذاته خطيئا لها وتقرب من
الشاه سرور وجعل يصرف أوقاته عنده ويكرمه مزيد الاكرام ويعده بكل
خير ونجاح .

قال ولندع الشاه سرور والملك قيصر في هذه البلاد يهتجان بمستقبل لا يعلمون
من نتيجة وترجع إلى الملك خسرو بن حيث باق في مصر يدبر أمورها ويرتب أحوالها

ويذكر منها الذخائر إلى جوارحه وقد نشر فيهم إعلانا يندرجهم بالتهى إلى المسير لبلاد
الشم بعد ثلاثة أيام . وأما فيروز شاه فكان لا يعرف حملا ولا يمشى على أحد وهو
متكدر من فعل الزمان كيف خافه وحال دونه ودون خاتمه وكان يحرق وريالاً ويحصر
على قوائم من يده ويهدمها من دون أن يظفرها ولو نظرة واحدة أو يكدها ولو بكلمة
واحدة وكان لا شيء يصبره وسكن فرامه إلا مناشدة الأشعار والشكوى من فعل
الزمان وضرباته المتواصلة المتواصلة ومن إنشاده قوله وهو منفردا يتصور في ذهنه
عاشق عين الحياة وجمالها ورقتها .

بأنابا طرف صبرى من قد نكها	ومودعا بنواه مهجنى خصما
ونازحا وفؤادى ظل منزله	وفاثا وفراى فيه ما نقصا
كم ذا الفؤاد حبس غير منطلق	ودمع عيني طليق قط ما انتصا
كم ذا أطل قلبا قد أضر به	ربب الذى وجعل الصبر من قصى
مسائلا عن لياليه التى انتهت	أيدى الأمان بها ما شاء فرصا
حيث الزمان وفى اليهود فكى	أفضيت فى فهمه التشيب لى قلصا
وأنت قصارا وولت هر ملوية	عنان نضو على وجد القتل جرحا
أهدلت عنها بدمر ساء منظره	كمن تبدل عن در النجوم حمى
يراصل الحزن قلبى من نوائه	تقاسمت على غاراتها حصصا

وكان وهو فى هذه الحالة الصعبة يعلم أن لاشئ . يكون لديه هذه الصعوبات إلا كره
الاضطرار والمصائب وإشهار سيف الانتقام ضد كل من يريد أن يقف فى وجهه ويحول
بينه وبين من أحبا . وهى عين الحياة ولذلك أصبح ينتظر بفروغ صبر مضى هذه الأيام
القليلة ليقطع الفياق سائرا إلى مقر وجودها وكان لا يعلم أنها كانت بالقرب منه فى
قصر سيف النبوة وأن لا مانع يمنعه عنها إلا رضاهما باظهار نفسها له وأنها سارت
برضاها واختيارها من جانبها دون أن تسمح له بالنظر إليها وقد تحملت أشد مما تحمل
من لواعج الوجد تتقلب على أميالها وتصورن نفسها من العار والغضب والوالدى الذى
كانت تحفه وتحسب له عظيم حساب .

وشتان بين حالة فيروز شاه وعين الحياة وبين حالة هفر شاه وطوران تحت
لأن المذكور كان قد نزل فى قصرها وجعل ينهب وقته على المسة والترح لا مانع
منه ولا رقيب يرقبه ولا فراقه يكدره ويحول بينه وبين محبوبته وقد صفا لها
الزمان ونالا من التقرب كل أسباب الحظ حتى كانا لا يتركان الخمر ولا يقوتها
شئ من الشكوى وبث الغرام يعرفان أكثر الثمار على شرب العمار ومناشدة الأشعار

ويترقان الليل على فرش الهناء والراحة جنبا لجنب يحافظون على الطهارة والعفة ويرعان واجبات الحب الأكيد الثابت البعيد عن الفساد والدنس وهذا الذي كانت طوران تحت ترثيب فيه وتطلبه من زمانها فقد حصلت عليه وبقيت على مثل ذلك إلى أن أذن يوم الرحيل رحان وقت الفراق فجهاء مصفر شاه وأحمرها بأنه مزعم على لسفر مع الملك ضاراب إلى بلاد قيصر ولا يتدر على الامتاع وقال لها من الواجب عليك أن تصبرى على فراقنا إلى حين حلول الارادة الالهية فلم يعد من مانع بعد عما ترغبه إلا حصول فيروز شاه على عين الحياة فإذا تزوج بها وقام زفافه عليها فعلنا نحن أيضا ذلك وكان يوم العرس واحدا . فكادت تشقى مرارتها من هذا الكلام وذهت عين الحياة ولا متها في نفسها كيف هربت وسببت لها مثل هذا التفراق الذي لا ملم فيها بعد عواقبه بل كانت قرنت به وأقامت معه على أهناء عيش وأنعم بال وكانت تلك أيضا أقامت بصفاء مع فيروز شاه . ثم تزودت منه يوم حظ وأفراح لم يكن له ثان وقد أكثرت من وداعه وتقبيله وفعل هو مثلها إلى أن دنت ساعة الرحيل فبكى وبكت وشكى وشكت وكاد يقضى على كل منهما وكان لهما ساعة تقطر قلب الجماد ويلين لها فؤاد الصخر الصلب . ثم خرج من عندها وهو يمسح بدموعه وبقيت هي في نوح وتعداد تندب مستقبلها وتذم دهرها وقد نسيت لذة اجتماعها به كل هذه الأيام وما لاقته معه من الهناء والمسرة بساعة من ساعات فراقه وهكذا حاله كل إنسان أن ينسى الماضي بأفعالات الحاضر وكما أنها نسيت عذاب فراقه الأول بساعة اجتماع من اجتماعها به ولذة راحة لاقتها بوجوده لا غرو أن غاب عن ذهنها الفرح وحل الترح وبذل أنشادها لمعوض أن كانت تشكر الزمان والأيام والأوقات وتطرب أنشاد أشعار اجتماعها بصيها وهنائها به عادت إلى ذم الزمان ولومه على انقضائه كالظل وأخذت في أن تشدد الأشعار الفراقية فمن قولها .

دمى وقلبي مطلق ومأسور	والشوق والصبر محدود ومقصور
أما المأمم فمبني ليس تعرفه	كأما أذن صيب وهو تحذير
يا واحد الحسن وجدى فيك ليس له	حصر ولكن فؤادى منه محصور
إلى متى ذا التجنى والصنود أما	مرت بسمعك لى تلك المعاذير
نار الغرام ظلت في مهجتي ولها	يا حاكم الحب فى الاحشاء تسعير
لله أيا من الظلمة انقضت	حيث الجأؤدى لى حيث البعافير
وأت فواليت أسافى القلب مفرقة	فحصن الربا من دموعه العين مطور
قال وركب الملك ضاراب وأمر أن تركب الملوك والفرسان بحسب ترتيبها	

وتديروها ويمشي كل في موقعه كالعادة وقد أخرج معه العساكر التي كانت متجمعة في مصر وأوصى الشاه صالح أن يديم إرسال الأموال وأن يتي على الطاعة والالتقاد فوعده المولى عبد الصادق وودعه إلى خارج المدينة مع وزرائه وأعيان مصر وصار من تلك البلاد بعد أن ترك هيئته فيها ونشر عليها لواء غايته وسلطته واستلم طريق الشام ومن حواله العساكر والفرسان وفوق رأسه الأعلام واليارق وبين يديه الموسيقات تعزف بانغام المسرات والافراح وإلى جانبه ولده فهروز شاه فوق كمينه كانه البرج المشيد وهو طائر القواد إلى جهة بلاد الرومان أملا أن يلاقى فيها محبوبته عين الحياة ويعرف ماذا جرى عليها ومن بعد نفسه فيها بعد الشاه صالح ودأموا على هذا السبيل إلى أن قربوا من مدينة الشام .

وسبق القول إلى أن مسرور بن عتبة ملك الشام لما انهزم من جيوش مصر مع من انهزم تأثره بهمنزار قبا فقبض عليه وسأله منه أسيرا إلى بلاد الشام وهو في فرج لا يوصف من جرى وقوع بهلوان من بهلوانى تحت الملك ضارب في يده وكان برفقة مسرور هذا نصر صاحب حلب وقد انهزم معه برجاله وأجلاه قاصدا مدينته فمال إلى دمشق بدعوة مسرور ليقم عنده أياما . ولما قربوا من الشام بلغت الأخبار أهل المدينة وأعيانها فخرجوا عن بكرة أبيهم لملاقاة حاكمهم ورجالهم الغائبين عنهم وهم لا يعرفون من الباقى منهم ومن المفقود . وكان لمسرور بن عتبة نت كاملة الاوصاف ذات حسن قل مثاله في ذلك الزمان وعقل وأدب قليل النطير أسما كالية يجبها كثيرا ويستشيرها في كل أماله ولا يفعل إلا ما تقوله له وعند سفره إلى مصر كان قد أقامها كوكيلة من بعده على المدينة فكانت محبوبة من جميع الأهالي . فلما حلت بمصر أتيها فخرجت في مقدمة العساكر كأنها الكوكب بضئ في ظلام الليل الخالك وهي راكبة فوق جواد آدم تمل وتباهي والانوار تنبعث من بدر وجهها الفاضح . وعندما التفت بأبيها ترجلت له وقبلت يديه قبلها في جبينها وبكى من فرحها بها وبقاياها بالسلامة وبكت هي أيضا وهنأته برجوعه سالما وسأته عن سفره وما كان منه فاخذ يشرح لها كل ما لقي من الإيرانيين وما أنزلوا على المصريين ويصف لها شجاعتهم وبسالتهم وأقدامهم إلى أن قال لها أخيرا وقد أتيت بفارس من منهم من الفرسان الشداد يقال له بهمنزار قبا وهو في الطبقة الاولى من البسالة حتى أنه تبعتها وحده وقتل فينا قتلا ذريعا ولم تقدر على مسكه إلا بعد أن أهلك منا جاننا عظيما ولذلك ترى مصر على الانتقام منه جزاء له على فعله . فطلبت من أبيها أن تراه فأحضره إليها ونظرت إليه فتمجبت من هيئته ووقاره متأمة بحسنه وجمال طلعت ولا

ذات تنظر في وجهه إلى أن نفرت دماغها سوسة الفرام ووسوس في صدرها شيطانه الخناس وذلك لما فيه من الجاذبية الفعالة التي أوجدتها الله في فسان الفرس خاصة لأن ما من رجل منهم إلا أجل من أخيه وكذلك بهمنزار لما رأما تنظر فيه وتأمله ونظر إلى جبينها وهو يندى عرق الحصر والكم ترجم له فاعل قلبه بما وقع عليها من حبه فاشغل قلبه بحبها وأخذت تنمر به محبتها وتمو بقلبها محبة حتى أنهما بمدقوجرة أصبحا من جملة العشاق الملوعين بيران الهوى . وكانت كليله كما تقدم حكيمه ذات عقل وأدب فتعافت من أن يطلع أبوها على حالتها فاعرضت بوجهها إلى جهة ومالت عليه بما لها من النفوذ في قلبه وقبلت وقالت له لو لم تكن موقفا لما أعطيت مثل هذا الفارس أسيرا إنما أريد أن أستشيرك لأعرف ضميرك من جهة فيماذا عولت أن تعامله . قال أن مزع أن أقتله عند دخولي إلى المدينة انتقاما منه على فعله . قالت ان فعلك هذا يوقمك في النعم والجل فارس واحد تهلك نفسك وقومك لذلك تتأكد أن رجال الفرس أشداء أبطال كما أشرت وقد رأيت أعمالهم وأفعالهم ولا بد لهم من أن يقتبوا آثار فارسهم لينطصوه فهل تقدر على مقاومتهم . قال كلا فاني أعرف أنهم أقدر مني ومن سائر ملوك الدنيا وقد تبين لنا أن كل فارس من فرسانهم يقوم مقام جيش حتى أن ملك مصر ونعمان والرومان وكثير الملوك كنا منضمين إلى بعضنا ولم تقدر على الثبات أمامهم . قالت حيث تعلم من نفسك أن لا طاقة لك على حلافة الملك ضاراب ورجاله فكيف تقتل سيدا من فرسانه وتركه وراءك يقتني آثارك أبما كنت ونجعل له عندك ثارا يطلبه في كل دقيقة فادفع عنك كل هذه الوبلات وابقه عندك إلى ان تتأكد ان الملك ضاراب آت اليك فنفكر حينئذ ماذا تفعل به فأعجبه كلامها ورآه صوابا وقال لها الحمد لله الذي لم امدد بدا إلى هذا الفارس لانه لم يخطر لي قط إلا الانتقام منه على ان لا تقع لنا بقتله واحده تعالى الذي اوجد مندى من هي مثلك جامعة بين العقل والحكمة ترشدني دائما إلى ما به الصواب ولذلك اطلب اليك ان تبقه أسيرا عندك وتحافظي عليه بمعرفتك إلى ان اصدق ديوانا وأرى ماذا يجب ان تفعل به انبقة عندنا او نرسله إلى ملكه ان نعمت للملك قيصر قالت ان ذلك سيكون بعد الآن . وما صدقت ان سمعت من ابها هذه الكلمة بقوله لها اجنيه عندك حتى اوهب قلبها من الفرح والاستبشار وأملت نوال مرادها بالاجتماع به في خاراتها وسهراتها وكذلك بهمنزار فإنه امل الراحة والهناء . وبعد ذلك كروا راجعين إلى المدينة فدخلوها وتفرق كل في سيله وسار سرور إلى قصره بعد ان سلم أسيره إلى بنه وأوصاها بالمحافظة عليه فقالت له

لا تخف فانه يبقى تحت الترسيم إلى حين الحاجة إليه . فلم يخطر له قط أنها تنوء ، تحبه
وهو أسير عندها وكان يسقط القلب لا يعلم مشارب النساء . وهاتين ولا يعلم أنهن
كالرجال يفعل الجمال في اقتدتهن أشد الأفعال ويملن إلى قضاء حاجتهن بكل ما في وسعهن
وكان يكثر الزكركن إليها لما يبعد فيها من الحكمة والتعقل ولم يتصور قط أن المشق
يصدر مرارا عن كثرة القطانة والركاء . وانه يفعل في عقول أهل الآداب ويعمل
خواطر المتعنتين أكثر مما يعمل خواطر الجهلاء البسطاء .

ولما أخلت كلية همنزار دعت كأنم أمرارها ووكيل قصرها وقالت له خذ هذا
الأسير فابقه عندك إلى أن يدنو الليل فاحضره إلى إلى الروضة حيث أكون بانتظارك
هناك وكان يحيط بقصرها بستان جميل المنظر كثير الأزهار والاشجار والرياحن تنفقه
جداول من الماء تنحدر من أنابيب بركة في وسطه من الرخام الأبيض وقد نصبت في
وسط ذلك البستان بالقرب من تلك البركة صيرانا لمقامها تأتي إليه لتتزره به وتعرف
وقت الرياضة فيه ولا سيما في وقت الصيف ولذلك أحببت أن تجتمع به كل ليلة في ذلك المكان
ولما جن الليل دعت بقهرماتها وأمرتها أن تنقل إلى الصيوان مائدة الطعام وتصف
فيه باطية المدام وتجمع عليها من النقولات كل ما هو موجود في قصرها وتطف من
فاكة البستان من كل نوع زوجين وتضعها كلها بالأزهار الزكية الرائحة والجميلة الشكل
فصعدت القهرمات ما أمرتها ولم يكن إلا القليل حتى عادت إليها وأخبرتها بأنم حيث كل
شيء قمامت إلى غرفتها ولبست حلة مزركشة بيضاء ناعمة وأفرغت فوقها شورا من
الحريز دقيقة رقيقة ووضعت على رأسها إكليل من الماس يساوى ملك ملك ووضعت
في عنقها الأبيض عقدا من الجواهر بضيء كالمصباح في الحنادس وأدخلت في أصابعها
الحرامم البينة ورشت نفسها ببطر الوردو المتعطرات الذكية حتى أصبحت كأنها القمر
في إشراقه وقد اهتزت جدران قصرها من بهاء جمالها وحسن طلعها ومال عشقها لها كل
ما حو اليها من موجودات قصرها فكأنها روح الجواهر وحياة الحياة ونظرت إلى نفسها
وتعجبت من حالها واهتزت لنفسها طربا كأنها تمسق نفسها أيضا ويعد أن فرغت من
كل شيء فالتفت في رجلها سر موكشة بالجواهر ليست بأدنى قيمة ومن من بقية
ما عليها من الجواهر وأخذت تتدرج السلم إلى الروضة وهي من رأسها إلى قدمها
تضيء بالماس والبواقيت والذهب الوهاج حتى أتت الصيوان فوجدت باطية المدام
مصفوفة فاعجبها وجلست على كرسي من العاج عليه اشبكة من التؤلؤ الكبيروات نظرت
بهي همنزار قبا ولم تلبث إلا القليل حتى أقبل مع وكيل قصرها وأدخله الصيوان

ووجه باشارتها لانه كان يطيعها ويسمع امرها كجميع من في قصرها لانها كانت حرة
 التصرف في امر خدنها مختار من يوافقها ولذلك كانت تركن لهم وتأنى اليهم .
 قال ولما رأى همنزار حالتها هذه وقف مبهورا وقد أخذته الدهشة ولم يصدق انه
 قائم بين يديها وهي على تلك الحالة المبهجة وقد رادت بهاء وجمالا وأصبحت تأخذ
 العقول وتضيقها وأراد أن يادبها بالسلام فلم يطمع قلبه لسانه لأن الأول كان يخفق
 والثاني كان منقاداً فخر إلى الأرض ساجداً على غير وعي وهو لا يعرف ماذا يفعل
 أو ماذا يقول وعلقت الدموع من أعيته كالنجارى لعظم فرحه . فلما رأت منه هذه
 الحالة رمت بنفسها عليه باكية مثله وقد أشغلها حبه مريد الفضل وعرفت حاله واضطرابه
 فأرادت أن تخفف عنه من حاله وارتابه وجعلت تلهو وترجيه وتهنئه بالسلامة
 وتضمه إليها فعمل شكرها على جميلها وقال لها أعلى الأرض أنا أم في الجنة
 وهل إنسان أنت أم ملاك فأرى من نفسى السعادة العظمى التي لا أظن نالها أحد
 قبل قالت لا بل أنت عند كيلة بنت مسرور بن عتبة التي أحببتك حباً ما فوقه من حب
 وبذلك نفسها لديك وألقت انكائها عليك وقد سلمت لك نفسها راجية منك أن تلفظ كلمة
 واحدة فقط وهي أن تقبلي زوجة لك وحليلة وحيدة بحيث أبقي كل حيائي بين يديك
 وعلى يدك وفي عنقك قال أرى وسعى أن امتنع وقد شرد من عقل اليك وأخذت قلبي
 إلى محبتك أيمكنني أن أعيش بلاهما وهما لا يطلبان غيرك نعم أنت أنت وحدك الالهة
 تسجد لها أميالي وتعبداً حواسي وإني أعذك أرى ما حبيت إلا لك وأعاهدك على غير
 هذا العهد وأقسم عليه الإيمان اني لا أختار فتاة غيرك وإذا نيسر لي الخلاص لا أصبر
 دقيقة عنك . قالت وإني أعاهدك نفس هذا العهد وأقسم لك اني لا أختار بملا غيرك
 ولا حيناً سواك ولا بد بعد أيام قليلة من وصول الملك ضاراب وغيره وشاء إلى هذه
 البلاد فيخلصاك وأكون أنا مملك فأبقى عندك وهذا شأن كل بنت من بنات العالم أن
 تترك أباهما وأماها وتلتصق بزوجها ويكون الاثنان جسداً واحداً وبعد أن تعاهداهذا
 أخذته من إبطه وأجلسه على كرسي من العاج ككرسيها إلى جانبها وأخذت في أن
 تسكب الخمر وتسقيه وهما قائمان في تلك الروضة لاهين تنظرهما ولا يقرب يرفقهما وبين
 أيديهما الماء يجرى والأشجار تميل قصافح بهنوا ويسمع لورقها حفيف منعش لقلب
 مثل مذين المشاقين والأزمار الزكية تيمت اليهما روائعها الطرية فتريدهما بمولا
 فوق تمول وبالاختصار فإن حالتها كانت تستوجب الحسد مني ومن كل من قرأ هذه
 القصة وشخص في ذهنه جال تلك الطلعة البنية ووجهة تلك الروضة الآنيقة فسبحان

جامع القلوب ومؤلمها ولما لعبت في رؤوسها الخردونما فيها الغرام هذا إلى مناشدة
الأشعار فإنها حاملة الشكوى وموضحة الحبيب حالة المحبوب وقد أشد بهمنزار ما
جاش في خاطره :

لقد دعا إلى الربا الطرب فاجنأه جسيا يجب
واستقينا والشوق مجذبا كأن أشواقنا لنا نجب
وشملنا والحظوظ تسعدنا مجتمع سلك عند الأدب
خللا منه بمرتج وهو الزائرين متغيب
وقد حباها للربيع مقبلا بزياءه والمضى مخب
فالروض منضلة ملاسه تجمع الحسن فيها والأدب
وقد تناهت به بلابة فتم فاقد ومصاحب
ومركب الزهر في حداقه متزه بالعيون متعب
تظل مقناه وهو مزدهر قباب نور كأمها سحب
ينعشنا العرف من شيمها ومثل هذا العبر يكتسب
والمرج رحب القنا مصاحب عليه ذيل النسيم منسحب
نحاله من زمرجد نضر بجرا خدا بالنسيم يضطرب
يشوقنا حسنه ومنظره يسرنا حيث زانه الحصب
ولانسكاب المياه حسن صدى يرقص عند استماعه الحبيب
فلمد نمنا بذا وذاك وقد تكتفتا بقيتها القضب
أحصب ربح المناوطاب به العيش لنا واستفونا الطرب
فعاد للوجد مدنف طربا وهكذا مدنف الهوى طرب
ومال وفق الهوى وحق له ذلك إذ ليس ما به لعب
ومن يكن بالغرام متحنا لا غرو بالشوق قلبه يجب
بدر مجاه ما به كلف بروتق الحسن راح يجتجب
أطلعت فيه الهوى ومعدنه بمختطيس الجلال منجذب
جاءه قنة لذى نفسك مهذب زانه حسنه الأدب
وقده السمرى من مرج ما امتزلا ازدهت به القضب
وما بطرف رنا لرامقه إلا وسهم العاظم منتسب
وقد أنى غير مهجتي سكنا وهى له مرتج ومنقلب
فلا خلا من هواه لى خلده وليس إلا هواه لى أرب

ولما فرغ بهمنزار من إغفاده طربك له ودنت منه وقبلته في تارسته وفي جبينه
وقالت لا رب أنك خالص الود صافي السريرة وهذه نوبة قائمة في رجال القوس
لا تنفد وإن أرى الآن من أكبر أسباب التوفيق وقروحك يد أبي وأسرك عندئذ ولا
لما تيسر لي أن أكون أسيرة في يدك ولا تيسر لي أن أذوق لذة اجتماع مع محبوب
كامل في روضة غاب عنها كل مكدر ونمام وليس فيها إلا كل ما هو من دواعي
الحظ والمسرة. ثم تناولت قدحا من الخمر فشربت ونظرت إلى حبيبها وتأوهت
وافقت :

يا كرم رياض النيرين وما سها	وانظر إلى الأزهار في أجناسها
ما بين دنقها الأنقى ووردها	وبدع ترجمها الغضيب وآسها
وترنم الاطيار فوق حصونها	تروى لطيف الوصف عن عباسها
جمت معاني اللطف في الحانها	ويان منطقها وحسن جناسها
تفتيك عن صوت القروان عندما	تشدو بروقتها على جلاسها
فترى الغصون لما بها من نشأة	تهوى إليك من السرور برأسها
طاف القدير بها فأعجز فرعها	وغدا ينجرنا بأصل فراعها
وسرت بها ريح الصبا فتأرجعت	جلساؤها بالطيب من أنفاسها
فانهض نديمي فصطحب في ظلها	واترك لها نيك الموم وناسها
وأجل لحاظ العين في أرجائها	وأجل القلوب من الصدى وسواسها
واستجل بالذات بين وياحها	واستجل برا أفرحت في كاسها
طراء واقعا المراح فانتجت	أطفال در لم تفن بنفاسها
شمس تريك سنا إذا ما أغرمت	في فيك أولئك القوى بشماسها
من كف متدل القوام إذا مشى	بين الغصون قضى في مياسها
أرمال في أهل الها ضربت له	أنحاسها بالتهر في أسداسها
ما جدد غزلان الصريم إذا اتنى	وإذا اتنى بالحظ ريم كناسها
العين فيه تفكك لكن إذا	إذا بصرت به غابت جميع حواسها
ذو مقلة وسنا إذا شاهدتها	أهدتك سهبا من قنور نغاسها
فم يا حبي لا رحمت عتبا	داء القلوب من السقام وآسها
واسمح وآنس بالقفا يا منقبي	لا زالت الأيام في إنباسها

وكانت لها لبة عظيمة جدا صرفت على مثل ما تقدم من موجبات الحظ
ومحسناته وما لا يصدق أنهما اجتماعا مثل هذا الاجتماع وتالان من بعضهما الخلوص

والمودة وطالما طلبا من الله أن يوقف غلام ذلك الليل كما أرقب الشمس بصلاة إليا
التي فلا يشرق الصباح ولا يدنو نور نهاره وداما على مثل ذلك . حتى لاح كوكب
الصبح وأخذ جيش النهار يبعث بطلائمه يطارد مؤخرة جيش الليل الفار وعند ذلك
اشتاقا إلى المنام كما ينفض في الفراق فهضا وردعا بعضهم اوداعا مقرونا بالرجاء والاول
أن يوردا إلى حالتهما في المساء فأخذ بهمنزار قبا إلى موضعه وذهبت كيلة إلى غرفتها
وقلها مترطب بجلاوة ليلتها ودخلت فراشا ففرقت في بحر نوم طويل . وفي المساء
رجعا إلى محلها كالكيلة الاولى فصرقا ليلة لم تكن أدنى خطا من الليلة الماضية ثم رجعا
في الصباح إلى مراكرهما وفي المساء الثالث اجتمعا وهكذا كانت مدة اقامتهما كل
تلك الأيام ولم يكن من مكدر يكدرها ولا من أحد يطلع على امرها

قال وكان سرور بين هنة في تلك الاثناء قد عرف عمير الملك ضاراب إلى
جهته رانه قصد برجاله دمشق لخلاص قارسه من أسره لجمع رجال دولك واستشارهم
طباذا يلبنى أن يفعل وأهان لهم صعوبة الحال الواقفين بها فشاروا عليه بالانقياد
إلى الملك ضاراب وأن يسير اليه ويدخل في طاعته . فقال له نصر ملك حلب أن
هذا عما ينضب الملك فيصر ويكدره وعذنى أن تترك المدينة وتذهب اما إلى الملك
الأكبر واما إلى سواء ومتى جاء القرس إلى المدينة ولم يروا بها أحدا ولا نظروا
أسيرهم فيها ساروا في طريقهم إلى مدائن النصارى إلى قتال الملك فيصر حيث هم الآن
يقصدون تلك الجهة ولا ريب أنهم ينوقون هناك العذاب الأليم . قال انه يلوح لى
أن أتي في المدينة فمتى دخلها القرس هربت بنفسى منها إلى انطاكية ولذلك أريد
منك أن تذهب أمامى إلى هذه المدينة وتصحب معك بقى كيلة والأسير بهمنزار قبا
وتبقى هناك إلى حين أو أفيك لأنى أخاف أن يتخلص الأسير فيرجع اليهم أو أن
القرس يسبون بنى ويقتلوننا متى ومى أحب لى من كل ما فى الدنيا ولولا على
بأنها تكون كابنك لما تركتها تسير عنى فتعافظ عليها أشد المحافظة ولا تدع أذى
يصل اليها فأجابه نصر إلى ذلك . وفى اليوم الثانى دعا بيتته لخصرت وقلت أيديه
فقال لما اعلى انه لا يتبقى أسبوع أو أسبوعين إلا وبلادنا عاصمة من القرس لأنى
عرفت أنهم تملكوا مصر ودخلوها وقد ركبوا يقصدون بلادى ذاهبين إلى مقاطعة
الملك فيصر وعليه فقد هولت أن أرسل بك مع نصر ملك حلب فيهرب من جليل
أقدر يعاملك في غيا بك معاملة الأب الحنون إلى مدينة انطاكية إلى الملك مشمام
لانه صديقى ولا سببا وزيده هياش فانه يتبنى لى خدمة قديمين عنده وتصحب
معك الأسير الارائى خوفا من أن يخلصه قومه فاذا صح ما سمعته وجاء الملك

ضاراب هذه البلاد سرت في أثركم ولا تمنى أيام إلا وأكون عندكم . فلما سمعت كلية هذا الكلام خفق قلبها وشعرت بحلول المصائب والويلات وتكدير هئاتها وراحتها وحاولت أن تنزع أباهما بالرجوع عن حرمه فأبان لها وجوب ذلك فسكتت لعلها أن محبوبها سيداتها إلى تلك البلاد وأنها ستبقى محافظة عليه ونحت معرفتها إلى حين يأذن الله بالخلاص فخرج إلى قومه ويتزوج بها ومن ثم ركب الملك نصر ورفقوا كلية على هودجها وقد أخذت معها خدما ورجالها وجواريا وكل من يلزمها وأخذت أيضا جواهرها وأمتعتها وودعت أباهما وسارت مع نصر صاحب حلب وهم نزارا قدامشود إلى جواد بينهم وهي في كل ساعة ترفع سجاف المودج وتظهر إليه نظر المتأسف على حاله حتى ظهر أمرها لكل ذي عين وعرف بمهاكل من كان يجهل من خدما واشتبه فيه الملك نصر إلا أنه لم يبد إشارة وعول على أن يبعدها عنه فتدبره إلى انطاكية واداموا المسير إلى أن دخلوها في رابعة النهار فرحب بهم حاكمها وأحلبهم بالأكرام وأعد لكل منهم قصرا وأخذوا بهم نزار إلى سجن خصوصي بأمر حاكم حلب وأقامت كلية في قصرها لوحدها وليس عندها سوى خدما الذين جاءت بهم من بلادها وقد تكدرت من جفاء محبوبها وانفصاه عنها وتمنت لو أنها ماتت في الشام ولا لحق بها هذا الفراق المجمع المؤلم وكانت تسلي نفسها بما يخطر في ذهنها من أن الملك ضاراب ساع خلف فارس فلا يترك أسرها وعما قليل يتقدمه من أسره تنجو معه

قال وأما ما كان من سيف الدولة فإنه سار في طريق ملاطبة مدة أيام حتى وصل إليها فبعث بالبشارة إلى أهلها يخبرهم بقدمه فخرجوا عن بكرة أبيهم ولاؤه أحسن ملتقى وهشوه بعودته إلى بلاده سالما وسألوه عن غيابه فحكى لهم كل ما توقع له في مصر . ثم أمر في الحال أن ينادى في المدينة باسم الملك ضاراب وأنه هو الملك الأكبر لهذه البلاد وأمر أيضا بتذليل الاعلام الرومانية ورفع الاعلام الفارسية على أسوار المدينة وفوق دار الحكومة وكل المحلات الرسمية وأبقى عساكره عند أطراف المدينة لتأكيد أن الملك قيصر لا بد له عند بلوغه هذه الاخبار من بحث عساكره إليه لمحاربهه والانتقام منه وأوصى أمرائه الثلاثة بأن يبقوا على الأمانة والاستعداد لبري ما يكون من أمر الملك قيصر . ولما بلغت الاخبار الملك المذكور وعرض عليه أمر سيف الدولة وأنه صالح الملك ضاراب وعامله وقد أدخل ملاطبة ونواحيها في حوزته غضب غضب مزيد الغضب فأرغى وأزبد وأقسم أنه لا بد له من القبض على سيف الدولة وحرب المدينة وسبي حريمه وقودهم إلى بلاده سبياء وفي الحال دعا يهلوان

ببلاده تمر تاش أخى تمر تاش الذى قتل فى مصر وكان من الأبطال الشداد كما تقدم بعد من جبايرة ذاك الزمان وصناديدم الذين شاع ذكرهم فى الأصصا وتلت عنهم الركبان الأخبار . ولما حضر بين يديه قال له أريد منك أن تذهب إلى ملاطية إلى تال سيف الدولة بما تائق الف فارس من فرسان الأشداء وتصحب معك خرطوم الرومى حامى المدينة فنرون أن كان سيف الدولة كما يقال قد خرج عن طافى ودخل فى طاعة الملك ضاراب فاقبضوا عليه وأثوا به أسيرا إلى واسبوا لساء قدسوقوهن بين أيدىكن إلى وتنبهون المدينة وتصحبون أموالها معكم وإن كان ما سمعته كذبا لروء أن يأتي بكل عساكره وقواده إلى بلادى حيث تأكد عندى أن الملك ضاراب آت بجيوشه نحوى فصار من الضرورة أن تمشد جيوشى من كل النواحي فى هذه المدينة وقد عومت فى التمد أن أبست بالكتب فاستعمل الملوك بايتانهم وأرسال جيوشهم فقال له تمر تاش انى أسير من هذه الساعة إلى ملاطية وسوف ترى ما العمل فيها أن ثبت خروجهما عن طاعتنا قال وفى ذلك اليوم ركب تمر تاش ورفع فوقه الرايات الرمانية والجيوش الفرنجية وأمامهم خرطوم وهو كالبرج المقيد لأنه كان من الشجعان المعدودين ولا زالوا سائرين حتى قربوا من ملاطية فنظروا عن بعد ولذا بهم يرو الاعلام الفارسية فوق الأسوار مرفوعة فتأكدوا صحة الخبر ونزلوا بالقرب من البلد وكتب تمر تاش كتابا إلى سيف الدولة قال فيه اعلم أن الملك الأكبر قد بعنى إليك لما بلغه أنك خرجت عن طاعته ودخلت فى طاعة الفرس وعاهدتهم على الهجوم والدفاع فاذاصح هذا الخبر فاقى مأمور بالقبض عليك وسوقك إلى سيدك الأول لتأديك على تعديك على حقوقه ونهب أموالك وسوق حريمك سبايا إليه وإن كان ذلك من الأخبار السكاذبة أدعوك لتسير إليه معظما مبجلا بكامل جيوشك لتقاتل بين يديه الملك ضاراب لأنه على ما عرفنا أنه مرصع على الاتيان إلى هذه البلاد . وبعد أن فرغ من كتابة الكتاب دفعه إلى عيار من عيارى الرومان اسمه كودك العباد أو كان شيطان بهفة إنسان فأخذ الكتاب وسار حتى وصل إلى بين يدى سيف الدولة فدفعه إليه فأخذه وقرأه وفهم ما فيه ثم رد الرسول بالحية وقال له اتنا دخلنا حقيقة فى خدمة الفرس وإن المدينة حصينة فأقدر أن أدافع عنها إلى حين إتيان سيدى الملك ضاراب فيفرج عني وإنى عاهدته وأقسمت له فلا أنكث بوعدى . ومن ثم أمر أن تغفل الأبواب وتقوم العساكر على الأسوار وأوصى بهلوانية ببلادهم فهدموا وهدموا أن يحافظوا كل المحافظة على المدينة ويقالوا أشد قتال ولا يتهاملوا بل يشتروا إلى حين لا فراج بمجىء

القرص إلى مساعدتهم لأنهم لابد أن يكونوا في الطريق وبعد أن أمم كل عمل دخل إلى قصره وفي أثناء دخوله نظر حين الحياة في قصره وهي مارة من غرفة إلى غرفة ثانية وكان لا يعرفها ولا يعلم من هي فأنفل باله بسببها وانبر من جمالها ووجدانية عاسنها ودخل على زوجته وقال لها اني وأنا داخل القصر وجدت صيدة لم ترهينى أجل منها في كل زمانى ولم يسبق لى قط أن رأيتها في بيتى فصجبت منها وقد أشغلتنى من الحالة التي أنا واقع ليا لعلى أنها تكون بنت أحد الملوك أو الأمراء فتبست من كلامه وقالت له انى كنت مأذونة منها أن لا أطلع أحدا على أمرها إلى الآن وأما الآن فحيث لم يعد من سبيل للاخفاء فأطلبك على خبرها فلهذه هي عين الحياة بنت الشاه سرور حية فهور شاه ابن الملك ضاراب - فلما سمع سيف المهرولة هذا الكلام صفق كفا على كفه وقال من أحضرها إلى هنا قالت انها جاءت معن من مصر وكانت محببة عندنا فقال ارتكبت خطاء فلما لم تملينى وأنت في مصر وقد صدق من قال - كم من النساء يشدن بيوت أزواجهن وكم من النساء يخربنها ولوانك أعلتنى ونحن في مصر وأطلبنا الملك ضاراب لكان لنا الكثير وكنا نخفنا من الريلاث عنا وعن القرص ما لم تقدر الآن على حله وقالت انى رغبت كثيرا في أن أعرض عليك أمرها فلم تقبل وقد قالت لى ان أخبرت زوجك أنككسر جدا ولهذا لم تسخى عالفتها قال اذهبي في إليها فقد وجب علينا لإكرامها وتعظيمها لانها محبوبة سيد أجال هذا الزمان وكفة ميزانه ولا بد له من أن يعطى بأندامه هذه البلاد قريبا ويتزوج بها فتخدمه بسلطانها معها فيفكرنا على ذلك ثم ذهبت إليها وهو معها فلما دخل سلم عليها وقال لها لما ياسيدتى أخفيت أمرى عنا ونحن من جملة أحوالك وعمالكم وكيف لم تقبل أن تظهرى أمرى لهور شاه في مصر مع انه كان دائما كالمجنون حتى كان يأسف لحالته كل من رآه فتهدت من كلامه وقالت له ان ذلك كان بتدبير من الله تعالى فقد شخصت لى حالى وتقد ففضيل الاتيان في اثر انى وان لا اسلم نفسى سبية وهذا هو الامر الوحيد الذى يشغلنى دائما بأن أتزوج به بدون حصوله على بقوة السيف بل برضاى ورضا انى ان امكن وكان حيا قال انك اضطأت في ذلك فان اباك ليس من الاباء الذين استحقوا الاكرام والمراعاة لانه من جملة الاباء الجهلاء الذين لا يراعون صوايح بناتهن فكم من اب ضحى بنته وغبة في صالحه الخصوصى فيمنع منها من تحب وترى راحتها معه وترغب في ان تقرن ذاتها به ويقربها عن محبه هو ويرى ان له به صالحا وقضا واما ابوك فقد اهمى بصبرته فلم ينظر على أنظر بل عمل على خرابه يده وسلم نفسه إلى احواء وذيرة

طيفور الحديث المحتال حتى غرب بلاده وبلاد مصر وأهلك ألوفاً ومئات ألوف
 وعول أخبرنا أن يخرّب بلاد قيصر بامتاعه عن أن يقبل بواجبك بغير وريثه على أنه
 نحن الملوك وكل من شاهد فيروز شاه وتقرّب منه يردّب في أن يكون في ركابه وتحت
 طاعته . انك مصيبة بحبك له وتقرّبك منه كل المدة الماضية إنما غطت بهربك من
 وجهه هذه المرة قالت اني أعرف ذلك حق المعرفة وقد أراد الله أمراً قهله وما ذلك
 إلا بتقدير منه تعالى ليأتى إلى هذه البلاد ويملكها وينشر كلته فيها وكفاني غمرا
 بأن مثل هذا الرجل أجنبي وانى أحفظ نفسي ما زلت حية وأبنا سرت قانا له وهو
 يتقنى ومنى جاء إلى هذه البلاد أظهرت له نفسي وأقمت عنده وكتبته إلى أن
 يحضر عساي أقدر أن أصليح بينها . قال إن ذلك مستحيل فأبوك قد خطبك من
 أبرش ابن الملك قيصر وقد بدئت الحرب بيننا وجاءت جيوش الرومان إلى محاربتنا
 وم الآن بمحاصرتنا . فلما سمعت هذا الخبر طار مر عينيها الشرر وعضت كفها قدما
 ونحسرا وقالت اني أهل على طاعة أبي وأرضب فيها وهو يعمل على تكديري وخسري
 مع أنه يعلم حقيقة اني لا أرضى بغير فيروز شاه وقد أشعل نار فتنة أكبر من الأولى
 وأخاف أن تستولى رجال الملك قيصر على هذه المدينة فيقبضون علينا قبل أن يحضر
 الملك خناراب ورجاله فيسوقونا إلى العذاب وأعود أنا إلى ملاقة الأموال كما كنته
 قبل فاسمع الله اني فاني لا أنهي من واحد إلا ويخطئني من الآخر قال اما قورحنا
 في أيديهم فهو على غير المنتظر لأن حصون المدينة منيعة فلا يتمكن الإعداء منها
 بشهور وأعوام ولا بد لذلك خناراب أن يكون في خلال هذا الشهر عندنا وتسمعين
 بأذنك أصوات فيروز شاه ترن بين هذا الجيش الذي تجمع فيفرقه يوم واحد ويبدده
 عنا ومع كل ذلك فانه إذا حدث أمر فوق العادة وتمكن تمرّاش من الدخول إلى
 البلد خرجت بك ويروجي من هذا القصر إلى الخارج من دحلز يتدى منه
 وينتهي إلى البرية فتختفي في بعض القرى إلى أن نعلم بمجيء الملك خناراب فنظهر له
 أمرنا هذا إذا قدر المستحيل ودخل الإعداء المدينة . وبعد أن أقام سيف الدولة
 عندها نحو من ساعة دخل إلى غرفته مع زوجته وهو أمين من فتح المدينة ودخول
 الإعداء اليها وأقام إلى أن دخل الليل وعضى منه قسم ليس بقليل فجاء فراشه ونام
 مطمئنا إلا أنه ما استقر إلا القليل حتى استيقظ مرهوما وقد سمع أصوات الطبول
 الرومانية تنفق في المدينة والصياح قائم من كل ناح وقد دار السلب والنهب فيها
 وارتفعت أسوارها من عظم صياح قائمها فارتبك في أمره وخارت قواه لاسيا عندما
 سمع صوت تمرّاش بالقرب من القصر وقد أمر بكر أبوابه والدخول إليه والقبض

على كل من فيه وبيننا هو على مثل ذلك دنت منه زوجته وقالت له هلم بنا إلى الفرار من الدهليز فإن الوقت قصير فأسرع إلى باب الدهليز وقال لها اسرعي إلى عين الحياة فأثني بها فسارت إليها فوجدتها تبكي وقد علت بالحالة المحزنة وخافت من وقوعها يد الرومان وبشها إلى الملك فبصر وهي تظلم خدودها وتعض كفوفا وتندب حظها وتلوم نفسها على فعلها فقربت منها امرأة سيف الدولة وقالت لها ليس الآن وقت بكاء ونواح فأسرعي معنا إلى الحرب ولا فائنا إن أقامنا خمس دقائق أخر دخل الرومان القصر وقبضوا طينار سبوتا وقادرونا إلى بلادهم فنهضت من فراشها وأسرت إلى باب الدهليز فدخلته مع سيف الدولة وزوجته وأقلوه من خلفهم وساروا فيه من تحت الأرض إلى أن ساروا خارج الأسوار فساروا منه كل تلك الليلة على الطريق المؤدية إلى جهة الشام حتى كانوا من الغصب والمشى والجرح فلجئوا إلى مغارة هناك وهم على تلك الحالة وليس معهم ما يأكلون أو ما يلبسون لأنهم خرجوا بتياب النوم من أفرشتهم كما تقدم وأصبحوا ينتظرون الفرج منه تعالى

قال وكان السبب في دخول المدينة تلك الليلة نهر وأخوه مبر وذلك انهما كانا كما تقدم عافلين على المدينة مع أخيهما قهر الأصغر فلما كان أول الليل اجتمعوا إلى بعضهم فقال قهر الأكبر إن مكدر من حمل سيف الدولة وخيائته للملك قهر وخضوعه لفرس أعداء بلادنا ولذلك عولت على فتح المدينة هذه وإدخال تمر تاش إليها فافقه أخوه مبر وخالف عليه قهر الأصغر وقال إن حملنا هذا يحسب ضرب من الحياة فكيف نحزن ببلادنا ووطننا وترك الرومان يدخلون إليه وينهبونه ويسبون نسائه مع أننا خلقنا الأقسام للخطية للملك ضاراب بأن نطيعه ونخدمه ولو امتنعنا عليه لكان قتلنا فليس من شروط الإنسانية ما نطلبان به . فلما علم أن أعامها لا يوافقهما على ذلك أعرض عنه وها في كدر منه حرصا إلى أن تام فأخذ اشردمة من المساكين وسارا إلى الباب ففتحاه لأن مفاتيحه كانت عندهما وبينا برسول إلى تمر تاش يعلمانه بكل ما كان من أمرهما وانهما فتحا الأبواب وأقاما عندهما بانتظاره ليدخل بجيشه المدينة في ذلك الليل ويتملكها قبل الصباح . فلما وصل الرسول إلى تمر تاش وأعلمه برسالة قهر ومبر أسرع برجاله إلى المدينة فدخلها وأمر حساكره أن تفرق فيها فقبض أسواقها ويوتها وتسي حريمها ونساءها وتقتل رجالها وأطفالها وأن يفعلوا البدع بحيث يتركون فيها لهم أنرا لا يحى بكرور الزمان ففعلوا كما أمرهم . وسار هو إلى مصر سيف الدولة فوجده مقفلا قامر المساكين أن تكسر أبوابه ففعلوا به جميعا على القصر وهو معهم وفي نيتهم أنهم يرون سيف الدولة فيقبضون عليه ويسبون

حرره ففتشوا كل القصر فلم يجدوا أحدا ولا رأوا غير الخدم والعبيد قهوه وأخذوا كل ما وجدوا فيه وعادوا إلى الأسواق فسلبوا كل ما وصلت إليه أيديهم وكان من جنتهم قهر ومهر وقد قتلوا كثيرا من أبناء وطبعا وبلادها رقبضا على أخيهما وأوقفاه بالحبال وطلباه منه الطاعة والاعتماد إلى الملك فيصر . قال ان ذلك لا أجريه ولو ذقت الموت واتي لا أخاف الموت مازلت متكلا على الأمانة ولا أرضى الخيانة وعند شروق شمس النهار أمر تمرتاش وخرطوم العساكر أن تعود إلى خيامها وتحمل كل ما وصلت إليه أيديهم فصاروا بالأموال والسيبى والنساء تبكى وتوح فقد رجلاها ومن يتحصن على قنوصين بأبدى الرومان دون أن يعفوا عطين ويرحمون . ولما استقر تمرتاش في صبيوته أمر أن يؤتى بالوليده حاكم مصر فأحضر إلى بين يديه فأطلقه وأكرمه وأظهر له كدر الملك فيصر من حاله . ثم أمر باحضار قهر أخيه غير ومهر فحضر وهو في وثاقه فلامه على اصراره على طاعة الملك ضاراب وقال له كان بخاطري أن انتقم منك لولا كرامة أخويك فهاهنا على أنك ترجع عن خدمة الملك ضاراب وتدخل في خدمة الملك الأكبر ملك ملوك الرومان فاحضر حثك وادعه أن ينعم عليك ويكافئك . قال اني لا أرجو المكافأة من لا أربح في خدمته فأتى حاضرت الملك ضاراب وأقسمت له الأقسام العظيمة اني أخدمه وأقاتل أمامه ولذلك لا أريد أن أخلف في قسمي لأن نفسي هي له وقد اشتراها بحبله فلا أمك عليها وكان له الحق أن يقتل عندما سكنى في مصر من جملة محاربه فلا مطمع برجوعه عن طاعته فأفلحوا في ما أتم فاعلمون فان الله ينقذى منكم وان أعرف أكيدا أنكم ان فعلتم في شرا يأخذنى بتأرى منكم الملك ضاراب ولا يتأمل في أمرى إذا عرف بفعلكم معى فأغضب كلامه هذا تمرتاش وانفتحت إلى أخويه يستدبرهما في أمره . فقالا له ارمه إلى الأرض وأمر أن يضرب خمسين سوطا فيصفر ويطبع فامر في الحال أن يضرب خمسين سوطا على رجله فيعرف قيمة نفسه وما يكون من عناده فرماه الحجاب إلى الأرض ورفعوا العبايط وجعلوا يضربونه وهو يصيح مستغيثا بالملك ضاراب وولده فيروز شاه ويناديهما لمحوته وبعد أن فرغوا من ضربه قال له تمرتاش هل لا تزال مصرا على عنادك وكيف لم يأت الملك ضاراب ونجيك من أيدينا . قال اني قلت أن لاشي يرجعني عن خدمة الملك ضاراب إلا الموت وما أنا أنتظره بصبر جميل وأما من جهة إتيانه لخلاصى فهذا لا يغترق أبدا وسوف ترونه باعينكم حتى انه لا يمكن أن تخفى عليه حالة هذاى عندكم ولا بد أن تصله قبل أن يدخل هذه البلاد وذلك لأنى أعلم أن عنده هروز العيار يحول البلاد في يوم وليلة ويعرف ما يكون

فيها ويعود بأسرع من البرق فكأنه حاضراً في كل مكان فراحصرناه على نظره إلى حالتي لسان خلطني بالرغم من حكم كاخنصر قومه من المقنطر الساحر فلما سمع تمرناش كلامه أمر أن يوضع في صوان تحت الترس ويترك فيه إلى حين وقوع سيف الدولة في يده فبرسه معه إلى قيصر الملك الأكبر ملك الرومان . ثم أمر أن تطفأ المدينة وتقتل البيوت على سيف الدولة طمطم يحدون له أثر أو يكون محتثاً عند أحد .

قال وبينما كان الحجاب يضربون قهراً بالسياط كان بهروز العيار حاضراً يسمع ويرى ويستجب من أمانة هذا الرجل وخيانة أخويه وقد عول على خلاصه وإطلاق سعيه من قيوده وإرساله إلى سيده الملك ضاراب . قال وكان السبب في وجود بهروز في تلك التواحي هو أنه لما خرج الملك ضاراب من مصر ومعه ولده فيروزشاه كما تقدم الكلام كان يتردد في أمر سيف الدولة ويجب أن يعرف أهل بقي مصر على طاعته أو إذا أجبره قيصر بخرج ويحتج برعده وعرض ذلك على ولده ووزيره فقالا الأوفى أن نرسل صياراً من عيارنا يتأثر سيف الدولة ويأثنا عنه بالأخبار الصادقة لأن لا بد بعد وصوله إلى بلاده من أن يأتيه الملك قيصر حالاً لأن بلاده قريبة جداً منه فلا يرجع ما لم يأتنا بالخبر اليقين وكان قصد فيروزشاه بذلك أن يبعث بهروز ليفحص له عن عين الحياة وما كان منها وهل لمحي عند قيصر مع أيها أم لا وإذا كانت هناك هل هي براحة أم جار عليها شيء من حوادث الدهر وماذا كان من أيها الفناء سرور ووزيره طيفور هل أن الملك قيصر معتن بهما أو هاملهما . فلما وافق أبوه على رايه دعا بهروز وأطلعه على قصده وقال له أريد منك أن تذهب فتتظر لنا ما يمكن من أمر سيف الدولة وبعدها نقف على حقيقة أحواله تذهب متخفياً إلى عاصمة الرومان وتكتشف لنا على حالة عين الحياة فأجابه بالسمع والطاعة وغيره لا يسهه ولبس ملابس الدراوش وسار قاصداً ملاطية وقد وعدهم أنه يلاقيهم إلى دمشق أو على طريقها إذا تيسر له الرجوع حالاً يبقى سائراً على تلك الحالة إلى أن يدخل ملاطية قبل وصوله صاكر قيصريومين فنزل إلى فندق فيها وصنع جسمه بصفة عبد ودخل بين خدم سيف الدولة وقد سمرته من يد السرور عند ما شاهد أعلام القرس فوق أسوار المدينة وإن كل أعماله وأوامره تصدر ممنونة باسم الملك ضاراب وبقي على هذه الحالة يومين وقد عزم أن يسير إلى بلاد قيصر ليكتشف على خبر عين الحياة وإذا قد وصل للمدينة خبرايتان . الرومان تمرناش لمحاربة سيف الدولة فتأخر عن السفر وصبر ليعلم ما يكون من أمر سيف الدولة وهل يبقى على طاعة أو يخلف إلى أن شاهد بعينه أصراره على طاعة القرس

فصر منه جدا ونام تلك الليلة في الفندق على أمل أن يذهب في ثاق الأيام إلى العسا
إلى عاصمة قيصر فيكتشف أخبار عين الحياة ويهود بكل سرعة ليعلم الملك ضاراب
وولده فيروز شاه فأتيان ملاطبة ويرفعان الشر عن سيف الدولة لأنه كان كاتحم أرمع
على الحصار وفي الليل سمع الصباح فصر أن الرومان دخلوا البلد فانس من باب الفندق
بين الأسواق فرآهم وقد تفرقوا في المدينة على تلك الحالة يكسرون أبواب البيوت
فيدخلونها عنوة ويغفلون الفواحي فكدرته هذه الحالة إلا أنه تنع آثار واحد منهم
كسر باب دكان وأخذ في أن يهب منها ويأدره بضربة في خنجره بين أكتافه الفاء قبلا
فزع منه ثيابه وسلاحه فلبسها حتى صار كأنه روماني الأصل أباعنجد وأخذ يطوف
في المدينة مثلهم إلا أنه كلما اتفرد بواحد منهم انقض عليه فقتلوا أول به العبر حتى طلع
الصباح ورجع العسكر عن المدينة بأمر تمرناش وما منهم إلا وقد سبي منها بنتا وأمرأة
ولا واحد إلا رحل أحمالا ما وصلت إليه يده من الأموال والأقشة والأمتعة فكدرته
هذه الحالة جدا وتأسف على المدينة وعلى ما حل بها ومدح جدا من سيف الدولة وسر
حيث لم يقدرها على مسكه ولا عرفوا مقر وجوده ومن أي جهة هرب . ولما عادوا إلى
الحيام عاد معهم واختلط بين الحجاب ووقف ياب تمرناش وشاهد ما كان من أمر
فهر ومهرو خباثتهما فصر عليهما إلى أن رأى أخاهما قهرا وهو يضرب ويستغيث بالملك
ضاراب وبغير وز شاه فتحركت برأسه النخوة الفارسية وقال لا بد لي من خلاصه في هذه
الليلة وإرساله إلى الشام ولا أترك الرومان يتحكمون به فهو أمين على خدمة دولتنا وقد
قبل بالموت واحتمل الضرب والاهانة ولم يقبل بالاحتاث بالوعد ولا رضى أن يخون
الملك ضاراب وبقي صابرا إلى أن اشتد الليل وقد عرف المكان الذي وضع فيه قهر
فجاء إلى الصيوان من قفاه وأقلع منه وتدا ودخل إليه بأسرع من لمح البصر وتقدم من
قهر وكان نائما فابظه ومس في أذنه وقال له لا تخف فانا بهروز جئت لأخلصك فنظر
فيه ولم يد كلمة خوفا من أن يسمعه الحارث الموكل بالحفظ عليه عند باب الصيوان بل
سلم نفسه إليه فأخرجه من ظهر الصيوان إلى أن أبده قليلا عنه . ثم أخذ المبرد فقطع
له قيوده وخرج به من المعسكر وسارا كل تلك الليلة حتى أشرق الصباح فنظرا
نفسهما ببدين عن المدينة في الحلاء الواسع . فهنا بهروز قهرا بسلامته وقال له
قد سمعتك نكمت عن أمانة وصدق ولا بد للملك ضاراب من أن يكافئك عن صدق
أمانتك ويجازي أخويك على خيائتهما ونكثهما الجميل . فدحه على عمله وسأله سبب
خضوره . قال أتيت لأكتشف على الشاه سرور فبررت في طريقى على ملاطبة

لا يرى ما يكون جاز فيها فاخبرته سيدي فيروز شاه فهدف وصولي ووصول الرومان
 بأن واحد وإن قد عرفت أن اذهب إلى اتمام خطي فاذهب انت من طريق القام
 فاما ان تصادف الملك حاراب آت على الطريق او انك تلحقه بالقام . قالاني لا اتدنى
 على الطريق ولا يمكن ان اسير على هذه الحالة بلا سلاح ولا زاد فاذهب بي الى مغارة
 في هذه البرية فاجيء بها واذهب أنت فأتى باحتياجي فأقيم عتبتا إلى أن تعود من
 بلاد قهر فأسير وإياك معا إلى حضرة الملك حاراب فراقه بهروز على طلبه وسار
 به إلى جهة البر إلى المغارة التي كان أقام فيها سيف النولة وزوجه وعين الحياة فلما وصل
 إليها دخلها ونظر إليهم فاندش منهم وكاد يطير من الفرح وتعجب من وجود عين الحياة
 بينهم وقد آلفت بنفسها إلى الأرض وهي صفراء كالأموات من عظم ما لحق بها ولا سيما
 من الجرح والضعف ومثلها سيف النولة وزوجه فجعل ينظر إليهم ولم يعرفه أحد منهم
 في الأول بل غنوه رومانيا إنما سيف النولة عرف قهرا فلم عليه وسأله عن حاله
 فآخذ يحكي له ما لحق به بينما كان بهروز قد انقض إلى أمام عين الحياة ودنا يقبل يديها
 وقال لما لا تخافي يا سدي فأنا بهروز الميار وقد جئت لخدمتك من قبل سيدي فيروز شاه
 فافروقت عيناها بالدموع عند سماعها ذكر فيروز شاه حبيبها وفرحت بهروز الميار
 مزيد الفرح وقالت له لا زلت أنت وسيدك تاتون في وقت الحاجة وعند الضيق فلو لم
 تاتنا لكننا على شفير الموت من الجوع لأننا هربنا من قصر سيف النولة وأتينا إلى هنا
 على نية السفر إلى الشام انما لم يكن معنا من الزاد ما نتقات به يوما واحدا أو ساعة واحدة
 فصرنا اليوم المأخى كله دون أكل وليس عندنا من يأتينا بالزاد وسيف النولة لا يمكنه
 أن يظهر نفسه فآيسنا من الحياة ونحن ندعوا لله الفرج فجاءنا والحمد لله عن يد أحب
 الناس إلينا . قال ومن أين وصلت إلى قصر سيف النولة حتى هربت معه مع أنه هو
 أمين على طاعة فيروز شاه وكيف أخفى أمرك في قصره . قالت اني كنت اختبئت عنه منذ
 كان في مصر وتوقعت على زوجه بان تكتم أمرى عنه وعن غيره فلم يعلمني قط الا هذه
 اليلة التي هربنا بها . قال ولما فعلت ذلك وكيف أخفيت نفسك عن سيدي
 فيروز شاه مع أنك تعلمين شدة تعشقه لك وتعبه لشخصك . قالت ان ذلك كان
 بسماح منه تعالى فإنه أخفى عن ويلات المستقبل وأنساني صعوبات الماضي فلو سلمت
 نفسي إليه بمصر لما كان يجيء هذه البلاد ولا كان وقع ما وقع وسوف يقع وانما الله
 قادري وصور لي أن لا أسلم نفسي سبية إلى من أعتقد أنه لا يفضل نفسه على لا بل
 بغديها بمجرد كلمة مني انما قد يفعل الله ما يشاء في عيده . والآن لا أريد منك الا

الاسراع باحضار كسرة خبز فان رجلى لم تساعدانى على الوقوف . ولما عرف سيف الدولة
 بهروز فرح ايضا ودعاه اليه ولة له ان مرادنا المسير الى طريق الشام الى ملاقة
 الملك ضراب قطلمه على كل ما حل بنا وما كان من امرنا لياخذ لنا بالثار من هؤلاء
 الأوغاد . قال كنى مطنشا فلا بد من ارجاعك الى قصرك وارجاع بلدك اليك وتوسيع
 ملكك فما سيدى فيروز شاه بنا كنى الجليل فاذا حكيت له عما شاهدته منك ومن امانتك
 ومطاعتك لدولته جازاك احسن المجازاة ولا سيما اذا جنته وعين الحياة مملك فلا ريب
 انه بمملك الحاكم على كل بلاد الرومان وكل ما تطلبه منه بقضيه لك لانه لا يريد من
 الدنيا الا عين الحياة وغيرها فلا هو يقدر ان يدوخ هذه البلاد بهمة قصيرة وبذل
 ملوكها ويقلب كراسيها وقد شاهدت منه ما يفنيك عن وصنى قال انى اعرف هذا ولذلك
 ارجب في المسير اليه بكل سرعة . قال هلوا بنا من هذه الساعة فان الحاجة التى جنت
 لا جلتا قد توفقت اليها من اقرب طريق . فقالت عين الحياة كيف يمكننا المسير ولنا
 يومان لم ندق طعاما فاذهب واتنا بما نأكل قال لا بد لنا من ان نصادف في طريقنا
 قرى وضياعا فنشتري منها ما نأكله . قالت اتنا لا تقدر على المشى لتصل الى القرى والضياع
 وربما كانت بعيدة فنصوت اذ لا يمكننا ان نذهب خطوة واحدة بلا اكل فالأوفق ان
 نبقى مختئين في هذه المغارة الى ان تمود الينا ويكون المساء قد اقبل فنسير تحت الظلام
 ونكون اشتدت فرانا الخائرة بما تاتينا به من الطعام . وغير ذلك لا يمكننا اجراؤه
 ولا تقدر عليه فلما رأى بهروز شدة جورها فائر غاية التأثير وحن كل الحزن وقال
 في نفسه ان احكام الله غريبة كيف يمكن ان تكون بنت ملك وتتقاتل على شأنها الملوك
 ويكون مثل فيروز شاه خطيبها وتبات في البرارى لاهطاه ولا زاد يومان حتى اصبحت
 تكاد تهلك جورا ولولا وجود المساء في المغارة لكانت ملككت عطشا وكادت تنفطر
 مرارته لكلامها وعرف انه لو كان سيده حاضرا وسمع منها شكواها من الجوع لطار
 صوابه وانطط بنفسه لوحده على عساكر الرومان طعاما باحيائها وان لا يسمع انها
 جائعة ولو عرف ان الطعام في وسط جهنم من النار لرمى بنفسه بها فلانسمع اذناه انها
 تكاد تهلك جورا . ولذلك قال لما اتى ساطع امرك واذبح الى عساكر الرومان واتيكم
 بالطعام والملابس الكافية وكل ما محتاجونه لوفائتكم من البرد والحر ثم انه كراجمنا
 من حيث اتى يقصد جهة العساكر وهو بصفة واحد منهم .

قال فهذا ما كان من هؤلاء . واما الشاه سرور فكنتا قد تركناه عند الملك قصر
 باكرام واحترام وكان عرف باتيان سيف الدولة طامعا للملك ضراب ونشر الوبة

الفرس فوق أسواره وقد بهت الملك قيصر بتمرتاش لاذلاله وان الملك ضاراب آت على الطريق فوقع الرعب في ركبته وخاف سوء العاقبة وقال لوزيره طيفور هوذا فيروز شاه آت على الطريق بالساكر والابطال والوبة بلاد مرفوعة على بلاد هي أقرب البلاد إلينا وقد أطاعه أخص حمال الملك قيصر فهوذا علام السعد والتوفيق ظامرة على وجه الظروف وقد سبقتهم طلائعها إلى هذه البلاد وإن أشعر الآن بقصر حمري وفروغ حياتي كل ذلك لأجل معاندي لأهل إيران وعدم إجابتي طلب فيروز شاه فقال طيفور إن أعجب منك ياسيني كيف تسلم بنفسك إلى الأوهام والخاوف وتقدر المحال فهل يهلك أمر سيف الدولة ومن هو عند مثل هذا الملك الذي نحن في حماه فألوف من الملوك مثله بخدمة مودة يسير له بالساكر والابطال فإذا كان سيف الدولة فعل ذلك عن طيبة خاطر وصدق نية قبض عليه بتمرتاش وجاء به أسيرا ذليلا وإذا كان عن خوف منه فلا بد أن يعود إلى خدمة الملك قيصر ويأبى بساكره إلى خدمته وخوفك من الموت فذلك خطأ لأن الأجل محتم والموت بيده تعالى فلو شاء موتا عن يد الفرس لكان رما تايدهم مند كانوا في تعزاه الذين غير أن الله يرغب في بقاءنا فأبينا سرنا نسير بأكرام والتبجيل فنحل بسط الملوك الكبار ونقيم في قصورهم وعلى خدمتهم وموائدهم فيرفون لنا مقاما ويراعوننا ويرغبون القرب منا والاتساب إلينا ليس ذلك من أسباب التوفيق بخلاف الملك ضاراب وولده فيروز شاه ورجلها فانهم وإن كانوا يتوقون إلى النصر والظفر إنما بعد العذاب والقهر لأنهم يقيمون على التراب في الحميم عرضة لحرارة الشمس والبرد والتشنج من مكان إلى مكان وعندى أن الله عز وجل يقصد هلاك هذه الطائفة وعذابها فيرميها بالآخطار حتى تصبح على شفير الخراب ثم يلم شعثها ويجمعها ويظفرها على قصد أن يلقيها بخطر أعظم تطويلا لعذابها فكل ما لا قوه في مصر كان ولا عذابا لا يحسبه النصر الذي أحرزوه بشيء مقابلهما وسوف نرى بعينك صدق ما أقوله لك فسكت الفاه سرور قائما بكل ما سمعه من وزيره طيفور غير أنه قال له إن مرادى أرسل هلال العيار إلى ملاطية فيكشف لنا أخبار سيف الدولة وما يكون منه ويبقى هناك إلى حين مجيء الملك ضاراب صاه يقدر أن يعرف ما كان من أمر عين الحياة وما جرى لها مع فيروز شاه لأنها بدون شك لم تقبل أن تزف عليه ولم تقع في يده ولا لو قبلت أو وقعت في يده لكان تزوج بها واستغنى عن المجيء إلى هذه البلاد لأن لا مطمع له ببلاد قيصر ولا صالح يرجو منها قال طيفور إن مجيئه لا بد منه لأن عدوانه لنا وبغضة الألهين جعلاه يتأثرنا أبنا سرنا للانتقام منا فهو مصر على

هلاكتنا ولذلك تراني أحب أن أبعد بك عنه ولا أوقفك على مصالحتك وتسام نفسك إليه وهو يمكن لنا الشر وأما زواجه بين الحياة فهو بدون شك لم يته والدليل سرعة مسيره عن مصر في أثرنا لأنه لو زف عليها لوجب لعمل العرس أن يصرف أياما وأشهرًا فامث بهلال يستمل لنا العلم اليقين وبأثينا بخبر عين الحياة كما أشرت .

ثم أن الفناء سرور استدعى بهياره هلال وقال له أريد منك أن تذهب إلى ملاطيه ولا زال يجدا في مسيره إلى أن وصل في ثاني يوم دخول ممر تاش إليها وصادف أنه أوسع في الفلاء فابعد في طريقه حتى صعد ظهرا كمة لأنه كان يجهل حقيقة موقع المدينة فنظر عن بعد فرأى قاتله إليها وما سار إلا القليل حتى حانت منه التفاتة فرأى عن بعد رجلا رومانيا خرج من مغارة وتدرج إلى السهل فخطر له أن يقصد إلا أنه امتنع واخفى خلف شجرة وقال من الواجب أن أسهر إلى تلك المغارة وانظر ماذا كان يفعل فيها فلا بد من أن يكون هناك سر ربما تهمتا معرفته وكان ذاك الرجل الروماني هو بهروز لأنه لم يعرفه عن بعد ولا خطر في ذهنه أنه يأتي هذه البلاد وحده فصر عليه إلى أن بعد فجاء المغارة وكان لابسا ملابس درويش إلى أن قابها فنظر إلى داخلها فرأى سيف الدولة وعين الحياة فعرفها حتى المعركة وكاد يظهر من الفرح إلا أنه لم يظهر على نفسه شيئا من ذلك وأظهر أنه يقصد المرور من تلك الجهة . فلما رآه عين الحياة قالت لسيف الدولة أدع لنا هذا الدرويش فلا بد أن يكون معه شيء فتنأت به فبعد رمقتا إلى حين مجيء بهروز بالطعام . فصاح سيف الدولة بهلال وقال له أحضر البنا قليلا فانتا محتاجك . قال دعوني فاني درويش وليس معي شيء وأني آت إلى بعض الخائز أعداءه وأصل فيها فهل أنت من قطعة الطرق لأدعوك إلى الله أن ينتقم لي منك ويخلصني قال ليس أما كذلك بل مرادنا كسرة خبز فانتا ججاج وعلبك منا الأمان وقد أوصاكم الله بعمل الخير لأنكم رجاله الإخفاء فتقدم الدرويش إلى باب المغارة وقال ماذا تريدون فإن لاخبر معي لانتا نحن الدرويش لا تأكل الخبز فقال له ماذا تأكلون وبما تعيشون .

قال أننا نطبخ حلوة يقال لها الحلوة المنشية فاذا جاع أحدنا لقم لقمعة فيضع شبعًا كاملا كأنه أكل خروف فقالت عين الحياة بالله عليك يا درويش الخير أعطني من هذه الحلوة وخذ مني هذا الخاتم الالاس فاني لا أملك غيره ثم نزع الخاتم من أصبعها ودفعته إليه وسأله تمجبل الحلوة لأنها في حالة النزاع من الجوع

فرد اليها الخاتم وقال لها أجبني معك فأتينا لانهمل مالا ولا جواهر ولا نرغب إلا فيها
يرضى الله وأنى أعطيك جميعكم من هذه الخلاوة لتتبعون وتشكرون الله تعالى . ثم
أخرج من كسكوه قطعة من المعجون مشقة بالبنج قسمها إلى أربعة أقسام ودفع
لكل منهم قصبا فتناولوها بهلقة وأكلوها وما لبثت أن استقرت في بطونهم حتى قلبوا
إلى الأرض كالأموات من فعل البنج فتخاف هلال من رجوع الرجل الذي رآه خارجا
من المغارة ولذلك عول على قتلهم من ذلك الموضع فعمل عين الحياة وسار بها إلى
مغارة كان قد رآها في طريقه في ظهر الأكمة التي صعد عليها ثم جاء فأخذ سيف
الدولة ونهرا وروحة سيف الدولة ولما رأى أن لا أحد رآه فرح فرحا لا يوصف
بتحاح مسماه وانطلق يجرى إلى المدينة وقد تأكد عنده أن المدينة فتحت وسيف
الدولة حرب معه فمر أحد بهلوانية بلاده وتبع سائرا إلى أن وصل إلى الجيش وهو
خارج عن المدينة في الخيام قصد صيوان تمرناش فقرب منه وممس في أذنه وأمر
أن يعطيه عشرين فارسا لياقي بسيف الدولة وقهر وعين الحياة فلما سمع تمرناش هذا
الكلام ارتاع وسال الدرويش من يكون فأظهر له نفسه وحكى له سرائل ما رآه في
الطريق وأنه وضع أسراة في مغارة ويخاف من أن يأتي أحد فيخلصهم فأمره
بالفرسان الذين طلبهم فساوروا معه وكان تمرناش في قلق واضطراب عظيم من فرار
قهر ولا يعلم من الذي دك وخطفه ولم يعلم أحد ما هو سبب خلاصه بل أخبروه أنهم
وجدوا الصبران مفتوحا من الخارج وعلى مقربة من القيود مقطعة وعلقة إلى الأرض
فاختلط من ذلك إلي أن جاءه هلال .

قال وسار هلال بالدين معه إلى المغارة التي كان قد وضع بها عين الحياة ورفقاءها
فوجدهم لا يزالون على حالتهم فأيظهم بضد البج فاستيقظوا وارتاعوا عندما
شاهدوا أنفسهم محاطين بفرسان الرومان ولا سيما عين الحياة فانها كادت أن تنفى
عندما شاهدت هذه الحالة وقد تكدرت مزيج الكدر وتمنت أن تقتل نفسها فتقدم
منها هلال العيار وقبل يديها وقال لها لا تكدرى ولا تنفضي فإن أباك بئس لاقتش
عليك وبالقضاء والقدر رأيك في تلك المغارة وأنا لابس ملابس الدرويش فلم
تعرفني ولا ريب أن سيدى أباك يسر سرورا ما بعده سرور إذا عرف بأنك هنا
لما كنت ولا أدت خطابا بل أذرفت دموع التحسر والتدامة وثبت لديها أنها
ستذهب إلى الملك فيصر وتبقى هناك عرضة للويلات الشديدة والمصائب الماثلة .
ثم أن الفرسان دفعوهم إلى الخيول وجاءوا بهم إلى المعسكر وادخلوهم على تمرناش
فلما رأى عين الحياة قام وانضاف إلى الأقدام لإكراما لمقامها ولعله بأنها خطيبة مولاه أبوش

ابن الملك قصر وأمر في الحال أن تأخذ إلى صيوان مخصوص وأن يقدم لها الأكل إلى حين تكتفى بحيث يريد أن يرسلها في نفس ذلك اليوم مع الأسارى إلى مولاه وأمر أيضا أن يطعم الأسارى ليقدروا على أن يصلوا إلى العاصمة . وبعد أن أكل الجميع وشبعوا أمر أن يقيد قهر وسيف الدولة قيدا وورع عين الحياة على هودج بلق بمقامها ومثل ذلك زوجة سيف الدولة وأمر ملال أن يسير أمامهم ولا يفارقهم إلى أن يصلوا إلى البلد وسألوا الوليد أن يركب معهم ويسير بالفي فارس إلى حضرة الملك الأكبر قبل وسار الجميع يقطعون الطرقات نحو المدينة .

وأما بهرود فإنه سار ليأتي بالزاد فدخل بين المعسكر وجمع ما قدر أن تصل إليه يديه منه وأخذ شيئا من الملابس والأغطية وصبر إلى الليل فأنسل بين الخيام وفك أربعة روس خيل وكر راجعا إلى أن وصل إلى تلك المغارة وفي نيته أن يلقى سيف الدولة وعين الحياة ومن مهمما إلا أنه رأى ذلك المكان خاليا خاويا ليس فيه أحد فوقف برهة صامتا مطرقا إلى الأرض يفكر إلى أي جهة ساروا فخطر له أخيرا أنه ربما يكونون قد ساروا أمامه فركب جوادا وساق الثلاثة أمامه وأطلق يجرى إلى جهة الشام وأسرع في السير وقد غاب وجهه إوارثك مريد الارتباك وتقلبت عليه الدنيا اشكالا والواما وهو لا يعرف إلى أي جهة يسير حتى أصبح الصباح فكشف البر من أمامه على مسافة نصف نهار فلم ير أحدا فوقف هناك يفكر في الرجوع وقد ترجع عنده أنهم لم يسيروا قط في تلك الناحية وأنهم ربما كانوا وقعوا يد أحد من الرومان وكان هذا الأمل يقوى عليه تارة ثم يهضم لظنه أنه كان بين الرومان وأنه جاء عن طريق المغارة فلم يصادف أحدا في طريقه ولم يخطر له قط أن هلالاتهم من المغارة إلى غيرها وسار بهم على غير طريق إلا أنه وطفد العزم على الرجوع وقال في نفسه حيث أتى لا أزال قريبا من المدينة والمعسكر فلا بد من الاستطلاع على ذلك حتى إذا قطعت الرجاء من الوقوف على أمرهم عدت إلى المسير نحو الشام ولما قوى هذا العزم في رأسه رجع القهقري إلى أن وصل عند المساء إلى المعسكر وقد ترك الحبل بيده بحيث لا يراها أحد واختلط بين المعسكر وأخذ يستشق الأخبار فسكى له عن كل ما كان من أمر ملال العبار وكيف أنه لقي سيف الدولة وعين الحياة في المغارة وقهر وامرأة سيف الدولة وأن تمرأتين بعنهم إلى الملك قصر نحت امرأة الوليد بعد أن أوصى ملال بالحافطة عليهم . فلما عرف ذلك أسودت الدنيا في عينيه وقد غاب عنه هدهد وشغل باله وبقي نحو من ساعة يفكر ماذا يصنع أسير في أرم وينظر الفرصة فيعود بهم أو يسرع إلى سيده الملك ضاربا فيطلمه على كل ملأه

ويخبر فيروز شاه بخبر عين الحياة وما كان من أمرها وبعد الامعان خطر له أن يرجع إلى سيده ويستجبه لخلاص المدينة متى كانت عساكر إيران قائمة في تلك النواحي سار إلى خلاص عين الحياة وسيف الدولة من أيدي الرومان وخاف من أن يلومه الملك ضاراب إذا تعوق من العود إليه ومن أخباره بأسر سيف الدولة وخراب المدينة . وعند ما ترجع له هذا الظن كر راجعا إلى جهة دمشق وقلبه يشتمل من حمل هلال البيار وقد أقسم أنه لا يد له من أن ينتقم منه بعد عودته إلى تلك البلاد ليريه كيف تكون ملاعب الرجال ولم يقبل أن يصحب معه الخيل خوفا من العاقبة في الطريق ومن ثم أطلق ساقيه للريح بقصد جهة دمشق وهو لا يأخذه هدوء ولا اضطراب ويتحس أن يكون له أجنحة للطيران فيطير إليها أو أنه يصادف مولاه في الطريق

وبقي الوليد سائرا وبين يديه هلال البيار وهو فرحان بالخلاص مؤمل بالرجوع إلى مصر شاكر امتة تعالى على إطلاق سبيله وحسب أن ذلك من أسباب التوفيق والسهادة وبقي سائرا إلى أن قرب من المدينة القائم فيها الملك فيصر فبعث رسولا يبشره بقدمه ويخبره عن عين الحياة وكان تمرناش قد كتب كتابا من قبله وسله إلى هلال البيار ليدفعه إلى الملك فيصر ولما وصل الرسول وأخبر الملك بقدم الوليد وبشره بوصول عين الحياة وبافتتاح المدينة وأسر سيف الدولة فرح مزبد الفرح وبعث من يلاقيه ويدخل به المدينة وعرف الشاه سرور بقدم بنته ففرح غاية الفرح واستدعا بولده الشاه أسد وقال له ان أختك قد ظهر أمرها وقدمت معه الوليد والقادمين والحمد لله الذي وصلت إلينا بالسلامة واني أخاف من أن تأتي المدينة ويدخلها الملك بين حريمه فلا تعود تراها فيها بعد وأخاف عليها من سوء وان يقطع بها انبوش قبل أن يقضى لنا غرض فنخسر مائتنا وعرضنا لذلك أريد منك أن تسرع فتأخذ أختك إلى قصر بعيد عن قصور الملك لتقي فيه لنرى ما يكون من أمر الملك وولده وما يجري بنا بعد ذلك وتكون قد اجتمعنا بهلال وعرفنا كيف قدر ان وصل إليها فاسار الشاه أسد إلى أن اتقى بأخته فسلم عليها وسلمت عليه وطلب من هلال أن يخرج بها وأن لا يوصلها في ذلك الوقت إلى الملك فاستصوب ذلك وخرج إلى مكان بعيد عن المدينة فاستأجر لها قصر وقال انها تقيم فيه بعض أيام إلى أن نرى لها مكانا موافقا نقدمه لها ونضعها فيه تحت معرفتنا وأقاموا في ذلك المكان الخدم والعبيد من غرباء المدينة الذين ليسوا من الرومان وبعد أن در هلال هذا التدبير رجع إلى الملك فيصر وكان الوليد قد وصل إليه وسلم عليه وجلس إلى

جانه وهو يترحب به ومته بالسلامة . ولما دخل هلال العيار قبل يدى الملك ودفع اليه كتاب تمر تاش فأخذه ونفض ختامه ثم دفعه إلى وزيره يد أخطل أن يقرأه علنا فقرأه وإذا هو ما يأتي

من تمر تاش فارس بلاد الرومان وحاميا وعبد الملك قيصر إلى سيده المنصور الظافر

بعد ذكر الله أخبرك يا مولاي أني توجهت بمساكرك وأبطالك لأتقضى ما أمرتني به حتى وصلت إلى ملاطية فرأيت على أسوارها أعلام الفرس فتكسدت من ذلك ولم يكن على هذا الأمر رفى الحال بشت بكتاب إلى سيف الدولة أسأله عن ذلك وأطلب منه تذليل الألوية الفارسية وإتيانه بمنوده إلى خدمتك فلم يصغ لقولى وعزم على العناد والكبر والمدافعة عن المدينة وربما كان ظنه أنه يقدر على الثبات إلى حين وصول الملك ضارب غير أن الصدق لم تساعده لأن فهو مير عبد بكما خلفا عليه واستنجعا حمله وطلبا من أخيهما قهر أن يواقهما فاني متمسكا باراء سيف الدولة ففتحنا لى الأبواب وأوقعت بالمدينة العذاب جزاء لما على خروجها عن طاعتنا وتركها عبدة للناظرين وطلبت سيف الدولة فلم أجده فقتلته عليه كثيرا حتى ثبت عندى أنه خرج من البلد وفر إلى الخارج وأحضرت فهو سألته الطاعة فامتنع لما رثته بالضرب والوجيع ثم حبسته فى صبران تحت الحفظ ولا أعلم كيف سرق من الصيوان المذكور إلا أنه فى اليوم الثانى جاءنى هلال عيار الشاه سرورا أخبرنى بأنه بينا كان آت من البرارى خرج إلى مغارة هناك فصادف سيف الدولة وزوجه وقهر وعين الحياة فاحتال عليهم وبنجهم ونقلهم من مكانهم وطلب إلى أن أحبه بالعسكر ليأتى بهم فأتينا بهم إلى الجيش وأنا لأعرف كيف نجما سيف الدولة ومن أين جاءت عين الحياة ومن الذى أوصل قهرا اليهما بعد أن كان مقيدا مسجوننا فى صيوان مخصوص وعرفا من أن أشغل نفسى بهم أو أصرف الوقت عليهم يستهم اليك حفظا عليهم لعلنى أن الملك ضارب وولده فهو وشاه سياتيان إلى هذه الناحية بعد قليل من الأيام قابمت اليك إذ ذاك بأخبار الفرس وما يكون من أمرهم وإلى أى حالة يتجهون والسلام ختام

فلما قرأ الملك قيصر الكتاب استعاد القصة من هلال فأعادها عليه فشكره ومدحه وأتى عليه وأمر أن يؤتى بسيف الدولة لبيد يديه وبالأمر قهر فأتى هما وهما بالقيود وأوقفا بين يديه فأتتهما وقال لهما ماذا فعلت معكما من القبيح لتعاملنا هذه المعاملة وتيمنا إلى الأعداء وتجهلا ببلادى عرضة لهم . فقال له سيف الدولة

أنا لا نلام على خروجنا عن طاعتك ودخولنا بطاعة الملك ضاراب ولو كنت أنت
مكاتباً لما فعلت إلا ما فعلنا إذا شاهدت حلمه وكرامته مع قوة سلطانه ونحن حين
سرنا بأمرك إلى مصر قد قاتلناه في الأول بثبات عزيمة وصدق نية ونحن عاقلون
على أوامرك وعداؤه إلا أننا وقعنا بأيديه وصار له الحق في قتلنا والانتقام بعد أن
لاقى ملاقى منا أثناء الحرب بدل من انتقامه بالحلم والرحمة فعفا عنه وأحسن إلينا
وانخذنا لفساده لمواعونا فلما رأيت ما رأيت من عدله وأنه نظر إلينا وصدق كلامنا ولم
يطلب أذاً منا ولا امتحنا قبل أن يوجه كل دونه إلينا وأبنا من الضروري الواجب أن نخدمه
بأمانة ولا نحتسب يميننا معه لاسيما هو قادر على الانتقام منا إذا سبنا بالنش والحياة
ضده كما أنه قادر على خلاصنا والانتقام من كل من يقصد لنا ضراً . وإن أحذرك
عاقبة حملك هذا فانك تجهل حالة الفرس وعظم مقدرتهم وتوفيقهم ورغبة المتأية
الالهية فيهم فلا تدخل باب العناد خدم ولا تفكر بقتالهم بل اتخذهم أصدقاء لك
ولبولتك واقبض على الشاه سرور ووزيره طيفور وسلمهما له ولا تمنع حين الحياة
هضم ولا تنبها في مدينتك ولا تخاطر بنفسك في هذا السيل وتعرض بابلك لعداوة
فيروز شاه فهو الطامة الكبرى والآلة العظمى لا تثبت لديه الأسوار والحصون ولا
يمنعه عن ايذاء غايته الفرسان والأبطال مهما كثرت ونجست وإنى على يقين وأكثر
من التأكيد أن كل من تعرض لعين الحياة فهو وذل وخربى بلاده وقاد نفسه إلى
مواقف الملاك فإما من يطلع فيها ووراءها فيروز شاه وهذا من قيل النصيحة فإذا
فعلته دفعت عن بلادك الويل والحراب وخلصتها من حروب أنت في غنى عنها
وحفظت دماء رجائك وفرسانك من الأهراق ولا يفرتك كلام الشاه سرور وطيفور
قد أحشا قبلك الوليد كما أحشا أنفسهم فاحتر بمن سبق فلما سمع الملك قبصر كلامه
لعب به الغضب وحركة غمول التعاطف والافتخار والقوة . فقال لسيف الدولة أنتصر
أن تكلمنى بمثل هذا الكلام وأنت تعلم قوى وكثرة جيوشى وعظم سلطانى وما
هتدى من الفرسان الذين لا يوجد من يقف أمامهم في هذا الزمان وهل يسع الملك
ضاراب ورجاله وكلما سمع منه من الفرسان أن يقفوا أمام جيوشنا أكثر من وقعة
واحدة وكنت قد نويت على قتلك والانتقام منك قبل الآن إنما سأتى ذلك بعد
أن أريك ما يحل بهذا الملك الذى منحرفى منه وتهددنى بولده فيروز شاه الذى لا
يلبث أن يغدر قتيلاً أما من سيف ولى انبوش وأما من سيف محمدناش فارس
بلادى وسيد أبطالى وعاقل اقرن البك الملك ضاراب . ثم أمر أن يؤخذ سيفه
الدولة إلى السجن بينما يعث به إلى القلعة القائمة في وسط البحر فرغموه ومعه الأمير

قهر ووضعهم في السجن وأقيم عليهما الحراس والمحافظةون . ثم أمر أن يفرض قصر
عن قصوره للوليد صاحب مصر وان يكون له فيه الخدم والعتبان اعتبارا له ول مقامه
كونه من الملوك النظام أصحاب المجد والجاه

قال وعند انفضاض الديوان اجتمع الشاه سرور بوزيره طيفور وقال له اني الآن
مرتاح لجهة عين الحياة حيث فيروز شاه لم يصل اليها ومرادى أسير نحو قصرها فاستغفر
منها عما أجرته بعد غيابنا وكيف قدرت أن تصل إلى هذه البلاد فجئتها نافع لنا جدا
إذا أنه صار من الواجب على الملك قبصر أن يدافع عنها ويمنع غارة الفرس وطعنهم
فيها وصار يعرف أيضا ويؤكد أنها في يده وأنه إذا أرجع فيروز شاه عنها زوجها على
ولده . قال طيفور ما ان الامور جارية على أحب ما يشتهي فان الله احمى قلب
فيروز شاه فلم يتوصل إلى عين الحياة ولو أنه وصل اليها لما تركها أن تصل إلى هذه
البلاد وتعود اليها وسوف تعلم منها ما كان من أمرها في مصر وهذا دليل كبير على أن
الله سبحانه وتعالى لم يكتب نصيبا لها به وربما كان نصيبها عند الملك قبصر فهو البقي
لها منه فهل بنا لنذهب اليها ونعلم حقيقة أمرها

قال وكانت عين الحياة بعد قيامها في القصر الذي وضعت فيه وتأكيدها وجودها
داخل بلاد قبصر اسودت الدنيا في وجهها وتأكدت رجوعها إلى المصائب والعذاب وما
كانت تقاسيه في مصر فجلت دأبها البكا والتمتداد وكلما تقوى في رأسها صعوبة المركز الواقعة
به والساهية اليه تلوم نفسها على فعلها وتركها المترجبة عليها عند وجودها في مصر وأخذت
تفكر كيف أنها تركت الراحة والهناء وأبدت حبيبها يدها ورست بنفسها في حفر العذاب
والويل والكدر وهي لا تصدق أنها كانت فعلت ما فعلته وحسبت أن ذلك كان منها ضربا من
الجنون وعدم العقل مع أنها كانت تعهد في نفسها الحكمة والاصابة وأنها تنظر في المستقبل
نظر العاقل الخبير وقد قالت في نفسها مرارا ماذا يا ترى فعلت أيلقي نى أن أبعد عن
فيروز شاه بعد أن كنت قد وصلت إلى يده ودخلت في حرزته وهل اني كنت أطلب بهدي
عنه كرها في زواجه مع اني أرغب فيه أكثر منه . وحيث أعلم من ذاتي أن لا بد لي
من ذلك فلم لما غاب عني لم أسع اليه راكضة وكنت بذلك خفت عنه عذابا وشدائد
لا يعلم ثقلها إلا الله وكنت أيضا دفعت عني كلها الآفة اليس أنا التي وعدته على الوفاء
والمودة وصفاء العيشة فما الذي جرى علي حتى سببت وراء الأكدار والتب فلا ريب اني
ساجدة عظيمة ضده وماذا يا ترى يفعل إذا عرف بفعل وانى خرجت من مصر مع
سيف الدولة وأنا منجبة عنه أجهد النفس بالبعد عن مكان كان قائما فيه وقلبه

يتحرق من الألم والوجع ومن العذاب الآليم الذى ألم به تأكده غيابة وكنت قادرة بكلمة واحدة منى أن أشفى كل أوجاعه وآلامه وأجمله سعيدا فرحوا وأجمل ذاتي مثله وكنت أيضا قد حفظت أمراق دماء ألوف من رجاله ومن رجال هذه البلاد . وبقية هذه الحالة حالتها وهى لا تسر لا بأكل ولا بشرب ولا طعام ولم تسر بخطتها إلى عند وفورها بالعذاب والآلم وقد أظهرت لها حالتها الحاضرة عظيم غلظتها وخبطتها مع أنها عندما كانت بالراحة والاطمئنان كانت تستعوب مهلبا وتراء وجويا غير أن الشيء الوحيد الذى كان يسلبها هو أنها تستقد كل الاعتقاد أن ذلك كان بالهام من الله تعالى وأنه هو الذى جعل فى عينها ما فعلته وأن له غاية لا تعلمها هى ولا غيرها . وفى تلك الساعة دخل عليها أبوها فقامت من ساعتها وقد ترجبت به وقبلت يديه قبلها وكاد ينمى عليه من الفرح والسرور وجلس إلى جانبها وهو يقبلها وينفد دموع الحزن والراقة لأنه كما تقدم كان يحبها حبة عظيمة أكثر من كل اخوتها بقدر أنه أده إلى طيفور الوزير وطاعته له . وبعد أن أقام قليلا سألها عن حالها وكيف أنها وصلت إلى هذه البلاد مع أنها كانت فى مصر . فلما سمعت سؤاله ورأت من نفسها أنها مضطرة لأن تعلمه بكل شيء بكت بالرغم عنها . وقالت له ان قضى أصبحت تكره الحياة ظرو كنت أملكها أو لى تسلط عليها لكننى تراقى الآن فى الحرد فما أشتى حظى وانتهى ثم أخذت فى أن تشرح له كل ما كان من أمرها فى مصر وانها خرجت مع امرأة سيف الدولة دون أن يعلم أحد بها حتى أن زوجها نفسه لم يكن يعرف بوجودها فى بيت وبين حريمه حتى كانت ليلة وصول تمر تاش إلى ملاطية . فلما سمع الشاه سرور كلامها فرح به جدا وقبلها مرارا وقال لها لا ريب أنك عجة لى مطيعة لأوامرى ولا تفعلين إلا ما أركبه منك وهذا كان عهدى بك لحرك كلامه هذا داخلها ولم يعد فى وسعها أن تمنحى عنه شيئا وأرادت من كل قلبها أن تطلعه على غايتها وما اضمرته منذ القديم ورأت أن ذلك ضرورى فى مثل هذا الوقت ليعلم أنها لا ترغب فى غير فيروز شاه مطلقا فلا تطعمه نفسه فى أن يزوجها بغيره أو يعد أحدا بها غيره . فقالت له وهى ناظرة إلى الأرض والدموع ملأى عينها أنى ما برحت ولا أبرح أقدم نفسى فدية لطاعتك واعتبارك فأفعل كل ما يكون به رضاك وصالحك ولو فعلت ما بي صالحى ورضائى لكننى خلصت نفسى من كل هذه الأكدار وارتفعت كثيرا من المشاق والمتاعب وصنت ممالك من الخراب وحفظت الدماء من الاتهراق ألم تر أن كل ذلك صار بسببى فصرف الشاه سرور معنى كلامها وقد رأى فيه رجها للصواب . فقال لها إن كل ما مضى قد فات فإلى تى أجبت

فيروز شاه إلى طلبه لكنك الآن باقى فى بلادى كما دنى لا أحد يقدر أن يتعدى على
 أو يسطو على ملكنى إنما طيفور الوزير هو الذى أوصلنى إلى هذه الحال نورى بقلبى بنض
 أهل إيران وحركنى على حداوتهم قضاطه طيفور وقال لا تظننى ياسيدى وتنسب لى
 ما أنت ناسبه فليست أنا الذى رغب فى حداوة الإيرانيين وجل رغبى متبادلاية حفظ
 شرفك وناموسك إذ لم يكن من سبب يبنى ويبنهم يوجب كل هذا البعض الذى نسبته
 لى إلا عمل فيروز شاه وتعدى على قصرك وعيدك توصلنا إلى سيدى حين الحياة أنسيت
 يوم كان يتسلى السطوح والجدران ويرغب فى التزول على غرة ابنك وقد قتل العبد
 وفعل ما فعل فيكون هو نفسه السبب بوقوع الشر بينك لانه لم يحسن التصرف ولا جاء
 بوفده كبقية الطالبين وسألك زواج بنتك وأنت تعلم انه لوجاء وسألنى أن أساعده لما
 تأخرت إذ يكون ذلك من الصالح العائد لدولتنا بالغفر والجاه إنما جاء كص وفى نجه
 إما أن يسرقها وإما أن يفتك بها فلم يتيسر له ولا ريب أنك تعلم منه ذلك وتعرف قوة
 هذا التمدى قوا أجنائه إلى الزواج بعد ان وقع بأيدىنا كص فإذا ياترى تقول عنا
 الملوك والامراء اليسوا يظنون بنا السوء يسمعون أننا رغبنا فى زواجه طمعا يستمر
 فضيحتنا فكان طيفور يتكلم حين الحياة تسمح وقد ذكرها حوادث قصرها فى تمراء اليمن
 فأهاجت الذكرى منها غرامها وما لاقته فيه من الحناء فى ثلاث ليال متواليات وأنه
 لولا ما لما تكسرت تلك العيشة ولولا انها تقتل العبد وترى جرثومة الشر لما حدث
 كل ما حدث ولما طرق ذهنها كل هذه الأمور ضائق صدرها ولم يعد فى وسعها ان
 تكتم شيئا وقالت فى نفسها ان اطلع أبى على كل شيء بما يوضح له راءة حبيى وليعلم
 انه ما جاء تمراء اليمن إلا ليراها ويرى ان كانت كاقيل له فيخطبها خطبة الشرف والناموس
 وإذا ذلك قالت لا يبسا ان ما ظنه وزيرك فيروز شاه هو عين الخطأ والجهل لانه
 عرف بين العالم قاطبة انه قاتل المرومة والناموس وقد رأى فى الحلم ثلاث ليال متواليه
 وفى كل ليلة يرى كأنها غير أن ثيابي مغبرة فأكله وقد قلت له عن اسمى فأشغله ذلك
 وعلم ان الله يقصد أمرا وأن هذه الفتاة التى أراد إياه بأحلامه هى بانتظاره اليوم
 بعد اليوم فلما خطر له هذا الحاطر وقد وقع حوى بقلبه بمجرد اليوم أى بمجرد ما رأى
 فى الحلم خرج ها هنا يطوف الديار والبلاد يسأل عن فتاة تدعى حين الحياة وآما فى
 حله قليل له عنى فقصدا أولا أن يعرف هل أنا هى التى زارته فى الكرى مبهرة بأيدى
 العناية إلى ذهنه أم لا فجاء إلى بلادنا وصادف مجيئه وأنتم تحت ضيق الحصار من
 الشاه روز وبيروز وميسرة ففعل ما فعل ومحاكم من سطوة الأعداء وحي مرضكم من

لا انتهاك لاسيما وقد سمع أن الغاية من تلك الحرب هو أنا فزادت رغبته فيه وبعد
 اقتضائه لم يرد أن يظهر نفسه بل بقي مصرا على الاختفاء أملا أن لا أكون أنا المطلوب
 منه فيرجع بعد أن يراى وإذا وجداني أنا غايته عاد فطلبني من أبنى بواسطة أبيه وبينما
 كان يقصد أن يراني حدثت تلك الأسباب المذكورة فلم يكن هو بمن يقصد شرا أو يوجب
 لي سوءا ولم يقتل هو العبيد بل الذى قتلهم هو غيره لأنى أصل ذلك جيد وقد قتل العبد
 الأول قصاصا لأنه كان يفعل الفحشاء على السطوح مع بعض الجوارى وقد اجتمعت
 به واجتمع بي مرارا وعرفت ما هو عليه من المروءة والنخوة الثنان لا توجدان فى
 غيره من بنى البشر فى عصرنا هذا وعلى كل حال فأنى عاهدته أن أكون حافظة عهد
 واعدة وده فلا أنكث حتى الموت ومع كل ذلك فأنى كنت أرى نفسى مضطرة للاقتياد
 إليك وطاعتك أراها من الضروب اللازمة فصبرت على حكم القضاء وسلبت أمورى
 لله على وشك أنه يدبرنى بحسب إرادته لأنى وقعت بين أمرين خطيرين أحدهما أنت
 والآخر فيروز شاه وأعرف الآن أن ما أفوه به هو جسارة على سلطتك المعطاه من الله
 إنما أريد أن أطلعك على سرائر قلبي مع أنك كنت تعرفها لامن ففى بل من القرائن
 والأحوال وأخيرا أطلب إليك أن لا تعد بي أحدا فما من سبيل إلى ذراعى غيره من
 عاهدته وعهدى أن الموت أحب إلى من قبولي بغيره فاستدرك الأمر طيفور عندما
 رأى ونظر وجه أبيها فوجدته متأثرا من كلامها بأثر الخنوع والحب فقال لقد أخطأنا
 منذ البداية فبالتوبة العتابة ساعدتنا لعرف ما هو قصده وغايته إنما الآن قد مضى
 ما مضى ولم يعد فى الامكان الدنو منه والتقرب إليه لاسيما وقد عرفنا أن أباه قد قسم بأمر
 الانقسام أنه لا بد من أن يقتلنا شرقة فاذا كنت ترغيبين فى حياة أليك يجب أن تبقى على طاعته
 قالت أنى راغبة فى حياته كل الرغبة وأدافع عن راحته كل المدافعة ما زلت قادرة على
 ذلك وإنى أطيعه جهدى فى كل الأمور إنما أسأله أن يصفو عني ويسمح لى أن لا
 أقبل بما يقبله لى بتدبيرك وإرادتك فما أنت بناصح له ولو كنت ممن يرغب فى حياته
 لما هزمت لكل هذه الاخطار وطرت به البرارى والغفار وطرفت المدن والأمصار
 مع أنه صار شيخا ولم يعد يقدر على حمل كل هذه المشقات والأناب . أبدا . أبدا
 لا مطمع لك ولغيرك ما رجاعى عن عزمى فأنى الاقوى الموت قبل أن الاقوى وجهها غير
 وجه فيروز شاه ولا أقول ذلك من سبيل الوقاحة والتحدى على الحقوق والوالدية إنما
 بما أزوج الله فلا يفسخه إنسان فأنه وحده هو الذى يمتد إلى ورمى حبه بقلبي ورمى
 سبى قلبه حتى أصبحنا بفضل الموت على الانقراض ولا يلقى أن أعامله بغير ما

يستحق وهل سمعتم أن رجلا من رجال الدنيا يرتكب كل هذه المخاطر ويسير عن بلاده
 ألوف أميال طمعا بالحصول على بنت ربما كان في ملكته ألوف مثلها ثم طفقت الدموع
 من أعينها على حين كانت تتكلم بمدة فرق لها قلب أيها ولم يفقه بكلمة لأنه شعر بضائقة
 معها ومع فيروز شاه وغلطه ولولا وجود البغض القوي في قلبه لوجد لنفسه طريقة
 للحلاص من بلاد قيصر ورجع إلى الملك ضاربا ومطلب عفو وصالحه غير أن الله ند
 قضى قلبه لينتقم منه الملك ضاربا فودع بنته وخرج إلى قصره مع طيفور وهو حزين
 بما وقع عليه وتادم كل الندم على هذا التطرف بالعداوة . ولما رأى طيفور وهو سائر
 إلى جانبته على هذه الحالة خاف من أن يأخذ به الحنو إلى الرجوع عن عزمه وأوان كلام
 بنته غير حالك وقرب فيروز شاه من قلبه فتقدم على موافقة الحضور إليها وقال في نفسه
 إذا اجتمع بيته مرتين أو ثلاث مرات غيرته كل التغيير وجعلته إيرايا محضا ومحبا
 لهم فهو سرج القلب ولذلك فلا بد لي من السعي في إبعاد عين الحياة عن المدينة وأوساها
 إلى مكان آخر مأمن العقب . ثم قال له وهو يعظمه ويجهل أطال الله بمرتك ياسيدي
 أرايت ما كان من عين الحياة بالحقيقة هي جاهلة حالة فيروز شاه وإياه وقد أوصل بها
 حواها الذي كنا لا نجهل إلى التطرف والوقاحة . أمن العقل أن يجب الرجل عدوه
 وتد رحمت اتنا نحن الراضون في عداوته الساعون في بنضه مع أنه هو وحده قاد قسه
 إلى ذلك وقد جد واجتهد في الانتقام منا قبل إذا فرض وأصفينا له قلوبنا وقربنامته
 وقلنا له هو ذا نحن بين يديك وطرح امرك وقد أروجناك بيمين الحياة ورغبة ورضاء
 حنا يبقى علينا أو يترك لنا سبيلا للحياة بل أنه كان في الحال يتقدم منا ويأخذ بفتك بالرغم
 عنا لا سببا ولم يعد في وسعه إرجاع ملكنا إلينا بعد مصادفة الشاه وسلم ومعاذته وقد
 خدمه وبست بنته مع مائة لقب فارس من فرسانا للقتال معهم قبل بكائه بغير ما
 بتوجب عليه وهل عاد من الممكن أن يظلمه فعبثا ظننا وأنا أعلم أكيدا أن لا أحد يقدر
 على أن يعيد لنا ملكنا إلا الملك قيصر فحق أمالك الملك ضاربا وولفه سير السالك
 معنا إلى تمزاء البن فرسنا إليها وغلطنا الشاه وسلم وجازيناه على خيائته بعد أن كان
 ودودا لنا وهذا أن شاء الله لا يكون بعيدا عنا قال الشاه سرورائي أريد ذلك إنما كان
 في ودي وفي نيتي أن لا تزوج بتي بآبن قيصر الشاه انبوش لأنه على غير دينها وهي
 لا ترضى فيه وقلبي يبينني إلى أن الفرس سوف يقدمون هذه البلاد ويدعونونها ويضعون
 بها ما فعلوا بمصر فإذا عرف فيروز شاه أنني وعدت بها انبوش يزبد بنضه فينتقم لأعالة
 قال أن فوز الأيرانيين على الرومان مستحيل وقومه انظرن أن الزمان يجد لهم فيخدمهم
 [٣ - فيروز ثالث]

كل العمر ولا يمكن أنهم يتسلطون على هذه البلاد مع اتساعها وكثرة جيوشها ووفرة أموالها واتساع نطاقها مما هي تضاعف إيران ومصر . فاقصر إلى المتبقي فخلص وهذا من كل ذلك فانا لا نزوج ابنوش الآن بين الحياة بل نعددها ونطلب من أبيه أن يبدنا إلى ما كنا ونخلصنا من طاليلها والساعين خلفها فبعد أن يتم لذلك أجنبناه وزوجناه بها . قال ولو فرض أنه انتهى كل ما تتصوره من النجاح لنا فبين الحياة لا ترضى بانبوش فتقتل نفسها وأكون قد خسرتها بظلي لها . قال لا يثبت في ذهنك أن النساء يبتغين على حالة واحدة فلي نم لنا النصر وقتل فيروز شاه وخواب الملهمات عادت إلى طاعتك ورجعت فيمن رغبته أنت لما هي أمانة على أمرك الم تر أنها لو كانت ترغب في مخالفتك وتفضل من تدعى أنها تحبه لكأنت سلمت نفسها واقرنت به وما فرت منه ورغبت في البعد عنه . فاق لا أحبب منك مع أن الأيام قلبتك كثيرا والومان حنكك وأنتي عليك كثيرا من أحواله كيف يغيب عن ذهنك طفيف الأمور وطالما قلت لك كن ثابت العزم والعزيمة فما المرء إلا ابن يومه ولا تقل لا بعد إن قلت نعم . فاقفاد الشاه سرور إلى كلامه وقال اني أسأل الله نوال مرادنا وما نطلبه وهلاك فيروز شاه وأبيه فهو السمع الجيب . ثم دخلا قصرهما وناما تلك الليلة وطيفور سرور بفوزهم ونجاحهم وبعد ذهابهما قامت عين الحياة في القصر على حالها ولم يكن عندها ما يسلمها غير النوح والتعداد والكاء وليس أمامها إلا الخدم الذين استخدمهم لها لعل وكانوا قد أحوموا مزيد الحب وأقاموا على خدمتها بصدق نية وأمانة

وأما أنوش فبلغته بحبي عين الحياة إلى المدينة وقد مدح من عاسنها كل من شاهدها ورأى قدمها حتى أصبح في هاجس ولبال واشتد به حبه وتسام غرامه وطلبت نفسه أن يراها ودام على هذه الحال وهو في مزيد قلق واضطراب إلى أن كان ذات يوم جالسا في قصره حدثه نفسه أن يذهب إليها ويطلب منها أن تريح نفسها ويخاطبها ويعد أن قوى في رأسه هذا الفكر وزن له غرامه صوابية عمله وأما ستلاقيه أحسن ملاقة وتسرب بآتيانه كثير سرور لعلها أنه خليها وأنها لابد أن تكون قد عرفت وتأكد عندها من هلال البيار أو من أبيها أنها ستقرن به ولذلك تطيب وتطر ولبس الملابس الفاخرة وشرح شعره وأخذ يده فضيب الخيزران وسار في طريقه وهو ينظر في حاله ويسحب من نفسه ويميل ويأبى وقد تصور كل التصور أنه سيحل في قلبها بأرفع مكان ويكون له عندها عظيم وقار واعتبار . ولما وصل إلى قرب القصر رآه أحد خدم عين الحياة فرفعه وسبق إليها لحكي لها بقدمه فذهبت الباقين وقالت لم أريد منكم أن تسرخوا إلى باب القصر ومتى رأيتم ابنوش وقفه بالباب وسأل عنى فبادروه بالضرب بالسياط وأظهروا على أنفسهم أنهم تجهلون

ولا تسمونه باسمه بل قولوا له ان سيدتنا لا ترغب ان ياتيها الا جانب بنير اذن ايتها
والملك قيصر فلما جابروها الى سؤلها واسرعوا الى الباب فرفقوا عنده الى ان وصل
الأمير انبوش وطلب الدخول فرفقوا السياط وارسلوها الى جسده بعضها يصعد
وبعضها يسقط وهو يصيح وقد استحي ان يعرفهم بنفسه بل جعل يصيح ويستغيث
حتى انتهك جسده وعين الحياة تراه من فوق وتضعك منه وهو على تلك الحالة وتذكرت
فيروز شاه وبساته وانه لو كان مكانه لقتل المييد والخدم بل لو كان جيش ابيه يرمته
واقف يباب القصر لفرقه واقض على الباب فدخله ولا يدع احدا يمنعه لا من انس
ولا من جان ولما رأى انبوش ان لا سبيل له بالدخول وقد ورم جسده من تأثير الضرب
طلب الفرار وهو متخن بالجراح منهم لا يصدق بوصوله الى قصره حيا ولما دخله رمى
نفسه بالقراشين ويشكرون الوجع والالام واحضر الطبيب الى مداواته فأتاه وجعل
يضمده جراحة وكانت خفية جدا ويضع له المراهم وبلغ خبره اباه فجهأ اليه كالمهلوف
وهو لا يعلم السبب الموجب ومعه الشاه سرور وطبقور ولما وصلوا اليه وجدوه على
تلك الحالة ين مترجعا فسأله ابوه عن حاله وعن سبب هذه الجراح ومن قدر ان يتعدى
عليه فلم يجبه بالحقيقة واستحي من ان يخبره بهمه وخاف من لومه فقال له قد اهداني
بعض اصحابي مهرا لم يركب بعد فقصدت ان اطليه فذهبت به الى الخارج فجمع في
ورماني الى الارض فتشمت واصابني ما اصابني فقال له اني اوصيك من الآن وصاعدا
ان لا تترك مهرا عاصيا في يديك وربما يمتك وبعد ان اقاموا عنده مدة ساروا عنه
وقى هو في القراش الى ان كاد يشقى وختمت جراحه وحيثك بست وراء وزير ابيه
يبد اغطل وقال له اريد منك ان تذهب الى ابي وسأله ان يزوجني عين الحياة فامتن
مانع الآن بمننا عن الزواج لانها في قبضة يدنا وما من احد يراحمي فيها او يطلبها من
اماي فوعده بكل جميل وانه يمرض امره على ابيه ثم انه ودعه وسار الى ابيه فشرح
له حال ولده وانه رافق في الاقتران من عين الحياة بأسرع ما يمكن من الوقت اذ ان
الفرام قد انتهت به ماخذ عظميا فقال له اني لا اظن ان اباما ينتم يزوجه وهو في اضطراب
كهذا الاضطراب وبعد قليل من الايام يكون الملك ضاربا وخطيبا في هذه التواحي
وفيروز شاه يطلبها ويرغبها ولا ريب انه يطلب خلاصها أولا من يد ظلالها فتيقنوا
هنا وهلكوا او خابوا راجعين بنم ويجب قال اتنا طلبها منه فرجا انه يوافق زواجه
ويرغب فيه فافقوا على ذلك .

قال وفي اليوم الثاني بينما كان الشاه سرور في مجلس الملك قيصر وحواله رجاله

وأعياء ووزرائه تقدم يد اخطل من الملك فيصر أن يسعى بقران ولده من عين الحياة وأن يمن بها فقال الملك انى اطلبها الآن من أيها فتونها قبل أن تصل الاعداء وبذلك ينقطع منهم الرجاء ويعودون بالحية ويشعلون . فاستدرك طيفور الكلام وسبق سيده اليه فقال لاشئ أحب علينا من انجاز مثل هذا الامر وما أبتنا هذه البلاد إلا لئلا نضاه هذه النية غير ان سيدى الشاه سرور أقسم مراراً أنه لا يزوجها إلا لمن يرجع اليه ملكه بالرغم عن الملك ضاراب على أنه لو قبل بزوجها بغير وشاه لأرجمه سالاً إلى ملكه وأعاد اليه بلاده . انما لما كنا لانزغب في التقرب من الايرانيين لأنهم جميع وبرابرة سينا إلى الانتساب بكم والتقرب منكم وانى أحدكم عن سيدى الشاه سرور وعدا صادقاً اتنا لانزغب في غيركم وأن عين الحياة في يدكم الآن ويمكنكم أن تحفظوا عليها في مكان لا يمكن للاعداء أن يصلوا اليها ولا يخفكم أن ياربهم شياطين في صفة أناس وأنهم إذا جاءوا هذه البلاد لابد أن يمتالوا إلى أخذها من بينكم بحيث لا تروهم والآن نرى أن زواجها غير موافق لنا ولكم وهو لا يفوتكم قط فالصبر عليه أليق وارق فقال الملك فيصر ان ذلك ضرورى لا بد لنا منه فأتنا نصبر عنها غير أننا سنحتفظ عليها مزيد الحفظ وقد خطر في ذهني أن أبشئ إلى قلعة الحديد القائمة في وسط البحر وبهذه القلعة مكان موافق لقيامها وفي نفس القلعة أيضاً حبس سيف الدولة وقهره فلا يقدر أحد أن يصل اليهم إلى أن ترسل فنحضرهم ثم أمر أن ترسل عين الحياة إلى القلعة ومعها امرأة سيف الدولة فيوضعان في أعلى القلعة تحت الاكرام والاحترام ويوضع سيف الدولة في أسفلها تحت الحفظ والترسيم وفي الحال أخذوا عين الحياة وقهرها وسيف الدولة وزوجته ونقلوا إلى القلعة وكسب الملك فيصر كتاباً إلى عاقل القلعة واسمه الامير فهد يقول له فيه انى يمشى اليك بخطية ابني عين الحياة ومعها زوجة سيف الدولة وتقيم عندها لتسلها مع خدمها وجوارها فاعد لها مكاناً عالياً فآخرها في أعلى القلعة واخذها بكل ما تقدر أن تحمد بها وبمشى اليك بسيف الدولة الامير فهد فاحتفظ عليهما كل الاحتفاظ وراك أن تدع أحداً يدخل القلعة أو يمتال عليك بأمر آخر فينتقل منك عين الحياة والاسارى وانى أوصيك أن تنته إلى ذلك وأن لا تسلم من عندك أحداً إلا بأمرى ورسولى الذى أبشئ اليك يكون حاملاً خاتمي الخاص ومن لم يكن معه خاتمي فانتبه اليه .

وكانت قلعة الحديد هذه من القلاع المدودة في تلك الأيام وكانت حصينة جداً مبنية على جزيرة وسط البحر ومى من الطوب والأجر عماطة بسور من الحديد

يكاد يكون قطعة واحدة وفيها من الغرف كثير منها مرتب ومفروش للترفة وإقامة
 حاكمها ومن يأتي زائرا من أمراء البلاد وأعيانها ومنها معدود لسجن المعضوب عليهم
 الذين لا خلاص لهم ولا رجاء بالاطلاق ومنها أيضا معدود لتخبة المؤن والذخائر
 والنفائس التي يرهب في اخضاها الملك فيصر لأنها كانت مائة لا يقدر على دخولها أحد
 وأجرباها من الحديد إذا قفلت أقفالها صارت قطعة واحدة هي والبور . فلما وصلت
 حين الحياة ومن أرسل إليها إلى تلك القلعة سلت إلى الأمير فهد القائم عليها فأخذها
 بالترحب والاکرام وأعد لها مكانا في أعلى القلعة يكشف على البحر من جهاته الأربع
 وهين لها من يخدمها وأقامت زوجة سيف الدولة عندما ونظرا إلى ذاتهما كاسيرتين
 محجورتين لا قدرة لهما على الروح والجوى . وأخذت امرأة سيف الدولة تلوم عين
 الحياة وقالت لها أما كنت أنت السبب في جلب كل هذه المصائب عليك لأنك لو كنت
 حكيمة لكنك الآن زوجة لفيروز شاه تلاقى معه الهناء والراحة وتسرين بالتقرب منه
 والاتصاق إليه . وكنا نحن أيضا براحة لأن زوجي كان أما ان يرجع إلى طاعة قصر
 إذ يكون قد عرف حقيقة أن الملك ضارب لا مطمع له بهذه البلاد ولا يأتي إليها أو
 أنه يكون سار مع القرس إلى بلادهم وأقام عندهم وأخذ مقاطعة من مقاطعتهم وترك
 كل هذه التواحي . إنما ألوم نفسي كوني وافقتك على غرضك وما أظهرت أمرك .
 قالت اني كنت مثلك لا أعرف ضربات المستقبل وما تحبنا في ذروايه وليس الآر
 إلا أن نصبر صبر الكريم فلا بد من خلاصنا ذات يوم ولو كما داخل الف قلعة مثل
 هذه القلعة وكان حولنا ألف سد من الحديد مثل هذا السد فإن طلائنا لا يتهاملوننا
 ولا يهملون امرنا ولا يتقاعدون عن أن يتشاورنا من هذا المكان الحصون وسوف
 ترين بعينيك ما يكون منا ومنهم وإقامتا مع بعضهما تسليان بالأحاديث وتغلان
 نفسيهما بالخلاص بأقرب وقت وقد تحضر لها الطعام

انتهى الجزء العشرون وسيليه الجزء الحادى والعشرون

الجزء الحادى والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وكل ما نحتاجان اليه دائما والامير فهد فى خدمة صين الحياة وأكرمها حيا بطاعة الملك واجابة لأوامره وكذلك سيف الدولة والامير فهد فانهما وضعوا فى أسفل القلعة ولم يكن أقيم عليهما التحفظ مشددا لأن الامير فهد كان مؤكدا أن القلعة عديمة الترافد من الاسفل لا يمكنهما أن يخرجوا ولا يمكن احدا أن يصل اليهما .

فلتقيما هنا على ما تقدم ونعود إلى الحديث عن الامير نصر حاكم حلب الذى جاء من الشام ومعه كلبه بنت مسرور بن حبة و بهمنزار قبا فانه بقى سائرا يقصد انطاكية ليقم عند الملك هشام صاحبها إلى أن وصل اليها فبعث رسولا يخبره بقدمه عليه فلما بلغ الخبر خرج للقائه مع أعيان مدينته وأمرائه وولده اكراما له لأنه كان يحبه ويرعاه وكانت المودة بينهم قديمة لداعى الحب الذى كان يربطهما كونهما بحوار بعضهما ولما وصل اليه سلم عليه وترحب به وسأله عن سبب حضوره لحكى له كل ما كان من أمره ومن أمر مسرور بن حبة فى مصر وانكسارهما إلى الشام وأسر بهمنزار قبا وقال له أخيراً وقد عرفنا مؤكدا أن الملك ضاراب سائر إلى بلاد الرومان لمحاربة الملك قيصر وقد جعل طريقه عن دمشق لينتقد بهلوانه منها فلما عرف ذلك سرتنا بأه وبنيت مسرور لتخفيها فى هذه المدينة ومضى تأكد مسرور وصول الملك ضاراب ترك المدينة وجاء إلى هنا من وجهه إلى أن ترى ما يكون منه ومن الملك قيصر فقال له على الرحب والسعة ودخل به وبمن جاء معه من المدينة وأعد قصرا منحصرا للكلية وعين لها الطباخين وأقام عند قصرها رجالها وخدمها الذين جاءوا معها من الشام لحراسها فى الطريق وأعد أيضا قصرا فآخرا للامير نصر وأقاموا على الترحيب والكرامة ووضع بهمنزار فى السجن وأقيم عليه الحرس والخوف لا يقدر على الدخول والخروج حتى كاد يقضى عليه من عظم العيظ وفراق كلبه وتمنى أن يكون أسيرا كل عمره فى الشام ولاسمى الملك ضاراب إلى خلاصه ونجاته منها وكذلك جرى عن الكلية فانها حرمت من النظر إلى بهمنزار قبا ولم يبد فى وسعها أن تراه أو تلم شئ من أمره غير أنها عرفت أنه وضع فى السجن تحت الحفظ المشددا أمر الامير نصر صاحب حلب فكانت تزيد عليها الاكدار وتنمو يوما بعد يوم ولم يكن دأبها إلا البكاء والنوح

والتمدد وهي في قلق واضطراب تطلب من الله أن يفرج عنها ويمنح منها ضربا
الفرق الواقعة فيه ويخلص بهمنزار من سجنه ويرفع عنه ثقل الشدائد الواقع فيها
ليس في خلاصها من يد أيها وغيره .

قال ولم تكن كلية تحسب حساب الزمان ولم يكن قد مر عليها من الحوادث ما
مر على سواها ولذلك كانت تفكر أن مدة عذابها وفرانها تنتهي قريبا ولا يبقى شيء
زواجها بمن أحبته ولم تعلم أن الزمان عمل كل عداوتها وسعى قبل أن يذيقها لذة العيشة
في أن يربها منصوبا من ملاعبه ويعذبها بمرارة الحوادث المرة وذلك أنه كان للملك هشام
صاحب الطائفة ولد اسمه قطاع لم يخلق الله أفصح من أطواره وخصاله زنديق شرير
سكير كأنه أحد الأبالسة العظام لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعي جانب أيه
ولا يغير بسفك الدماء على غير طائل فلا يقدر أحد على مقاومته أو مضادته وكل من
في المدينة يخافه ويهابه لأنه فرق كل شروعه هذه قد جعل نفسه رئيسا للأشقياء فكان
كل شرير وشقي في المدينة يأتي إليه فيكرمه ويعضه إلى أصحابه حتى أن أباه كان يخافه
فلا يمارضه في كل أموره خوفا من أن يعطش به وقد تفاضى عن أماله كل تفاضى فتنا
ونهر وسطا على بنات المدينة ونسأها فلا تخلو واحدة في حبه إلا بهت من جاءها بها
بالطية أو بالرغم أو بالسرقه فلما عرف هذه المرة بقدم الأمير ومعه كلية بنت
ملك الشام طمع أن أن يراها وخرج مع أيه على هذه النية وحاول أن ينظرها فلما
رآها أصعبت النظرة ألف حسرة وهام بحبها هياما عظيما لأنه لم يكن قد رأى في زمانه
ولا نظرت عيناه جمالا كهالها وصر على مضغه وغرامه إلى أن استقرت في قصرها
وتدبر أمر خدماها ورجالها وأقام الأمير قطاع في قصره فدعا بعض أصحابه وقال له
أريد منك أن تذهب إلى أبي وهو في مجلسه وتعرض عليه أمر جي لهذه الصبية بنت
ملك الشام وقل له أني أحببتها حبا زائدا ولذلك أرغب في زواجها حالا على السنن
والفرائض الثاموسية كونها بنت ملك واني أطلب إليه أن يرفق عليها بوقت قريب إذ
لم يعد لي صبر منها وعن التقرب منها فذهب رسوله بحسب أمره ووقف بين يديه
وهو في ديوانه وعرض عليه كلام ابنه وقال له واني أخطبك منك الآن بنت حديقك
ملك الشام فقد فوضني في ذلك وهو يريد ما حللا على حسب ما تقتضيه فروض
الزواج فارتاح هشام وتكدر من ابنه لأنه هو نفسه كان قد رآها وأحبها وهام بها
وصبر إلى أن يجيء أبوها فيخطبها منه لنفسه وقد حدثته قسه الحبيبة أن يتزوجها وإن
كان جاريا عليه ما هو جاريا على ابنه (ولا غرو فالكلب والد الجرو) فلما سمع كلام

رسول ابنه ارنك في امره ولذلك اياه ان هذا لا يمكن الآن لان البنت خيفة هندنا
 وقد بهتها ايوها لتع عنها طمع الفرس وخوفا عليها من أن تقع بأيديهم في مثل هذا
 الوقت لا يمكن زواجها وإنما متى جاء ايوها طلبناها له منه وزوجناه بها فليكن مرتاحا
 وليصبر فلا بد لايها من أن يكون هنا بعد أيام قليلة . وكان قصد مقام أن يصبر ابنه
 ويدبر لامره طرق زواجها ومتى تزوجت به يتمتع عنها ولا يئده إلى زوجة آية وطن
 بنفسه أن هذه الوسطة تلعب لإياها . فرجع الرسول خائبا حتى وصل إلى مولاه
 وأعرض عليه كلام آية فذهب في داخله نار الغرام فوق ما كانت عليه قبلا وحديثه
 نفسه أن يسير إليها إلا أنه استع لما فكر أنها بنت ملك وإنما رعا لا تطاوعه على طلبه
 وقال في نفسه هذا لا يفرقني فلا بد لي من زواجها على أي وجه كان وأني قد وعدني
 به فالأوفق أن أصبر إلى حين أتانيان أيها فها قريب يكون هندنا . إلا أنه ماضى عليه
 يومان حتى جاءه بعض أصحابه وكان من ديوان الملك وهو لا يعلم به فقال له أني
 سمعت أباك يقول اني لو كنت أعلم أن هذه الصبية ترهب في الزواج وتريده قبل أن
 يحضر ايوها لكنت أخذتها لنفسى ففراى أشد من غرام ابني بها . فلما سمع فطاع
 هذا الكلام أرغى وأزبد وقام وقعد وتحركت عليه شروره وقال أيسبقني عليها هذا
 الشيخ فلا بد من الانتقام منه . ثم دعا إليه كل أصحابه وأوصاهم أن يتسلحوا ويكونوا
 على أجرة الاستعداد في الليل لأنه عزم على قتل آية . ولما كان الليل تقلد سلاحه وسار
 إلى قصر آية . وكان الحجاب قائم على ايوها فلم يعترضه أحد لعلمهم انه ابن سيدم
 وبقي سائرا إلى أن دخل الفرقة التي ينام بها ايوه فوجده مع امه في الفراش فصاح به
 وقال له ربك أيها الشيخ الشرير اتزاعمني في غايتي وتمنع ضي من احببت فاستهدف
 الآن لوفوح الموت فلا رجوع عن قتلك الساعة فقد كفاني الصبر عنك كل هذا الزمان
 ولم يعد في وسعي أن اترك الملك في يدك وكنت لا اريد أن ابتدى بالشر معك حتى
 بدئت به انت ثم اشر السيف وهجم لجهته فصاحت وألذته وردت بنفسها عليه تمعطق
 بخاطره وظنت أن يعملها هذا ترجمه عن غايته وتمنعه من قتل آية وتكن من غضبه
 فزاده غيظا فوق غيظ ورفع السيف فضربها به على ام رأسها شقة إلى نصفين وقدم
 من آية وهو في ارغاد وارباد وضربه بالسيف فقتله . وبعد أن شاهد أباه وأمه
 ماتمين إلى الأرض تركهما وخرج وكان رقائذه في الاسواق وعند باب القصر
 ينتظرونه فامرهم أن يقتلوا الحجاب ففعلوا بعد أن اشتبك بينه وبينهم قتال شديد ثم
 سار بهم إلى بيوت امراء المدينة الذين كان يعلم أنهم من أحزاب آية وأصدقائه فدخل

عليهم وقتلهم إلا من أطاعه منهم وقبل يديه ووعده بأن يكون من خدامه وما طلع
النهار حتى لطمح المدينة بدماء كثير من الأبرياء وفعل الأفعال القبيحة والاحمال الرديئة
وعند بزوغ شمس النهار ذهب إلى دار الأحكام محفوقاً بأصحابه وأحزابه حتى دخل
اليها دون معارض ومناخ فدخل الديوان وجلس على كرسي أبيه ولبس التاج على
رأسه وأمر أن ينادى في المدينة باسمه وأن يأتي أهلها أفواجا إلى تقبيل يده وطاعته
ومن صمى يكون جزاؤه العذاب فجعل ينادى بما أمر فأقبلت الناس أفواجا على داره
فيدخلون إليه ويقبلون يديه ويدعون له بالنصر على خير رضى منهم وهم متيقنون أن
أن المدينة ستصبح في حالة فوضى عرصة لغاياته وانعاز مأرب أصحابه الاشقياء وبعد
أن خرجوا من امامه يدعون إلى الله أن يتضم من ولا يبليل بعمره تطلعا بحالة الرعية
قال ولم تمض إلا أيام ثلاثة حتى أصبح كل من في المدينة طائعا له مرغوما إلى إغاثه
أو اسره . وبعد أن رافت له الحال ولم ير في سبيل أمه مانع اعتز بنفسه وبسلطانه وقال
لا ريب أن كلية الآن تفتاق أن تكون زوجة لي وترغب في كل الرغبة لأنها تكون
ملكة انطاكية وسيدتها ولذلك دعا بشيخ من شيوخ ديوانه وقال له سر إلى كلية بنت
ملك دمشق واطلبها من نفسها لي واخبرها بحبي لها واتى لارجع عنها . فسار الرسول
اليها وعرض عليها طلب مولاه وطلب منها أن تقبله زوجا لها لأنه أصبح المالك على
كل انطاكية ونواحيها . وكانت قد عرفت بكل عمله وما فعل بأبيه وأمه فأغضبها هذا
الكلام وقالت للرسول سر إليه واخبره انه لا يطمع نفسه في ولا يقدر على أن يقتصر
أو يتمكن مني فاني أقتل نفسي قبل أن يصل إلى فالوت أحب إلى من التقرب منه
وفضلا عن اتي اكرمه ولا ارضاه فاني أيضا مستبحة عمله فكيف أقبل زوجا لي
رجلا قد قتل أباه وامه فهو دون شك لا يخاف الله ولا يراعي حرية الإنسانية وما هو
إلا وحش ضاري وما انا منذ هذه الساعة مستعدة لأن أقتل نفسي إذا عرفت بقدمه
منى أو اغتصابه أبهى . فلما سمع الرسول كلامها ورأى اصرارها على الامتناع رجح
إلى الأمير قطاع وأعاد عليه كلامها وما سمع منها انقضب منها مزيد الغضب وهول
على اجبارها على تنفيذ مأربه وانها ان لم تقبل باللين تقبل بالزغم عنها لينتصبا وينال
إرادته منها . وكان في ديوانه رجل من جماعته خبيث مختال طماع وهو من اخصائه
الذين اعتادوا على القبايح معه . فلما رأى حاله فكر في الطرق التي تكسبه
المال منه ولم يرد أن يضيع مثل هذه الفرصة . فقال له لا تغضب ياسيدي فاني
اقضي لك ما انت طالبه بل يجب أن تستعمل الوسائط المقتنة لمن هي مثل كلية

وَأنت تعلم أن النساء لا يملن إلى التعرض بأنفسهن لمثل هذه الأمور إلا لثلاثة
ساعات الأولى طمعا بالمال والجواهر لأن كثيرات منهن يرغبن في الذين والتزخرف
والتبرجح ليعين أعراضهن رجاء بالحصول عليها ويسلن بأنفسهن لمن يعود بها لمن
والثانية عن هوى وعشق وغرام فيبدلن الغالى والعزير ليعين لقضاء مأربهن وتطلبات
قلوبهن من جوبته ويعتقه ومن بخلاف الأول . والثالثة من النكابة والكيد لمن
يروم في حزمهن أو للارواج الذين يلمون عنهن بغيرهن . فكلية الآن لا يمكن أن
تقبل الآن بك إلا بالمال والجواهر لأنها لم تكن مغرمة قط ولا ما يدفعها أن تسلم
نفسها إليك لتتخلص من غيرك لاسيما وقد سمعت أنها تذكر دائما بهمنزارقا وهو
الرجل الابرائى المسجون عندنا فاحضر إلى من العقود النفيسة والحوائث الاملاسية
والجواهر الغالية مايمكن أن ينسبها عجة غيرك وترى من نفسها أما إذا لبست مثل
هذه الجواهر تزيد حسنا وجمالا وأنا أريد لها عنك وعن أوصافك واخبرها بصلك
ورقة معانيك وأنت راغب فيها عن هوى وغرام واشرح لها عن اتساع ملكك
وقوة جانبك وأنى أكفل لك رضاها وقبولها . فلما سمع كلامه رآه صرابا فانقاد اليه
واسرع في احضار الجواهر المطلوبة فأتى منها بشئ كثير يصعب وصفه ودفعه للرجل
المحتال وقال له خذ هذا طلبك وإذا أتيته منها بالوعد الصادق اغنيك من العطاء
وافرغت عليك الانعام والأموال الفزيرة فوعده بكل جميل وأخذ الجواهر منه وهو
يقول في نفسه لا ردها الله عليك ولا جمعك بها فأنك قبيح خبيث ونقي سائر إلى أن
دخل على كلية فرجدها في حالة نكاح ونواح فتقدم منها وسلم عليها وعرض اليها الجواهر
وقال لها أنى بشت من عند سيدى قطاع لأدفعها إليك واسألك قبولها منك فهو مغرم
بك ولا يريد الآك وإن كان في وسعه أن يحصل عليك بالرغم إلا أن حبه لا يسلم معه
بذلك ولهذا أرسلنى ثانية على رجاء أن تقبل منه حبه وأن تقابله بالمثل وتكونين له
زوجة ويكون لك بهلا وقد قال لى أن أقول لك أنه ينجع ملكه وخراثته بين أقدامك
ونحت أمرك وبجملك المالكة على كل السلاط وكل شئ . أمرت به ففعل لك
وأطاعك عليه . قالت أنى لا أرغب فيه ولا اشتاق إلى ملكه ولا أريده مطلقا لاسيما
وهو لا يعرف الله ولا يرمى جانبه وقد قتل أباه وأمه ويروم أن يقتصبنى فلا بدنى
من أن أدع الله ينتقم منه فهو السميع المجيب وبعد أن حاول ذلك الرجل تكرارا
ارضاها دون الحصول على جدوى أو نتيجة عاد من عندها وهو يقول لها انى سأقول
له أنك قبلت وأنهم بامر العرس وبعد عشرة أيام يكون يوم الزواج وهى تمنعه
من ذلك وتظهر له أنها تقتل نفسها إذا حاول الحصول عليها بأى طريقة كانت ثم أن

الرجل أخذ الجواهر إلى بيته فدفعها إلى زوجته وقال لها هيني نفسك إلى الغد فاني مزع على السفر ولم يعد لنا من ثم إقامة في هذه المدينة وبعد ذلك رجع إلى أن وصل إلى ديوان قطاع فوجده بانتظاره وكان الوقت إذ ذاك آخر النهار فأظهره حذوه فرحا واستبشارا وقال له هنيئا لك باسیدی فاني لازلت عليها حتى قنصت وأخذت مني الجواهر فرحة بها ووعدتني بعد عشرة أيام يكون الزفاف وتستعد للقاء وقبولك عندها وقد سرها كرمك وجودك وأنت تغدو أن ترفع شأنها وتكفيها مؤنة الذين يرغبون فيها فلما سمع الأمير قطاع هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وفي الحال أمر أن يدفع إليه المال الكثير بلا عد ولا حساب قبض الذهب الذي أمر له به وخرج من عنده مستبشرا بالفتى العظيم والسعادة القصوى وقال في نفسه لا امرأه لك بيتا لأنك تولاها فلم يعدل الآن إقامة في هذه البلاد وقد صار عندي من المال ما يكفيني لألوف من السنين ولما وصل إلى زوجته وجدها قد هيئت نفسها وأحضرت كل ما يحتاج إليه وما هو مزير عندها ورزمت رزما ولما كان صباح اليوم الثاني جاء الرجل بالبغال لحملها وحمل زوجته وأولاده ومعه الأموال والجواهر وخرج من المدينة دون أن يعلم به أحد أو يطلع على أمره الأمير قطاع وأقام الأمير قطاع مسرورا مستبشرا بنوال غابته بوصال كليلته وهو يرجو أن تنقضي هذه الأيام القليلة التي كان يراها أطول من شهر الصوم وأخذ في أن يعدد المعدات ويهيئ الوازم ويرتب كل شيء يحتاج إليه في عرسه وقد أعد قصرًا فاخرًا وزينه باللائات الفاخرة والنقوش الذهبية وحسنه من كل أنواع الزخارف حتى أصبح كالقردوس كل ذلك فرحا بعروسه التي كانت لا تعلم شيئًا من هذا وقد ظنت من نفسها أنه يرجع من لقاء نفسه والتي هي عنها بغيرها وكان الأمير قطاع في هذه المدينة افتقد الرجل صديقه من ديوانه فلم يره فسأل عنه فقالوا له اتنا منذ أيام مارأيتاه فقال لا ريب أنه أخذ الدراهم فخرج بها وانعكف على المعاصي ولعب القمار يصرفها فيها لندعه في حظه وكان يعلم كل أطواره وقبائحه منذ كان رفيقه في الشرور والقبائح فلم يعبأ بأمره ولا ظن أنه يشبهه لأنه كان صديقًا له صدوقًا منذ الصغر وفي على استعداده إلى أن كان اليوم الميعن فدعا بأرباب ديوانه وأصحابه وأمراء المدينة الذين أطاعوه ووزراءه هياش وعمل لهم راحة فاخرة وكذلك الأمير نصر صاحب حلب وقد علم بروج قطاع بكليته فقال في نفسه هو خير لها من هذا الأبراف الذي تطمع نفسها به فلم يقبل أن يبدى كلة وقال لا ريب أن أباهما يمر ذلك فلا أمانع فيه فنزل هذا النصيب لا يفت ولا يترك وكان يوما عظيما عرفت فيه المرسقات

الملكية ورفضت به الأسهم النارية واجتمعت كل المدينة للفرجة على ذلك الرافى إلى أن كان المساء ولم يكن عند كلية خبر من كل هذا . ولما حان الوقت بعث الأمير قطاع إليها بالخبر أن تنهياً بحسب وعدّها وأنه بعد ساعتين يأتى إلى قصرها مصحوباً برجال مملكته لنقلها إلى القصر الجديد الذى أعد لها وأن الموسيقىات وكل آلات الهوسنسير أمامها إلى هذه الغاية . فلما سمعت بهذا الخبر كاد باير الشرار من عينيها واضطربت مزيجاً اضطراب وغاب عنها صوابها واحتارت ماذا تفعل ولما أعياما الأمر وثبت عنده أنه لا يرجع عنها إلا بقضاء حاجته جمعت إليها الرجال الذين جاءوا معها من بلادها وقالت لهم إن الأمير قطاع مراده أن يهجرنى على زواجه مع ابنى اكرمه ولا ارضى به فدايد منكم أن تقيموا على قصرى فتمنى جاء ثمانوا وتضافوا وترجموه إما بالحصى وإما بالقتال ولا تيعونى رخصة فى سبيل ما أرب هذا القاسى فقالوا لها إننا لانسلم بك ونحن احياء وكفى نمرضك الى الفضيحة وانت بنت مملكتنا وعجوبة منا وقد بعثت ابوك لخدمتك والحفاظة عليك . قالت بارك الله فيكم فاقم ركنى وعونى . ومن ثم لزموا باب قصرها فلم ينفارقوه وقد هبوا بانفسهم واستعدوا القتال اذا اقتضت الحال ولزم الامر . قال ولم يكن الا القليل حتى اشرفت تلك النواحي بمشاعل الاين وارفعت اصوات المغنين واللاعبين والموسيقىات تقدم الجميع وفيها بينهم الأمير قطاع كانه اثر الجارج وفى كل نيته انه سيلتقى بكليّة وينال وصلها وتكون زوجته ولم يعلم قط بامتاعها الى أن قرب من قصرها وطلب جماعت الدخول فمتهم رجالها وقالوا ان سيدتنا امرتنا ان لا ندع احدا يدخل عليها لانها لا ترغب فى الزواج ولم تعين له وقتا فعاد المتقدمون الى العريس واخبروه . فقال لم لا بد من الدخول رخصت اولم تعرض ماقلوا اصحابها وادخلوا بالرغم منهم ومتى وصلنا اليها جعلنا ان نقبل بالنصب من ارادتها .

قال ولما سمع جماعت ذلك تقدموا الى الباب وارادوا الدخول عذوة فانشب القتال بين بعضهم البعض وارفع الصياح وقامت الفوضىاء وراى كلية ما كان فعلت ان لا مناص لها من يد الأمير قطاع ولا رحمة بقلبه ليشفق عليها ويتركها ويرجع عنها وتأكد عندها ايضا ان جماعتها لا يلبثون ان يتفرقوا لانهم قليلوا العدد وجماعة المدينة كثيرون ولذلك جاءت الى النافذة التى فى ظهر القصر فربطت نفسها بقمش وتدلّت حتى وصلت الارض سالمة وقد نامت الجراح فسمت راحة تطلب

فمحق فيه ولا زالت الى ان بعثت عن القصر ولم يعلم احد بها ولا اطلع على خبرها وبقيت سائرة من مكان الى مكان حتى جاءت اطراف المدينة فوصلت الى بيت منفرد

عليه دلائل الفقر والعنك فدخلته وهي تلهث من التعب والخوف ولما صارت داخله
 فظرت إلى امرأة عجوز متفردة في ذلك البيت وليس فيه غيرها فلدنت منها ورمت نفسها
 على أقدامها تقبلها وهي تذرف دموعا سخية من فؤاد مجروح مقروح فاندحشت العجوز
 من وجودها وتمجبت من جمالها وما عليها من الجواهر فرحبت بها وطمنتها على نفسها
 وقالت لها ماذا تريدين ياسيدي . قالت أعتدك في هذا البيت غيرك ذكر أو أنثى .
 قالت ليس سوى فإذا تريدن . قالت أريد أن أبقى عندك عدة أيام عتبة ولا أريد أن
 يطلع أحد على أمري ولك مني ما تطلبين . ثم خلعت من عتقها عقدان الجواهر فدفت
 لها وقالت خذي هذا يا أباي سلفا مني وهو يساري ثمانية ذهب فيخيلك عما تحتاجين
 إليه في تعقي وإن أردت بعد فوفه أضعاف ولا أرغب عندك بكرامة أو تكليف وجل
 ما أرغبه أن تكتمني أمري ولا تطلعي أحدا بوجدي عندك لأن فرية وقصتي سوف
 تطلمن عليها بعد أن أقدر أن أمك نفسي سأهبك من المال ما يملكك غية مثيرة . فلما
 رأت العجوز العقد فرحت به مزيد الفرح وسرت غاية السرور وكادت تدير وهي
 لا تصدق كل ما تراه وتسمعه وغربت منها وأعطتها ثأ كل ووعدها بكل جميل وأن لا تدع
 أحدا يعرف بأمرها فاطمأن بال كيلة وارتاح ضميرها وسألتها الفرج وبقيت عند
 العجوز إلى نحو نصف الليل فسلمت لها فراشا ودعتها لتنام فزلت الفراش وتمددت
 فيه إلا أنها لم تم قط من عظم المانع الذي لا يزال يزورها ويتردد في ضميرها وبقيت
 أكثر من ساعة تتلاعب بها الأفكار والخواجس وبينما هي على مثل ذلك سمعت الباب
 يفتح فارتعش فؤادها واضطربت وهي لا حلم من الطارق وسمعت تلك المرأة المسنة
 قد نهضت ففتحت الباب وأدخلت شابا في سن الثلاثين سنة وبمدخله أفتلته وسمعتها
 تقول له لقد أعطت يا ولدي ففتتها ولعننا وقال لها كم من مرة قلت لك لا تقول لي مثل
 هذا الكلام مع أنك تعلمين أني لا آتي قبل الساعة السابعة فهل تريدن أبنا الكينة
 أن آتي من أول الليل وأقيم معك في هذا البيت كالخبيث لا أرى غير وجهك المشفوم
 فأترك أصحابي وأحبابي وقد كان لنا هذا اليوم وهذه الليلة سرورا عظيما وقد شربنا
 من الخمر ما جعلنا نمل من البسط والانشراح فاقصري عن لومك ولا أقصرت همرك
 فلما سمعت أمه كلامه لم تعد تبدي خطابا بل دخل البيت وطلب إليها أن تقدم له
 الطعام ليأكل ففعلت وبعد أن أكل واكتفى نظر إلى كيلة وهي في الفراش فتعير
 منها وتعجب من أمرها وسأل أمه عنها لحكت له أمرها وقالت له أعلم يا ولدي أنها
 دفت لنا هذا العقد وهو ثمين جدا ولذلك عولت على أن أخفيها عندي فاصبر مثيرة

من إنعامها لأنه يظهر لي أنها بنت أمير أو وزير . فلما رأى العقداكاد يطير شعاعا وفرح مزيد الفرح وحديثه نفسه بأن يأخذه في القدر بيده ويصرف ثمنه في سبيل سكره وفواحه وكانت كلبه قد جعل قلبها منه لما رآته وراة في وجهه علام الشرو والرداءة وعرفت أن المعجوز غشها فقالت لها أن لا أحد عندى وتدمت كل الندم على حضورها إلى ذلك البيت إلا أنها لما كان ليس في وسعها الخروج منه صبرت على حالها وسلمت أمرها لله بان يخلصها من شر المصائب الواقعة فيها . ثم ان المعجوز وابنها ناما إلى بعضهما البعض وقد شغل بالعقد عنها ولم يكن فكره يمدته إلا بالاستيلاء عليه وجعل يفكر فيما يفعل في القدر وإلى أى حاة يذهب ومن يرافق وإلى أى غشاء يوجه بفكره وعمله .

وأما كلبه فلم يأخذها الترم قط ولا هدا بالها بل صرفت كل تلك الليلة قلقا متتامة وقلبا وحظها مستيقظان إلى أن أشرق وجه الصباح ولاحت شمس شهبى كل من فراشه وتأمل ابن المعجوز في عمارن كلبه جيدا فغاب صوابه وهام بها ولام نفسه كيف أنه لم يرد ذلك من الليل ولم يقبضه إليه إلا أنه قال لأنه احتفظى عليها وادفعى إلى العقدا ليعمه وآتيك بالتمى لنصره في ضيافة ضيفتنا الجديدة فقامت ودفعته إليه وقالت له احرص أن تذكر ما لأحد فهمى لا تريد ذلك وقد وعدتها ففتنها وخرج وهو يقول في نفسه قتل الله من جاءك بدوم من ثمن هذا العقد فلا أحيأك الله ثم اتجه إلى جهة الأسواق . وبعد ذهابه تقدمت كلبه من صاحبة البيت وقالت لها لما غششتنى ياسيدتى ألم تقولى لي أن لا رجل ولا امرأة عندك . قالت أن لا أحد عندى وهذا ابنى فقط وهو ينيب من الصباح إلى آخر الليل ولا يأتي إلا فيما ندر لأن أكثر الليالى يصرفها في لهواته وشرويه وأنا انصحه فلا يسمع ل يحاولنى بالسب والقتل والضرب كاتى عدوته قالت إني اخاف من ان يطلع احد على امرى فيلقينى بهذه الخطر والعذاب لأن امرى خطير مهم . قالت لا تخافى فهو يلهمى الآن بالسكر ولا يهيم امرك ولا يفكر فيك إذ لم يساه احد عنك على اتى اوصيته ان لا يذكر لك لاحد . فسكتت وقلبا لا يزال يحدها بان الشر سيأتى على يده واخذت تفكر فيما اذا تفعل وقد خطر لها ان تصبر الى الليل فتذهب من البيت وتختفى في غير مكان او انها تذهب من المدينة مسلة امرها لله الى ان تسمع بجىء الفرس لانهم لا بد من ان يتأثروا بهم نزارقبا ليخلصوه أينما كان .

قال فهذا ما كان من بعض امرها . وأما ما كانت من الأمير قطاع فانه بقى في مع رجال كلبه كما تقدم معنا الكلام حتى تغلب عليهم وفرقهم عن القصر ودخل

وهو يندر كالجمال وقد فاز فضبه وامتلأ قلبه من الفيط وما صدق ان يصل اليها
ليجازيها على فعلها بالافتصاب والقهر . فلما صار في القصر جعل بطوف ويسأل عنها
فلا أحد يقدر أن يجيده عنها شيئا إلى أن دنا أخيرا من الغرفة التي كانت فيها ونظر إلى
النافذة فوجد قاشا مربوطا بها ومدلى إلى الأسفل فلم أنها مرت من هناك فزاد غضبه
وكدرته أحوالها كيف أنها تتحمل المصاعب والاعطال لتخلص منه وتبعد عنه وتلقى
بفسها في أيدي الغير وعند ذلك رجع إلى قصره مأيوسا وأمر رجاله أن تتفرق في المدينة
لتفتيش عليها والسؤال عن رآها وأقام هو كل تلك الليلة في هم ونكد وتفرق أيضا
المدحورين إلى العرس وهم يضحكون من أمره ومن أمه بمن لا يقبله وقد عرفوا كلهم
أنها لم تعد قط يزوجه منها . وفي الصباح حضر إلى مجلسه وعاد إليه رجاله وأخبروه
أنهم لم يفتقروا لها على خبر فتمت به الأكداد وكاد ينشق من الفيط وخطر على باله الرجل
الذي كان قد بعث لمراعاتها ومنه الجواهر والحلى فلم يقف له على خير وأخبر أنه سار
تزوجته من المدينة ولم يره أحد منذ بضعة أيام فتأكدت هذه شبهة وأنه أخذ الأموال
والجواهر وسافر إلى غير بلد فزاده هذا الأمر غضبا على غضبه وتحمي أن يكون واصل
إليه لينتقم منه ثم دعا بالمداين وأمرهم أن ينادوا في المدينة أن كل من رأى كيلة أو
جاء بخبرها دفع إليه عشرة آلاف دينار وخبره بكل ما يطلبه فأخذ المتنادون ينادون في
الأسواق والشوارع عن ذلك وبينما كان أحدهم ينادي بهذه المناداة صادف مرواربن
الصجور التي عندها كيلة فسمعه وأنه عاف إليه وحدته نفسه أن الصية التي عنده هي
المطلوبة وإلا لما كانت أوصته أن لا يتخير أحدا بها ولما ترجع هذه هذا الظن طمع بالمال
وبكثرته فدنا من المتنادي وقال له خذني إلى الأمير قطاع لأصف له هذه الصية فإن كانت
صاحبة آتيته هاوقبضت منه المال . فلما سمع المتنادي كلامه أخذه إلى ديوان الأمير قطاع
فسأله عنها فحكى له كل ما رأى عند والدته وأنه في الصباح أخذ منها عقدا من
الجواهر ثمينًا وباعه في سوق الجواهر بثمانين ألف قرش ووصف له الصية بملابسها
وبها وبجمالها وأنها أوصته ألا يظهر أمرها لأحد . فلما سمع قطاع هذا الكلام
تأكد عنده أن هذه هي كيلة بعينها وقد اختفت عندها فلما ثبت عنده ذلك قال
لابن الصجور خذ جماعة من أصحابي واتي بها فاني أعطيك فوق ما وعدت . قال جوازه
الله خيرا يا سيدي فاني لا أزال أتذكر التفاتك إلي منذ كنت أراهمك قبل أن
صرت ملكا وطالما دفعت عنى ثمن الخمر ورددت طلب أصحاب الحانات واني أعرف
أنك تعطى كل ما أطلبه فان مرادى اقتح جائة للخمر فلا أعود أرى وجه اى

المحرم الصحيح لأنها دائماً تمتنع عن شرب المسكرات ومراقبة أصحاب فقال له كن مطمئناً
 فسوف يكون لك كل ما تطلبه ففرح وأخذ جماعة الأمير قطاع وسار بهم إلى أن وصل
 إلى بيته فافتتح الباب ودخل دون أن يطره واندفع من خلقه الجماعة إلى أن رأوا كلبه
 وكانت لا تزال على الحالة التي تقدم ذكرها وعقلها يتردد بقباحة عاجل وهو ابن العجوز
 وقلها يؤكد لها أن الشر سيكون عن يده إلى أن دخل عليها الرجال فمسكوها بغتة وقالوا
 لها إن سيدنا يدعوك إليه . فبكّت وناحت وتأكد عندها وفورها في يده ودعت الله إلى
 خلاصها وأرادت أن تتخلص منهم فلم تقدر وجعلت العجوز تشتم . لديها وتسبه فلطمها
 على وجهها ألقتها إلى الأرض وقال للرجال خذوا كلبه بالرغم منها ألم تسموا قول
 سيدكم فقتلوا عليها وساروا بها وهي غائبة عن الصواب إلى أن أدخلوها على الأمير
 قطاع فأمرها وعرف أنها هي بنفسها . فطار من الفرح وزال ما بقلبه من الهم والترحم
 وقال لها بطلق لما فررت من فصرك وهربت مني بعد أن وعدت رسولى بقبولك لى
 زوجا حللا قالت انى لم أقدر على هذا القول ولا قبلت قط وهل ينظر يالك ان
 وافق على زواجى وأنى غائب عنى وأنا غريبة فلو كنت عن يفل لصبرت إلى حين
 بجى . أبى فان أمرى بيده وليس يبدى ولا يمكن الآن أن تنهى غايته منى ولو فعلت
 ما فعلت قال ان أمرك الآن ليس يدك ولا يدايك بل هو يدي وقد هولت على أن
 ؟ زوج بك بالرغم منك . قالت انك لا تقدر أن تنصبنى أو تنصبنى قبل أن ترائى
 قتيلة وما زلت قادرة على التحرك لا أطيعك قط على أمر وانى أرى من الآن نفسى
 سائرة إلى الموت ولا تنكر انى كمن لاقيت من النساء والبنات القواقي يطعنك اما
 تخلفنا من شرك أو طمعا بمالك فانى أراك فى أعينى قبيحا ذريما تفعل غير ما يرضى الله
 والناس فارتحفت من كلامها وقال لها ان اكرامى لك أوصلك إلى هذه الدرجة حتى
 تتأمن وتكرت وانى الآن أذلك فتقبلين رعبا منك متى رأيت نفسك مسجونة
 محجورة متركة من كل الناس ثم أمر أن توضع فى غرفة فى مكان قدروا أن يقام عليها
 الخمر وان لا يكلمها أحد مطلقا ويقدم لها الطعام فى كل يوم مرة ويكون من الخبز
 الخاف فقط وأوصى الحرس ان يسيثوا معاملتها وان يذلوا كل الاذلال وأوصاهم كل
 الوصية ان لا يمسوا جسدها بسوء ولا يفعلوا غير ما يقهر نفسها وأمرهم انهم متى رأوا
 منها أنها قد لانت وقبلت بزواجه جاءوا بها إليه وأعطوها كل ما من شأنه أن يريحها ففعلوا
 ما أمرهم به وخدموها فى غرفة صغيرة فغرفة لا فراش فيها سوى قلع من القماش الخشن وأقبلوا
 عليها الباب فكانت لا ترى احدا ولا تسمع احدا سوى الشرطة القائمين على حراستها عندما

يأتونها بالخير والماء ويسألونها إذا كانت قد قبلت ولا نت ورجعت عن هاتهما فتقول لهم انى لا أزال على عرى واتى ارى هذه الحالة احب إلى كثيرا من ان اكون زوجة لرجل شرير كسيدكم وكانت ثابتة العزم والرأى لا ترجع عن قول قائلة لا سبأ ومي تعرف من نفسها انها وعدت بهمنزار قبا حبيبها بالخلاص وترى من ذاتها انها مضطرة ان تحفظ حالها له وان تتحمل العذاب لأجله وتفكر ايضا بأسره فيبون عليها اسرها وما هي عليه . وكان املاها قويا بالخلاص من هذا العذاب الجهنمي ومن معاملة الامير قطاع لما لاتها كانت تفكر بانين ايها من دمشق او بانين الملك ضاراب لخلاص بهمنزار قبا فتجزم معه ولا يمكن ان يقيها إذا تسهل له الخلاص ويتقاعد عنها وبقيت على هذه الحالة اياما وقطاع يسأل عنها فيقال له انها باقية على قولها فيستغلل بنبرها لانه كما قدم كان كثير المسق والفساد إلى ان كان ذات يوم سأل الخمر عنها فاجابه بجلالة رأيها فتعجب وقال انى لا ارى هذا العناد في عمله وليس واقع بلا سبب ولا شك انها تحب هذا الاسير الابرائى الذى عندنا وتعلق الامل بزواجه عند خلاصه ولذلك فكرت بقتله بحيث يقطع املاها فلما سمع رجال ديوانه كلامه خالفوه جميعهم وقال له وذير ايه هياش انك ان فعلت ذلك ارتكبت خطأ ميتنا لان الفرس على ما نسمع الآن انهم قريون جدا من الشام ومتى وصلوا اليها لا بد ان يقتحموها ومتى سألوا عن بهلوانهم فلا بد ان يقال لهم انه عندنا فيسرون البنا ونحن لا قدرة لنا على مقاومتهم مع ان الوليد وقوة سلطانه وعظمت شأنه وكثرة جنوده وقد اجتمع اليه كثيرون من الملوك والامراء . برجالهم واجنادهم تتبدوا وملك كثير منهم مع رجال قصر وبهلوانه فاذا جاء الملك ضاراب إلى بلادنا خرجنا اليه وعرضنا عليه حائنا وقتلنا له ان لا ذنب علينا وان مسرور بن عتبة بعث البنا فيأخذه ويسير في طريقه ولا يتعرض لنا ولا تعرض له ونمنع الشر من بلادنا وليس من عداوة بيننا وبين الفرس . ووافق كل رجال الديوان على كلامه وراوه صوابا فتكدر هو منه ولما لم ير نفسه قادر على اتقاء ما ربه احتدم به الغيظ واراد ان يقهر الوزير لانه كان على زمن ايه فأمر ان يسجن في الحال مع بهمنزار قبا وان يعامل بالاهانة والاحتقار . وبعد ان اخذ إلى السجن قال إلى الباقين انى ما فعلت معه ذلك إلا خوفا من انه إذا جاء الملك ضاراب يستعين به على ويخبره بأمرى واتى قلت انى فيجلب لى الويل والعذاب وينزع الملك منى ويحردكم من خططكم لعله انكم من اغصان ولذلك قصدت منه من عمله وقيامه في السجن إلى حين يعود الفرس من بلادنا واتى اراك قد اصبتم في حملكم وقولكم فانى متى جاء الفرس دفعت اليهم

الاسير فيسبون وتبقى كلية في يدي فهي لا تقوتني وبعد حمله هذا أقام على المعاصي وهو لا يفتقر عنها ليلة واحدة فإنه لم يكن ملكا .

هذا ولابد للقارئ من أن يكون مشغل الفكر لجهة تركنا الملك ضاراب وولده فيروز شاه ورجال ملكته وفرسانه الذين خرجوا من هريقدون الشام فانهم ساروا على الترتيب الذي تقدم معنا ذكره مرارا إلى أن وصلوا إلى قرب دمشق فجلست بين أيديهم الوحوش من تلك البراري والجبال وفرت الأهل من القرى والضياع إلى المدينة خوفا من السبي والنهب وهم لا يعلمون بحمل الملك ضاراب وعدم رغبته بالتعدي على أحد وبلغ الخبر مسرورا بن عتبة فقدمه فجمع إليه رجاله وقال لهم هوذا الفرس قد جاءوا ببلادنا وإنني أعلم أن لاطاقة لنا على دفاعهم إنما أخاف إذا صلحناهم يهتصب علينا الملك قبصر ويجازينا بالهلاك المين وينزع البلاد منا ويسلبها إلى سوانا ولذلك هزمت على أن أذاع يوما واحدا فمتي رأيت القلبة سلبت المدينة وهربت إلى أنطاكية وأبقيتها لهم فمتي دخلوها ولم يروا فيها أسيرهم ساروا عنها إما إلى جهة الأنطاكية وإما إلى جهة القيصر فان ساروا إلى أنطاكية أخذت الأسير ويبقى ومن يكون قد بعثى منكم إلى حلب ومنها إلى بلاد الرومان إلى حين ينتهي القتال بين الفرس والرومان فإذا قصروا قالوا اأنا نرى كلامك صوابا فاعمل على الدفاع يوما واحدا لأن المدينة ليست بصينة ولا تقدر على أن تلقى هجمات الفرس أكثر من نهار وفي آخره تسلم الأبواب الأخر ونخرج منها ونبقى المدينة في يد الفرس إلى حين يخرجون منها فنعود إليها .

وبعد أن اغتفوا على هذا الأمر أقاموا الجند عند الأبواب متيعة اللطم والضراب حاملة الاسنة والحراب تنتظر قدوم الملك ضاراب حتى أقبل على المدينة بمجوشه الجرارة وانتشرت في تلك الجهات انتشار الكواكب في السماء وهي مسرورة بما شاهدته فيها من الرياض الأنيفة الواسعة وما يبعث عنها من الروائح الذكية العطرة وأهرها تتدفق عذبة وتساب جدارها في رياضها وحياضها حتى أنهشت دؤاد كل رجل منهم وسر الملك ضاراب عما شاهد ورأى وقال لوزيره طيطلوس اني أرى هنا الجنة القيحاء فإسكان هذه البلاد بمن يحوتون قال نعم إن هذه البلاد هي أفضل البلاد وأثمارها أشبهها وأثمارها أركاها ورجالها أفضلها وأرنا ونساؤها أجملها والعقبا وقد لقبها كثيرون بجنة الأرض وفردوسه وسكانها يقيمون دائما على الحظ والانشراح لا تهاووجه أنهم ودوحة أفكارهم فلا يقدرون على البعد منها وإسكانها فيها أوصاف عديدة والغائب عنها يردد في فكره دائما .

هذا الحى ابن الرقيق المنجد قد يم الحيف الفریق المنجد
 بانوا فلا دارى بخلق بعدهم دارى ولا عيشى لنبها ارهد
 وعلى الاكلة قنية لعبت بهم راح السرى والعيش فهم تسجد
 يتناقسون على الرجال كأنهم قضب على كشب القفا تتأرد
 واما على وادى النقا والهفنى لو لطفى تجدى وآهى تسعد
 كانت عروس الدهر ايام لنا فيه ثلاث ليتسا لى عود
 مهدى به مضى الهوى تستامه عين مسهدة وقلب مكمد
 ما باله بعد الثلاثة افقرت منه معاله واقوى المهدد
 جسمى باكاف الشأم غيم وهوى بالركب البمانى مصعد
 تاقه هاتيك البالى اسأرت فى مهنى تارا تقوم وتقعد
 وكان مرمى كل موقع جرة فى القلب والاحشاء فى مود
 لله ايام بهرءا الحى والدهر مصقول الحواشى املد
 ايام ظل الدهر ضمد مقلص حنى وعيشى طاب فيه المورد
 فى حيث ربحان التبية باقى والحيف مضى للحسن ومورد
 اذ متداه مراد كل خريدة يصنوا اليها الحاششون العبد
 مالى اذا برق تالى بالحقى اودى بمهنى المقيم المقعد
 واذا نسيم الروض هب تبادرت وفق الصبابة ادمع تردد
 ومتى ظفرت من الزمان بشاصر اخذت تفتنه على الحسد
 وهى فوق ما توصف ألم تر

كأما شجرات الدوح خجل تبدوا فيلخ أقصى الحسن مبلغها
 ارواح در نيت المزن فى بشر من الزهرى بالانواء قرضها
 ماجت بدرجة الانفاس واطردت كأنما حولها ايد تدغدغها
 واذا أرسلت النفس شعاعها اليها البستها من البهاء حلة تبتهج بها الانظار وتشتغل
 فيها الافكار كما قال فيها .

كان شمع الشمس فى كل شعرة على ورق الاشجار اول طالع
 دنانير فى كف الاشل بعضها لقض ثوب من فروع الاصاح
 وعليها اخسان تلاعب بالميلان فتجتمع وفترق كأنها تنهى الفراق وكلها قائمة
 عروشا تنقلت إلى الامام والوراء .

كأنما الاخصان لما اتلت امام البدر التم فى غيبة

بنت عليك خلف شياكها تخرجت منه على مركبه
 وإذا حركها الصبا طاعت له ومالت معه .
 وكأما الاغصان يتليها الصبا والبدن من خلل بلوح ويحجب
 حسناء قد قامت وأرخت شعرها في لجة والموج فيها يلعب
 ويجعل القول هي جامعة لكل معنى مبيح للعقل شارح الصدر ويدها لا يترك ولا
 يشغل ذو العقل من انقطاع ثمار النضك في أدواها فيه .

هذا الريع وهذه ازهاره قالروض قد صدحت به أظفاره
 ومشي السهم بكأس نفثته وقد دبت باعطاف الغصون عقاره
 وتنبهت فهد الحسام في الربا والدوح قد جئت لنا أوتاره
 والبان صف على النصوص نوافها منها تطر للنسيم أزاره
 حيث البنفسج بالشمع يبيجتا قد دب في خد الرباض طاره
 والنرجس المني قوام زهرجد يرنو باحداق اللجين نصاره
 وشذا القرفظل بدته يد الصبا والروض قاح شقيقه و بهاره
 رقصت قيان قصونه طربا وقد غنى الحمام فصعقت انهاره
 والسفل الغض ارتوى من طله نسق بكأس اللازورد عقاره
 يتبسم الزهر المقطب ضاحكا ومن النسيم تمسكت أزراره
 ولا زال طيطولس يحف للملك ضاراب الشام ونواحيها ويأتي له بذكر راحتها
 وهناها وما وما أوجد الله فيها من العاكية التي ندرت في غيرها حتى تمسقا ونجى ان
 نكون بلاده مثلها وشكر الله على صنيعه وكيف خلق لكل أرض خاصة وخص دمشق
 بما لم يحص به سواها وتجب من سمة صدر وزيره ومعرفته بكل ما ذكره له .
 وبعد ذلك امر بضرب الخيام في تلك الضواحي ليبحث إلى مسرور ابن حنبة
 بكتاب يدعوه به إلى طاعته والاقبال اليه . وبعد أن أخذ لنفسه الراحة امر وزيره
 بوس فكاتب .

بسم الله الذي لا إله سواه ولا يعبد إلاه فهو الخي الباق الجبار القدير القادر الوافي
 من الملك ضاراب ملك القرس واليمن ومصر ونواحيها إلى مسرور بن حنبة صاحب
 الشام . أعلم أيها السيد الكريم أني ما أنبت هذه البلاد إلا لأجل غاية واحدة
 وهي خلاصي ليهنأز قبا من أسركم حتى أحرجتني الضرورة أن أدخل بلادكم في
 حوزتي وأشر عليها سلطتي وقد كنت غنيا عن ذلك لولا لم تدعوني إلى ذلك الضرورة
 وأنى لأجيب أنك مع عدك بطو سلطان المعطى لي من الله ومشاهدتك أعمال وأفعال

فرساقى عيانا في مصر جمرت على أن تصحب معك أسرا من رجالى فما ذلك إلا من نوع المكابرة والجهل . ولذلك قبل أن أبدا معكم بحرب أر أوصل اليكم اذى يمشى اليك بكتانى هذا أدعوك أن تأتى لطاقتى وتحضر معك بهمنزارقيا مكرما مبعجلا وتزل من أسوارك الاعلام الرومانية وترفع الاعلام الفارسية وتتادى باسمى في كل مملكته وتدفع لى بالجزية وتصير من الآن وصاعدا من عمالى وولائى وإياك من المخالفة فتسلم حيث لا ينفعك الندم وأنى سألتك بذلك نصحا لك كي يدوم ملكك يدك وتحفظ أدمية وجمالك من الاهراق وتحصن أبنة هذه المدينة من الخراب ولا يدل روقها ويهبتها بالتلطح بأدمية العباد وإنى أذكرك والسلام .

وبعد أن ختم الكتاب ناوله إلى شبرتك فأخذه ودخل المدينة وناوله إلى مسرور بن عتبة وهو فى ديواته وبين أقرانه فقصه وعرف ما به ولذلك أجاب بما يأتى :

بسم الله العلى العظيم

من مسرور بن عتبة صاحب دمشق إلى الملك خواراب سيد الفرس . اهل انى اخذت كتابك وفهمت خطاك وعرفت بكل ما أشرت اليه وأنى أجيبك أن بهمنزار يهلوا لك ليس هو عندى الآن بل بشتى إلى فهو جهة ليقم تحت عناية الملك قيسر سيد البلاد وأمر جماعته . وعليه فأتى أجيبك أنى لا أقدر على ارجاع بهمنزار اليك ولا يمكنى تسليم المدينة من طوع ما زلت حيا حفظا لما لك أهرى وهو الملك قيسر فاذا شئت أن تقاقلنا دافعا من المدينة بقدر جهدنا ولا نخون إرادة ولينا والسلام .

وبعد الفراغ من الكتاب دفعه إلى شبرتك فأخذه وعاد إلى الملك خواراب فدفعه اليه فقرأه وعرف مكابرة مسرور بن عتبة ولذلك وطد العزم على تملك المدينة بقوة السلاح وبات على هذه النية ينتظر صباح اليوم الثانى إلى أن أقبل مستعجلا وأشرقت شمس بوضوح على تلك النواحي وبعث النسيم على القوم بواحات الحضر الباتج عن فتح الازهار . وحينئذ نهض الملك خواراب فركب بموكبه وركب من حوله ابطاله وفرسانه وكلهم يرددون بحرب ذاك اليوم لانهم يعلمون ان لا قوة بالشام تلقى صدمة واحد منهم وكانت طبولهم اندثرت اهل الشام بوقوع الحرب منذ الليل فنهضت حساكرهم وتقدمت من الابواب لتدافع عنها وهى علولة العزائم لعلها انها لا تقدر على الثبات طويلا كون الفرس اشد منهم بأسا واكثر عددا ولم يكن إلا القليل حتى هجم الابرانيون هجوم الاسود وفى مقدمتهم فيروز شاه وقد اقتضى على المدينة كانه الصاعقة الساحقة وبدا بالصيحات والضربات وتفرق الجماعات ونزل رجاله كفضله

وكان صباح بهزاد يدوى كالرعد الشداد وهو ينثر الرؤوس بحسامه ثر ورق الشجر الجاف برابع الأرياح . فاشتبك القومان . واختطف الضرب والطمعان . وعلا الصياح من كل ناحية ومكان . وقامت القيامة . ووقع بأهل الشام الندامة . ورأوا الموت عيانا . والهلاك يانا . وعرفوا أن الثبات . يقود اليهم القضاء والمات . إذ لم يكونوا من أمه . وليس لهم صبر على الدفاع وقته . فالتحقوا الحرب حسنا . والفرار ما تناور كنا . فرجعوا من الأبراب وتفرقوا في الأسواق . يطلبون الخبايا ليقبضوا فيها خوفا من القتال والمحاق . وتدفقت منورا هم رجال القوس كالسيول . وترجع عتدم نوال كل مقصود ومأمول . ودخلوا المحلات الرسمية فامتلكوها وأقاموا فيها . وسر الملك ضارب بهذا النصر والظفر . وبتملكه مدينة كمدينة الشام وأمر أن يقتل على سرور بن حنبل فأخبر أنه هرب من أول النهار ونجا بنفسه وبعض أعيانه يقصدون أطلابه حيث أنه كان قد بعث بهندار قبا اليها لعله أن الشام لا تقدر على الثبات والدفاع في وجوههم إذ ليس فيها من الحصون المنيع ما يمنع قوتهم فقال لا بد لي من تأثره وتخليص أسيرى منه لأنه قد طغى على وتمرد عن التسليم وظن أن الملك فيصر سيدفع عنه ما أهدت له من الويل والعذاب .

وبعد ذلك أمر الملك ضارب الصاكر والقواد أن تسير في المدينة وتقوم في رياضها وتتفكك بأثمارها مدة خمسة أيام إذ أنه في اليوم السادس مزعج على الرحيل وأوصى بالمحافظة على الراحة والسكينة وأن لا أحد منهم يتعدى على أحد من الأهالي وأن كل شيء يشترونه يدفعون ثمنه حالا بثمنه الأصلي وبذلك سر أهالي الشام مزبد السرور لما رأوا من حلم الملك ضارب وطاعة رجاله وآدابهم وقالوا بأنفسهم كيف أن الله لا يوفقه ويعد سلطانه وهو على تلك أئنة السليمة والأعمال الخليفة ورضخوا في النخول تحت طاعته فأقام عليهم حاكما من المدينة شريف الأصل والحسب وأوصاه بالعدل والاستقامة وأن يرسل اليه الجزية في كل عام ويحث اليه بالأخبار عن المدينة وما يقع عليها وصارت منذ ذلك اليوم مدينة دمشق تحت حماية القوس ناضرة الروتهم وأعلامهم . وكانت عساكرهم في كل هذا المدة آخذة في الحظر الانسراح متفرقة في البساتين والرياض وماضهم إلا من يسكرو ويخمر وقد صرفوا خمسة أيام لم يروا نبلها في كل حياتهم ونمتوا أن يبقوا كل همهم في ذلك الفردوس النعيمي ولم يشعروا كيف انقضت الأيام المطلوبة فقد كانت قصيرة عليهم كقبة أيام الفرح والنزهة . هير أن فيروز شاه صرف تلك الأيام بمروغ صبر ونكد حظ وكان يرى المدينة ورياضها في عينيه سوداء كالقبر

ولم يكن يسر إلا بالنسك في عين الحياة والتشوق إليها وكذا فكر يعدها عنه تزيد به
ويلاته رأكداده وأعظم شيء كان يهيج به الذكرى مواقة المناخ وأسباب الراحة
الموجودة في ذلك المكان فكان يبتنى أن تكون حاضرة معه ليصرف الوقت على أحب
حايروم ويشتفى في تلك القسحات والادواح وبين تلك الأزهار والأشجار .

وأما فرخوزاد فانه صرف هذه الايام مع محبوبته أنوش بنت الشاه سليم بمسرة
لا توصف وفرح لا يقدر وأقام معها كل الوقت بين شرب الخمر ونطق الزهور
ومناشدة الأشجار ومراعاة الأفكار وبين تهليل وهاتق وشرح هيام وأشواق حتى
لم يكدرهما من مكدرات الايام لا رقيب ولا نمام ولما اقتضت تلك المدة أمر الملك
ضاراب بالتجمع والانضمام وفي نيتة أن يارح الشام وقد حرم على السفر إلى أنطاكية
ليخضع منها بهمنزار ويسير من هناك إلى بلاد الرومان وبينما كان يفكر بذلك وقد
حزم على الركوب فأمر كامل فرسانه وأبطاله أن تتبأ على هذه النية وإذا يهرورز قد
وصل إليه وهو يفتق واضطراب وكانت تدل حاله على قتله مسافة الطريق بالسرعة
العجيبة ولما وقف بين يدي الملك ضاراب جعل منه كل من حضر إلا فرورزشاه فانه
انعطف خاطره إليه وتمنى أن يعرف ما وراءه من الأخبار ولذلك سأله في الحال .
فقال له اعلم يا مولاي أنني سرت في أثر سيف الدولة بحسب ما أمرتني حتى وصلت
إلى بلاده بعد وصوله إليها بأيام قليلة فوجدته قد رفع أعلامنا المظفرة على أسواره
ونادى باسم ملكنا وعمل بكل ما رعد ولما لم أقف لعين الحياة على خبر في تلك
المدينة خطر لي أن أذهب إلى ملاطية وأسرق منها ما أنا ساع في أثره وإذا بمساكر
قيصر جاءت ملاطية مع تمرتاش أخي تمرتاش الذي قتله الأهمرة أنوش وسأل
سيف الدولة أن يترك خدمتك ويرجع إلى خدمة الملك قيصر ويؤزل الاعلام عن
الاسوار فامتدح وحسن المدينة وفي نيتة أن كل شيء فيها كاف للحصار إلى حين قدومكم
إليها وخلاصها من أيديهم ولم يخطر له قط أن قهرا ومهرا سيخونانه ويقتلعان المدينة
في وسط الليل ولهذا السبب دخل الرومان البلد ولحقوا أنجح القفال وخربوا جدرانها
وكسروا أشجارها وسبوا نساءها ولم يراعوا حرمة الانسانية والثاموس وكان الامير
قهر آخر فخر ومهر ولم يهملها على الخيانة فنقض عليه تمرتاش وحارل كثيرا إقتاعه
بأن يكفر بكم ويرجع عن خدمتك فلم يقبل فرماه إلى الارض وأمر أن يضرب خمسين
سوطا وكان يضرب الضرب الألم وهو يصيح وينادى بمساعدة سيدي فيرورزشاه
فتأثرت لذلك وقلت لا بد لي من خلاصه في المساء إلا أنني لم أكن أعرف كيف
سار سيف الدولة حيثئذ لأن لم يقف له أحد على خبر وعند المساء سطرت على خيمة

فهر فاقته منها وقطعت قيوده وسرت به إلى الفلا وقلته حيث صرت الآن مطلق
 ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ . ١١٠٠ هـ .

إلى مقارة هناك فرأيت فيها سيف الدولة وزوجته وعين الحياة . فلما سمع فيروز شاه
 بذكر عين الحياة حيث جعل قلبه ينفق وانعطف بانحناف إلى تنمة الحديث وهو
 يعجب كيف اتهاوجت في تلك المقارة مع سيف الدولة وأطار مزيد انقباه إلى أن
 وصل بهروز إلى تفكيميا من المجرع وبكائها على كسرة خبز وانحلال قراها من الخوار
 والتصب فانطمرت مرارته بما لحق بها ولم يطرُق ذهنه قط أن يلومها في نفسه على تركها
 مصر وسفرها مع سيف الدولة بل كان يتوجع ويتألم من المصائب التي أصابها وأخيرا
 امتلا قلبه غيظا عندما وصل بهروز إلى عمل هلال العيار واختتامه فرصة فيها بهورجوه
 بين الحياة إلى أيها ويقوده سيف الدولة وقهرا إلى الملك قبصر

قال ولما فرغ بهروز من سرد القصة حرقيا وما وقع له في سفرته وما سمعه من
 عين الحياة وما رآه من عمل تمر تاش في ملاطية وكيف أسروسي ونهب حتى لم يبق
 في المدينة بيتا عامر فحرك من الملك ضارب خضه وقال انه من الواجب أن لا تتخل
 قط عن سيف الدولة ولا تترك بلاده بيد الأعداء التام يفعلون الفحشاء ويسرفون
 في الأموال والأمنه ولذلك عزم على أن أسير من هنا إلى ملاطية ومن ثم أعود
 فأبست أحد فرسانى من هناك إلى انطاكية إلى خلاص بهمزار وأمر في الحال أن
 تركب المساكر والفرسان على نية المسير إلى ملاطية ولم يكن إلا القليل حتى شوهد
 الملك ضارب خارج مدينة الشام وهو سائر بموكبه وجمحفه العظيم وإلى جانبه ولده فيروز
 شاه سيف النعمة يعلو جواده الكمين الذى هو كالبرج الحصين وفي قلبه نار من الشوق
 تطلب وتسهر وقد خطر بباله كل ما جرى من على عين الحياة وما لاقته من العذاب
 بب إصراره على حبه وما لاق من أجلها من الحروب وعمل أيها به ومعه فامتلات
 نيا في عينه هموما وغموما وأنشد يقول :

يا عين ما طلب الزمان عنادى	وأصر في كيدى وفى إسادى
ألا رأتى قائما مترصدا	أعماله بزمجة وسداد
أسطوا عليه همقى فأذيقه	مر التأسى فى ثبات جلال
دوخ أرض المشرقين وغربها	وسعيت نحوكم أسوق جوادى
أسقى الجيوش بكأس عظم صارم	ترك النفوس عدوة الأجساد

نظروا العذاب طليعة هلاكهم
 طلبو التبدد في القلا فحسبتهم
 ودعوت وحش البر وهو ينوشهم
 حضوا التواجد ناكثين إلى الوطا
 لا شيء ينجيهم سوى أن تشفى
 ملكتك النفس الآية عن رضا
 انى لاذكرك وذكرك دائما
 لا تقطى منى الرجاء فاقى
 انى لاذكرك وذكرك لم يزل
 لا تقطى منى الرجاء وقد سمع
 انى لاذكرك وذكرك نافى
 لا تقطى منى الرجاء وصارى
 انى لاذكرك وذكرك منى
 قلبى وانك دائما بقوادى

وما وصل فيروز شاه على آخر الشاه حتى شعر من نفسه بفروغ صبر

وإلى الوصول إلى بلاد قيصر ليعرف ماذا جرى على محبوبته وكان ما يشكركه ويخافه
 هو سعى طيفور بكده وقد يمكن أن يوفىها على ابن قيصر وبهرمه منها إلى الأبد
 لأنه يؤكد أنها لا ترضى به ولذلك تبيت نفسها وترمى بها إلى الهلاك بالرغم منها وقد
 وطد عزه في هذه المرة أن يجعل جل اهتمامه للحصول عليها بأي طريقة كانت وانتقاما
 من بين أعدائه وأخراجها إلى جيشه تقيم فيه إلى حين الفراغ من الحرب إذا كان قد
 تأخر زفافها ومانع أبوها من تسليمها كما مانع في مصر

وكان جراد أيضا سائرا في مقدمة جيشه وهو كالأسد المتمرد فوق جواده الذى
 أخذه من مصر وقفز به السور وهو من خيول البحر كما تقدم الكلام عنه وهو
 يمتنى قرب الوصول إلى ملاطية ليقتحم من جيوش الرومان ويرومهم كيف تفلوت
 الفرسان . ولا زالت فرسان الفرس سائرة في ذاك الطريق تتقدم بسرعة هرية
 يطلبون سرعة الوصول إلى بلاد سيف الدولة والأفراج عن أهلها الذين لحق بهم
 بسبب طاعتهم للملك خراب الويل والخراب وأصبحوا في حالة الذل والاكتئاب
 إلى أن وصلوا إلى واد بالقرب من ملاطية يقال له وادى الزهور فيه الرياض مفتحة
 والمياه بالجدول سارحة فاستحسنه الملك خراب وأمر أن تنزل السالك فيه وقال لهم

حيث لم يبق بيننا وبين ملاطية إلا يوما واحدا وقد لاينا من مشاق السفر ما
يدعونا إلى الراحة ثلاثة أيام وفيها بعد نلتحق بالمدينة ونقيم الحرب بساكر تمرناش
القائمة عندها فذل الجيش برمتها وبسط في ذلك الوادي من بينه وبينه واطلاق العيارون
يحصون تلك النواحي ويرون ما ربما يحتاجون إلى معرفته . قال ولما وصلت العساكر
إلى تلك النواحي جفلت منها سكان القرى والضياع وجاء كثير منهم إلى تمرناش بهوان
تحت الملك فيصروا خبروه بوصول الملك ضارب ونزوله بوادي الزهوع مع رجاله وفرسانه
كافة فأظهر القرح والاستبشار وقال لا بد لي من أن أبعث فأخبر الملك فيصر غير أني
أحتاج إلى تفصيل كاف بعدد فرسانهم وأبطالهم وكثرة جيوشهم وقلته ولذلك دعا ببيارة
كودك وقال له أريدك أن تذهب هذه الساعة إلى بين جيوش الفرس وتظهر معدل
غوثهم وكمن يمكن أن يكون عددهم على التقريب والحاصل أريد منك أن تأتيني بكل ما
يمكنك أن تنفعنا به فأجاب بالاعتراف أنطلق من تلك الساعة بأسرع من البرق الساطعة
حتى وصل قرب الوادي فعدل عن الطريق وتسلق أكمة عالية تكشف جوف الوادي
وفيها هو في صعوده كان بهروز بطوف في تلك الجهة فرآه من بعد فأسرع إلى عياري
الفرس فأحضرهم وقال لهم اعلموا أن كردك العيار يصعد الآن الأكمة وفي نيته إما
ينحدر البنا في أول الليل أو أنه يقصد أن يتحقق وجودنا ويريد أن يعرف معدل
عددنا وعددا ولذلك أريد منكم أن يفرق كل واحد في طريق فلا تدعوه يفر من
جهة بل راقبه أينما سار وأنا أسير وراءه إلى ظهر الأكمة فامسكه فأجاب: إلى طلبه
وسار طارق وشعرنك وبدر قنات وشياغوس والأشوب كل إلى ناحية وتأثيرهم روز
كودك وأطلق خلفه وبينما كان واقفا في ظهر الأكمة شاهد بهروز فلم تخف حاله .
فقال في نفسه لا بد أن يكون هذا الرجل عيار من الفرس رآني فأتى في طلبي أو أنه
يريد أن يعرف من أنا فمن المواقف أن أبعد من هذه الأكمة وأرجع من حيث
أتيت إلى أن يجسر لي ما أنا طالبه ولهذا انقلب راجعا يقصد الفرار وما كاد ينتهي
من الطريق حتى شاهد عيارا فارسيا يربط الطريق فضاق صدره وتأكد خباياهم
وانهم را طون له ليقبضوا عليه فترك ذاك الطريق وعرج إلى سواما وما سار فيها
إلا القليل حتى نظر عيارا ثانيا وجعل ينقل من جهة إلى جهة وهو يركض أملا بالخلاص
من يد بهروز الذي كان يطاردته ويسمى خلفه ولا زالوا يتقرون منه وهو يفر إلى
أن أدركه بهروز فاقبض عليه وقبضه من عنقه ودفع به إلى الأرض وأخرج حبالا
من وسطه فربطه وقاده أمامه كالبحير وقد أحاطه بقية العيارين وسادوا به إلى أن
وهو على تلك الحالة فنظر إليه وقال له من أنت

ومن أين وما قصدك بصعودك إلى ظهر الأكمة قال أنا من سكان هذه النواحي وقد عرفت بقدمكم ونظرت إلى كثير من العلاحين ساكني القرى مثل قد فروا إلى الجيش فقصت أن أراكم لاحقاً صحة الخبر وأتيت المكان الذي راووني به رجالك فأدركوني وكنت أظن أنهم يقصدون لي شراً فسعيت لأتخلص منهم فلم أقدر فأشكر الله حيث أوقفني بين يديك وجعلني أسألك الرحمة والعفو وكان كودك يعرف باللسان الفارسي حق المعرفة كمادة عيارى الملوكة فانهم يتعلمون اللغات الأجنبية لحاجتهم إليها في مثل هذه الظروف فاعترضه هرود وقال له أنكذب على حضرة الملك وتريد أن تتخلص من بين يديه وأنت كودك العيار وقد رأيتك مراراً أنيت يوم أيت سيف الدولة بكتاب نمرتاش حال وصوله إلى ملاطية وكنت إذذاك متخفياً في بلاده وقد عرفتك حق المعرفة ورأيتك بعد ذلك مراراً ولا سيما عندما خلصت قهراً من الأسر وفككتك من الوثاق فأقصر عن كذبك واحذر لنفسك واعرف في حضرة من أنت واقف فإذا أنت كلامك وطلبت ضوؤه عنك واجازك الجوائز الحسنة ثم قال له الملك ضارباً أظلم يا كودك أن حياتك الآن يدي ولا تظن أني أصدق قولك أو أصفي إليك فقد ثبت عندي كل التثبت أنك عيار روماني ولا تريد أن اظلمك فأعرض طبعك طاعتي وخدعتني فإن قبلتها ضوت عنك وألبستك ملابس عيارى الفرس وعينت لك العلوقات والجرايات وأقممت عندي معظماً مكرماً وإلا فالوت قريب منك جداً ولك أسوة بجباري مصر فهم أمامك الآن وقد تركوا خدمة أسياهم ودخلوا في طاعتي ورواوا عالم يرويه عندما كانوا في خدمة موابهم الأول .

فلما سمع كودك كلام الملك خاف على نفسه من الموت وطمع في الحياة والخلاص ورأى عيارى الفرس حوالبه كالمردة وعيونهم تقدح شرار النار وهم يحرقون به من كل جهة فخاف منهم وحدته نفسه أن ينتظم بينهم ويدخل في سلكهم وطمع لما رآهم مدهبون بالثياب المزركشة وبوسط كل واحد نطاق من الحرير المذهب يحمل فيه خنجرًا مرصعاً بالمالس والياقوت ولهذا قال للملك ضارباً أني أقبل بكل ما أشرت به ياسيدي وإنني أهدك وعداً صادقاً أميناً إن أجبني على خدمتك وأصرف كل ما في قوتي في سبيل طاعتك والسعي بإفاد أمارك ولا أخف لك عهداً ولا أوح بسر تحمله إلى وإنني أقول ذلك عن صدق نية وصفاء باطن واشهد على الله وسيدي المسيح صاحب الإيمان الصحيح وهو شاهد على صدق وطرف ما في ضميري وإذا كنت لا صدق قول ولا تتركن إليه فأقدم لك كفيلاً يكفلي عنك . قال ومن يكفلك

لي لقولك هذا وضمن لي أنك لا تنش في ولا تغدر برجالي ولا تفعل معي ما فعله
 هؤلاء العيار . قال أن كفى حاصر وهو معتبر عندك أضي به بهروز العيار واني أعتقد
 الاوتناد التام أنه إذا وقع مني ما تكرهونه فهو قاصر على أن يأتيني ويلحق بي ولو
 طرت إلى ما فوق السح الطابق . قال بهروز لقد أصبحت باكودك فاني أضمنك بقوة
 قلب بعلى أنك صادق بكل ما قلته ولا تحث يمينك ولا تخلف بقولك ثم قال للملك
 ضاراب مرني ياسيدي باطلاه فهو في عهدي وتحت مسئوليتي وأكد أنه تكلم عن
 صفاء باطن ولا يرجع عن طاعتك حتى الموت والفناء . قال الملك اني صدقته ولذلك
 أطلقت سبيله فلك وثاقه وأحضره ثوبا من مثل ثيابك والبسه إياه وأمر أن يعين
 اسمه بين عياريه وأن يدفع له المرتب عن كل شهر سلفا . وبعدة قليلة تم كل ما أمر به
 الملك ولبس كودك ملابس الفرس وصار كواحد منهم وهو يكاد يظهر من السرور
 والفرح وأراد أن يظهر خدمته للملك ضاراب ويقدم له برهانا على صدق قوله . فقال
 له أعلم ياسيدي اني جئت من قبل تمرناش وخرطوم فارس الروم على أمل أن أجس
 لها أخباركم وأنهم يصدقونني عن مكان نزولكم وعددكم وعلى ما أعلن أنهم يقصدون
 أن يكبسوك في الليل أينا وجدتم ولهذا خطر لي أن أنصب لهم مكيده يهلكون بها عن
 آخرهم . قال على ماذا عولت . قال عولت على أن أذهب إلى تمرناش وأقول له أن
 الفرس نازلون في جوف الوادي وأنهم آمنون من طوارق الحداثان وأذن له وجه
 النجاح إذا سمى في كبسكم وسط الليل بحيث تكونون آمنين من هذراته ووصوله
 وأخفى عليه كل ما جرى بيني وبينكم حتى إذا وافقني وجاء معي سقته وأعلمتكم فتتحنون
 عن الحيام وتتركونه إلى أن يدخل رجلاه فتقتضون عليهم وتذهبونهم ذبح الغنم . قال
 الملك أن صح ذلك أنعمت عليك موبد الانعام وأكرمتك وتكون قد وليتني حق
 خدمتك وقدمت لي برهانا كافيا وافيا لا أنساء لك أبدا . أجاب سوف ترى مني ما
 يسرك إنما أريد أن تكونوا في اليقة الآتية على أتم التأهب والاستعداد حتى أي وقت
 وصلت اليكم يمكنكم أن تفرقوا في رؤوس الوادي وتكنموا إلى أن يدخلوا الحيام على
 ظن منهم أنكم داخلها .

وبعد ذلك نزع كودك ثياب الفرس ولبس الملابس التي جاء فيها وودع الملك
 ضاراب وخرج من بين يديه وسار في طريق ملاطية حتى وصل من الجيش الروماني
 فدخل على تمرناش في آخر الليل أي عند بزوغ نور الصباح فوجده قد استيقظ من
 نومه وجلس في صيوانه وهو مرتبك الانفكار من أجله . فلما رآه فرح به وقال ما
 وراك من الأخبار . قال ورأى كل شيء ترغبه فقد سرت إلى أن وصلت وادى

الزهور وإذا بالقوم نازلون هناك يسرحون ويمرحون وقد وهبهم المناخ وسروا منه
وهولوا أن يقيموا به ثلاثة أيام رينما تزاح عساكرهم من الشعب الذي لا قوة في
سفرهم وبعد ذلك يأتون هذه الناحية على نية الحرب والقتال . وأما قوتهم فهي دون
ما كان يظن لأنهم بعدد لا يبلغ الثلاثمائة ألف فارس وأن القرية والشعب ومقاساة
الاحفار قد انتهكتهم ومزقت ثيابهم وأردمتهم في اليأس ولما رأيت ذلك خطر لي خاطر
فغضى به أمرهم بيلة واحدة وهو قد فكرت أن نسير بجيوشنا في أول هذا النهار إلى
أن نصل إلى الوادي في الليل فننتظر وقت دخولهم الخيام ونومهم ومن ثم نتحدر إليهم
ونذبح فيهم ونمنيم بيلة واحدة عن آخرهم فلا يشرق الصباح إلا وهم مبدون أي
تبيد ولا رسم لهم في تلك الناحية سوى من يقتل منهم ومن يداس بهوافر خيولكم
وتكتفون شرهم وترضون الملك الأكبر بهذا العمل ولا يحتاج الأمر لاكثر من
ذلك وربما وقفت بالملك ضاراب وبولده فيهرود شاه فتقودها إلى حضرة الملك قيصر
فالحجب هذا الرأي تمرناش وافترق مع خرطوم عليه وقال له لقد رأيت صوابا وأنى
من هذه الساعة سأبادر اليه ثم أصدر امر بركوب العساكر الرومية فركبت على ظهور
خيولهم وركب هو أيضا وإلى جانبه خرطوم الرومي كأنهما يرجان حميتان وسارت
تلك العساكر وعددهم نحو مائتي ألف فارس وفي نية تمرناش أنه سيعود فاثوامتصرا
وأنه يقضى أربه من جيوش الفرس وهو مصدق كل التصديق كلام كودك عبارة ولم
يطلق ذمته فطأن أعداءه قبضا عليه وقادوه ذليلا وبعد ذلك ادخلوه في طاعتهم وأخلص لهم
النية والود قال وداموا في مسيرهم كل ذلك النهار إلى أن وصلوا إلى قريب وادي الزهور
بعد غياب الشمس بساعة فطلب كودك من تمرناش أن يستقروا في مكانهم وقال له
يجب ياسيدي أن تعبر هنا بالرجال إلى أن اسير أمامكم إلى الفرس وأراقبهم حتى
أراهم قد دخلوا في خيامهم وناموا آتئين فتفاجئتهم وهم على تلك الحالة وبذلك
تنهون أمرهم حالا ولا يقتل من رجالا واحدا قط . قال اذهب ولا تبطل . علينا فأتنا
بانتظارك هنا وحينئذ انطلق كودك نحو جيوش الفرس وهو أسرع من البرق عند
ماعانه حتى جاء إلى معسكرهم فوجدهم عاملين على الرجوع عن الخيام إلى رموس
الأكام فلما من الملك ضاراب وقبل يديه وخبره بقدم تمرناش بالعساكر والجناد
وأنه مزع على كبس عساكره في وسط الليل . قال أنى عرفت بقدمهم من بهروز
لأنه كلن يراقب الطريق حتى تبينهم وتأكدهم وعاد إلى بخبرهم والآن ترى مزعنا
على القيام بعيدا عن الخيام من كل الجهات حتى توسطوا الوادي ودخلوا انحدروا إليهم
فرساتنا فأبلوهم بالويل والعسى .

قال وكان يهرود بعد مضي كودك ذهب إلى تلك الطريق يراقب من يقدم منها اختفاء من حادث يحد فوق الحسبان وبقي على ذلك إلى حين تبين الرايات وعلم منها بقدم تمرناش فتأكد لديه صدق حمل كودك فكر راجعا إلى الملك ضاربا وأخبره بقدم رجال الرومان وأنهم صاروا على مقربة من تلك الجهات قسم الملك جيوشه إلى ثلاثة فرق فرقة تحت إمرة ولده فيروز شاه تقيم عند العين والثانية تحت إمرة بهزاد من جهة الشمال ومن الواء انوش بنت الشاه سليم ومعها فرخوزاد وبقية الفرسان الشداد وعزم على اخلاء الخيام فوصل اليه كودك كاتقدم الكلام ولما رأى كودك يقطعهم ويحصرهم صبر نحو ساعتين إلى أن انقطعت مؤخرة العساكر من مركزها وغابت بعيدة عن جوف الوادي وقد هدا الحال وسكنت الضوضاء ولم يسمع صوت شيء قط ورجع إلى تمرناش ونادى مسرورا فرحا وقال بشارك ياسيدي فإن القوم على غاية ما يكون من الراحة ولم يحسبوا قط حساب حمل مثل حملنا حتى أنهم دخلوا خيامهم وناموا آمنين ولم يخطر لهم بخاطر أن أحدا يقرب منهم فاسرع في هذا الوقت فهذه فرصة لا يمكن أن نضيعها وإذا فرنا هذه المرة وفننا من بلادنا أنقذنا حرب طوية اشغلت فكر الملك قصر وحسب لها حسابا عظيما وكانت لاجلها الملوك والانصار وحول على عاربة الفرس وفي نيتهم أنهم أصحاب بطش واقتداره لا يبدل أن أفنيهم في هذه الليلة وأريهم أعمال رجال الرومان واتا لسانا لكن لا قرامن الفرس ان ثم انه ركب وإلى جابه خرطوم الرومي وحولها الجيوش كالجراد الزاحف إلى أن قربوا من الوادي فقال كودك يجب ياسيدي أن لا يبدى احد حرا كما خوفا من انتباههم ويقظهم فدخلوا سكونا إلى أن صاروا حول الخيام فصاحوا صياح الفرح وانعطوا عليها بهمة رحمة وتعقلوها وفي نيتهم أنهم نالوا ما تمنوا وغفروا بما طلبوا غير أنهم ما استقروا إلا القليل حتى اعدت تلك الجهات بأصوات الايرانيين وأدوت كالصواعق يسمع لها صدى قوي في الوادي وغط رجال الفرس عليهم غط البواشق وقد أشبهوا سيوفهم في ايديهم ويريروا بالسننم حتى ارتبك الرومانيون ولم يعرفوا من أي جهة الصياح وأخذتهم الرعب والخافة ولم يشعروا إلا اور رجال الفرس قد احاطوا بهم من كل مكان وفي مقدمتهم من جهة اليمين فيروز شاه ابن الملك ضاربا مفرج الكروب وآفة الحروب وسيد الفرسان و سلطان الشجعان من عرفت البسالة قدره فتقدمته . وتقرت منه وأطاعته ولما صار بين الأعداء صاح بصوته المعبود وتكنى بنفسه وأيه وادار دولا ب الحرب وجرد

بأقدامه الطعن والضرب ويبدد الأفران وأهلك الفرسان وأنزل عليهم المصائب من كل مكان وأحمى بصائرهم وجبر خواطرم وفعل مثل هذه الأعمال بهزاد الصارم اتصاليه ابن فيلوزر البهلوان وأكثر من الضرب والطعان وخرق الصدور وأرسل سيفه إلى النصور فمدد الأبطال على الرمال وكملها من الآلام بأمال .

قال وفي تلك الساعة اختلطت الفرسان بعضها البعض أى اختلاط وارتفع منها الصياح والعياط وقامت القيامة وحلت الندامة ووقع على الرومان الويل والخسران ولم يحدوا يعرفوا طريقهم من أى مكان ولا رأوا خلاصا من العناء وشرب كأس العناء فصبوا وصلوا صلاة المات واستغفروا ربهم عما جرت أيديهم من القساح مدة الحياة ولا زالت الفرش تفعل فيهم بالصارم البتار وتزيهم من جهنم شجاعتها بشبه النار حتى جاء الصباح وبان بنوره ولاح وتبين لمن بقى من الرومان طريق الحرب والفرار فأركنوا إليها وساروا على الأعقاب ورجال العرس تضرب في أعقبهم وتذل بهم الوليات وغيروز شاه يصيح وينادى وينحدر اصعد الصواعق وبين يديه بروز كانه النجم عند انعطافه وقد سار به ومن خلفهما الرجال والأبطال وقاطع الرومان عن ملاطية ومنهم من أن يركبوا فسادوا على غير طريق أى على الطريق المؤدية إلى بلادهم وقد قطعوا فرقا صغيرة وقتل منهم في ذلك الليل نحو من مائة ألف فارس ما هذا الجارح والحال اصعد الملك ضراب من المكان الذى كان مقاما به وأمر الساكر أن ترفع الحياض وتقل الاحمال وتسير على أثر ولده فيروز شاه لأنه تأكد أنهم يقبل أن يعود إلى الوادى بل سار في طريق ملاطية لئلا يقبل أن يتمكن أحد منها أو تدخل الرومان إليها والحال أفلقت جيوش الفرس وسارت في أثر فيروز شاه وفي المقدمة الملك ضراب وهو فرحان بما حل بأعدائه حتى لحق بولده وانضم السكراى بعضه البعض وساروا في تلك الأرض وكان قد نجح من الحرب تمرناش وخرطوم وهما لا يصدقان بالنجاة والخلاص من دول تلك البلية التي لم تمر عليهما مثلهما ولما بعدا عن الوادى وأما لحاق الاغادى وقها الراحة وأخذ النفس ونظرا إلى ما قى معهم من الفرسان فوجداهم دون الغليل فتأسفوا على ما حل بهم وقال خرطوم ان هذه البلية مشوذة علينا وما كنا نسعى خلفه ليرمى به أعداؤنا وقصنا نحن فيالحقيقة ان رجال الفرس أبطال صناديد متقنون لمعاملهم فلم تحف عليهم حالتنا وما نحن عليه وقد اطلعوا على دسيستنا وعرفوا باطن سرنا . قال تمرناش ان صدق ظنى بكودك العيار قد عمل معنا هذا الملعوب ورمانا بهذا المصيبة الكبرى وإلا من أين لهم أن يعرفوا ذلك ثم افتقد كودك العيار

ظلم يقف له على خبر فقال لا بد لي من القبض عليه وإذا تحققنت أنه حالف الاعداء
أنزلت عليه عذابات الله بأجمعها ثم قال لمن بقي معه من المرافق أن لا يسير إلى ملاطية
لأن الاعداء يقصدونها والاهالي غافلون علينا فتهلك أفسنا بأيد بنا فوافقه على كلامه
وساروا إلى جهة الملك فبصر لي خبره بما وقع عليهم وما حل بهم وكيف أن الفرس
أهلك أكثر من نصفهم بدسيسة كردك

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أهل ملاطية فأنهم لما عرفوا بقدوم الملك خساراب
وفروا شاه فرحوا مزبد القرح رايقنوا بالتجاح وطمعوا بخلاص أموالهم وأسلحهم
عن رجال تمرناش الذين نهبوا وأرجاع بناتهم ونسأهم اللاتي سبوا وقد نظروا
تمرناش قد سار إلى جهة وادي الزهور فأيقنوا بوقوع الحرب هناك وبأنه ينتظرون
النتيجة وهم يدعون الله إلى نصرة الفرس وقدمهم إلى المدينة وذلك تخلصا من ظلم
الرومان ونكرها بعمل تمرناش فيهم بما تقدم ذكره بوقت وفي اليوم الثاني بينما كان
الاهالي ينتظرون من أطال الاسوار إلى البر على أمل أن يروا قادمين من هناك تبينت
لهم الرايات تتحقق وتلوح عن بعد فصبروا إلى أن تأكدوا أنها رايات الملك خساراب
فهبطوا من على الاسوار وخرجوا من المدينة وناروا على جماعة الرومان فقبضوا عليهم
وخرج منهم جماعة إلى الخيام التي كان مقيم فيها تمرناش برجاله فأوثقوا من بقى هناك
للمحافظة وأقرنوا الكل إلى بعضهم وساروا إلى ملاقات الملك خساراب فوجدوه يسير
كأنه الملاك ملوء من الهبة والوقار وإلى جانبه الاسد الكاسر والبيت القادر ولده
خبروشاه فلما تحققوه نادوا له بالنصر والظفر وبكروا على حالتهم وحشوا التراب على
رؤوسهم وناحوا نواح المصاب والاحزان وشكوا له كل ما حل بهم ووقع عليهم من
ظلم الرومان قال لهم اني اعرف ذلك حق المعرفة وقد وصلتني الخبر وانما في دمشق ولذلك
أسرعت لافئذكم من تمرناش وظلته وأعيد اليكم كل ما سلب منكم قالوا ان كل ما اخذه الرومان
من مال وقماش وذهب وغيره باق الآن في الخيام لأنه لم يأخذ معه شيئا وكار في بيته أنه
يعود إلى هذه الديار ولم يحسب حساب المشلول والانكسار فوجدتهم بالخير وأن يعيدهم
أحسن مما كانوا وأن يرجع اليهم ملكهم بأقرب أن قد دعوا الهوساروا في رقابه وبين يديه
حتى جاء الخيام وشاهد كل ما هو فيها من المسلوب والمهوب ورأى أيضا كثيرات من النساء
والبنات قائمات فيها فأمر أن يوضع على الخيام حراس من أهالي إيران لينبأ بدخول المدينة
ويجمع لجنة نظر في حوائج الناس فتعيدها إلى أصحابها ثم قدم إلى جهة المدينة فدخلها
والناس يتقدمون بين يديه ويدعون له ولولده بطول العمر والبقاء حتى جاءوا إلى قصر

الاحكام فدخلوه وجلس الملك ضاراب ومن حوله رجاله وفرسانه وورد عليه أعيان المدينة ومصابوها وطلبوا اليه ان ينظر في أمرهم فوعدهم بالجميل والخير وقال لهم اني أعرف ان كل ماصار عليكم هو بسبب طاعتكم لي ولذلك لم يهن علي ان أقفاد حكمي وأترككم عرضة لظلم الظالمين ولا بد ان ارجع اليكم ما فقدتكم ففي الغد تأتون إلي ويزري طيطلوس فهو عاقل حكم يرجع اليكم ما فقدتكم كل على قدر مفقوده ثم انه قال لوزيره طيطلوس أريد منك ان تنظر إلى أمر سكان المدينة وتعيد عليهم ما ذهب منهم وتحضر كل الامتعة المسلوقة في الخيام ومن عرفت انه صاحب شيء منها فادفعها له وزده من مالنا ما يناسب مقامه فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ جماعة من الرجال إلى الخيام وحمل كل ما فيها إلى المدينة وصرف الجهد في تدبير ما هو لازم فيها وجعل يحضر كلا بمفرده فمن أثبت ماله أو ادعاه بميته وأشار إلى اجناسه بحسب وجوده وهيته دفعه له ومن تحقق انه قد له شيء. وهلك دفع له فيته من الخزينة حتى ارتفعت أصوات الدعاء من كل جهة لذلك ضاراب وشكروا الله على توبه عليهم وتمنوا ان يبقوا طول العمر تحت طاعته وهان عليهم بذل حياتهم في سبيل خدمته لما رأوا فيه من فيضان الحلم والبرقة ودفع طيطلوس أيضا الأموال والفريزة إلى كامل صاكر إيران وأمرها ان تشتري من المدينة كل ما يطلبها وان لا تأخذ شيئا بشيء ممن ولكن قصده هذا ان يجعل رجال الفرس يكسبون المدينة الأموال ويعوضون عليهم ما قد خسروا لغير فوارقتهم وحلبهم قال وبعد ان أخذ طيطلوس في إجراء ما تقدم دعا الملك ضاراب اليه كرماني شاه وقال له أريد منك ان تذهب بمائة الف فارس من فرسانك للعدد مع بلتا بهلوان تحتك وتسهر إلى انطاكية لخلاص بهمنزار قبا فاني مضطرب الفكر لأجله ومن مترجبات الانسانية ان لا تفعل عنه ولا تتركه يد الإعداد كل هذه المدة ومن الصعب ان أكون قادرا على اتخاذ أحسن صاكرى وأرجع عن العمل أو أتأخر عن الخلاص . واني اطلب اليك ان تستعمل كل الحكمة والدقة إلى خلاصه بحيث لا ترجع إلا به وهما امكنتك ان تستعمل لا تأخر قط لاننا الآن نقيم في ملاطية مدة أيام ولا بد لقيصر من ان يسير الينا العساكر بعد قليل من الايام وينتشب بيننا القتال والنزال ونصبح في حاجة إلى الرجال وخذ يرفقتك بدر فئات العيار فهو ما هو في صحتة بخدمةك بأمانة وكا انه سعى في ادخالك إلى الاسكندرية بأدراكه وتديره لا بد له من ان يدخلك إلى انطاكية بحبسك وتدابيره فأجاب كرماني شاه بالسمع والطاعة وخرج من حضرة الملك ضاراب ودعا بلتا فأمره أن يستعد إلى

الذهاب في الصباح مع بقية الفرسان والاجال . ولما كان صباح اليوم التالي ركب كرماني شاه بجماعته وودع الملك ضاراب وسار عن ملاطية بقصد مدينة انطاكية وكان يسمع انها حبيبة جدا اسوارها من امن اسوار المدن الكبرى المشهورة وابوابها من الحديد الذي يبلغ سمكه أكثر من عشرين قيراطا قطعة واحدة طولاً وعرضاً وبقى سائرا على ما تقدم إلى أن وصل انطاكية وقرب من جدرانها فانزل الجيوش في الخارج ليأخذوا لانفسهم الراحة في اليوم الاول منتظرين الغد .

فهذا ما كان معنا من سياق الملك ضاراب وما وقع له في سفره إلى أن وصل إلى ملاطية ولترجع إلى انعام ما كان حدث في انطاكية فان الأمير قطاع سجن كلبه بنيت ملك الشام كما تقدم وجعل كل مدة يرسل فيراجعها عن نفسها ويقول لها ان لا خلاص لك من هذا السجن إلا بقبولك باقتراني فان الناس أصبحت تلجج في وبك ولم يعد يمكن إلا أن أتحدث زوجة لابن الناس اني قادر على كل ما أقوله . فحجبه بالامتناع والتغور وانها مستعدة لأن تلاقى الموت الزؤام قبل ان يحضر على ذمها قط أن تزوج به أو ترى نفسها بالقرب منه فكان يفتاظ من أمرها ويكدره عملها غير أن حبه لها كان يبعث به على الأمل ويؤكد عنده أنها لا بد من أن تلين وتصفى وتسمع إلى كل ما يريد ويصمى فيه وبقيت هذه الحالة حالتها وهو باق على الأمل إلى أن جاء أبوها إلى المدينة فآرا من الشام كما تقدم معا الكلام ودخل المدينة منهزما ومعه بعض رجاله وأعيان مدينته فترحب به الأمير قطاع وظن أنه بواسطته يتزوج بها وأنزله بالقصر الذي كانت به بنته وجاء إليه ولم يرض اليوم الاول أن يفتاحه بمثل هذا الحديث بل صبر عليه وأبقى ذلك إلى وقت آخر إلا أن الأمير نصر صاحب حلب

انتهى الجزء الحادى والعشرون وسيليه الجزء الثانى والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

اجتمع به وسلم عليه ثم شرح له كل ما كان من أمر بنته مع الأمير قطاع وكيف أنه تمت كل الامتناع عن أن تقبل بقرانه فاحتاج إلى أن يدلها ويعذبها بعد أن هرب. وأعاد عليه القصة من أولها من حين دخولهم الطائفة إلى حين مجيء فاختاز مسرور من هذا العمل وندم على إرسال بنته إلى الطائفة وتأثر من سجنها وما تلاقيه من العذاب وصعد إلى اليوم الثاني فجاء إلى الأمير قطاع وسأله في أن يسلبه بنته كلفة فقال له إني أحب ذلك إنما بشرط أن تعدني بزواجها وأن تقبل في . قال اعلم أنها لم تكن أدنى منك نسبا بل هي بنت ملك فكيف ترضى بعد إذلالها وعذابها أن تتزوج من أوصل إليها الأدنى ومع كل ذلك فإني أسألك فيه وأسألك عليه فإذا قبلت به أنهيته أمر ما إليك والافلا يمكن الاعتصام في مثل هذا الباب . وانك منذ الاول لم تعاملها حق المعاملة وقد قصدت أن تقترن بها بنيا بآيها وبدون اطلاع وهي طائعة لي لا ترضى ذلك مطلقا ولا تقبل بغير ما أقبله أنا . قال إني ما فعلت الا صوابا وقد أخبرتها أن تكون عندي عزيزة كريمة وأملكها بلادي فلم تصغي إلي بل بقيت على الاصرار. وإني الآن أطلب إليك أن تذهب إلى سجنها بأمرى وأسألك في فإذا قبلت أحضرتها ورفقتها في الحال وتركت سراحمها ولا أصبر عليها يوما واحدا والافانركها أشهر أو أحواما على هذه الحالة إلى أن تلين وتصغي من نفسها وتسمى بطاعتي من تلقاء نفسها . فأخاطب كلامه هذا مسرور ابن حنيفة واحترار بما يجيبه وقد عجب من جهله وعناده وهدم مراعاته بجانبه الا أنه لم يكن قادرا على مقاومته ولذلك طلب أن يرى بنته فاجابه وبعت معه وسولايا مر السجان أن يسمح له بمواجهة بنته . ولما دخل عليها ونظر حالتها المرة تكبر عليها مزيد الكدروى بنفسه على عنقها يقبلها وهويكي ويسكب الدموع على ما لحق بها من العذاب قبلت بيده وعارضيه وبكت وسأله عن حاله فأخبرها بما كان من أمر الفرس واستبلائهم على بلاده وهربه منها فلامته على عمله وقالت له كان من الواجب أن تنقاد إلى أمرهم وتعاملهم وتبقى في بلادك ولا تلاقى هذا الذل والعذاب . قال ان بلادي لا تخرج من يدي فلا بد لي من العود إليها وقد حولت أن ابعث بكتاب إلى الملك قبصر أطلقه على كل ما جرى واحبره بأمر الأمير قطاع وفعله معك فلا بد للبلد قبصر من

أن يجره على عادتك إلى وإعادة بلادى أيضا بعد انتصاره على الفرس . قالت إنى لا أرى الرومان نصرة عليهم ولا بد من أن يقتلوا قيصر ويحولوا على بلاده ولا يبقى في وجههم من معارض إنما هذا ليس من هنا الآن إنما لهم ألاكر أن تمتع على قطاعا الحثيث القادر فهو يريد أن يرغنى على الفران به رأيا أكره ذلك غاية الاكره لأميرين خطيرين أولا لجهله وقبائحه وشروره والكثيرة وقتله أمه وأباه وإغصاب الله عليه . وثانيا لكره قلبه له وينتفضه فاقبض الموت ألف مرة من أن أرى وجهه مرة واحدة فهذا أريد منك أن لا تعده في قط ولا تفيظك حالى الآن فاقبضه أنى لا أبقي على هذه الحالة زمانا ولا بد للملك ضاراب من أن يأتى أنطاكية لخلاص فارس المسجون الذى كان عندنا وبسببه يفتق على ويركنى وبدون شك هو لا يبقى على الأمير قطاع قال إن كلا الأمرين عندى خطيرين ولم أر من الموافق إلا أن أبعث فأعلم قيصر بك وبأمرى فهو يسعى فى خلاصك ومنى تخلصت سرت بك اليه وأبقى هناك إلى حين انتهاء الحرب . قالت إنى أسلم أمرى إليه تعالى فهو يدبرنى بحكمته . ولم تقبل أن تطلع أباه على أمرها وحبا ليهنأوقبا إذ لم ترقى ذلك فائدة .

قال وبعد أن صرف أبوها نحو من نصف ساعة عندها ودعا وخرج باكي العين شاك من حالتها وكيف تقدر أن تحتمل مثل هذه الآلام والأوجاع التى يصعب على أشد الرجال حملها بعد أن كانت تنعم فى قصرها بكل أسباب التمتات ولما رجع رسول قطاع إليه سأله عما سمع من الكلام الذى وقع بين مسرور وكلبة الحكى له وأنه سمعه يقول لها أن مراده يرسل كتابا إلى الملك قيصر . فقام به الغبط وكندره مريد الكندر وصبر إلى الليل وغيطه ينمو فى صدره حتى لم يمد فى وسعه أن يكدمه بل حركه إلى الانتقام من مسرور فدعا فى الحال بعض أتباعه وقال له أريد منك أن تأخذ الآن ألف فارس وقناجى . القصر القائم فيه مسرور بن حنينة فاقبله واقتل جميع أتباعه الذين معه ولا تبق على أحد منهم فافهم من خير لنا لأن كليلة تتأمل بهم الخلاص وتزيد هتوا وعتادا فأجاب الرجل أمره وسار إلى القصر المقيم فيه مسرور فدخله بالرجال الذين معه وأخذ فى أن يذبح أعيان الشام الذين جاءوا مع مسرور وذبح مسرورا ولم يترك فى القصر نفسا حية إلا وأماتها . وبعد أن أتم أمر سيده خرج مسرورا حتى وصل إليه وأخبره بأقراض الجميع قهرح مريد القهرح وقال علمت خيرا فاق كنت أو مل بواسطة أيها زوجها وإقتناعها فكان منه أن حركها إلى البقاء على العناد قصد أن يشكو إلى قيصر قصص الله الاثنين معا

وأمر بالتشديد والحفظ على كلية وأن يظلوا لها من الطعام والماء وإن يمينوا كل
الاهانة وإن يمتنوا عنها خبر أيها وما حل به بل أمر السجن أن يقول لها إن لم
تزوج به لا يمكن أن تخرج من جهنم طابها . فكانت تكابر وتصر على قولها وبما
زاد في أصرارها عليها بأن الإيرانيين وصلوا إلى دمشق واستلموها وأنهم لا بد أن
يأتوا إلى خلاص حبيبها فتخلص بسية وواسطة وأنه لا يتركها قط دقيقة واحدة
بعد خلاصه .

وبعد أن مضى على ذلك عدة أيام وصل كرمان شاه إلى انطاكية برجال القرس
وفي نيته أن يتخذ بهمدار كما تقدم الكلام . فلما وصل إلى تلك الأرض وشاهد أن
الأبواب مغلقة والأسوار منيعة نزل برجاله إلى حول المدينة وعزم على أن يمت
بكتاب إلى الأمير قطاع يأمره بالطاعة والانقياد وإن يسلم إليه بهمدار قبا فاخذ
وكتب من كرمان شاه ابن عم الملك ضاراب ماك بلاد القرس إلى الأمير قطاع
صاحب انطاكية .

بعد ذكر الله والحمد لله له أخبرك أيها الأمير أنه بلغ سيدي وابن عمي الملك
ضاراب أن أحد هلوأى بلاده وهو بهمدار قبا الموجود في السجن عندك وقد سمعه
مسرور بن حبة صاحب الشام ليقي أمانة عندك ولذلك بعثي بمائة ألف فارس من
الفرسان الشداد رجاء أن آتية به لأنه عزيز عنده ومن خواص رجاله . فاطلب إليك
الآن بأمر الملك ضاراب أن تسلم إلى الهلوأى المذكور بعد أن تطلق سبيله وتكرمه
مزيد الأكرام . وبعد ذلك تدخل في طاعتنا وتسير من هملنا فانزل عن أسوار
مدينتك أعلام الرومان وارفع أعلام القرس وناد باسم الملك ضاراب وانشر سلطته
على بلادك فهو خير لك من الملك قبصر ولا تمنع بنفسك وتكابر قط فاق قادر على
أن ادك هذه الحصون وادخل إليك واجازيك المجازاة الصارمة والسلام ختام .

وبعد أن طوى الكتاب سلمه إلى دُر قنات وقال له أريد منك أن تأتيني
بالجواب حالا قال اتى أخبرك ياسيدي بأن خطر في ذهني خاطر لما نظرت إلى هذه
الأسوار فوجدتها منيعة جدا ولذلك أخاف أن يطول امرنا حولها فنصرف وقتنا
طويلا دون جدوى ولهذا أخبرك أنه إذا أجاب صاحب هذه المدينة بالإيجاب
رجعت إليك حالا بالجواب وإذا امتنع بقيت في المدينة إلى أن يسهل لي منها طرق
النصر أى إلى حين أتوصل إلى طريقة أقدر بها أن ادخلكم المدينة فتسلكونها وتدخلونها
والأما النتيجة من أقامتنا حول الأسوار ومهاجمتنا الاحجار فهم يملكون الأبواب
ويقون داخلها على حملهم وشغلهم ونبقى نحن أشهرا وأيام عرضة للشمس والبرد

فأرجوك إذا أبليت عليك لا يشغل بالك ولا تظن أنه لحق في سوء فاني مرع على
البقاء كما قلت لك . قال أفعل ما بدالك وفقك الله إلى ما فيه الصواب وأعادك إلى
سائلا نائلا ما تتمناه . ثم ودع بدر فئات كرمان شاه وسار لجهة المدينة وطرق الباب
وأخبر البواب أنه رسول آت بكتاب من سيده ففتح له وادخله وأقبل من ورائه فنهجا
إلى جهة قصر الأمير قطاع ودفع إليه الكتاب فأخذه وقرأه وعرف معناه وتحقق أن
الملك ضاراب لم يحضر بكل جيوشه كما كان يظن بل قسم منها ولذلك استشار رجال
ديوانه فيماذا يجب وقال لهم أن كرمان شاه يتهددني ويطلب إلى ليس فقط تسليم
الأسير بل تسليم المدينة أيضا إذ أنه يريد أن نجعلها مدينة فارسية فتدخل في طاعتهم
ونصير عبيدا لهم . وهم دون المائة ألف فارس . فقالوا له أنه كان يحظر لنا أن نسلمهم
إياه ونعمل على محاربتهم لأن المدينة حصينة جدا ولا يمكن أن يتمكنوا منها ولو
صرفوا العمر والأدمار وعدتنا من المأكل والمأون ما يكفيننا لأشهر وستين ولا نغضب
الملك بقصر وندعه يهادينا وقد يرجع لنا أنه لا بد أن يفوز على الفرس فإذا هرب
بعد فوزه بمخروجننا عن طاعته ودخلوا في يد الفرس أرسل الينا جيوشه وجاراما على
فعلنا . ولذلك نرى من المواق ان ترسل جواب كرمان شاه بالامتناع وتطلب إليه
أن يرحل من هذه البلاد وإلا لاقى منا ملاقاتة الويل والعذاب فلا يستفيد من حصارنا
شيئا فاجاب الأمير قطاع على كتاب كرمان شاه كما قالوا له وزاد من عنده بأنه تهدده
وعكى له كلاما غير لائق ثم دفع الكتاب إلى بدر فئات فأخذه ووضع في جيبيه وخرج
من ديوانه مظهرا أنه يريد المسير إلى سيده حتى تغفل في المدينة واختبأ في خزانة من
خرباتها فخرج ثيابه الطاهرة فأخفاها وكان يلبس ثوبا بخرقا وسخا ووضع على
رأسه قبا مشرما مثقب ونزع حذاءه من رجله حتى أصبح من الفقراء الشحاذين وأخذ
عصاه في يده وجعل يطوف في المدينة من جهة إلى ثانية يسأل الاحسان ويبحث عن
مكان السجن الذي فيه جهنزار وبقي بقية ذلك اليوم إلى المساء حتى هرب المكان
فأطمان باله وأخذ يكر في طريقة الدخول إليه حتى ترجع له وجه الصواب فدنا من
الباب وطرقه فخرج إليه السجناء فرمى نفسه على أفدامه وهو يقبلها ويسكن بحرارة
يخضرب على صدره ويرفع رأسه إلى السماء يدعو له بطول العمر والسعادة ويطلب
إليه أن يرحمه ويساعده فإنه يريد أن يشغل على المسجونين يسألهم الاحسان والمطاء
فلا بد من أن يحصل على ما يكفيه لقوت يوم ويومين . فقال له الرجل اني اجبتك
إلى سؤالك فأن من خوف منك انما لا تقم كثيرا في الداخل لأن الآن وقت الليل

ولا يراك أحد وإن ساقط الباب عليك من الخارج فلا تخرج إلا بأمرى وأذن
ثم أدخله وهو حزين من حاله ومتأثر من قفرة لما صدق بدر فتات أن صار داخل
السجن حتى هزل يسمى وسع السجن قد أقفل الباب فاطمان باله أيضا وقال بعد
أو أفضى غرضى لا بد له أن ينتج لى فأخرج . ثم أخذ يدور فى غرف المسجونين
ويدعو لهم بالخلاص ويسألهم العطاء فيدفعون اليه ما عندهم من كسر الخبز وغيرها
ولا زال حتى جاء إلى الغرفة التى فيها بهمنزار قبا ومياش وزير الأمير قطاع الذى
أمر بحبسه هناك فلما دخل عليهما عرف بهمنزار لدنا منه وجلس إلى جانبه وجعل
يدعو له بالخلاص وسأله الاحسان فلم يعرفه فاعطاه بعضا من الدراهم فنظر إليها
بازدراء وقال له ما هذا العطاء فهو قليل من رجل مثلك فى طبقة الملوك غير أنه يقال
عنكم أنكم بجلاء وهذا مصدق عن الفرس . فقال له ان هذا مكسوب عن الفرس
فلسنا كما زعمتم ولو أتيتنى وأنا غير محبوب وفى جيشى لما قبلت منى إلا الاحسان والعطاء
الغزير فأرجوك تطوئنى فى يدي غير ما أعطيتك . قال هذا العطاء لا يكفى فى مقابلة
اعتماى بخلاصك واخرجك من هذا السجن فضحك منه وقال له أراك فضوليا فمن
أى البلاد أنت قال أما من مصر وقد خرجت منها فى هذه الأيام مع جيوش الفرس
على أمل أن أشجذ فى الجيش فأعيش لما كنت الاتى الا خلاف ما ظننت ولا أحصل
على كسرة خبز إلا بعد التعب والجد العظيم . فلما سمع بهمنزار بذكر جيوش الفرس
انطفئ خاطره إلى معرفة ما جرى على الملك ضاراب من بعد أسره وهل هو سراح
فى خلاصه وقد طال عليه المطال فقال لبدر فتات أنى لا أصدق منك ذلك فهم يطعمون
الفقير ولا يتقاعدون عن المسكين وإن أعطيتك الآن كل ما فى وسعى أن أعطيك إنما
أريد منك أن تخبرنى بخبر جيش فارس بعد حصارهم المدينة ماذا صار بهم وأين هم
الآن . فجعل يحكى كل ما كان من البداية إلى النهاية وقال له وإنى أتعجب من قلة عقل
الملك ضاراب فإنه لأجل رجل واحد من رجاله سار إلى الشام فملكها وسار منها
إلى ملاحيه وطرده جيوش قيصرا عنها وأقام فيها ومنها أرسل كرماني شاه لخلاص رجله
فحاصروا هذه المدينة وأنا معهم وأقاموا فى خارجها . ففرح بهمنزار وكاد يطير من
الفرح وندت لديه أن قومه ساعون فى خلاصه فاهم خارج البلد . ثم قال وماذا فعل
كرماني شاه عند وصوله إلى هذه المدينة وهل بدأ بالحرب . قال انه لم يبدأ بحرب
ولكنه كتب كتابا وبه مع بدر فتات العيار إلى الأمير قطاع فاعطاه اليه وطلب منه
أن يسلمه أباك فلم يقبل فرجع بدر فتات وفى نيته أن يوصل اليك فاختفى عن الايمان

إلى بعد الغروب فخرج ثيابه وليس ثياب الشحاذين الفقراء وجاء إلى هذا السجن فاحتال على حارسه ودخل إليه .

قال فلما سمع بهمنزار كلامه تحقق أنه بدو فئات قطار فؤاده فرحا واستبشارا وجعل يقبل بدو فئات وقال له انى لم اعرفك فى الاول فاخبرنى الان على ماذا عرفت على أن ابهى داخل المدينة أسى للوقوف على منعذ لما أدخل به أصحابي للملكها بوقت قريب لاني ارى حصونها منيعة لا يمكن أن تفتح بالحصار . فقال له الوزير هياش وكان يسمع الكلام وعرف أنه قد آن وقت خلاصه أنكم لو بقيتم الدهر خلف الاسوار لما بلغت غاية من المدينة وعندى أن تسعوا أولا بالوصول إلى دهليز يتدى من قصر الامير قطاع وينتهى إلى حفرة خارج المدينة على بابها حجر يبلغ تريعه ذراعا لا يمكن أن تهتدوا إليه قط ولا يصل إليه إلا الذى يعرفه . قال من أين يمكن أن تصل إلى هذا الدهليز وفى أى مكان من قصر الامير قطاع يتدى . قال هو يتدى من غرفة منامته من قافعة تحت سريره فاذا قدرت أن تصل إلى هناك سرت إلى داخل الدهليز إلى ان تنتهى إلى بابه الخارجى قرفح الحجر وتصد منه قال انى استعين باقه على قضاء هذه المهمة ولا بد لى من أن امتدى إلى هذا الدهليز وأدخل فرسان الفرس منه ثم ودع بهمنزار قبا ووجهه بقرب الخلاص وسار إلى البواب فدعاه ليفتح له البواب فاجابه اليه وقال هل حصل مايكفيك . قال حصل ما يكفى لى ولما تلتى هذه البلية قط . وبعد أن بعد من السجن سار إلى المكان الذى كان قد ترك فيه ثيابه فاخذ منه ما احتاج اليه واخفى الباقي ونزى بزي شاب بسيط الحال طباخ وسار إلى أن وقف باب قصر الامير قطاع فاعترضه الحاجب فقال له انى أريد طباخ الامير قطاع فان لى كلاما أحب أن أقوله له . فادخله اليه فلما وصل بين يديه قال له أعلم ياسيدى انى كنت طباخ الوليد حاكم مصر قبل أن تملك الفرس المنتصبون ببلاده فلما نزحوه عنها تركت المطبخ وسرت من مكان إلى مكان إلى أن قادتنى الصدق إلى هذه الناحية فطقت المدينة فلم يتيسر لى مكانا يوافقنى اخدم فيه إلى أن مدح لى بعض الحسينين منك وقال لى اذهب الى وكيل مطبخ الامير قطاع فانه فى حاجة الى خادم لما تدة الطعام فسمعت مبرولا لى رجاء أن تساعدنى وتقبلى ولست أريد منك شيئا الا أن تطعمنى عما يلقى من فضلات الطعام وفى كل سنة تشتري لى ثوبا من الخام الأزرق وحذاء من الجلد الأحمر وضرب هذا لا أريد منك شيئا فأرحنى ومتى شاهدت عملى وخدمتى تسر جدا . وكان اسم الرجل طارف وهو من أمناء الامير قطاع وكان فى حاجة

إلى خادم الطعام فقال له إني قبلتك في خدمتي وأنتك تقم في هذا القصر دائماً وتنام في المطبخ لأنى صاحب بيت وأحب أن أنام عندى بالى فإذا خرجت ما هرا وأحب طعامك الأمير جعلته أن يقبلك مكانى لأنى مزعم أن أترك هذه الخدمة كونى أسببت مسنا . قال جواك الله عنى خيرا وإنى أخدمك بكل جهدى وأخدم الأمير خدمة ترضيه ليعلم أنك نظرت فى أمر مصلحتى موضع النظر .

ثم أن طاردا بعد أن أدخله إلى غرفة الطعام أطلعه على كل شىء ودله على خبائىء المطبخ ورواياه ودربه على الحوائج اللازم له معرفتها والطرق الواجب عليه اتخاذها فى خدمته هذه . وأقام فى منتهى هذه يجرها بكل مهنة ونشاط وعيانة فأتته الحد سحر منه طارف وصار يتكل عليه فى كل الأعمال وكذلك الأمير قطاع فانه شاعده منتهى بامته وذكاء ونشاطا فأحب أن يقدم له الطعام دائماً على يده وقد أعجبه جدا ولم يحط له قط أن هذا بدر فئات .

وبعد أن مضى عليه خمسة أيام وهو على تلك الحالة لام نفسه وقال الى متى هذا التماهل والتخاضى وقوى قاتمون فى الخارج بانتظارى فلا بد من قضاء مصلحتى فى هذه الليلة وصبر الى أن كان الليل . ومن حادة الأمير قطاع أن يجمع عنده فى كل ليلة بعضا من جماعة المتهنق معهم على الفسق والسكر فيخمرهم ويأتون بالنساء ويصرفون الليل على حسب مشتاهم وذوقهم فى تلك الليلة اجتمع فى القصر بعض الذين ذكروا فقدم لهم بدر فئات مائدة الطعام وصبر عليهم الى آخر الليل بحيث يكون قد نام كل خدام القصر وأخذ قطاع وجهته يهرجون ويسكرون ويغنون وما منهم من يضى على نفسه الى أن كان آخر الليل نعم طارف فطلب الذهاب الى بيته وقال لبدر فئات انى ذاهب لأنام فأتته لفلسك وقد هيئت مائدة الحلوى وكل ما يلزم منها فأتى دعاها الأمير قطاع أسرع أنت وقدم المائدة وصف الصحون وربتها كالعادة قال كن براحة طانى أحرف ما هو مطلوب منى وفى الند ترى ما يسرك . فتركه وذهب فأقام بعد ذهابه قليلا فى غرفة الطعام يهيم شغله وقد وضع البنج فى الحلوى وزاد منه .

ولم يكن الا القليل حتى دعاه قطاع وسأله تقديم مائدة الحلوى فاجابه وقدمها له لرفاقه فتقدموا بالكلون وهم من السكر فى تيهان لا يبي أحد من على الآخر وما فرغوا من م حتى رمتهم الى الارض مفاعيل البنج وغابوا عن هدام وكان بدر فئات يراقبهم فلما شاهد منهم ذلك فرح غاية الفرح وأسرع الى سرير الأمير قطاع فرمى فوجد داخله باب الدملين بحسب مائدة عليه الوزير هياش فثبت عنده التناجح ونوال مراده فأخذ يده مصباحا ونزل الدملين وسار فيه الى أن انتهى الى آخره فوجد بابا من الاخير

حسدردا في حجر فسحبها الى الداخل فقصع الخلا فخرج اليه وفرح غاية الفرح ثم
 نظر الى ما حوله فلم ير بدا من وضع المصباح في باب الدخيل خوفا من أن يضيئه
 فلا يعود يندى اليه و نطلق حتى وصل الى الجيش فاعتزله الحارس فمره بنفسه
 ودخل الى أن وصل الى صيران كرمان شاه فاقطعه من نومه وحكى له ما توقع له من
 أمر المدخل وقال له أريد منك أن تبث معي من يدخل الدخيل فيقتل الامير قطاع
 ونسير الى الابواب ففتحها وتملك المدينة قبل وصول النهار . قال خذ معك خمسين
 فارسا ومنهم بلتا بن فيازور وأنا انتظرك عند الابواب فاذا فتحتموها دخلت بكل
 المسكر ثم دعا بلتا وبقية الفرسان وأمرهم ان يلحقوا بدرقات فاختدوا اسلحتهم
 وعددهم وساروا الى ان وصلوا الى المدخل فدخلوه وساروا منه الى قصر الامير قطاع
 فدخلوا عليه فوجدوه على حاله مع رفاهة فتركوهم وخرجوا من القصر بعد ان فعلوا
 بابه واخذوا تاحه بدرقات وسار امامهم الى ان وصل الباب الكبير فبهج بلتا
 وجماعته على الحراس فقتلوهم وفتحوا الباب واذا بكرمان شاه قد اندفع اندفاع الماء
 من فوه الانابيب ودخل برجاله المدينة وكان قد بين نور الصباح فاسرعوا الى الاسوار
 وهجموا على الساكر واحملوا فيهم الطعن والضرب وانتشب القتال فيما بينهم وكان
 بدرقات قد عاد مسرعا الى القصر فدخل اليه ورشد الامير قطاع وجماعته بالحبال
 وتركهم فيه واقل عليهم وعاد اسرع من السهم عد انطلاقه حتى وصل الى السجن
 ويده خنجره فصاح في السجن فخرج اليه قبض عليه وقال له ابعد عن الباب
 والا اعدمتك الحياة فقد دخلنا المدينة وتملكناها لاجل خلاص همنزار قبا وكان
 السجنان قد سمع اصوات المتقاتلين وعرف من ارتباك الاحالي ان الاعداء دخلوا
 البلد فلم ير بدا من التسليم فقال لبدرقات اني لا امانع في شيء فخرج اسيركم وخذه
 فدخل بدرقات السجن وتقدم من همنزار وعلمته بالخلاص والنجاة واخذ المبرد
 فقطع قيوده وقبضه الوزير هياش وخرج بهما من السجن واندفع المحاييس من
 وراءهم يسعون الى القرار دون عائق ولا حاجز . قال ولما تخلص همنزار قبا
 فرج غاية الفرح فتناول سلاحا من بعض الفرسان وكر الى مساعدة المتقاتلين
 عند الاسوار مناض المركة وهو بقلب اشد من الصوان وقد اشفي قلبه من الاعداء
 ولم يتمال النهار جيدا الا وتملكوا الاسوار واطاعهم كل من في المدينة لانهم كانوا
 يطلبون التخلص من ظلم الامير قطاع وسأل همنزار عن مكان كيلة فدله عليه
 فاسرع وهو كالاسد الوائر حتى دخل الى سجنها فوجدما على تلك الحالة وكانت في
 بأس وكدر وقد ذبلت وتغير بجالها واصفر وجهها ولحق بها من معاملة السجنان لها

بكل أنواع العذاب التحول والاضمار فلما شاهدها كاد يرمى عليه ويسدان قتل الحارس تقدم منها وعرفها بنفسه وبشرها بالخلاص واثنان عصا كرا الاجام ففرحت غاية الفرح وثبت عندهما الفرج وتقدمت من بهمنزار قبلته وشكرته على اهتمامه وحكت له كل ما كان من أمر الأمير قطاع ومعاملة لها بالقساوة والعذاب فتكدر منه وقال لا بدل من ان اقتله يدي ثم جاء إلى القصر الذي كانت به قبلا فأدخلها اليه وأمرها ان تغير ملابسها وتغسل جسدها من الاقدار وعاد عنها بعد ان اقبل عليها الباب ورجع إلى قصر الاحكام فوجد كرمان شاه قد دخله وجلس فيه وحوله الرجال والابطال والعساكر الفارسية عجيطة به من كل جانب فتقدم منه وسلم عليه وسأله عن الملك ضاراب حكى له حاله واهتمامه به فشكر معروفه وجلس إلى جانبه ثم ان كرمان شاه بعث المنادين ينادون في المدينة ان يخرج كل إلى عمله فامن خوف على المدينة وان لا أحد من العسكر يتعرض لأحد من الأهل ومن عليه من أحد يكدره جازاء بالقتل فامن رجال المدينة وخرجوا إلى الأسواق ودارت الأعمال والاشغال كالعادة .

وبعد ذلك أحضر كرمان شاه الأمير قطاع بين يديه وقال يا هذا الصبيان والتكبر لا نعلم ان في وسعنا التسلط عليك وقتلك قال اني كنت اجهل قدرتك وكنت أغافل ان يضرب على قيصر وأما الآن لحيت قد ملكتم البلاد بالرغم عني فان ممنور فها أنا بين أيديكم وذني لا يستوجب القتل فعهد كرمان شاه إلى اطلاقه والعفو عنه فاعترض عليه بهمنزار قبا وقال له لا تفعل يا سيدي فان لي دعوى عليه استحق لأجلها القتل والعذاب قال وما هي دعواك قال سوف تراها وتسمعها ثم انه سار إلى كلية فأحضرها وكانت قد لبست الملابس الفاخرة وتطيبت وتزيفت حتى رجع اليها بعض روثها وكان فرحها عظيما جدا حيث ثنت لديها ان القرس تملكوا البلاد وصارت يدهم وانها منذ تلك الساعة تكون مع حبيبها فلا تفارقه وقد تملك نفسه وعادت إلى حريته ولما جاء اليها بهمنزار أخذها إلى مجلس كرمان شاه وقال له اعلم يا سيدي ان هذه صاحبة الدعوى وهي التي تطلب قتل الأمير قطاع وهذه هي كلية بنت مسرور بن عتبة صاحب النمام فتعجب كرمان شاه من حسنها وجمالها وسألها عن قصتها لحكت له كل ما توقع لها من البداية مع بهمنزار وكيف عاهدته ان تكون زوجة له حلالا وكيف ان اباها سمعها التقيم في انطاكية تأمينا عليها من سطوة القرس وكيف ان الأمير قطاع قتل اباها وأمه وأهلها وكيف عاملها بعد ذلك بالعذاب وقد حافظت على نفسها كل المحافظة واحتملت منه الاهانة

بعد أن هربت واخضت عند المعجزة أم عاجل وأن ابنها أخذ منها المقد وباعه أيضا
وكانت تتكلم بهمنزار بتعرق وكرمان شاه يتعجب من مودتها ورضتها وعافيتها على
نفسها وكرامتها ونباتها . وبعد أن انتهت من شرح قصتها لم يقدر الأمير قطاع أن يجيب
عليها بشئ . وفي الحال قال بهمنزار لكرمان شاه أهل لا يستحق القتل لأجل كل هذه
الاحمال . قال لا ريب أنه خبيث مرتكب قتل أباه وأمه لأجل شهوته وقتل كثيرين
ومراذه يتعدى على بنات الملوك وإنى أحكم بقتله . فلما سمع بهمنزار هذا الكلام
قبض على الأمير قطاع وضربه بسيفه القاه إلى الأرض قطعين وأمر بدفنت أن يرفعه
إلى الخارج ثم سأل كرممان شاه أن يصبر له عاجل بن المعجزة ليست من أحضره فلما
حضر كان سكرانا غييرا وعاد على نفسه فتقدم منه بهمنزار وفعل به ما فعل بالأمير قطاع
حتى اشتفى قلب كليله وتهدأت من الفرح وسرت بعمل حبيبا وأيقنت بدوام الهناء بعد
ذاك العناء وكانت قد انبهرت من جمال كرممان شاه وتعجبت كثيرا وقالت في نفسها
إنى كنت أظن أن حبيبى هو أجل وجل فى الدنيا حتى رأيت له قرينا فلا ريب أن رجال
الفرس أعطوا الجبال كما أعطوا الشجاعة والاقبال . ثم طلبت الخروج من المجلس
فسار بها بهمنزار إلى القصر ودخل بها وجعل يشكو لها ما لاقى من أهلها وتشكو له
ما لاقى واحضر الطعام فأكلت واكل معها وصرفا الوقت على احب ما يكون من
موجبات الحب والفرام . وبعد ذلك سارا إلى غرفة المدام فأحضرا ما يحتاجان إليه
منه وجلسا يتماطيان الكؤوس على الصفاء والهناء وقد تذكروا أيام كانا بصرفاتها فى
دمشق على مثل هذه الحالة فى الروضة فهاجت من بهمنزار الذكرى وحسب نفسه سعيدا
بما لاقى بعد العذاب قائلة :

بسمت فأذرت باللالى	ورنت بالحفاظ الغزال
وتقلدت بكواكب الجو	راء فى فلك الجبال
وأنت تميمى بقامة	خضعت لها السمر العوالى
هيفاء لم يشن معا	طعها سوى خمر الدلال
فتاة تسمر النها	لطفها وتندى بالشمال
قد كملت تلك العبر	ن النجل بالسحر الحلال
يا خل صبرى قد عفا	وربوعه امتت خوالى
قسما بطلعتها التى	ابدا تهمل عن المثال
وجلفها ذاك الذى	يرمى التميم بالنال
وبعجم يفتى عن	كثر الجواهر واللالى

وبطيب أيامي التي ولت كطيف في الخيال
وبصدق ود في الهوى لم يثقه جور الليل
ما أسفرت إلا وما د البدر في شكل الهلال

ثم شرب مهتزا من الطرب ولعلت هي كفعله وقالت له أني وإن كنت لا أنسى
تلك الأيام التي سلعت لنا في روضتي والهناء الذي صرفناه إنما لا أفيستك بساعة من
ساعاتنا هذه لأن ذاك الوقت كان مشوبا بالخوف فكانت لا أرتاح من جهتك وأخاف
من جهة أبي وأما الآن فلم يعد من مانع يحول دون اجتماعنا وقد ملكت أنت نفسك
وخرجت من سجنك وصرت المالك والقاضي ولهذا أرى نفسي سعيدة جدا وإني لا
أفارقك حتى الموت وسنصرف الوقت على الهناء مع بعضنا ويكون جنبك لجنبني دائما
لما نحن إلا أحرار . ثم أخذت كأسا وأندبت فرحة

كوكب السعد بالنجاح أثار	وجلى عن صدورنا الأكدارا
ردد الطرف في وجوه تراها	حسنت تكسر الأوزارا
وغصون تسقى بماء نعيم	قد أرتنا الشمس والاقمارا
وعلى الدوح للنسيم أباد	عن غصون تفكك الأزرارا
تجلى عرائسا وعليها	من جيوب النعام تلقى تارا
وترى الروض في شباب وحسن	جعل الثور برده المطارا
فجحات للتدليب تنادى	هاجعات الهوى بالدار البدارا
فتفتق من الريا قنجات	مهديات ما يدمش العطارا

وشربت عند إنشادها وملأت كأسا أخرى وناولته وأندبت

يا لحف نفسي على دهر مضى وأنا	فيه بنار غرامي عدت محترقا
أشكو وأشكر خوف اليوم ما صنعت	يداء لي وغراب البين قد نعقا
أذهبت همري لموا في هوى رشاء	حلوا الشياثل منه المسك قد عبقا
يا عازلي في هواه لو رديت به	لكنت لي عاذرا فيما ترى شفقا
مذهب الخد في أحداقه ذنج	لي مذهب بالتجري في هواه رقا
سارمته الوصل قال البعد من شيعي	خذ في السبا سلما أو فاتخذ نفقا
حتى إذا كاد يثى السكر معطقه	وخيل أفراده قد أرسلت طلقا
سرفت في الحال وصلا عند غفلة	والطف الوصل في الأيام ماسرقا

ونشر الهناء رواقه فوقهما وأخذتهما دواعي المرة تحت حمايته فلم يعد الملك
الأكدار عليهما من سيل ولا لجيش المصائب اليهما من وصول وقد صرفا الوقت

وما بعده كئيبين حقيقين عظمين الود . وأخذ أيضا كرماني شاه قهرا خاصا بنفسه أقام فيه مدة عشرة أيام أي مدة اقامته وفي أثناء هذه المدة أصدر برنامته الاحكام إلى الوزير هياش فألبسه الوسام الفارسي وقال له انك منذ الآن الحاكم على هذه المدينة بدلا من الأمير قطاع الذي تقي شره وبما انك أمين وطائع وضدك من العقل والحكمة ما لا يوجد عند غيرك لالزوم لأن أوصيك باجراء الحلم والعدل والمساواة بين الرعية انما اطلب اليك ان تبعث في كل عام الأموال المضروبة الى الملك ضاربا بقدر ما يمكن ان تحمل هذه المدينة واذا اجتمعتم الى مدافعة أو فاجتكم صدور فاجتروا اليه برسل فهو يفرج عنكم كل ما يقع عليكم وأكرر طلبي بأن تبقى على اسواركم الاعلام الفارسية بحيث تبقون تحت حمايتنا فلا يجسر أحد على الدنو منكم بسوء فاجابه الوزير الى كل ما طلب ووعده بالطاعة والاقبياد الدائم وبعد مضي عشرة ايام راقبت الاحوال وتعدت أمور المدينة ولم يعد من مانع يمنع الايرانيين عن السفر فودعوا هياش الحاكم وركبوا راجعين على الطريق الذي جاءوا منه وهم تحت ألوية النصر والظفر وفي مقدمتهم كرماني شاه والى جانبه يلثا وهو كالمهر الحردان وعلى جانبه الآخر بهمنزار قبا وهو فوق الجواد قائمه طود من الاعواد وقد اركبوا كلبة بنت ملك الشام على هودج مخصوص وهي سائرة الى جانب محبوبها تراه وبراهما من عن ناقتهما وداموا على مسيرهم نحو ثلاثة أيام يسرون في النهار أو يرتاحون في الليل وفي اليوم الرابع دخلوا ارضنا راسعة فسيحة عملاء من الغدران والاحراش والادغال غطرت لهم ان ينزلوا في تلك الارض ابرتا حوايرتا يرتاحون وياكلون الطعام ويعودون الى المسير ولذلك حولوا عن خيولهم وفرقوا في تلك السهول وجلس كل الى الغذاء فتقدموا وسقوا خيولهم واقام بهمنزار مع كلبة وارتاحت واكلت وقامت تتمشى فتصمها بهمنزار رافقها اينما قصدت حتى رأت في اطراف المسكر بر عميقة خيفة الباب فمدت رأسها منه فلم تر اسله بل رأت اسودا مقبلا لا بيان له قرار . فلاح لها ان ترى حجرا فيه واخذت حصة صغيرة وقذفها إلى قعر البئر فما لبثت ان افلتت الحصاة من يدها حتى نظرت إلى دخان كثيف تصاعد بسرعة منها فارتاحت ودولت ان ترجع إلى الوراء فلم تقدر لانها نظرت بأسرع من لمح البصر إلى يد قوية مدت من وسط الدخان المتكاثف فتقضت عليها وانتشلتها من على الارض وغارت بها في اعماق البئر فصاحت واستجارت بيهمنزار فاحذف ليخلصها الا انها غابت عن احصائه ولم يرها فاخذ يصفق يديه كالمنجنون فاسرعت الفرسان حل نداءه وقد شاهدوا كلبة سقطت إلى البئر فنظروا اليها فرأوها غير حية وفي اسفلها

حجارة وحصى وأتربة ونحوها وليس فيها شيء آخر فانذهلوا ونزلوا البئر ونزل
بهمنزار وقتل فلم ير سوى جذران البئر وهي من الصخر وليس من انس ولا من
جان داخلها فزادت عليه الأكدار وجعل يلطم خدوده وبعض على بنوده ويتحسر
كيف غابت عنه وانخطفت منه وهولا يقدر أن يخلصها من خطفها . فأخرجه كرماني
شاه إلى الخارج وقد حزن على حاله وقال له غياب كليله لم يكن بارادتها ولا بد من
أن يكون أمر خفي أعد لها ولا يقدر أن تعرف بهالم القيب ولا أعلن إلا أن هذه
البئر يسكنها جماعة من الجان ولا قدرة لنا على عارثهم واختصابها منهم فمن الموافق
أن نرحل إلى الملك ضاراب ونعرض أمر كليله عليه وعلى طبطلوس الحكيم فلا بد
أنهما يرشدانا إلى ما به الصواب . فإذا كان الذي اختطفها من جماعة الجارجاه فيرور
شاه بالسيف الذي أحضره من الاسكندرية المعد لقتل الجان ويخلصها لك . فبكى
بهمنزار قبا البكاء الغزير وقال دعني يا سيدي وحدي هنا وسر لرجلاي لا تطاوعني
على المشي في أرض اختفت بها خطيئتي وأخاف إذا ثبت أنا من هذه الديار أعادها
الذي أخذها إلى الأرض فصيح وحيدة فريدة لا مؤس ولا مساعد فتصوت لالعالة
قال لا يمكن أن أتركك لأن ما أتيت إلا لأجلك فكيف أبقيك وأسرع ذلك
فاني أكرامك أني هنا ثلاثة أيام فإذا حضرت أخذناها وسرنا وإذا لم تحضر ولم يعد
الذي أخذها لا سبيل إلى العودة بعد قطع الأمل منها وننتظر الفرص المؤدية إلى
خلاصها من طريق آخر لا مله الآن فانكل على الله واطلب إليه أن يساعدك ويرجسها إليك
فلما سمع كلامه جعل يبكي ويصل إلى توالي بقلب مقروح ومحروق ويرجو منه
المساعدة والأغاثة . وأقاموا في تلك الأرض ثلاثة أيام وبهمنزار لا يفارق باب
البئر ظنا منه أنها تصاد أو يسمع لها صوت أو حركة فلم يظهر له شيء من ذلك ولا
يرى بالبئر سوى الحجارة والأتربة وزاد به الشوق وعظم عليه الكدر واحتار في
أمره ماذا يفعل فجاء إليه كرماني شاه وقال له أريد منك أن تترك الآن فلم يعد في
وسمنا التأخير ألا نعلم أن الملك ضاراب على مقال الجرم من أجلنا وهو يخاف أن
يلحق بنا أذى فإذا أبطأنا القينساة في حفرة اليأس والاضطراب فاذهب بنا إلى
طبطلوس فهو يعرف ويظهر من رمله أين راحت ومن الذي أخذها . فالتفاد
بهمنزار قبا عند سماعه هذا الكلام وقال نفسه لقد صدق كرماني شاه فاما من وسيلة
هنا للوقوف على أخبارها ومن الموافق أن أسى في إيجاد الطرق القائدة إلى الاستحصال
عليها ولا بد من أن يساعدني سيدي فيرور شاه ثم أنه نهض فركب جواده وهو

منكر القلب والخطر حين الغاية وسارت العساكر من تلك الأرض وهو في آخرها
يسير وجناة تعظم بها أملا أن يوقع نظره
عليها فيرجع إلى خا
جدا وأسودت له
حتى قابو املاطية فبعثوا بالأجبار إلى الملك ضاراب بفوزهم وامتلاكهم المدينة وخلص
بهمنزار ففرح جدا وبعث مصفر شاه ووزيره دوش الراي أن يخرجوا مع من يريد من
الفرسان للملاقة القادمين فخرج جمع ضغير من سائر الجيوش وسار جيش بهمنزار
الخاص ومعه وعدده ثلاثون الفا وبنى سائرا إلى أن التقى القادم بالحارج فرجلوا
وسلوا على بعضهم البعض وهم فرسون كل الفرج وسلم الجميع على بهمنزار وهناك
بالسلامة وهو عابس فاطب غير مسرور من هذه الملاقاة متسكدر من غياب محبته
وقد كان يبنى أن تكون حاضرة فرى عظيم اعتباره واعتبارها عند قومه وتشاهد
عظمة رجال القرس وعادوا جميعا راجعين إلى حضرة الملك ضاراب حتى وصلوا إليه
ودخلوا عليه فترحب بهم وهام بالسلامة والنصر وشكر كرمان شاه واهتمامه ومدح
من يلثا غاية المدح على بسالته وإقدامه وحكي له كرمان شاه عما فعله بدر فقات من
تسبيل دخولهم إلى المدينة مع أن أسوارها أعظم من أسوار الاسكندرية لا يقدر على
هدمها وخرقها أحد وهي تكاد تكون قطعة واحدة وأبوابها من الحديد السميك
فلما سمع الملك ضاراب وفروز شاه وبقيّة الفرسان صدق خدمة بدر فقات
سروا منه وعجبوا من قننه في مهت وأراد فيروز شاه أن لا يضيع له تعباً على مثل
هذه الخدمة فقال له لقد فعلت حسناً يا بدر فقات واشتريت دم رجالنا مسبك
واجتهادك وقد أدخلتهم قبل الآن الاسكندرية ودفعت عنهم ثقل عظيمة والآن قد
أدخلتهم انطاكية وملكتهم إياها ولعلنا لا أرغب لا أنا ولا أبي أن نحرملك من
المكافأة ثم دفع إليه عشرة آلاف دينار ومثل ذلك الملك ضاراب وقال له هذا مكافأة
لنضلك وسبك بالجد والامانة وإني أمر كلا من فرسائي أيضا أن ينعم عليك بما
يروق في عيّه. وكان جميع الحاضرين مسجيين من عمله مسرورين منه يحبون أن
يكاثروه عليه قنوة لغیره من العيارين الذين دخلوا في خدمتهم مع أنهم كانوا من
الأعداء ليسعوا ويحتشدوا مثله فأفرغ عليه كل من إنعامه على قدره حتى أصبح بدر
ذات من أكبر أخصياء ذلك الزمان بقال الملوك بكثرة ماله وتقدم في الأخير بهروز
كبير عياري إيران وشد وسط بدر فقات بخناق عريض مزركش بالحرير المنسوج
ومرصع ببعض حجارة كريمة عند ربطه وبصدريه خضراء مصفحة بالذهب من

كل صدرها مشبكاً بالحرب من ظهرها وأصلها خنجراً مرصعاً بالحجارة الكريمة وقال
 أنى بأمر سيدى فيروز شاه أرفعه إلى رتبة أستاذ فى هذا الفن كسيدة طارق فهو مثله
 فى النشاط والخدمة . فسر بدر فئات مزيد السرور ورأى نفسه غنياً وصار فى الدرجة
 الأولى بين حيارى إيران ولم يعد أعلى منه درجة ورتبة إلا بهرود عيار فيروز شاه لأنه
 سيدهم وأميرهم ومجربون إلى طاعته إذ لا بد لهم من رئيس وأقدرهم قوة وأشدهم قلباً
 كون أباه كان غولاً . وأقام الملك خسرواب بعد ذلك بتهى . للسير إلى عاصمة قيصر
 لمحاربة الرومان لأنه كان هناك بانتظار كرمات شاه وعودته من انطاكية . وبعد أن
 نبأ وعم له كل شئ . ركب وسار يقصد الملك قيصر ومن خلفه الجيوش والفرسان وكان
 لما كسر الملك خسرواب تمر تاش وجاء ملاطيه واستولى على الخيام والمزق وكل ما هناك
 كما تقدم الكلام وجد فى صيوان تمر تاش صنية رومانية ذات حسن باهر وجمال فائق
 فسالوها عن نفسها فقالت انى خلية تمر تاش فالقاهما عنده فلما سافر من ملاطيه أحضرها
 معه كاسيرة كيدا لصدى بها بهلوان الرومان غير أنه لم يكن محجور عليها كل الحجر ولا مقيدة
 بل كان يحرسها ويخدمها فارس واحد وكله بها الملك خسرواب وكان اسمها انس الصفا
 قال فهذا ما كان من الملك خسرواب وأما الملك قيصر فانه لما وصل اليه تمر تاش
 مهزوماً من أمام الفرس وليس وراءه من الفرسان إلا القليل كاد ينفى عليه ودخل
 قصره وفى عدة أيام كالمجنون لأنه تكدر مزيد الكدر وثبت عنده نوحاى الايرانيين
 لأنهم أخذوا مقدمة النجاح وبعد ذلك دخل عليه والده وتمر تاش ووزيره يداخل
 وقال له تمر تاش ان نصر الايرانيين كان بالحيلة والخذاع والمكر ولم يلق صكرنا
 وعسكرهم دفعة واحدة وجهاً لوجه بل كان ذلك فى الليل يوماً منا من يعرف رفيقه
 ولا عدوه من صديقه وقد وضعونا فى الوسط واحتاطوا بنا من كل جهة ولو لم نكن
 من الأشداء لما خلص منا ولا فارس ولا يجب أن تتقاعد عنهم وتتركهم يمشون فى
 بلادنا ويدمر متنا ونحن فى غفلة عنهم . قال أنى مكدر من ضياع رجالى يوم واحد
 وانى أعرف انى فى النهاية لا بد أن أهور عليهم إنما لا أحب أن أخسر رجالاً من
 رجالى وهكذا مقدار قال تمر تاش اتنا تفوز عليهم إذا حاولناهم فى القتال وطاولناهم
 وانى تؤكد أن لا فارس فيهم يلقى فى الميدان ولذلك سأحصر القتال فى فأباردهم
 وأصطادهم واحداً بعد واحد إلى أن أسحب فرسانهم بأجمعهم ثم نهجم على بقية العسكر
 فنبددهم عن آخرهم . فسر هذا الكلام الملك قيصر وقال انى بعثت بالرسول إلى الساساكر
 لنحضرنى إلى معرفتى وعليه فاقى أحب المطاوله إذا قصد الفرس التقدم إلى بلادنا

والمجوم طينا ولذلك أرغب أن نبعثوا بالعيارين والأرصاد حتى إذا رأوهم قد خرجوا من ملاطية وجادوا نحونا يأتون إلينا يخبرهم فلنستعد لهم ولنلقيهم بعيدا عن بلادنا أى في نصف الطريق . وخرج الملك قيسر إلى دياره وأخذ في عمله وتبينة الصاكر وتذخير الذخائر والمؤن وتعدد العدد حتى كانت المدينة في قيام وقعود

ودامت الحال على هذا المتوال مدة أيام وقد وضعت العيون والأرصاد على ملاطية يراقبون جيوش الفرس وحركاتهم وينتظرون خروجهم منها وكانت عين الحياة كل هذه المدة قائمة في القلعة على حالتها من الكدور والغم وليس لديها سوى امرأة لسيف الدولة وفى وقت الطعام يحضر اليهما محولا على الموائد كلان إلى أن تكسبا قترنغ الموائد وتبقيان على حالتهما وفى كل يوم يحضر اليهما الأمير فهدحاهم القلعة ويسأل عن الحياة عن احتياجها وما ترغب فيه وإذا كان لها من غرض فتخبره عنه وكانت في أكثر الأيام تسأله إذا كان عرف أن الحرب قد انتشبت بين الفرس والرومان نجيبا بما يعرف إلى أن كان ذات يوم جاء إليها وسألها عن احتياجها كالعادة فقالت له لا أريد شيئا سوى أنى أحب أن أنخلص من هذا الحبس ولذلك أريد أن أعرف إذا كان الفرس وصلوا هذه البلاد أم لا لأنى مؤكدة أنى لا أخرج من هذه القلعة إلا بعد نهاية الحرب وباجلاء الفرس عن هذه البلاد وكانت ترهب في أن تصير مركنا اليها ولا يظن أنها مبالاة الفرس فقال لها إن كامل احتياجنا تصل إلينا فى الأسبوع مرة من المدينة ولا سيما فى هذه الأيام فإن انبوش ابن ملكنا يبعث إلى دائما بالأخبار والهدايا للصربوسينى بمداراتك وقد عرفت عن جاء من قبله بالأمس أن العرس جاموا بلادنا وقرّبوا منها وطردوا تمرناش من ملاطية بعد أن كسروه شر كسرة حتى تكدر ملكنا من علمهم ولازم القصر منفردا مدة أيام . فلما سمعت عين الحياة هذا الكلام امتلأت الدنيا فى عينها سرورا وأوصب قلبها فرحا ونبت عندها قرب خلاصها من الحبس واستشفقت رائحة الحبيب بالقرب منها . وقالت للأمير فهد أنى أريد منك أن تستخبر لى دائما عن يأتى إليك من المدينة عن أحوال المتحاربين وما يكون من أمرهم وعن الفاتر ومن المتأخر منهم وتقصّل ما يقع دائما وإنى لا أنسى لك هذا المعروف وسأ كافئك عليه عندما أكون قادرة على مكافأتك أى بعد نهاية هذه الحرب فوعدها بكل جميل وسارضا وهو يعد نفسه بالخير منها ويقول فى نفسه لابد من أنها تقدرج بملكنا وابن ملكنا الأمير انبوش فإذا كانت مسرورة من رفعت رتبتي وطلبت من زوجها أن يستودرنى أن يقبضى حاكافى إحدى جهات المملكة ولا بد من أن يذل الجهد فى خدمتها وعمل كل ما يرضيها

ولذلك صار يتردد اليها أكثر من اللازم وقد طلعت اليه أن يترك سيف الدولة لمراحمته
زوجته وأن لا يريد في التصديق عليه . وقالت له اني اطلب اليك ذلك إكراما لزوجته
لأنها تسليني في وحدتي ولولاها لمت من الوحدة والافتراق فقال لها إكراما لحاظرك
سامع الحافظة عنه ومن الأمير فهو لا أترك احدا يترحمها لاني أمين من خروجهما
كون القلعة حصينة الأبواب فلا يتمكنان من الخروج قط . وصار سيف الدولة يطلق
السراح من ذلك الحين يدخل ويخرج على عين الحياة وزوجته دون عمام ولا حاجر
وقد عرف من عين الحياة بوصول الملك ضاراب إلى ملاطية وطرد تمرناش منها
ولما قاتل فيها قرح غابة الفرح وقال لها لا بد من استيلاء الملك ضاراب على كل بلاد
قيصر ونشر أعلامه عليها بسيف ولله السيف فيروز شاه ولذلك صار من المؤكد خلاصنا
من هذه القلعة قريب من الايام فلانك أن نصير أحرار أو نملك بالاعداء كما نملك
بنا وحجروا علينا

مضت كل هذه المدة وانبوش ابن الملك قيصر يقامى الوجد والفرام ويلاقى صاحب
الفوق والهام وهو لا يرى طريقة للوصول إلى عين الحياة ولا الاجتماع بها وقد اذنت
عليه الحال مع تزايد الايام حتى أصبح في قلق واضطراب فلم يريد ان يشرح حاله إلى
تمرناش واطلاعه على أمره وطلب معونته عليه يرى له مخرجا من هذا الضيق قال ولما
قوى برأسه هذا الظن ذهب اليه وعرض حاله عليه وقال له اني مؤكدا أنك قادر على اغاقتي
ومعونتي فأنا لك بحق تربة أليك وأجداك أن ترى لي طريقة تقضي بها من هذه الورطة
فانه لم يعد لي صبر قط عن عين الحياة وأخاف من أن تذهب من يدي لأن أباهما يتمتع
عن تزويجها مني قال اني سأذهب بك إلى أبيها واسأله فيك وأرى ماذا يقول لأنني
أساعدك بقدر جهدي ثم سار الاثنان إلى الشاه سرورا ووزيرا طيفورا وأولاده في القصر
الذي كان يقيمون فيه فلما لهما وترجوا بهما ولما اجتمعا مع بعضهم البعض ودار
الحديث فيما بينهم طلب تمرناش من الشاه سرور أن يرحم انبوش ويرق طاعته ويساعده
بزواج بنته والسماح له بها وقال له أيضا في آخر الحديث انه قادر على حمايتها لأنها ابن
ملك من أكبر ملوك هذا العالم وكنتا نخدمته ونحت طاعته قال طيفور اني سألت سيدي
مرارا في ذلك فأظهر لي انه مقسم بالايان العظيم أن لا يرف عن الحياة إلا إلى الذي
يقتل فيروز شاه ويرحمه منه وهو في قلق من اجل ذلك لأنه يرغب في الأمير
انبوش ويشاق إلى تزويجه بيته كل الفوق وقد صار طلبة قريب الاتجار لأنهم أعلم أن
الفرس لا يفلحون في هذه البلاد ولا تمام لهم قاعة ولا يد من قتل فيروز شاه والى

لا يحب منهم لأن لهم أكثر من شهرين مقيمين في ملاطية ولم يتقدموا إلى جهتنا واظن كل ذلك خوفاً منكم وفي ظنهم انكم تصدون حربهم هناك فلما سمع انبوش هذا الكلام لعبت به نار المروءة وحركة غرامه إلى التهور بنفسه والمخاطرة بها فقال للشاه سرور اني اسم بالسيد المسيح وبالعدراء وكافة القديسين اني اقتل فيروز شاه وانى اسير اليه منذ القدر بالعساكر والابطال واخذ معي تمرناش وخرطوم ولا أعود إلا برأس فيروز شاه ليرتاح ضميرك منه لأن ما جعلك ان تقسم هذه الاقسام إلا خوفك على نفسك من سطوته وعلى نفسك بل وانى اتعهد لك كل التمسد فيما قلته . فلما سمع طيفور منه ذلك شكره عليه ومثل ذلك فعل الشاه سرور وتعبدا له أنه بأول يوم يقتل فيروز شاه باسمائه عين الحياة ولا يمانعاه فيها فهون غرامه ارتكاب هذه الاخطار وودع الجميع وخرج مع تمرناش وقد قال له انى ما وعدت هذا الوعد إلا انك لا عليك وعلى أقوالك واريد منك ان تراقبني في القدر إلى ملاطية فتأخذ العساكر وتقيم الحرب هناك ولا بد لفيروز شاه من الخروج إلى الميدان فتفتته ومن ثم لم يعد من مانع . فوعده بكل جميل قال وفي نفس ذلك الليل جاء الخبر إلى الملك قيصر بنهوض عساكر الفرس من ملاطية يقصدونه بالرجال والابطال فدعا اليه تمرناش وقال سرع ولدى انبوش ثمانمائة الف فارس لملاقاة الفرس بعيداً من هذه البلاد وانى سأبحث اليك بالعساكر التى ترد إلى دائماً وسأ كاتب اذا اقتضى الحال كل الملوك المجاورين واطلب منهم المساعدات من بدر وحاضر حتى انى ازمعت إذا طال امركم مع الاعداء ان استدعى المساعدة من الصين واطلب من ملكها امدادى بالعساكر حتى لا يبقى احد إلا وارى العداوة بينه وبين الفرس حتى ترتكب عليهم الدنيا بأسرها فيعظم الملك ضراب أياً منا اقدر على العناد والمخاصم فاجابه بالسمع والطاعة وبات بتيماً في تلك الليلة على نية السفر في الصباح وقد أمر العساكر بالاستعداد

قال ولما كان صباح اليوم الثاني خرج انبوش بن الملك قيصر وقد تقلد بسلاحه واعتد بعده وخرج تحت الرايات والاعلام وهو معتد بسلطانه وقد فخته سلطانه الكبير والمظلة حتى كان يراه يناديه بالخضوع ويعبده بنوال المراد وركب بين يديه تمرناش وخرطوم الرومى وانتشرت العساكر حاملة اسلحتها ورافعة الرايات والاعلام فوق رؤوس قوادها والموسيقات تعرف باصوات حربية بلحن روماني ولم ير انبوش نفسه في مثل هذه الحالة قبل ذلك اليوم ولذلك كان يبان امام وجهه الامل الكبير مشموخاً بنواله كل ما يطله وصرور له الكبير انه سيقتل فيروز شاه وبعده يهود إلى

أبى عين الحياة برأسه فيدفعه إليه ويأخذ منه بنته زوجة له .

قال وبعد خروج انبوش بالساكر من المدينة اجتمع طيفور بسيدته الشاه سرور وقال بشارك ياسيدى فهوذا السعادة قد وفدت والاقبال قد تدرج آتيا نحونا وبعد أيام قليلة ترى أقدامك قد قبض عليهم وسبقوا إلى ما بين يديك وترى فيروز شاه قتيلًا بسيف انبوش الذى أخذ على نفسه العهدة بقتله ولا بد أن ينصب له شرك الممالك ويبيده مع فرسانه وإنى نادم كل الندامة على ما توقع منامن القصور فى البداية وكيف قصدا الوليد وتركنا مثل هذا الملك النصرانى صاحب الجنود والأعران المسدوع الكلمة بين ملوك الأفرنج والعرب وعبد الأوثان فكدر هذا الكلام الشاه سرور واحتاظ منه وقال له لازلت تطمع نفسك بالحال وترجو ما لا ينال أنظن ان أحدا فى الدنيا يقدر على ان يصل إلى فيروز شاه بسوء وينال منه مرادا وسوف ترى انبوش وتمرتاش وغيرهما عن يمتد عليهم فريسة لسيف ابن الملك ضاراب ولا تمضى أيام قليلة حتى تراه بقومه متسلطا على كل هذا البلاد وجه لسا على تحتها يسوقى إليه كالأجـ . وقد بين لى الإيمان عين الحقيقة وأرائى ما كنت أجهله فقير وشاه هو الرجل الوحيد فى الدنيا وأنت ما زلت تحطه من قلبى وتذريه من أمام أعينى فهل رأيت مثله فى كل البلدان والعواصم التى مررت بها وزرناها فقيح من يعرف الحق ويتفاضى عنه ولا يلتفت إليه وإنى لو كنت أندر على أن أخلص من يد الملك قبصر ببقى لفعلت وسرت بها إلى الملك ضاراب وألقيت نفسي على أقدامه وكنت تراه يقابل بالاعزاز والاکرام ويعفو عني ويرجع عن أصراره بالانتقام منى يقابل بأطواره الحسنة ولا سيما ان ابنه سيكون صهرا لى وبنتى لا تزنى معهم باهاتى فبدافع عن فيروز شاه ويردائى لى لى وألاى أو بالحرى يسلطنى على بلاد غيرها وأرقاح من كل هذا العذاب . فلما سمع طيفور كلام سيده جرحه فى وسط قلبه من الألم والتكدر وعرف ان سيده قد أصاب بنظره إلا أنه كان يتيقن كل اليقين ان الملك ضاراب إذا وقع بالشاه سرور يعفوه ولا يقتله وإذا أراد قتله لا يوافق عليه ولده فيروز شاه ولا يهون عليه ان يخط ببنته عين الحياة قتله مع أنه يعلم انها لا تزنى باهانة أيها ونحب ان تزوج به مع المحافظة على راحة أيها إلا انه إذا وقع هو يد الملك ضاراب قتله لاعالة وإذا اراد ان يعفوه سألته عين الحياة بهلاكه لأنه كان السبب فى كل هذه الويلات والحروب ولهذا وطدا العزم على التحيل على سيده ورجوعه عن هذا الفكر فتهد وبكى وقال أنسيت ياسيدى صدق خدمتى لك فى كل الأيام السالفة وحافظتى على صالحك وخبرك وهل ظنن انى كنت أقصد

لك شرا أو أردب لك بسوء مع انك تحقق انى صدوق صادق أمين وكلما سألت نفسى ان تليعنى على موافقة فيروز شاه تأبى وتظهر لى انه تعدى علينا وخرق حرمتنا وأذلنا ولولا عنايتى بشرفك وتاموسك لما رخصت لداكى التفتت والعذاب والركض من بلد إلى بلد تخلصا من العار بل كنت واقفك على زواجها من اليمن وادخنا من كل هذه العذابات . وأنت تعلم ان لاعداء بني وبين الفرس وائى لاكره فيروز شاه لولا هذه الغاية التى قدمتها ونعمرها أنت منذ القديم قال انى اعرف ان العداوة لم تكن فى الاصل انما نمت بقلبك مع تكرار الحوادث وازدياد الايام وتدارلها وائى أسألك سؤالا أحب ان أعرف فكرك من جهة وهو أريد ان تغيدنى إلى أى جهة يا ترى يلوح فى ذمك ان تقصد ان فاز الفرس وقهر الرومان ولا بد ان تكون قد سهلت بمسك طريقا نسيه به فلما سمع طيفور كلام الشاه سرور تأكد انه من باب التهمك وانه يريد ان يرجع حزمه وينضم إلى الاعداء إذا سمحت له الفرس وقال له انى أقصد أبواب الفرج ولا أخاف الموت فى سبيل نوال الغاية فأفعل ما أنت فاعل وائى اترك من الآن وصاعدا على افكارى ولا أبدي شيئا لك وسوف تذكر ماتكون النتيجة ثم أعرض طيفور عن الشاه سرور وأخبر فى نته الشر وانه يتفق مع الملك قبصر على زواج ابنة بين الحياة ورغما عنها قبل انتهاء الحرب ودون إرادة أيها ولذلك يصبح أيها عرضة لغضب الفرس أو لغضب الرومان ويرى من نفسه سوء عمله وأقام على هذه النية ينتظر الفرصة المناسبة لينفذ غايته ويجهز سيده على تتبع أقواله وآرائه فى كل زمان ومكان وكذلك الشاه سرور بات صافى السريرة من جهة فيروز شاه وقد نوى كل النية انه إذا فاز الفرس زوجا به وإذا فاز الرومان زوجا بانبوش وجعل هذه الواقعة هى الأخيرة لعذابه ومصائبه فلا تخفى عليه مصائب كالمصائب التى كان يلقاها بانتقاده لوزيره

قال ولا زال انبوش سائرا بالمساكر كل ذلك النهار حتى أمسى المساء فوصل إلى ارض واسعة جدا محاطة بالأكام يقال له أم الروض وإلى جانبها نهر يجرى من الماء العذب فبات تلك الليلة فى ذلك المكان ونزل بمسكره ورجاله إلى أن كان الصباح نهض ودعا بممرئاش وقال له لقد ثبت عندى الآن ان الفرس آتون إلينا ولذلك لا بد لهم من أن يصلوا إلى هذه الناحية وعليه فقد اعتدت ان لا يتقدم أكثر من اللازم وان نبني هنا كون هذه الأرض أوفق للقتال وهى قرية من المدينة ولا أحب البعد عنها أكثر من يوم واحد . قال لقد أصبت فأفعل ما يد لك وبطلب بمخاطرك ولذلك صرف كل ذلك النهار فى ارض أم الروض إلى ان كان

للمصر وإذا بأحد حياره دخل عليه وأخبره بأنه شاهد طلائع الفرس تتقدم وتبين عن بعد راياتهم فقال إلى ثمرتاش اذهب بنا إلى أكمة عالية ترى جيوش الفرس وما يكون منها ومن ترتيبها وقدر بكرنا مقدار عددها . قال إليك ماشئت . وفي الحال ذهب أنبرش وثمرتاش وخرطوم وعلا أكمة عالية إلى جنب جيوشهم فشاهدوا عساكر الفرس قادمة كالغمامة السوداء وهي تتقدم إلى الأمام وفي مقدمتها سيامك سباقيا برجاله وأبطاله ومن خلفه أنوش بنت الشاه سليم برجال اليمن ومن بعده طهمور البهلوان ومرادخت الطرساني وعساكر مصر وإيران والراية الفارسية تخفق بالهواء وللمان البيضاء تتوقد كالسكوكب وتحبها الملك ضاراب وإلى جانبه ولده فيروز شاه كاه الأسد المذئذوب فوق كبينه وفزاده طهموف إلى اقتشاب نار الوهي ليروى حسامه من الأعداء . وخلف الجيش أى فى مؤخرته جراد اليراقى ابن ليلزور البهلوان ابن رستم زاد وهو يعلم جواده ويمتد بنفسه وكان بلوح له أنه سيفعل بالرومان العجائب ويظهر هظم قوته وسلطوته . ولما شاهد أنبرش هذه العساكر واختلاطها من بلدان كثيرة قال لثمرتاش أنه يسرى نظام الفرس وهم مرتبون أحسن ترتيب . قال له لا تؤخذ بالظواهر فالنظام لا يزيد فى الأقدام ومتى قامت الحرب تراهم على غير هذا الانتظام ثم نزلوا إلى معسكرهم على نية ملاقاتهم فى الصباح .

ولما وصل الملك ضاراب إلى تلك الأرض ونظر إلى جيوش الرومان نازلة على استعداد للحرب والقتال وقد اتعنوا لهم مراكز ومعازل استحسن لنفسه مقامها يقابل مقامهم وفرق جيوشه كلا إلى ناحية بحيث يقابل الجيشان بعضها البعض . وأمر عساكره أن تضرب أطباها فى تلك النواحي وكانت قد أجهت جدا موقعا واستنصبها لوقوع المعارك حيث يتمكن منها فرسانه بالجولان والصول . فبانت تلك العساكر كل الليل تنتظر قدوم الصباح وقبل حلوله أمر الملك ضاراب أن تضرب طبول الحرب تنبها وانذارا للرومان ليستنبوا لأنفسهم ولا يضكروا أن الفرس قد دروا بهم وعندما وقعت أشعة الشمس على تلك المواقع وانتشرت على أولئك القوم فامرعوا إلى خيولهم فشدوها وقلدوها بسلحهم واعتلوا فوق ظهورها وتقدموا إلى ساحة القتال صفوفًا صفوفًا وعلى كل صف قائد من القواد مرأس عليه . ووقف الملك ضاراب فى مركزه فى مكان عال بحيث ينظر إلى ساحة القتال ويبحث بأوامره إلى جيوشه وقد رفعت فوق رأسه الرايات والاعلام ووقفت بين أيديه الحراس والمخاضرون . وما استوى على جواده حتى تقدم ولده قتل يديه وسأله أن يسمح له بالقتال وجهه الرضا والبركة ويدعو له فاجابه إلى طلبه وأعطاه البركة فعاد إلى جواده فرحا وتقدم من بعده هزاد

وسأله السباح فاجابه فاندفع من أمامه كالبحر الزاخر ونظر إلى فيروز شاه فوجده أمامه يختلف كالسنوتو حتى وصل إلى أطراف الجيش المصفوف وهناك أشار فيروز شاه إلى جيوشه بالحملة فحملت لما رأى عساكر الرومان وقد تهيئت وتعدلت وفق مقدمتها فمر نائش فارسها وخرطوم الرومي قائدتها وواليتها . فاجابت عساكر الرومان بالحمل إلى الحرب والعلمان واطلقت لحيوها الاعنة . وقومت بأبدنها الاسنة . و' يمكن إلا قليل من الزمان . حتى اختلطت تلك الطوائف . ما بين مأذون وخائف وشجاع وجبان . ومعزوز ومهان . واشتبكت العساكر أى اشتباك . واجهدت النفس إلى المصادمة والمراك . ووطدت نفسها على الموت والحلاك . عندما رأت أن لا رجوع لها ولا انفكاك . وسعت الاجال إلى الدام . واضمرت نيران الوغى أى احضرام وتقدم كل فارس ضرخام وبطل همام وتأخر كل جبان قليل الاهتمام . إضعيف العزم قوى الأرواح . وطلب الاختفاء بين تلك الاكام خروفا من الموت وشرب كأس الخمام ولم يعد يسمع إلا صوت الحسام عند وقوعه على المجنات وقرقرة اللحم فى رؤوس الجياد الصافيات وقد رضع الغبار إلى فوق الرؤوس وزهقت من ثكافتة النفوس ومال كل وجه ضحك إلى العيوس وعلا أنين الاطال واشتكى الفرسان من قتل القتال لما شاهدت عظم تلك الاحوال التى لم يسبق أن رأت مثلها من عابر الاجيال ولا سمعت يشهها لا بزمى الاسكندر ولا بزمى ملوك بى الاصفر وكان مسمر ناز تلك الحرب وموقدها الفارس الارواح والبيت الصبيح فخر بنى فارس وسيدها ومشرفها ومنجدها من لم يخلق السبف إلا ليدبه ولا طلب الظفر إلا أن يحل عليه كوكب السعادة ومعطى السيادة رب البسالة والندما وحى الشجاعة وعاضدها فيروز شاه ابن الملك ضاراب نجمة الاقبال وكاشف الاوصاف كيف لا وقد خرق تلك الجيوش بحملاته ومزق منها الصدور بصولاته وانزل عليها الويل نزول الامطار واهمى منها الاحداق والابصار والسا ثوب الذل والشار بعد العز والفخار . واكتسى من دماء اطفالها الاشرار . ثياب الارجوان والجلتار . وهو لا يهدو بمكان ولا يقر له قرار . ولا يترك لمن يقع بين يديه هدى ولا اصطبار . بل كان يضربه بسيفه البتار فيلقه إلى الارض بعض الرمال والحجار . وتنشه الوحوش والاطيار وكان ينظر إلى كل جهة تجمعمت بها فرق الاعداء فينقض عليها كالسهم الطيار ويشتها بين الروابي والقفار . ولم يكن فعل هزاد ادنى من فعله . ولا شغله أخف من شغله . إذ أنه كان قد فتح داه وانزع تلك الجوع ولم يترك الا كل ملسوح وموجوع . وخطف أرواح الرومان وبست بها إلى وادى الحلاك والقلمان . وكذلك فرخوزاد

ليث الطراد . وانوش بنت الفاء سليم . وبهتزار قبا البطل العظيم وطهمور بهلوان
ومرادخت الطبرستان . وشيرين الشبلي الطلقاني . وبيتا وكرمان شاه . وسيامك
ومصفر شاه . فانهم مالوا رأى ميلان . وجالوا ولى جولان . واظهروا يفتون الحرب
أشكالا بأوان . وأردوا لهم بين قبائل الرومان . موادع الخوف موافق الهوان حتى
كانت تنفثت في البراري والقبان . لولا ثبات تيمناش بهلوان . فانه اخترق أيضا
صفوف الفرس وفعل فيها فعلا يذكر . ويحمد ويشكر . ومثله خرطوم الروى الذى
تقدم ذكره في غير هذا المكان . بما هو عليه من رفيع المذلة بين المرسان . حتى انه كان
وهو على تلك الحالة اتقى بطهمور فاخذ منه في المحاوله والمطاوله والمجارله ولم يقبل أن
يترك أحدهما الآخر ويتبى عنه . دون أن يال غايته منه . ودامت جهنم الحرب .
تتسع وتزيد بالانقاد . وفيروز شاه يقابلها بمقلب الاوصاف الشداد ويصعب عليها
صعب البلاء . ويحيطها من كل الجهات بالرزايا . حتى تمت النفوس أن لا تكون .
وتسترت عن حيون السلامة باصداف المون . وارتاحت ضيائرها إلى الهلاك تخلصا
من عذابات ما نصب لها من الاشراك . وما صدقت صاكر الرومان أن رأت الشمس
مالع إلى جهة الغروب . حتى أملت بالافراج والتخلص من الكروب . والرجوع عن
الحرب إلى الحيام . والعود بعد اليأس إلى حزن السلام . وفي تلك الساعة دقت
طبول الانصعال . وطادت الصاكر إلى الورا طالبه الحيام . وهى فعور مصدقة أنها
تعود سالمة من ساحة القتال . وبعد أن نزلت عن غيولها وأخذت لنفسها الراحة
شغلت في تعداد من فقد منها ومن جرح فكان قد قتل من الرومان نحو مائتى ألف
فارس ومن الفرس نحو خمسين ألفا وأسر طهمور أحد بهلوانى الملك ضاراب لأنه كما
تقدم كان قد اتقى في خرطوم وتصادما حدام الأبطال وتضاربا ضربا أحر من طيب
النار في الاشتعال إلى أن قرب المساء فرأى طهمور من نفسه التقصير وعلم أنه غير
قادر على الثبات فعول على التأخر إلى الورا إلى أن ياتيه الله بالفرج فعلمته خرطومه
ذلك فانقض عليه وضاقه كل المضائق وهو يحامى عن نفسه ويدافع ولا يريد أن
يسلم نفسه حتى أصابت ضربة من خرطوم كسفته قتمته وكاد يقع إلى الأرض
فادركه وقبض عليه من صدره واقتله وسلمه إلى أحد الفرسان وأمره أن يشد كتفيه
ففعل وأخذ أسيرا إلى جيوش الرومان

قال فلما بلغ ضاراب قدان تلك الصاكر من رجائه وأسر طهمور كاد يغييب عن
الصواب وتكدر مزيج الكدر وقال أيفقد من رجالى هذا المقدار ويأسر قائد من
أكابر قوادى بمعركة مثل هذه المعركة وفرسانى بها كاملة ورجالى مجتمعة إلى بعضها

على أن أعلم أن الأعداء قد هلك منهم أكثر من رجالنا بأضعاف الاضعاف وقد شاهدت ولدي وهزاد وغيرهم من الفرسان وهم يزدرون هياكهم ويطلقونهم إلا أني رأيت أفعال ممرتاش فارس بلاد الرومان وما فعل فهو بالحقيقة آفة من آفات الزمان وبطل من الأبطال الموصوفين عند الحرب والطمان وأظن أن عيني لم تر مثله في كل معاركنا غير طومار الزنجي وأسأل ربي أن يساعدنا عليه فنقتله ونقتل فارسهم الآخر وهو خرطوم الروي ومضى قتلنا هذين الفارسين حفظنا دم كثير من رجالنا الذين يمز علينا فقدم كونهم تغربوا معنا إلى هذه البلاد وقاسوا لأجلنا الصعوبات الشداد . فقال من إذا كان القدر قتلت الاثنين معا أينما كنا في أي مكان فإها من يذكركم فرساننا الشداد . وفي الحال نهض إلى بين يدي الملك ضاراب وقال له أنت تعلم يا سيدي أن لنا من الحقوق على دولكم ما لا تنكرونه منذ عهد جدى رستم زاد وأبي فلزور البهلوان وهو أن مبارزة الفرسان مخصوصة بما معهودة إلينا لا يدعها أحد منا لأتانا نحن خدامها . قال صدقت ويشهد به أيضا طبطوس وكل من كان يعرف ذلك الزمان ويتصل عنه إلى هذه الأيام وماذا تقصد بهذا الآن . قال اني أطلب إليك أمرا لا تحرمني منه وهو أن آخذ لنفسى عهدة البراز في هذا القتال فمن يبرز من الفرسان كنت له خصما وسوف ترى ما يحل بأعدائك وبممرتاش وخرطوم قال لك كل ما تطلبه فليست أنا ممن يحرم رجالى حقوقهم وسوف أجزيك بالجزاء الذى تستحقه ويكون لك كل ما أنت ساع في طلبه قال فقرح هزاد غاية الفرح وسر غاية السرور وأيقن نوال مراده وعاد الى مكانه مسرورا فرحا . وكان فرخوزاد حاضرا فخاف من أن يبعد إلى أخيه بوظيفة أليه وإن يكون البهلوان الأول في مملكة إيران مع أنه هو الأكبر والأحق بها واخذ الحمد يلعب بعقله ريقبله وصبر ليرى ما يكون من أمره وبعد أن صرفوا تلك السيرة تفرقوا للبيت في الحيام

فهذا ما كان منهم وأما انبوش بن الملك قيصر فانه عندما عاد الى خيامه واجتمع من حوله فرسانه وأطوبه أن رجع جيشه قد فقد تكدر واغتاظ . وقال ان دام الحال على هذا المتوال ومضى علينا يومان مثل هذا اليوم هلكتنا عن آخرنا ولحق بنا الحاق ثم التفت الى ممرتاش وخرطوم وقال لهما ان جل انكالى في هذه الحرب عليكما وليس لى من يحمى الجيش غيركما ولولاكما لما تمهدت بقتل فيروز شاه للغناه سرور واجلاء الفرسان عن بلادنا وأراة قد قصر بما كل التقصير فمضى بلغ ابى انقراض هذه العساكر يحل به الويل والحزن ولا ريب أنه يرجع ويتألم . فاجاب ممرتاش ان فرسان إيران

كثيرة العدد وليس فينا نحن إلا خرطوم وأنا ولهذا أرى أن الحمل على بعضنا البعض
يوافقهم أكثر مما يوافقنا على أننا لم نقصر في هذا النهار بل بذلنا الجهد في القتال وأهلكنا
خسبا ليس بقليل وفارق كل ذلك فقد أسر خرطوم أحد قواد الفرس العظام وهو طهمور
البهوان . وفي الغد إن شاء الله نأخذ عهدة القتال على أنفسنا فاما أبرر أنا وإما خرطوم
وهذه الطريقة لصطاد قواد الفرس واحد بعد واحد حتى لا يبقى فيهم من يعصى قومهم
وعند ذلك نحمل عليهم حملة واحدة فنيدم عن آخرهم . فلما سمع أنبوش كلامه ارتاح
ضميره وأيقن بالنصر والظفر وفرح بهذا التدبير مريدا الفرح لما يمل من شجاعة تمرتاش
وإقدامه وهو يظن أن لأحد من الفرسان يقدر أن يثبت أمامه ثم أمر أن يحضر طهمور
إلى ما بين يديه فأحضر وهو في وثاقه . فغتنه ووجعه . فقال له ليس نحن من يعنفون
وأنا لا تقبل بالذل والمار وإذا ظهرك الآن أن أحد رجالك أسرى فسوف ترى كل
فرسانك بأيدي الفرس ولى رجاء أن سيدي الملك ضارب لا يتقاعد عني ولا بد أن
يخلصني أينما كنت . قال لا تطمع بعد بالخلاص فينحن عن يتعاملون وإني مرسلك من
هذه الساعة إلى أبي يفعل بك ما يختاره فاما أن يبقيك وإما أن يقتلك . ثم دعا بعض
فرسانه الأشداء وقاله خذ معك ما تبقى فارس وسر إلى حضرة أبي وطمه بالنصر والظفر
وأخبره تعدد تمرتاش بقهر كل فرسان الفرس وأسرهم . ثم سلبه طهمور فأخذه وسار
وأقام مع فرسانه إلى آخر السهرة ومن بعد ذلك تفرقوا إلى المنام وسار تمرتاش إلى
خيامه وكان بانتظار بعض خدامه لأنه في صباح يوم القتال دعا بأحد خدمه وقال له
أريد منك أن تسفل إلى بين خيام الأعداء عند انفضاحهم بالقتال وتنتظر إن كانت
أسن الصفا في الجيش فإذا وجدتها وقدرت على خلاصها فلا تأخر إذا لم تقدر فاسألهما
هي باقية على عهدي أو اتخذت لها من رجال الفرس بدلا . فلما عاد إلى خيامه لم يكن بعد
قد رجع الخادم فصر نحرًا من ساعتين وهو مشغل الفكر من جهة وقد حركه حبه
لحبوبته وهاج عليه غرامه بسبب بعدها عنه وفي ذاك الوقت حضر الخادم ودخل
عليه فوجده في قلق وهاجس وقد طار النوم من عينيه ولما رآه انقلب إليه وقال له
ما وراءك من الأخبار وهل رأيت أسن الصفا وهل هي في جيش الأعداء أو أنهم
أبقوا في ملاطية . قال كلا يا سيدي فهي بين جيوشهم وفي معسكرهم وكنت لما
اخطلت الجيوشان اهتمت الفرصة فطرت في السهر ودخلت بين الخيام إلى أن
أوصلني الصدف إلى الصبوان التي فيه أسن الصفا وكان عليه حارسا واحدا فقط
فوقعت على بابه وأنا بصفة شحاذا أسأل الاحسان ولم يعرفني الحارس فقامت لتناولني

كسرة من الخبز قربت منها وقلعت لها [في لست بهما] وقد بقيت سيدي تمرثاش لأرائك
إذا كنت بين الأعداء وأسألك إن كنت لا تزالين باقية على حبه ولم تفلتي بسواه .
فقلت لاني لست مثله ضعيفة الحب فقد اتخذته خطيلا منذ القدم ولا أرجع عن عومي
أما قل له انه من أكبر العار عليه أن يكون تمرثاش فارس بلاد الرومان وسيد أبطالها
وصديقه أسيرة عند أعدائه يتمكون بها ولا يقدر على خلاصها من أيديهم .
قال فلما سمع تمرثاش هذا الكلام اضطرب به نار الكدر ورأى من نفسه أنه قاصر عن
خلاصها وأنه لا يقدر أن يخترق جيوش الفرس ويسحبها من بينهم ويبعثها اليه .
ولذلك كان يريد قتله ويضرب ولا يعرف ماذا يصنع وقد فكر أنه في الغد إذا اشتبك
القتال يبرز الأبطال ويأخذ نفسه السيادة ويذل الجهد في قضاء مصلحته ونوال مراده .
ونام تلك الليلة وفي قلبه ما ليس يطيب الي أن كان الصباح نهضت الرجال من خيامها
عندما سمعت الطبول تخفق طالبة الحرب والقتال والصدام والبراز . ولم يكن إلا القليل
حتى اصطفت الصفان . وترتب الفريقان . وتقدمت الأبطال والشجعان . فأسرعت إلى
السياق في ساحة الميدان . وتأخر الدليل الجبان . إلى المؤخرة طمعا بالحياة وخوفا من
القتل .

وأخذ كل فارس في أن يستمد للدفاع والعراك . وإذا بجيش الرومان قد اضطرب
وانشق إلى شطرين وخرج من وسطه فارس طويل القامة عريض الهامة كأنه البرج
الحصين وهو غائص بسلحه إلى حد رقبته وعلى رأسه خوذة من الفولاذ كأنها القبة
العالية وبين يديه الحدم والميد حتى وصل إلى نصف الميدان فأمر خدمه بالرجوع
وأطلق لجواده العنان إلى جهة الشمال فأسرع به كالبرق حتى كادت لانراه العينان . ثم
كر راجعا إلى جهة الجنوب وهو كالسرحان . والجواري من تحت في هياج وغلجان وبعد
ذلك عاد إلى نصف الميدان ونادى بانصحب لسان بما يعرفه من لغة الرومان وسأل من
عساكر الفرس البراز والطعان وفي يده حمده وثقله نحو خمسمائة من تكاد لا تحمله الجبال
وهو من الحديد الثقيل . قال وكان ذلك الفارس هو خرطوم الرومي الذي أسرطه دور .
وما استقر في نصف الميدان حتى سمع من بين جيوش الفرس صوت كأنه الرعد القاصف
أدوت له البراري والقبان . وارتج له ذلك المكان . وفارس خرج كالنجم في الدمان
وفاجأ خرطوم بقلب أشد من الصوان . وكان هذا الفارس بهزاد ابن فيلزر والبهلوان .
صاحب الفعل المحمود بين الأخدان والأقران . وحامي حومة الطعان . ولم يكن
إلا القليل حتى اصطدما اصطدام أسود الدجال . واتتعلما التعلام أمواج البحر عند هبوب

ريح الشمال وارتفع فوقهما الغبار . حتى صغرتما عن الأبحار . وأكثر من الاشتباك . والمصادمة والعراك . ولم يدرى من بينهما الا صوت وقروح السيوف على الدرق . ولا يرى من تحتها الا ميازيب ومجارى تتدفق من فيضان العرق . وهما يهيمان ويدمدمان . ويناديان ويصيحيان . وكل منهما يريد في الظهار ما عنده وما تعمله من فتور القتال لينال من خصمه المال وقد أحذقت بهما كل عين وشخصت نحوهما شواخص المريقين تنتظر ما يكون من مصادمتها ومخاربتها ومخاصمتها وكل معلق الامل بفوز حارسه ونصره وكيد خصمه وقهره .

قال وما جاء صبر ذلك النهار حتى وقع بحرطوم الملل والضجر وتضايق مع بهزاد كل المضايقة وعرف أنه من الإبطال الشداد وأنه لا ينال منه المراد بغير ضرب العمدة لأن عمده كما تقدم كان ثقيلاً وعمد بهزاد كان لا يذكر لانه كان كغير وزشاه لا يجب القتال إلا بالمهند العصال ولما رأى خرطوم نفسه في هذه الحال تأخر إلى الوراء وصاح بهزاد وقال له إنما هذه الحالة لا تفصل بيننا ولو أنا نصرف كل الأيام بالصدام والاقتراق والالتحام وقد جعل من ثرون الحرب الانصاف بغير العمدة فإن كنت من الإبطال الشداد اتق لضربى فإن أضربك ثلاث ضربات على نصف طارقتك فإذا كنت تقدر على حملها ولم يصبك أذى منها عدت بغيرتقى أنت مقابلها وبهذه الأفعال يظهر من منا القادر ومن الضعيف ومن الفائر ومن الماخر .

فاجابه بهزاد على طلبه وقال له ويك أنظنى أجز عن حمل صربانك ومى عندى كوقوع النور على أعينى فى وقت الظلام فأضرب ثلاثاً فى ثلاثين . فإنا كما نظن أو كما لا نيت من القوسان ففرح خرطوم بكلامه وأمل الفوز لأنه كان يركب إلى قتل عمده وإلى قوة ساعده وكان يطمع نظره إلى صغر بهزاد وصغر جسمه ولذلك لمب بهزاده ورفع العمدة بيده وطوحه فى الهواء حتى صار يسمع له دوى ورجد وقرب من بهزاد فاجأه ورفع يده إلى السحاب وأرسلها تهوى بالعمدة بكل ما أعطاه الله من القوة والقدرة وثبت فى ذهنه أن هذه الضربة ما تصل إلى بهزاد الا وتسحقه هو والجواد وما لبث أن شعر بصدمة وقد صدم بقوة ساعدتين وارتد مندفعاً إلى العلاء حتى تألم من عند الله ولم يدرى على رقبته ثانياً بقوة أو مقدرة وانتهى بقله وارتعب قلبه وأصبح فى انفعال بال لا يعى على نفسه وبهزاد ينظر إليه ويضحك منه وليس عند باله خير منه بل أنه صاح فيه وقال له لما لا تضرب صربانك فأنتى بصربك الأولى فراد هذا الكلام فى غيظه وكادت تنشق مرارته لما رآه يتهم عليه ويظهر له أن تلك الضربة غير محسومة لأنها ليست كالواجب ولا جاءت بالمطلوب الا أنه رأى نفسه

مضطرا إلى إتمام حمله فأعاد الضرب ثانيا وثالثا دون أن يقضى بالفرص . ثم انه أنزل العمدة وأخذ يده الطارقة وقال لبهزاد أفضل بدورك ما أنت فاعل فما عهدك بما يأتي بالفرص . قال أنا لا أرفع عهدا على من مثلك وأنى اضربك ضربة واحدة بسيفي فهو يأتي بالمقصود ففرح خرطوم وقال في نفسه أن السيف خفيف فلا يؤثر في طارقي وأخذ الطارقة إلى فوق رأسه وانتظر عمل خصمه .

قال وأما بهزاد فانه اخترط سيفه من وسطه ولعب به اشكالا وألوانا وأطلق لجواده العنان ذهابا وإيابا وأعين الفريقين تنظر اليه وهي تعلم ما يكون منه بل تنتظر نهاية هذه الحال وهي تتعجب من حمله حتى فاجأ خرطوم وصاح بصوت كالرعد القاصف وقال . أما بهزاد . أنا بهزاد . أنا خليفة فيلور البهلوان ابن دستم زاد ورفيع يده الحسام حتى بان اجله وبته على مداه يدفعه قوة زنده فوق على طارقة خرطوم وقد جدد يده بها وفي نيته انها لا تؤثر به حتى رأى بأسرع من البرق أن الطارقة قطايرت إلى قطعتين ووصل السيف بأسرع من لمح البصر إلى خوذته فقطعها ولم يكتف بل بقي منبعا إلى رأسه فشققه وهوى من هناك يأخذ حده في المسير حتى اخترط الجواد وما فعل السيف هذا الفعل إلا وقد صفقت له فرسان ابران تصفيق الافراح وعلا من بينها صوت فيروز شاه سيد فرسان العراق . وهو يقول له لاشك يدلك ولا كان من يمدح سواك وتزلت الحيلة على فرسان الرومان ووفعوا بالذل والخسران ولم يدروا قط حركة ولا أجدوا قولا . وكانت الشمس قد اخضت في الاختباء فغضبت طبول الاتصال ورجعت الفرسان عن الحرب والطعان وتقدم فيروز شاه على مرأى من الجميع ولاقي بهزاد وفرح به غاية الفرح وقبله مابين عليه وقال له مثلك تكون الفرسان وإلا فلا . وأمر الملك ضاراب أن يحمل بهزاد على الأيدي لأنه امتلا صدره فرحا من حمله ولا سيما لما رأى تلك الضربة التي لم ير مثله إلا ضربة ولده فيروز شاه لظومار الزنجي . وقال ان الله اعطانا ما لم يحطه لغيرنا وقد قصر كل من يدمي أنه يقطع بسيفه طارقة كهذه اسمك من حائط بنيان ودخل بهزاد والفرسان محيطة به من كل مكان وهي فرحة بمهله مسرورة من اقدامه ولاقاه الملك ضاراب الى الباب وقبله بين الايجان ومدحه المدح الكثير وأمر له أن يجلس فيجلس وجي . بالطعام ما كل معه وهو يفتي عليه ويشكره ويظهر سروره من حمله . وبعد ان رفعت موائد الطعام جلس كل إلى مقامه وجلست تلقى الفرسان واحدا بعد واحد حتى غاص الصيوان بالفرسان وانظم الجميع كالسبعة وفي تلك الساعة قال الملك ضاراب ان كل من حضر في هذا

الدبوان يعلم ما فيلورور بهلوان بلادی المرحوم الذي قتل في الدفاع عن مملكتي من الهما وعلو المنزلة وكنت أفضله على كل انسان وقد كان أبوه أيضا ستمزاد عند أبي همن ولذلك قد خطر لي أن أرفع هزاد الى رتبة أبيه وأشدّه سيدا على فرسان وأبطال واستاذا لبهلواني بلادی والقبه بفارس فارس وحاميا واضد له على سبعين الف فارس كما كان لأبيه وألبسه القبا. الأخضر والثوب المروكش المعدل من م في مثل هذه الوظيفة وكان يردى أبقي ذلك إلى حين إياي إلى إيران غير أن اعترافى بالجميل وحسب لمكافأته لم يدعى أن اتناهى ولا يطاوعنى أن أبقي ذلك إلى وقته . ثم اتفقت إلى طبطوس وأمره أن يتقدم إلى هزاد ويشد وسطه بنطاق البهلوانية ففعل وشده واحضر له بدلة خضراء مزركشة بالذهب وقباء من الحرير الأخضر فالبسه إياها الملك خاراب وناداه بصامى بلاد فارس وركنها . وبعد أن فرغ الملك خاراب من عمله هنا بالوظيفة قبل يديه وقال له أتى لا أستحق ياسيدي لهذا الانعام فما أنا إلا خادمكم وعبدكم ودمي معد لأن يجرى على أقدامكم في سبيل طاعتكم فأجله الملك وتقدم كل من الفرسان وهما بمرره قال وكان فرخوزاد حاضرا في الصيوان وشاهد ما وصل إلى أخيه من أسام الملك خاراب وأنه أخذ منصب أبيه وتقلد خطته مع أنه هو أحق منه كونه كبير أخوته ففأظه عمل الملك خاراب ولم تعد الدنيا تسمة ولعب به الحسد الخبيث من أخيه وقال في نفسه أن تقاعدى تدأوصلى إلى مسند الدرجة من الاعطاش ونفع أخى إلى أن صار له هذا المعام والاعتبار العظيمين . ثم خطر في ذهنه أن يبرز هو في

انتهى الجزء الثانى والعشرون وسيله الجزء الثالث والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضراب

أفند ويسبق اخاه الى مواقع القتال وياخذ المجد لنفسه ولا سيما اذا برز تمرناش فانه أقدر من خرطوم ليستحق لاجله أكثر مما يستحق أخوه . وبعد ذلك يعود فيطالب الملك ضراب بمقوقه وبما هو أهل له ولما قوى هذا الظن برأسه وترجع عنده نوال المراد وطد العزم عليه وصبر إلى اليوم الثاني . ولما انقضت السيرة خرج كل إلى حيوانه وهم يتحدثون بشجاعة هزاد وما أسطاه الله من القوة والبسالة والاقدام .

قال وكان لما رجع جيش الرومان إلى الخيام أقام عزاء خرطوم وناحوا عليه مناحة كبيرة وحنوا عليه حزنا شديدا ولا سيما أنبوش فانه لاح له وجه الآخر وثبت عنده إحباط مساهبه وأن لا سبيل له بالجراح إلا بمرناش فاذا أصاب الآخر شيء . وقع به الفشل وحل برجله الدم وانقرطوا مشكتين وتملك الفرس بلادهم وخرجت عين الحياة من يده فبعوت حسرة في حبها هذا إذا أتى عليه الايرانيين وسد أن اجتمع القواد إلى ديوانه . قال لمرناش إني غير مؤمل بعد قتل خرطوم بالنجاح فإعذه لإدلائل التأخير والانكسار والحق يقال أن رجال الفرس أطال صناديد ما منهم فارس الا يلقى جيشا يرمته فقال له تمرناش اني كنت في هذا النهار لا أترك خرطوم يبرز الى الميدان فلم قبل مني ولا طاعني وقد أطلعت لما كنت أعهد فيه البسالة الكافية لمل مثل هذه المشاق ورفع مثل هذه الأثقال وما ظنت تنفي الا أنه يقتل على الأقل حسين فارسا من فرسان الفرس ثم أبرز أما فاكمل على الباقيين حتى رأيت قد ارتبك في قتال هزاد وهو ولد لانات جازنيه ولم يصلح أن يذكر بين الفرسان ولم يخطر لي قط أنه يثبت أمامه أو يقدر على قتله ولما تضاربا بالمد وحط مسعا عند ما ضرب ثلاث ضربات خطر لي أن أقحم الميدان أو أسالك أن تضرب طيل الانفصال فيرجع من الميدان ولا يبقى عليه من خوف غير أني خفت من الفضيحة والعار قال أنبوش يا ليتك فعلت ما فعلت فما العار يحصب بشيء بالنسبة لهذه الحسارة العظيمة وان اريد منك في أفند ان تبرز انت الى الميدان وتحمل عن الفرسان ثمة هذا البراز وترمي الأعداء بار حربك والا طمعوا فينا كل الطمع ووقعنا بمصيدة لا خلاص لنا منها وخرجت اللاد من أيدينا وسرنا الى

الخراب والدمار قال كن راحة لما أما بجان فسوف ترى منى مايسرك وتعلم ان فرسان
الفرس هندي كالآغام كيف لا وقد لقبني أبوك بفارس الأرض بالطول والعرض
فلم أكر كمؤا لكل هذه الجيوش التي تجمعت ولا ضماها لما استحققت مثل هذا
اللقب . فاطمان خاطر انبوش وقال له ساعدك الله على الاعداء فاني اعرف ماأرسله
الله اليك من الالدام والسالة وأرجو من سيدي المسيح ان يكون النصر لنا وان لا تكون
العدراء غصبة علينا .

وفي الصباح التابع لتلك الليلة هبت الفرسان من مراقدها واشتغلت بالاستعداد
فكان بعضها يشد حزام خيله وبعضها يتخذ سلاحه وبعضها قد بكر فاستوى على ظهر
جواده حتى كان يصور لارامى ان القيامة قائمة في ذلك المكان وان يوم النشور قد
آن لتودى النفوس الحسان وركب تمرناش على ظهر جواده وقلبه يشتغل عند محبوبته
انس الصفا وحتم على نفسه انه لا يعود في ذلك النهار إلا ليفعل العجائب في عساكر
الاعداء . وينزل هم الهلاك والدمار وإذا ساعدته الظروف تخلص محبته من يدهم
وهو يفكر كيف انها بعيدة عنه تلاقى عذاب الأسر وفكر ايضا كيف يكون تمرناش
ويحتل على نفسه العار وبقي خيلته في يد منتصبيها بهذا زاد في هيجانه واضطرب إلى
وسط الميدان وقد سبق الجميع إلى الجولان فصال وجال ولعب على ظهر الجواد وقلب
الميدان على أشكال والأوان فيما كانت الصفوف تصطف والجروح تترتب وتستمد وكان
هم زاد قد أسرع إلى جواده فركبه وقصد أن يتبع تمرناش ذاك النهار في خرطوم وما أنهى
استعداده حتى نظر إلى أخيه فرخوزاد قد انحدر من بين المساكرو صدم تمرناش فاقتناظ
من ذلك وخاف على أخيه لأنه يعلم أنه ليس من رجاله . وكان فرخوزاد كما تقدم معنا من
الفرسان الأشداء وقد حسد أخاه على نعمته واعتباره قصصدان بأخذ نفسه المقام الذي أخذه
أخوه ولذلك سقه إلى البرار وقاجاً تمرناش وهو في الميدان وأخذ معه في الحرب والطعان
والصياح والجولان حتى نظرت اليه الفرسان أى نظر بقلة الصبر والعجز وهما في حراك
وصدام وإفراق والتمام وضرب أحر من لهب النار عند الاضطرام وتمرناش فيعترف
في حربه وطعانه كما يقبض البحر عند هيجانه وفرخوزاد يلتقي ضرباته ويصبر على حمله
وهجماته ونظر نفسه أنه مغلوب وأنه ليس من رجاله ولا يقدر أن يثبت في قتاله .
ولذلك ندب غاية الندم . وخاف من الهلاك والعدم . وصار يطالب من الله خلاص
ذاك النهار . وأن يسرع الليل بالاحتكار ليعود عن حرب خصمه بالسلامة ولا يظهر
على نفسه الخوف والندامة . ويتخلص من التعنيف والملاكمة قال ولما رأى تمرناش أن
العصر قد قرب وما نال من خصمه مراداً خاف أن يمضي النهار دون الحصول على

تقيح ولا جدوى فصاح فيه وقال اني لأحب ان أظلك ولا أريد ان أجور عليك
 قائمت لضربي وطعاني فاني أضربك ثلاث ضربات ثم تعود فتضربني عوضها ومن
 منا كان أثبت وأقدر نال من الآخر مراده قال افعل ما بدا لك فاني مطيع لك فساد
 تمرناش إلى الورا ورفع العمدة يده واطلق الجواده العنان حتى قرب من فرخوزاد
 فضربه به ضربة شديدة من زند متين فالتقاها بطارقه حتى سمع لها صوت ودوى وقرقعة
 أدوى لها ذلك المكان وشعر فرخوزاد بألم في كتفه وتحدرف في زنده لأن العمدة كان
 ثقيلاً وزنه سنائة من إلا أنه صبر وطلب من الله المعونة على ضربيه الباقيتين وفعلت
 به الثانية أكثر مما فعلت الأولى وكاد يقيب صوابه إلا أنه تمكّد وصبر عليها بما أعطاه
 الله من القوة والجلد ثم ان تمرناش صاح به وقال له هاك الثالثة فهي القاضية ورفع العمدة
 يده ولاسه بالهواء وأرسله يهوى على درقته فقدم زنده وشد بنفسه على ظهر الجواد
 وطلب من الله ان يحفظه من قتل هذه الضربة فوقعت على المدة وبالرغم من قوة زنده
 وصلبه وقمت الطارقة بالندفاع العمدة على الخوذة فشمع بانصداع في رأسه حتى ضاع
 عقله ولم يعد يعرف ماذا حل به وعول تمرناش ان يدركه وفاجئه لما رأى بهزاد قد
 استمد وهزم على الاقتضاض عليه إلا ان انبوش بن الملك قيصرا سرح فأمر بأن تضرب
 طبول الانفصال وان يرجع تمرناش من ساحة القتال فلبس به الغضب من فوات
 خصمه وتخير من هذا العمل كيف ان سيده أمره بالرجوع عن الحرب بعد ان ثبت لديه
 فوزه ونجاحه وحسب لذلك حساباً عظيماً وعاد راجعاً وعادت معه رجال الرومان
 الذين كانوا يخدمونه وحوايلهم واما وصل إلى الأمير انبوش سأله عن السبب الذي دعاه
 إلى أن يأمر بضرب طبول الانفصال . فقال له اني خفت عليك ان يصير بك مثل
 ما صار بخرطوم لأنه بعد ان ضرب بهزاد ضربات ولم يرمه عن ظهر الجواد عاد هو
 لضربه بسيفه وقطعه وقد خفت ان يفعل معك خصمك اليوم مثل ما فعل ذلك لأن
 ضرباتك قد فرغت ولم يعد لك الحق إلا بالندفاع عن نفسك فظلم تمرناش على يديه
 تأسفاً وقال له لقد أضمت منا فارساً عظيماً وسيداً كريماً كنا نقهر به الأعداء ونرمي
 بقلوبهم حجارة لا تظني أحمر من حجارة خرطوم التي أرموها بقلوبنا ألم ترى ما حل بفرخوزاد
 عند وقوع الضربة الأخيرة فان يداه لم تعد تقدر على الحراك ولو نفخت عليه نفخة
 واحدة لألقيته إلى الأرض وكنت صمدت ان أسأله ان يضربني بدوره ولا شك أنه
 لا يقدر على حمل العمدة ورفع السيف وان أوصيك يا سيدي ان لا تعود إلى مثل هذا
 العمل مرة ثانية ولا تخف على من فارس ولا من مصكر برمه فما انا نظير خرطوم
 ولا غيره حتى ولو نظرتني بأضيق شدة واشد ضيق وكنت تراني قادراً على التخلص

والرجوع اليك فلا تطلبني ولا تدعوني قال اني لم احسب هذا الحساب قط وجل ما حسبه
أنك ستقع يد خصمك وأما هذا أن لأدعوك مرة ثانية من وسط الجبال حتى تعود
من نفسك ثم انهما عادا إلى الصيوان فتزلا فيه وصرفا ذاك الليل ينتظران الصباح
قال وأما فرخوزاد فانه ماضى أن سمع بضرب طبول الانفصال وشاهد تمرناش
هائدا عنه بعد أن رماء بالأم والرجع وأضاح منه كل قوته ولذلك كر راجعا حتى
وصل إلى الجيش فلاقاه أخوه بهزاد ولم يقبل أن يلومه بكلمة بل مدحه على فمه وشكره
على ثباته أمام فارس نذر الزمان أن يأتي بمثله وعاد إلى صيوان الملك ضاربا فوجده
قد نزل فيه وعنده وزيراه طيطلوس ودوش الراي وولده فيروز شاه ولما رأى
الملك ضاربا فرخوزاد أمره أن يجلس في مكانه وبعد أن جلس أخذ في أن يلومه
ويسته وقد له انه من الأمور الخارقة لطبيعتي أن يبرز فارس دون استئذان مني
وما ذلك إلا تعديا على ظيائي ومقاصدي لأن أعرف قوة الفارس ومعدل بسائه
فأرسل له فارسا بفوقه ولو سألتني قبل أن تبر لمنتك لملي أنك لست من رجال
تمرناش وان لا أحد من فرساتنا يقدر عليه إلا أخوك بهزاد وولدي فيروز شاه ولولا
وجودهما في جيشي لثبت عندى أنا تغلب لاحالة وأنه يفعل بنا كل ما أراد فزاد هذا
الكلام في غيظ فرخوزاد وكادت تنفج مرارته كيف أن الملك بفضل أخاه عليه وتمنى
أنه لم يخلق فخير له من أن يكون أخلف بنا من أخيه الآخر وصبر على كيد الزمان
وقال في نفسه ما زال أخى حيا لا مقام لي بين فرسان إيران ولا أحد منهم يعتبرني ثم
تقدم فيروز شاه منه وأوصاه أن لا يعود إلى المخاطرة بنفسه وقال له اعلم يا أخى أن
أبى لا يقبل أن يقتل من رجاله أضعفهم وأدناهم فكيف يقبل بفقدان من هو مثلك من
أركان الجيش الفارسي على انى أعلم لو طلبت منه أن أبارز تمرناش لمنعى مع طيه بأنه
لا يثبت أمامى ساعة واحدة ولا سجا فقد أهد بأمر قتاله إلى أخيك فلم يد فرخوزاد
كلمة بل صبر إلى أن مضى وقت السهرة فقام مع من قام وتفرق كل إلى مكانه وتام تلك
الليلة ينتظر الصباح وهو مصر في نفسه على البراز وقد هان عليه أن يقتله تمرناش
ولا يسمع هذا اليوم والتنصيف أو أن يقتل تمرناش وينال الشرف ويعرف كل من
الفرسان مقدرته رضى الملك ضاربا أم لم يرض

ولما أشرقت شمس الصباح تقدم الفريقان إلى ساحة القتال صفوا صفوا البعض
وراء البعض وبأيديهم السيوف وعلى كل فرقة قائداهما فسقط إلى ساحة الجبال تمرناش
وهو كالنمر الحردان وأخذ في أن يصول ويجول فقصد بهزاد أن ينحدر إليه ويصدمه

وإذا به قد رأى أخاه فرخوزاد يستند لسيفه . فأتبعه ووقف في طريقه وقال له
 ارجع يا أخي فهذا اليوم يومى وقد حاربت أمس بدورك ولا تحضب الملك ضراب
 ولا ترمى بنفسك الى المهالك فما أنت من رجال تمرناش . قال انى أعلم انى ببرازة أمك
 ولذلك سميت وراه فما أنا بمى يرفض بعد بالحياة . قل لا تطمع انك تصل اليه فاني
 أممك . قال لا تقدر على أن تمنى وكما أنك من أولاد فيلوزور ولك الحق في السيادة فاما
 . وضاهى الملك ضراب الى محل فرخوزاد فالتفت منه وخاف من أنه يسبق أخاه الى
 قتال تمرناش فصار له وقال له سر الى فرخوزاد ودعه يرجع عن عناده ولا قيدته والقبه
 في الطاب وكان فيروز شاه يحب فرخوزاد لأنه أخوه ورفيقه منذ البداية فلم يهن عليه بعدله
 ولذلك أطلق كنيته نحو الميدان لفصل ما هو واقع بين الاخيرين إلا أنه قبل أن يصل كان بهزاد
 قد تذكر من أخيه لما رأى كثرة عناده وأصراره وسمع قباحة لفظه وسواد قلبه فدنا منه
 ولطمه بقمايده فألقاه الى الأرض بعيدا عن الجواد فركبه يلطم نفسه وأشار الى فيروز شاه
 أن يأخذه من الميدان واتخذ هو على تمرناش كاقضاض الصراعى وقال له وبلك لقد
 فرقت بين الاخيرين فكل من أجب أن يفوز بقتلك وينال المجد والشرف . قال انى بانتظاركما
 فلما عاد أخوك وأنا كفؤك وله والتضيقا بوقت واحد فدعه يأتى لقتالى معك . قال لقد
 اخضعت واقه مسامعك ودنا يوم أجلك فلا تعظم بنفسك ولا تظن أن بهزاد له نظير
 بين البهاد وسوف ترى منى الأحوال فودع الدنيا وأمد للارتمال فانك راكض
 حلف خرطوم بقدم الاستعجال . ثم انهما مددا أيديهما الى السيوف التى هى أقرب
 لشرب كأس الخنوف وجرداها من الاغمد . وعلا هاعلى الحرب والطراد . واكثرا
 من الصباح . والجمى . والرياح . وكاما ككفتى ميزان . يستويان فى الارجحان . وهما
 هدران كالفيضان ويزاران كاسود خفاف . حتى سح من تحتها بالمرق الجوادان .
 ونظرت اليهما الأبطال والنجمان تنظر نتيجة ذلك الحرب والطعان . وقد تعلموا
 مهما من فنون القتال . ما لم يتعلموه من غيرهما من الأبطال . وكان تمرناش يرى
 بهزاد فى الابتداء من الاستخفاف والازدراء . لأنه صغير السن والجسم بالنسبة
 اليه فلما رأى وشاهد فعله علم أنه من الأبطال المعاويز . وأن ليس له بين الناس من
 نظير إذ كان يدور من حواله كالدولاب . ويسد فى وجهه كل باب . وينزل عليه
 ضربات حسامه بأسرع من سقوط الشهاب . حتى حاربه وتمجب كل المعجب وكاد
 تقع به الملل والنصب . ولم يترك له فى ساحة الكفاح . طريقا للسرع والمراح . ولم
 تروا الطائفتان منهما غير شرار النار . تتطاير من وقع السيوف على الدرق من خلال
 ذلك الغبار . وكان بهزاد . وهو مع خصمه فى طعان وطراد . قد رأى الى التيتين

ومها على غاية الاستعداد . ولاحقته التفاتة إلى فيروزشاه فوجده واقف في المقدمة مع أخيه فرخوزاد . وبين أيديهم بهروز العيار كأنه شهاب نار . فلبت به النخوة والمروءة وزادت به الشجاعة والقوة . وأراد أن يرى أخاه فله . ويعلم بقية الفرسان فضله . فزاد على تمرناش العيار . وصدمه صدمة ليت جبار فالتقاء بقوة عزم واصطبار . حتى كاد يحجبهما الغبار . هن أعين النظار . وداما تحت سواده يطلبان الاستكثار . إلى أن ينقضى ذاك النهار . إلا أن بهزاد الأسد الكرار . والبطل المذوار . اتصب خصمه ورماه بالارتباك ولم يتركه يبرف من أين يأتيه . ومن أي ناحية يفاجئه . حتى تضايق غاية الضيق وثبت عند الهلاك في موقف المراك . وندم كيف أنه أوصى انبوش أن لا يضرب بطول الانفصال . عليه يتخلص من ذلك الحال . وبينهما في أشد قتال . وأحر نزال . وكل من الأبطال ينظر إلى محوها بهروغ صبر . ينتظر نهاية هذا الأمر . وإذا بهزاد قد رمى سيفه إلى الهواء وانقض بأسرع من لصح البصر على تمرناش وقبض على وسطه وصاح صيحة أدوت لها السهول والوديان . وقال هكذا تدوم أعداؤك ياسيدي فيروزشاه تمطى بكل قوته قاتله من بحر السرج كأنه المصفور بين يديه وحذفه إلى الوراء فوقع على بضعة أذرع من فيروزشاه فأمر بهرود أن يقبض عليه ويهد كثراته وهو متعجب من حمل بهزاد وقد رأى عساكر الرومان امتدت من الغضب واندمعت تطلعه من كل ناح فخاف عليه من الجيوش وأشار إلى الفرسان أن تحصل حملة واحدة وجرده يده الحسام راغم ذلك الضباب بقلب لا يخاف الموت ولا الهيب . وأشغل فيهم ضرب الحسام ورماهم بضرب أحر من لميب النار عند الاضطرام . وفعلت حبه الفرسان كفله في حربه . وعملوا كعملة واقتدوا به ولم يكن إلا القليل حتى اختلط القومان . بينما يسوق الحرب ويشتريان . وقد اشتد بينهما الحرب والطمان . من كر ناحية ومكان واجهت أفسها عساكر الرومان أملا بمخلص فارسها من أيدي أعالي إيران . فلم تر أمامها إلا السيف والعمدان . والموت يتقلب عليها بأسرع مما كان . ويمت النفوس بأعجز الأثمان . وانتشرت الأجساد على بساط المصححان فداستها حوافر الخيل وذهبت كالحباء المشور وعنتها فلم ترسم إلى يوم القصور . وذات من العذاب مرارة الطمان والضراب وفعل فيروزشاه أفعاله المعتادة فبدد المجموع وأنزل طيهم البلايا . وأذاقهم أشد الرزايا . وكان ينخطف كالبرق من مكان إلى مكان . وقبض أرواح الفرسان . ويسلها إلى هزرائيل رفيق ركابه . ليثبت بها إلى مقر عذابه حتى كادت تنفرك أولئك الفرسان . ما لحق بها من التشتيت والهوان . فهد أن الليل كان قريب الايتان . فرف بأجنحته على ذاك المكان وفي الحال دقت

طبول الانفصال . ورجع الفرقان عن الحرب والقتال . وقد أشفت الفرس غلبها
 وفطنت أفعالاً لم يسبق لها أن فعلتها في عهد تلك الحرب ولو طال ذلك النهار لكانت
 قالت كل ما تمتع وبددت شمل رجال قصر وأنزلت بهم العبر إلا أنها صبرت تؤمل
 بالصباح نهاية الحرب والكفاح وتفرق ما بقى من المأساة وتتقدم من هناك إلى
 المدينة فتستلها

وكان الملك ضراب واقفا تحت الرايات والأعلام يشاهد أفعال جهاد وما فعل
 بسوق الحرب والطمان فزاد موقعه من قلبه لا سيما عند ما رآه قد حل تمرناش بين
 يديه ورماء الجواهر على مسافة غير قريبة وتنى أن يصل إليه ليقاتله على أفعاله . وقال
 لوزير طبلوس وهو إلى جانبه انى أرى جهاد قد قاق على آية وأجداده ولم يخلق
 أفرس منه إنسان إلا أن كان ابنى فيروز شاه . وقد تبين لى من أفعاله أنه لا يمكن أن يغلب
 قط من فارس أو جبار فلا زالت هذه العائلة تخدم دولتى بأمانة واجتهاد ولذلك أحب
 أن أرفعها من رتبة البهلوانية إلى رتبة الملوك فهم أحق من غيرهم بالسيادة ومن يكون كجهاد
 لا يقل به أن يكون مالكا على الدنيا بأسرها فأى فارس يقدر أن يقارننى طعان أو ضراب
 فقال لقد أصبحت بأسيدى فهم يحصلون عنا الاقتال . ويدفعون الأحوال ولم تر منهم إلا كل
 جيلا نذكره جيلا فجيلا . ولما رجع جهاد من ساحة القتال أمر الملك ضراب أن تلاقبه
 الفرسان بالترحيب والأكرام وتضرب أمامه الموسيقى وتقرش له الأرض بالحرير
 والديباج وبقي على هذا الاحتفال حتى دخل صيوان الملك ضراب فلاقاه وترحب به
 وأكرمه وأجلسه فى مقامه وشكره على فعله ومدحه على بسائه وأمر أن يبسط الطعام فبسطت
 الموائد وجلس كل من الحاضرين للأكل حتى اكتفوا ثم رفعت الموائد وقدمت الأشرطة
 وإذا ذلك أمر الملك ضراب بوضع تمرناش تحت الحفظ والتبريد وأن يقام على باب صيوانه
 الخفرو أن يحضره الطعام والشراب وأن لا يهان ليرى ماذا يصنع به بعد انتضاء الحرب
 ففعلوا ومن ثم أمر أيضا وزيره طبلوس أن يأتى بثياب ملكية مزركشة بالذهب
 وبضياء مزركش مرصع بالجواهر فأتى بما طلب فقبض الملك وأخذ الثياب فأفرضها على
 جهاد واحدة فواحدة وألبسه القباء المذكور حتى حسده كل من حضر ثم قال له الملك
 انك انت الآن لست بأوطى من أبناء همى خورشيد شاه وكرمان شاه وصفر شاه فقد
 ساريتك بهم وجعلتك فى مصافهم ولكن اسمك من الآن وصاعدا جهاد شاه حامى
 بلاد إيران وتكون الثانى فى ملكتى بعد ولدى فيروز شاه فى الرتبة والمصعب أو يكون
 لك الرأى الثانى والقول الثانى بعد قول وزيرى طبلوس ودوش الرأى . فما ذلك
 إلا باستحقاقك وقد حصله بأقدامك وبسالتك وإنى لست ممن يتكبرون الجبل ولا

يجازون عليه . وبعد ذلك قدمت كل الفرسان فبأنه على ما وصل اليه وتقدم منه
غيروز شاه وقال له لا رب أن أتى قد أصاب بعمله فانت عباد ملكنا ودعائه لما رأى
بهزاد نفسه في هذه الحالة انهر وتعجب وشكر الله على هذه النعمة التي لم تسبق لنهره
وتقدم من الملك وقل يديه وقال له أوليتني ياسيدي جيلًا لا أستحقه فما أنا إلا من
بعض عبد دولتكم وخدامها وكنت أحب أن أعيش برتبة بهوان كأي إذ ليس من
حقوقنا أن نساويكم في العظمة والكرامة ولولا أن يقال عنى أتى جددت انعامك
ورفضت اكرامك لذعت عنى هذا الثوب ملتصقا على ما أنا وذلك كثير على
عبد مثل أن يقارن مولاه . فقال له الملك خراب أتى ما أوصلت اليك اكرامى إلا
لما وجدت أنك تستحق ما فوقه وسوف ترى عند رجوعنا إلى بلادنا ما يكون لك
فوق ما وصل اليك الآن . ولو فعلت دون ذلك لحط من قدرى ولانى الناس على
عدم مكانتك وطالنى به الله سبحانه وتعالى لأنه ماخص بك هذه الشجاعة إلا لتخدم
وتكون السعادة دائما بين يديك .

كل هذا وفرخوزاد جالس في مكانه وقلبه كاد ينشق من الغيظ والحقد وقد نظر
إلى نفسه بين الازدراء لما رأى أن الملك قد أمهله ولم يلفت اليه ووجه بكل اعتناؤه
إلى أخيه وصبر على أمره وقد نرى الشر وأن لا يصبر على هذه الأمانة التي لحقت به
وعدم انتفات أخيه اليه ومقامسته في نعمته كما هو الواجب عليه ولما انتضت السهرة
انفطرت سجة ذلك الاجتماع وسار كل في ناحية وسار بهزاد الى صيواته وهو مسرور
الوداد فرحان غاية الفرح بما قاله من السعادة والاقبال ولما نزع عنه ثيابه ونزل في
فراشه جعل يتصور كل ما كان من خرطوم وتمتاش حتى طرق ذهنه عمل أخيه
فرخوزاد وعنده له وكيف أنه حسده على نعمته ثم خطر له أنه مهمل من الملك وأن
الملك لم يرجع اليه بانعامه مع أنه ابن فيلوزر الأكبر وانفطر قلبه من أجل أخيه وقال
في نفسه انه كان أحب إلى أن رأى كل هذه الانعامات واصله إلى أخى من أن أراها
على ويكون هو في غيظ من متروكا من عناية الملك واشتد به حبه لأخيه حتى خاف
صدره وعجل صبره كيف لم يسأل الملك أن يقسم الانعام بينهما ولذلك نهض من
الفرش وقصد الخلاء لإشرح صدره ويشتفق النسيم وبينما هو كذلك وليس عليه
من الثياب إلا ثياب النوم البسيطة إذ سمع صوت جوارف خيل على مقربة منه ورأى
فارسا فوق جواده يتقدم إلى نحوه وقد ظهر منه بنور النجوم التي تنبثق إلى الأرض
انه ملثم إلى عينيه فصاح به بهزاد وقال له من أنت وماذا تريد وكان أمينا من جهة
لعله ان لا عدو بين عساكره بقصد فلم يجبه ذلك الفارس بكلمة بل تقدم منه حتى
لصق به ورفع يده العمد وضربه به وهو على تلك الحالة فلما رأى بهزاد ان العدو وجه

إليه ولا مناص له منه لصق بالجراد وانتقل القنارس إلى الأرض ظهر أن العمد كان قد وقع على ظهره من بين اكتافه إلى قدميه فرماه إلى الأرض على وجهه وصاح من الألم لقد قتلني يا أخى وكان الضارب فرخوزاد لأنه كما تقدم موجودا من إكرام أخيه عند الملك وقد حسده كل الحسد وظن بنفسه أنه راض بهذا العمل وبإذلال أخيه فذهب إلى صيوانه وأخذ كل ما يحتاجه وقال لم يبق لي إقامة بين الإبرانيين ولا بد من أن أجد منهم ولو تحملت ثقل المار وبعاد الأميرة أنوش بنكت الشاه سليم ولما احتل بظهر جواده قصد أن يدخل عليها فتمته غيظه من أخيه وقال لا بد أنها تلومني وتعتقني وترجئني عن عزمي على أن لا أقبل أن تراه ذليلا مهانا إلى حد أن لا يفكر في الملك فسار إلى جهة صيوان أخيه وهو يقصد أن يوقع به إذا تسبل له ذلك قبل أن يارح الجيش وإلا سار وبعد ولا يرجع إلا أن يبعث الملك فيقرضاه ولما وصل إلى صيوان أخيه كما تقدم الكلام وعرفه من صوته ففرح غاية الفرح ودنا منه وضربه تلك الضربة ووقع على الأرض إلا أنه نهض خائفا عند سماعه صوت أخيه قتلني يا أخى وعاد إلى جواده بأسرع من لمح البصر وتيقن عنده أن أخاه قد مات فاطلق لجواده العنان وكان عند باب صيوان جهاد بدر قات العيار وهو في راحة ليس عند باله خبر من كل ما ذكر إلى أن سمع صوت جهاد وقوله قتلني يا أخى فنهض وأسرع إليه بينما كان فرخوزاد يستعد للركوب والحرب ورفعته بين يديه فوجده كالخشب يابسا فخاف أن يكون قضى نحبه فصاح ونادى بالفرسان القريبين منه فجهلوا إليه فاعلمهم بالواقعة وانتشر الخبر من واحد إلى آخر بأسرع من نصف ساعة حتى ارتبك الجميع وخافوا على جهاد وما منهم إلا من ركض حافي الأقدام مكشوف الرأس ضائع الحواس عما سمع عن جهاد وعلا الصياح من كل ناح ولطمت الفرسان على خدودها وعضت الأضراس على ثودها وبلغ الخبر الملك ضاراب وولده فيروز شاه وورثاه فاضطربوا وارتاعروا وأسرع فيروز شاه إلى نهر جهاد فوجده ملقى على أحضان بدر قات والناس تزدحم من حوالبه وهي في بكاء ونواح فأمر في الحال أن يحمل إلى صيوان أبيه عليه أن يكون باقي في جسمه بقية رمق فرغ وسارت الناس من حوالبه وأمامه وخلفه ما بين هيد وخدام وأسياد وأغار ولم يبق بين معسكر إيران واحد إلا وتأسف ولحق به القبط والحزن وركض ليطمان عن جهاد حتى كان الصياح اخذا بالارتفاع من كل ناح.

قال ولما وصلوا بهزاد إلى بين أيدي الملك ضاراب ورآه على تلك الحالة حزن جدا ونزل عن سريه وبكى عليه وأمر طيطلوس أن ينظر فيه . فلما رآه طيطلوس

قال لا تخف ياسيدى فان الضربة عظيمة جدا إلا ان الامل بحياته وطيد لانها واقعة في ظهره ولم تصل إلى جوفه وإنما هو الآن ضائع من الألم والوجع فارتاح بال الجمع ونفقوا عندهم موته . واخذ طيطلوس في الحال أريسكب في فيه الادوية النافعة ويدمن جرحه بالمراميم ويضمده بالعصادات وقد صرف غاية الجهد ووضع في أفقه الروائح المنية وأمر أن يفرك بدنه بالدهون لتعود حركات جسمه إلى أصلها واخذ الدم في أن يجرى وتعود الأضواء إلى وظائفها الأصلية وتتحرك منه القوى حتى انه ينعو ساعات قليلة قدر أن يفتح عينيه وينظر ما حواله فصرح الملك ضاراب وكل من حضر في ذلك المحضر ولا سيما فيروز شاه وطيطلوس ثم أن جهاد تكلم من حلاوة الروح بعد أن أجهد نفسه وساق قواة بالرغم إلى التكلم . فقال للملك ضاراب بالله عليك ياسيدى أن تبحث وتفتش على أخى ولا تدعه يغيب عن المعسكر وإلا امت من جري عنده وإنى مساعه بكل ما جرى منه فإدوا لا أخى وليس العدو الحسود الشائن دخل بيتنا . ثم غاب عن هده وطيطلوس صارف الجهد إلى مداراته ومدواته وأمر الملك أن يرفع إلى صيون طيطلوس بتأن ومدارة وأرعى وزره بصرف الجهد في مداراته وملازمته ليلا ونهارا وقد تعجب الجميع من كرامة أخلاق جهاد ووجه لأخيه الحب المفرط حتى أنه وهو في أشد حالة من الإوجاع والآلام تذكره وساعه بعد أن فعل معه ما فعل وسبب له كل هذه المصائب الخطيرة من يده وصار كل واحد منهم يلوم فرخوزاد ويتكلم بحقه القبيح وفيروز شاه يتألم لأن فرخوزاد كان رفيقه وأخوه منذ بداية القصة ومع أنه كان قد استنقح عمله كل الاستنقاح لم يهن عليه أن يسمع به لوما وقال ما فعل هذا الفعل إلا وعيناه تطمحن إلى ركوب المعالي وقد غلط هذه المرة وانكل على نفسه ولو انكل على وحلى أبى وسألنا شيئا لما منعتاه عنه ما عدا رتبة أبيه فقد استخفها أخوه غير أن الباعة الذى بعته إلى التطرف بالمعاصرة هو احتقار أخيه به عن غير قصد فانه رماه إلى الأرض هذه المرة في نصف الميدان على مرأى من جميع الفرسان وفي مصر أيضا فانه رماه عن جواده إلى الأرض وأوقع بقلبه الثغور منه ومع كل ذلك فإنى سابت خلف فرخوزاد وأصلح بينهما واجله يعتذر عن عمله ويقطع من قلبه عداوته لأخيه .

قال وكانت أنوش بنت الشاه سليم منذ بداية الحال وهي تشاهد وتتألم وقد انطبقت عليها الدنيا من جهاتها الأربع ولم تعد تعرف ميمنا من شمالها لأنها كانت من داخل قلبها تلوم فرخوزاد على عمله هذا القبيح إلا أن أحببتها له وميلها إلى زواجه وعدها به لم تقبل أن تنزله مكانه من قلبها أو تقلل من مقامه أو تليعبها إذا نازها على أن تسمع بحقه لوما ولذلك كانت أحشأها تنقطع عند جريان هذه الأحوال والتفكر بها .

وبغياب فرخزاد عنها ولا نعلم مدة غيابه وهل في ثبته العودة الى قومه أو نعهده البعد والرحيل الى بلاد بعيدة على أمل أن لا يعود اليهم في المستقبل ولما سمعت كلام غيروشاه وأنه سيصرف الجهد إلى السؤال عنه وأرجاعه إلى أخيه وقطع جرثومة العدواة من بينهما فرحت غاية الفرح وأطمأن بالها وكان حملها الانتقال الامور واقدامها على المصائب وبسالها النادرة في غيرها من النساء والرجال تحملها على الصبر والثبات في عظام الامور .

وما أخذ بهزاد من حضرة الملك حتى كاد نور الصباح يبرغ وإذا بأحد الرجال قد دخل عليه وقال له أعلم يا سيدي أن تمرناش قد فرو وهرب ولم يره أحد فاضطرب الملك خرابا وغضب غضبا مريدا فطلب من أحد الخدّاء أن يفتش في القوم ويخبره . قال لا نعلم وجل ما نعلم أنه هرب بيننا كان القوم مشغولون بهزاد وأن التي جاءت وخلصت أنس الصفا خليلته التي كانت في الجيش معنا فلما كدر الملك خراب وقال أنه يفتش مثل هذا التهامل أكثر فأكثر يفتش نوات فارس مثل هذا الفارس وضياعه من يدنا . ثم أحضر الحارس عليه والحارس على أنس الصفا وسألها عن سبب فرارها فقالت له أنا عند ارتباك القوم واشتغالهم بهزاد ركضنا مع من ركض لتنظر حاله وطمأن قلبنا ونرجع حالا ولم نخطر لنا قط أن أحدا يقدم على تهريب عايسنا وأسرانا ولم نفكر أن أنس الصفا تذهب إلى الصيوان المحفوظ فيه تمرناش ونفك وثاقه وتذهب به وقد قفنا إلى أطراف المسكر أملا أن تقع عليهما فتصيدهما إلى الأسر فلم نرها واتنا نعلم من أنفسنا أننا نستحق العقاص والمجازاة على هذا التهامل والتهاون ولذلك نطلب إليك أن تعاملنا بما نستحقه فلو أمرت قتلنا لكان ذلك قليل علينا فقال الملك خراب عند سماعه كلامهما نعم انكما تستحقان المجازاة بالقتل على ضياع مثل تمرناش من أيدينا غير أنه لما كان لم يسبق منكم قبل الآن عمل مثل هذا وكان سبب فراره هو اشتغالكم بهزاد وكدركم من أجله فأعز عنكم إكراما لحبه وأوصيكا بأن لا تعودا مرة ثانية إلى مثل هذا التهاون فلما سمعا كلامه لم يصدقا وقبلا بيده وخرج وفرح وسرور وفي الصباح نهض الملك خراب فلم ير لصا كر الرومان من اثر في ذلك المكان فلم اهتم وحلوا في الليل من ام اللوز وقصدوا المدينة ليطلعوا الملك قيصر على ما حل بهم ولذلك قال يجب أن نبقى هنا كل هذه المدة إلى أن يشفي هزاد غاية الشفاء ويقدر على ركوب الجواد والرجوع إلى الحرب والطراد ويرتاح فكرنا من قبله وبذلك يكون أيضا قد ارتاح الجيش من الحروب مدة وعاد إليه نشاطه

قال وكان سبب غياب تمرناش وفراره هو انه لما اخذ اسير وقيد إلى خيام

الفرس وضع تحت الحفظ والترسيم وأقيم عليه الحرس ويفكر الملك خاراب أن يرسله في اليوم التالي إلى ملاطية وشغل عنه بانعامه على بهزاد كما تقدم معنا الإيراد ثم بما أصابه من أخيه وقد قلنا أن هموم عساكر الفرس أخبرت بموته فأسرعت حربة تبكي عليه ومن أجله الحراس الذين على صيوان تمرناش فانهم أغلقوا باب الصيوان وركضوا على أمل أن يرجعوا حالا بينما يكونوا قد وقفوا على الخبر الأكيد وكانت أنس الصفا مقيمة بالقرب منه وقد عرفت من أول الليل بأسره فتشددت جدا وقطعت الرجاء من الخلاص لأنها كانت تؤمل أنه ينقذها بما هي به وصبرت تنظر ما يكون من أمره فلما قامت الفروغاء وارقت الغضضاء خرجت من الصيوان فلم ترى أحدا عند بابه فسارت وقلها يرجف خوفا وخطرها أن تصل إليه إذا ساعدتها الصدفة وأوصلتها التصادير . فوصلت إلى صيوان بالقرب منها فلم تر عنده أحدا ولادخله أحدا فسارت إلى غيره وما قطعت نحو خمس خيام حتى وصلت إلى الصيوان المسجون به تمرناش فوجدت بابه مسدولا إلى الأرض ففرقه وإذا به داخله ففرحت غاية الفرح واندفست عليه بلطفه وأخذت تحمل كتفه حتى صار يقدر على الحرب فأمرها أن تتبعه وخرج راكضا وهي معه والقوم في اضطراب لا يبي الواحد على الآخر وكل من رأى ما يظن أنها من الإيرانيين أو من أتباعهم ولا يخطر لهم أنها تمرناش وصاحبه حتى خرجا عن المعسكر وهما بفرح لا يوصف ووصلا إلى جيش الرومان فوجدها على أجرة الرحيل لأن أنبوش عند رجوع الساكر من القتال دخل خيمته حينئذ على تمرناش وثبت له أنه إذا بقي إلى الغد أسر هو أيضا أو قتل وتجدد الجيش الباقى معه ولذلك أقام بانتظار خلفه الأعداء ودخلهم إلى النوم لينهب وأمر قواده أن بعد نصف الليل بساعة يقتلوا من تلك الأراضى ويتفقدون إلى الورداء راجعين إلى المدينة لأنهم قريبون منها ولما كان الوقت المعين أخذوا في أن يحملوا الأحمال يقتلوا أو تاد الخيام ويرفعونها على ظهور البغال وهم من أجل قارسهم ومما حل بهم في قلق واضطراب وإذا به قد وصل إليهم وعرفهم بنفسه ففرحوا به غاية الفرح ولا سيما أنبوش فنبأه بالسلامة وسأله عن سبب خلاصه فحكى له وقال أريد منك أن تديم العمل الآن وفرحل من هذه الأرض والاهلكنا عن آخرنا والحق يقال أننا لسنا من رجال الفرس فإمام من مصاف البشر بل أسود كواسر وإن لم نستعن عليهم بالكثرة والا أهلكونا عن آخرنا واحدا بعد واحد فقال له اني عرفت ذلك وعليه تفديا تفسى للرجل . فركب تمرناش وأركب أنس الصفا وسارت الصفا كراجمة إلى الورداء دون أن يدي أحدهم حركة أو يرفع صوتا ودماوا في مسيرهم كل بقية تلك الليلة وأكثر النهار التالي حتى وصلوا إلى المدينة ودخلوا بحالة يرثى لها

وهم مفشولون ودخلوا على الملك قيسر وشكروا اليه حالهم وما لاقوه من الملك ضاراب ورجاله وحكوا له مفصلا كل ما كان من أمرهم فاضطرب وحل به الخوف والوجل وشعر بانقراض دولته إذا لم يستدرك أمره ويدبر طريقة لارجاع الايرانيين عن بلاده فعقد في الحال مجلسا وأخبر قومه بكل ما جرى وكان من جملةهم الفناء سرور ووزيره طيفور فسكدر الجميع ولم يبد أحد منهم قولاً إلا وزيه يداخطل فانه قال إن الرأي عندى أن نستدعى بالساکر من كل الجهات ونطلب اليها المعونة والمعاودة ونطلب أيضا من جهان ملك الصين أن يعذنا بالرجال والابطال وأن يبعث الينا ييهوان بلاده ومدبر دولته وسيد فرسانها منكوخان ابن ملكوخان وبأولاده السبعة فرسان هذا الرومان وإذا لم تفعل ذلك والاعلمت العرس بلادنا وأنتونا عن آخرنا وأذلوا نساءنا وسبوا . فقال الملك قيسر هذا لا بد منه ثم أمر يداخطل أن يكتب الكتب ويعيها ويكتب كتابا إلى جهان صاحب الصين يعرض عليه حاله وطلعه على كل ما كان من الايرانيين . فأخذ الوزير يكتب الكتب المذكورة ويعيها وكتب كتابا إلى جهان يقول له فيه :

من الملك قيسر ملك البلاد الرومانية ولسطان الطوائف النصرانية إلى صديقه جهان ملك الصين وعجي عبادة النار مابين العالمين .

اعلم أيها الاخ الصديق والصاحب والرفيق وحاكم بلاد الصين من مشرقها إلى مغربها أنه خرج في بلاد الفرس ملك اسمه ضاراب بن جهن وهو جبار عنيد وله ولد اسمه فيروزشاه لم يبلغ أشده بل هو بدوغة التراهق أحب فتاة من أحسن نساء العالم وأجملهن اسمها عين الحياة بنت الشاه سرور صاحب تعزاء اليمن ونواحيه وطلبه أن يأخذها من أيها بالرغم فامتنع عليه ومسكه بعد أن أجرى في بلاده وقائع عديدة وقتل يبروز وميسرة لإخوة طومار الزنجي وبعد أن قبض عليه ومسكه سله إلى هورنك ملك جزائر الزنوج لأنه كان قد قتل ولده وبالاختصار فانه تخلص منه وقتله وتملك بلاده وسطا عليها ورجع منها إلى اليمن ليأخذ عين الحياة بالرغم من أيها فوجد أباه الملك ضاراب قد نزل على تلك البلاد ليأخذ له بالنار ووقع بضيق عظيم من طومار الزنجي المشهور راكب الافال قتلته فيروزشاه أيضا وسطا على المدينة فهرب أبو عين الحياة إلى مصر إلى الوليد حاكمها وزوج بنته من ابنه فتبعه الايرانيون وبعد وقائع عديدة وحروب يطول شرحها تذيب من هولها الاطفال فاز فيروزشاه على تلك البلاد وملكها وقتل كل بل فيها فهرب أبو عين الحياة عند ذلك إلى مستجرا بن فأجرته (وحكى كل ما توقع له مع الايرانيين من البداية إلى النهاية) لحسبته لهم حسبا وبت بانتظارهم ولا سيما عند ما هرقت بأنهم قصدوا بلادى وقد ملكوا

الاسكندرية وسورية وكل بر الشام وجاموا ملاطية وكانت عساكرى فيها فشردت
منهم القبائل وسكان الضياع وأخرجوا منها عسكرى ومن ثم قتلوا خرطوم الروى
حامى بلادى وفارسها وأسروا بهلوان تخفى ثمرتاش ولذلك ثبت لى أنى لا تغلب
عليهم إلا بكثرة المساكروا الأبطال فكثبت إلى كل حال من داخل البلاد واستنهضت
هم أصحابى وأصدقائى أن يهملوا إلى بالمسير لنريد هذه الأمة التى طفت وبغت وداست
هذه البلاد ولم تراعى قط حرمة الملوك وحق السيادة وعليه فاق أساك بالحلب القديم
الثابت فيما يبتنا أن تسارع إلى نجدتى برجالك وأبطالك وأن تبعث إلى قائده عساكر
عسكرخان جبار هذا الزمان ليقهرنا فرسان إيران ويقتل فيروز شاه ويربنا من شره
ولا تتخل عنى فى مثل هذه الضيقة ولا تترك العدو يتمكن فىنا ويسطو علينا وأنت تتناهى
عنا وإنى أخبرك أن معهم من الأموال ما لا يحصى بقلم ولا قرطاس لأنهم نهبوا أموال
كل البلاد التى تملكوها ونهبوا أموال صفراء الساحرة وأخرجوا من الكز الذى فى
عصر أحوالا كثيرة من الذهب والجواهر ونحوها فاذا بدتم هذه القبيلة كانت هذه لكم
غنية وربما والآن رجال الفرس قائمون حول مدينتى يطاردون عساكرى وإنى
سأحاول فى القتال إلى حين يحى رجالكم إلى والسلام لكم والتحيات منى والاكرام
وبعد أن انتهى يدأخل من كتابة هذا الكتاب سلمه لأحد فرسانه وقاله أريد
منك أن تسرع هذا الكتاب إلى تكسين عاصمة بلاد الصين وتأتينى من ملكها بالجواب
ولك منى كل ما طلبت اذا جاءت إلى عساكره قبل أن ينتشب القتال بيننا وبين الأيرانيين
قال سوف ترى منى ما يسرك وسأرى قطع البرارى والقفار مدة أيام لا ينأى لافى ليل
ولا فى نهار إلى أن دخل على الملك جهان صاحب بلاد الصين وقبل الأرض بين اعتاب
سمائه لانه كان يسكن فى قصر كبير منسج فى وسطه قاعة فسبحة مفروشة بالبط والحرير
وحيطانها مرصعة بالجواهر والياقوت وبين سقفها زرقاء مجللة من المرمر من طهرها
بالدر والحرير المحشوة من ريش النعام كان يقيم فيها الملك وفى وسط هذه القاعة التى
يلقبونها بالسما نافذة صغيرة عندما يحتاج الملك إلى شىء دعا اثنين من حجابيه يقومان أبدا
بخدمته من تلك النافذة وليس لأحد فىهما أن ينظروا وجه الملك لانه كان عندهم كاله الأنى
السنة مرة فانه يزل من سمائه ويذهب إلى بيت الاصنام ليقدموا لها الذبائح امامه واذا
وقعت حرب بينه وبين عدوه واحتاج الأمر إلى قهر العدو ولم يروا أبدا من نزول الملك
خرج من سمائه وقهر ذاك العدو لان رجاله منى رأوه انه فى القتال رموا بأنفسهم إلى
أيدى نيرانه فلا يعودون الا بالانتصار وكان لا يعرف شيئا من أحوال مملكته

وأمرها لكبرها واتساعها ولا يطلع على أوراتها ورسائلها وما هو جار فيها ولا تقدم
إليه إلا رسائل الخوك فقط وإذا حدث في المملكة أمر مهم جدا جاء إليه هذان الحاجبان
وأطلما عليه وإذا أراد أحد أن يتشرف بأعراض أمر ليه يسأل عن ذلك فإن أجاب
دخل ذلك الرجل ورأسه إلى الأرض اختشاء من أن تقع عينه على بهاء الملك في هلاكه
فيلحق به الأذى وكانت أعمال المملكة يد اثنين أحدهما لتدبير الداخلية واسمه مهربار
والآخر لقيادة الجيوش وحماية البلاد يقال له منكوخان بن هلكوخان وكان هذا الكبير
بطل صنديد وفارس شديد وله سبعة أولاد ذكرهم في الرتبة والوظيفة وأسماؤهم
الفضبان والعاصي والمنجد وأبو القناير وكثير وسعدان وحامى الخيروم أبطال جبارة
فلما وصل رسول قيصر وقف بين يدي جهان ورأسه إلى الأرض وقد دفع الكتاب
إلى أحد الحاجبين فأوصله إليه وقراه له فلما عرف ما به أدهى وأزبد وقام وقد صاح
بالحاجب أن يسرع إلى منكوخان ومهربار ويحضرهما إلى أرض سائته يعني إلى أرض
الفرقة القائم فوقها فارس وبست من يدعوهما فلما حضرا أذخلا كعبة الناس أى أن
كلا من الحاجبين وضع يده على رأس واحد وأدخله إلى وسط الفرقة فظل الله وبالحرى
الملك وقال لها اعلم أن صديق الملك قيصر ملك التصارى قد بعث يستجير بى من ظلم
الفرس وعظهم وقد داسوا بلاده وتملكوها كما تملكوها غيرها ولذلك حيث يعلم أى
أقرب ملوك هذا الزمان وسلطان سلاطين الدنيا بعث إلى يطلب منى الصاكر وطرد
هذا العدو من بلاده وقد تحرك غضبى إلى هلاك الفرس وعمر آثارهم من هذه الدنيا
وطيه فأتى أمركما أن تبعنا نحو من أربعمائة ألف فارس إلى معونة الملك قيصر ويسير
على الجيش أحدكما منكوخان مصحوبا بأولاده ويأتينى برأس فيروز شاه فارس
الفرس وينهب أموالهم وجواهرهم ويأتينى من هناك بالنساء الجميلات وفى أولهن عين
الحياة بنت الشاه سرور وقد وصفها لى قيصر أنها من أجل نساء العالم فاجابه بالطاعة
وخرجا من القاعة لانتفاذ أمره ومعهما رسول الملك قيصر لجمع الجيوش وعدداها
واليساها العدد وفرقا عليها المؤن والذخائر وأمرها أن تستعد لتخرج بعد ثلاثة أيام
وفى اليوم الثالث ركب منكوخان على جواده وهو كانه البرج الحصين وخرج فى مقدمة
الصاكر وحوله أولاده السبعة المتقدم ذكرهم وكل يقظ بنفسه أنه يلقى جيش الفرس
وحده وخفقت فوقهم الرايات الصيفية وحملوا أصنامهم معهم ليعبدوها فى الطريق ويسجدوا
لها فى وقت الصلاة واستلبوا طريق بلاد الرومان وساروا على نية الوصول إليها وحرب
تقرن فيها

قال الراوى ولتد إلى حديث الفرس فانهم أقاموا فى أرض أم الروض كما تقدم

منا الكلام ينتظرون شفاء بهزاد على أوجاهه وآلامه وقد تبع جرحه التهاب وحس
ألمته اقتراش مدة ليست بقليلة ويطلوس يلازم مداواته ويذل الجهد فيها وهو لا
يخافه دائما لا في الليل ولا في النهار والملك ضارب مغفل الفكر من أجله لا يبرح
دقيقة من بابه ودائما يسأل وزيره عنه ويتحنن شفاؤه وبهذا السبب طال المطال على فيروز
شاه وزاد شغفه وشوقه إلى عين الحياة وكان يصب أن يعرف ما هو حاصل طيبها وفي
أى مكان هي وهل براحة أو بكدر وفي ذات ليلة اشتدت عليه الحال وهاج به بلبائه
فقلقى في فراشه وضائق صدره ولم يروية إلا بصوت بهروز فدعاه إليه وشكا له حاله
وقال له ألاكون فيروز شاه وعندى عيار مثلك ويمصب على الحصول على غاية صغيرة
لا تقدر على قضائها قال وماذا تريد ياسيدى قال عليك ألا تعرف عني في الحصول
على عين الحياة وحتى الساعة لم أقدر أن أمنع أصنافي عنها وبسبب ما حصل لى من
المصائب ولما من الأكدار صرت أتمنى أن تكون عندى دائما والجيش وأمام عيني
فيكون فكرى مطمئنا من نحوها قال إن كنت ترغب في ذلك فأقأسفصها من هذه الساعة
ولا أعود إليك إلا وعين الحياة معى ولا يغفل فكرك بهذا السبب فأقأسير إلى المدينة
وأتهمس أخبارها وأعرف أين هي فأدخل عليها وأعطها بقصدك وليرجاء وثيق أنها
تطميني إليه وتأن معى قال لا ريب أنها إذا أعطتها غايتى وأقربتشك منحصرا لا تتأخر
بأفاد طلى وإياك من أن براكم هلال العيار فهو خيبت محال قال أنى أحسب له حسابا
لأنه يعرفنا ولو تزينا بالقوى إنما ساحول كثيرا أن لا ندهه برانا راقى أطلب
إليك أن تطميني شيا غرس النقاش وطارق العيار ليكونا يرفقتى قال خذها معك فلا بد
من وجوب رفيق لك في هذه المرة خوفا من حدوث ما لم يكن بالحسبان وفي الحال
دعا بهروز بطارق وشيا غرس وأطمئنها على غاية سيده وأمرهما أن يستعدا للسير معه
فاجاباه وفي نفس ذلك الليل خرجوا من بين جيوش إيران وقصدوا المدينة ليطلعوا
على عين الحياة ويأتوها إلى فيروز شاه ولارالوا حتى دخلوها وهم بصفة رجال البنى
الليل التالى ونزلوا بأحد الفنادق في أطراف المدينة ولبس بهروز ملابس الرومان وخرج
إلى الأسواق يتجسس أخبار عين الحياة حتى صادف رجلا من عساكر الملك قائما
في عانة لوحده يشرب الخمر فدخل وجلس بجانبه وسلم عليه والرجل في حالة متوسطة
بين الثول والصغر وأخذ معه بالحدث من جهة إلى أخرى حتى أوصله إلى مسالة
الحرب مع الإيرانيين فقال له وهل كنت أنت بالحرب مع تمرناش هذه المرة قال
نعم كنت وقد أصبت بجرح خفيف إنما أخذته لم يعال أمر شفاؤه فقال له شكر الله
الذى ما وصل إليك ضرر وقبح الله وجمال إيران فإهم إلا أبطال شداد وكان في وسع

ملكنا أن ينضم عنه . قال بأى قوة يقدر على منضمهم ودفعهم وهم لا يرجعون ما لم يأتوا بفتح ملك اليمن بين الحياة . قال هل هي في المدينة ليأخذوها وإذا زوجها الملك بأخته فمن يقدر أن يأخذها حتى أنهم هم أنفسهم لا يعود لهم مطيع فيها فاما يتركونها ويذهبون وأما تضعف شوكة فيروز شاه بهذا السبب ويحصر عقده فلا تعود له قائمة . قال هي الآن في جزيرة الحديد المقيمة في وسط البحر لا يقدر أحد على الوصول إليها والدنو منها وأما زوجها فلم يقبل به أبوها إلا بعد قتل فيروز شاه فلما سمع فيروز بأنها بعيدة عن البلد وأنها في قلعة الحديد خطر له أن يقصد تلك القلعة ويقتل على من بها ويأتى بين الحياة فقال له وهل تلك القلعة بعيدة عن هنا وما الموجب لوضعها فيها . قال أنت من المدينة قال كلا بل أنا من الضياع وما سبق لي أن أتيت هذه الناحية لاني أحترت أرضي وأزرعها دائما ولا أخرج منها . قال ان القلعة هي الى جهة الشمال تمتد عدة أيام عن المدينة في وسط البحر لا يقدر أحد أن يدخلها إلا من أبوابها الحديدية وقد خاف الملك فيصر من أن يأتي عيارو الفرس فيسطون عليها ويسرقونها لأنهم كانوا قليل شياطين في صفة بشر ولا سيما يقال ان بينهم عيار اسمه هرور ابن حرام لا يصطلي له نار يسلب الكحل من المقل ولا يوجد له ثان في هذا الزمان . قال حسنا فعل فيما من وسيلة لأحد بالوصول إليها في تلك القلعة

وبعد أن أتمام هرور مع التفريغ من ساعة ودعه وخرج إلى الفندق الذي به رفاقه فقال لهم ان عين الحياة بعيدة عن البلده في قلعة الحديد فهلوا بنا نقصد تلك الناحية عسى ان الطرود تساعدنا فدخل القلعة ونأتى عين الحياة . فقالوا قل ما بالك فقال البسنا لبس رجال الرومان وذهبت القبعات على رؤوسنا ولا ندعوا أثر الحائك كما الأولى فقد عولت على أمر أرجوانه نحاحا . ثم كتب كتابا إلى أمير القلعة عن لسان الشاه سرور يقول له فيه سلم عين الحياة للرجال القادمين إليك قال الملك فيصر أمر قبا أن أحضرها وأمي . أمرها ليرف على ونده انبوش ولا تأخر عن ذلك الآن لأن الفرس سيكون قريبا فيغضب الملك وبعد ذلك سارع رفيقه إلى جهة البحر بسرعة حتى وصلوا إليه في نفس ذلك الأسبوع فوجدوا عند الشطآن صخرة عند قاعدة قرارب رأسية لحوا أحدها وركوه وساروا عليه يجذفون حتى لاصفوا الحرية فزلوا إليها ومشوا بها وقد نظروا إلى القلعة وهي كبيرة جدا إنما لا انقذه فاقدر أن يدخل منها أحد وكلها من الحديد السميك فوقف هرور متحيرا فلم ير أوق من عرض المكتوب على الأمير فهد عاظم القلعة فطرق الباب فخرج إليه الحرس وسأله عن غايته فأخبره أن يده كتاب إلى أميرهم . فقال له اصبر إلى أن

ادعوه اليك ثم سار فدعاه لحضر وأخذ التحرير من بهروز وقرأ فاشبهه به ولا سبأ ان
الملك قيصر أوصاه أن لا يسلم عين الحياة إلا لمن يأتيه بجاتمه الخصوصي ولذلك قال
أن العلامة . قال وما هي العلامة فلم يعطى إنشاء سرور علامة . قال اني لست بمأذون
أن أسلمها إلا لمن يأتيني بعلامة منه وعلى هذا لا أقدر أن أسلمها لاحد قال فرجما نسي
أن يعطى العلامة وربما لم يكن عند الشاه سرور علم بعلامة بل أطاع أمر الملك قيصر
وبعث ليحضرها اليه لأن زمانها على انبوش سيكون بعد بضعة أيام قال لامطعم بتسليمها
بغير العلامة المأذون بها من قبل سيدي وإلا أمانتي وجازاقي بالهلاك والوبال . ولما
لم ينجح بهروز في عمله كاد يفتق من النيطد ولم يحسب حسابا لهذه العلامة إلا أنه أظهر
الجلد وأخفى السكمد وقال للأمير فهد سوف آتيك هذه العلامة وأترك الشاه سرور أن
يطلبها من الملك إن أمكن أن يسلمها أباهما قال لا أظن أن الملك يمكن أن يعطيك هذه
هذه العلامة أو يسلمها لغير ولده أو وزيره فهي خاتم الاحكام . قال ان الملك يركن
لشاه سرور ولذلك سوف يدفع اليه الخاتم واني الآن أحب سرعة الاستحصال خوفا
من العتب والرم والقي مسئولة هذا التأخير عليك قال افعل ما يداك فلا أحاف قول
سيدي ولو عدت نفسي ثم أقفل الباب ودخل القلعة وصعد إلى عين الحياة وأخبرها
بكل ما كان بينه وبين الثلاثة رجال وأنهم يدعون أنهم جاءوا من قبل أبيها بكتاب
يطلبونها لتزف على انبوش وكانت قبل ذلك الحين يفرح زائد وقد صرفت بكسرة الرومان
ورجوعهم مقهرين وقتل خرطرم الرومي وبانت تنتظر الخلاص والافراج من تلك
القلعة ومثلها كان سيف الدوله ووجهه والأمير قهر إلى أن جاءها حافظ القلعة وأخبرها
بما كان فاضطربت وشغل بالها وكانت تاره تفكر أن ذلك ربما كان حية من هيارى
إيران وطورا تتصور أنه ربما يكون الملك قيصر قد أقنع أباهما برواجها وبعت ياخذها
فكانت تسر وتفرح عندما يخطر في ذهنها الأمر الاول وتحزن وتتكدر غاية التكدر
عندما يتقوى عليها الفكر الأخير وأصبحت باحتراب بين أمرين لا تعلم الحقيقة وصبرت
على حكم القضاء تنتظر الفرج منه تعالى والخلاص من هذا العذاب وتلك الوحدة
قال وأما بهروز فانه عندما حبست مساعيه قال لطارق ان الأمر خطير فن أئين
لنا أن نحصل على خاتم الملك قيصر ونأتي به إلى هذا الأمير ليسلمنا عين الحياة فهو
متصلب في قوله ولم يخطر لي قط في البداية أن يبتئ الملك والأمير مثل هذه العلامة
والقلعة حصينة لا تقدر على الدخول اليها من جهة قط . قال ان لا سبيل إلا بالرجوع
إلى المدينة والقيام فيها إلى أن يتسهل لنا طلبنا وربما ساعدتنا التقادير وقدونا أن
ندخل قصر الملك قيصر فنسطر عليه باليسل وتودع خانته من يده قال ان بذلك

صعوبة عظمى لأن حوله من الحجاب ألوف ولا يمكن الوصول إليه بسهولة إنما ليس على الله من أمر صير ولا بد من أن يسهل لنا طلبنا ثم اتهم نزولوا من القلعة إلى القارب وعزروا به البحر حتى جاءوا الميناء فزولوا منها وورطوا القارب بين القوارب دون أن يشبه بهم أحد من محافظي الميناء وقد ظنوا أنهم من الرومان جاءوا القلعة بأمر الملك فحصرهم بعد أن بعثوا عن القاطن سلكوا طريق المدينة يطلبون من الله الفرج إلى أن أمسوا المساء فقصدوا الميت في تلك الأرض فخرجوا إلى أكمة صغيرة هناك يبتون عليها وإذا بهم قد نظروا نورا بالقرب منهم في سهل عند حفرة من تلك الأكمة وعشر خيام مضروبة . فقال يهروز أصعروا أتم في هذه الأرض فلا بد من المسير إلى هذه الخيام والاكتشاف على من بها لأننا عند مسيرنا في المرة الأولى من هذه الأرض لم نر هنا أنيسا ولا جليسا ولا من يهب ولا من يدب ولا بد لسكان هذه الخيام من أن يكونوا سائرين في هذه الطريق إلى الشاطئ . وربما إلى القلعة لأنه لا يؤدي إلى غير جهة ثم انطلق بأسرع من البرق عن الأكمة حتى وصل إلى بين الخيام فتخلطها وهو يستتر خوفا من أن يعلم به أحد من سكانها فتبين أن ما بها من الرومان فاختلط بينهم حتى جاء الصبيان الكهده فظروا إلى داخله وإذا به يرى الأمير انبوش بن الملك بقصر فكاد يطير من الفرح وترجع عنده أنه ذهب إلى القلعة إلى عين الحياة إما ليأتي بها وإما ليصرف وقتا عندها وقال في نفسه لا بد من قتله وأعدامه ومنه من نوال غايته كي لا يكون لفيروز شاه سيدى مزاحم في خطبته وحيية قلبه وتأكده أنه لا بد أن يكون أصحاب معه العلامة وإلا لا يسلمه إياها الأمير فهد ولا يده يدخل وصبر عليه به نظر اقتضاء السيرة ونومه مع الأمراء الذين حو اليه .

وكان السبب في مجيء انبوش إلى تلك الأرض هو أنه بعد أن كسر من أمام وجه الملك ضاراب ورجع إلى أبيه مع تمرناش كما تقدم معنا بقي في المدينة ينتظر الفرج وفي كل يوم يزيد حيامه وحرامه بين الحياة حتى كاد يقع في حلة السقام ولما أعياه الأمور لم يروية لنيل مقاصده وثبت عنده أنه هالك لا محالة شكاه حاله إلى وزير أبيه يداخطل وقال له إذا لم تر لي وسيلة للتزوج بين الحياة فاني هالك لا محالة ولم يعد لي من صبر على فراقها . فقال له يداخطل من الحال أن تتال غاية بدور زمانه طيفور وقد لاح لي أنك تستمد لهدية فاخرة من الجواهر والالمان والذهب وتقدمها له وتقع عليه وتسأله المساعدة فإذا وهكذا نلت الظفر وملكت عين الحياة قبل نهاية الحرب وقبل وصول الفرس اليها فاستصوب انبوش رأى وزير أبيه وقال اني ساحضر ما أشرت إليه والسفر في القدر برفقتك إلى الوزير طيفور وتقع عليه وتقدم له الرشوة حتى إن الله يلمه إلى مساعدتنا ثم ذهب قصر أبيه واختار من جواهر أمه ما حلاني

عليه وغلا ثمنه وانحدر إلى غرينة أليه فاخذ كثيرا من الدرهم كلها من الذهب الروماني وجاء إلى يداخل فرض عليه ما أحضره وطلب منه أن يسير معه فاجابه وسار إلى طيفور وهو في قصر الشاه سرور وانقردا به في غرته وقال له يداخل لما كنا نعلم ان لا شيء ينتهي إلا برأيك وتديرك مع سيدك واتنا نحن أيضا لا نريد أن تقطع خيطا إلا بامرك أتيناك مستشرين ومستجيرين فالتفت إلى سؤالا ولا رجعتا بالحياة والفشل وذلك ان ابن ملكنا انبوش الحاضر أمامك الآن قد شغل بحب عين الحياة ولم يمه له صبر عنها ورأى نفسه قريبا من الهلاك إذ طال عليه أمر فراقه وصعب عنده الوصول إليها قال وماذا تريد ان متى قال نريد مساعدتك ونحن وقيمان عليك فدير بحكمتك ما تستنسه وتامر به وقبل أن يتمكن طيفور من الجواب قام انبوش وقدم له الهدية وطرح الجواهر والذهب بين يديه فأنهر منها وتاه عنه وارتفعت نفسه وسال رفيقه وأجاب على الفور نعم اني ساجده النفس إلى اقتاح الشاه سرور وادعه أن يرف عين الحياة عليك وذلك من الأمور المواقفة لنا ولكم ونحب أن نتم بالعرس قبل أن يحصل ما لا يكون لنا في الحساب . وعلى كل حال فاني موقن بنجاح سعي ولا أريد إلا أن تحضرات في القند إلى ديوان أليك بيننا يكون محبكا بالاعيان والامراء ويكون الشاه سرور وقتئذ وأنا حيث تقدم الوزير ويطلب من أليك أن يرفك على عين الحياة ويبين له انشغالك بها وأنت قد سقمت من حبا وليس من سبيل إلا بالحصول عليها ومن ثم أنكلم أنا وأحل عقدة القران وأحضر أجلا محدودا يكون يوقت قريب واني كافل هذا الامر ضامنه وأتهد به فلا يمحى إلا أيام قليلة حتى ترى عين الحياة قرينة لك مطبوعة لأمرك تال منها بفتك ومرادك فشكره انبوش وهو لا يصدق هذا الوعد وأن طيفور قد أجاب بمساعدته ثم انصرف مع وزير ابيه وهو مطمئن الخاطر ينتظر اتيان القند ليم ما هو بطلبه .

وبدأ ذمها بما قام طيفور إلى سيده وأقام عنده واخذ يضحك أمامه ويمدحه ويثني على صفاته وهو لا يلتفت اليه كالعادة ولا يميزه جانب الالتباه بل كان يكلمه تارة وتارة لا يحميه وهو لا يفتر عن عمله لأنه كان يعلم أنه عديم الثبات على الأمور لا يحقد ولا يصبر على قوله ولا عمله ودام في عاداته ومكانته إلى أن قال له اني صرفت الليل الماضي دون نوم وأنا أفكر فيما مضى علينا من البداية إلى هذا اليوم فارتعت من تذكرى عظم الحوادث المارة علينا وعجبت كل العجب كيف قدرنا أن نثبت أمامها وتقاومها بنبات لا يكل ولا يمل وكان كل تعجبي ثباتك واقدامك ولو كان غيرك لكان حسم هذه الحوادث بان سلم بزواج بنته لأى كان لاسيا وأنت معتاد على الترف

والبلخ وسعة العيش فترك كل ذلك وتحملت أصعب الأمور وأشد المشاق وصرفت
 جل العناية لمقاومة عدوك . قال الشاه سرور وهو يتمرر مكذا فضى على الله اليس
 أنت الذى كنت السبب فى السوق كل هذه المصائب . قال وماذا يبنى وهل فلت شيئا
 إلا وكنت أنت المواق عليه ولا تظن أن كنت أقول لك شيئا ولا أشور عليك بشيء
 إلا وقد سبق فكرى إلى قصدك وغايتك وما قلت قولاً إلا بعد أن أمنت النظر فيه
 وأنا كنت أن مبلك إليه أكثر منى . ولو كنت تحققت مخالفتك ل مرة واحدة لسكت
 وتركتك أن تزوج بنتك عين الحياة لآى كان ومع كل ذلك فهنا الأمير أنبوش ابن
 الملك قصر صارف كل الجهد إلى الاقتران منها فزوجها به واحسم هذه المسألة ودع
 الرومان والفرس يشغلان بعضهما ولا شك أن فيروز شاه إذا تأكد أن عين الحياة
 قد تزوجت وفرغت يده منها قطع الرجاء ويئس من الوصول إليها فتصنف عزمته
 ولا يعود له رجاء بالحصول عليها فاما أن يموت كندا وعذاباً من محبتها وإما أن يرجع
 برجاله إذا وجد صعوبة فى الحرب والقتال وإنى ما كنت أمتنع زواج بنتك بأحد إلا رضى
 ظنى أن طالبها يمنع عنها فيروز شاه ويرد إليها بلادنا . فانتبه الشاه سرور إلى هذا الأمر
 وبأن له وجه الأمل فيه إلا أنه تردد والمراقبة عليه وأطرق إلى الأرض متمعنا فلحظ
 ذلك منه طيفور ففكره على حاله وخرج إلى غرفته وهو يقول فى نفسه لابد من أنه فى الغد
 أمام القصر يحمل فيجيب ولا سيما إذا وجد أن القصر مصر على طلبه ووجدنى قد أنعمت
 عنه وأجبت إلى سؤاله وهذه الطريقة أكون قد نلت غايتى بالرغم عنه وقهرت فيروز شاه
 قهراً ما بعده قهر وماذا ياترى عدت أنتظر من الشاه سرور والتقرب منه بعد أن صار
 أمل الوصول إلى بلاده مستحيل وغير ممكن الحصول .

وفى اليوم الثانى اجتمع فى ديوان قصر كل من الأعيان والأمراء والوزراء وجلسوا
 على حسب مراتبهم واحد أواحداً وجلس الشاه سرور ووزيره طيعور والخواجه اليان
 وأولاد الشاه سرور كالعادة ودار الحديث فيما بينهم وطال جدال الحرب حتى انتهى
 بكلام يداخل فوقف وقال إنى لأرى حسماً لهذه الحرب وقهر أفرس إلا بأمر واحد
 لابد منه كيف كان الحال . فوجهت كل الحواطير إليه ومالوا بأنظارهم نحوه وقال له قصر
 وما ذلك . قال هو أن تسمى فى أن تزف عين الحياة على الأمير أنبوش وتحرم فيروز شاه
 منها ونده ، مقطوع الأمل خائب الرجاء لا يحسن حمل شيء البتة وبذلك يرجع عن بلادنا
 إنظم يكن له من غاية إلا أخذ ما ناولناه حصل طلبنا اليوم لسافر فى الغد إلى بلاده ولورآما فى
 مصر وملكها لما جاء قط هذه البلاد ولا جرى يتناوبتته حرب ولا قتال وأماننا أمر أن

ناهان إما أن نسله عين الحياة يأخذها ويرحل عنا وهذا غير ممكن بعد أن ثبت عندنا
 أن الأمير أنبوش عاتق حبها لا يريد قط سواها وإما أن نخرمه منها ونرهبها على الأمير
 أنبوش فيموت أمه ولا يعود قادرا على القتال . ولما فرغ من كلامه تأثره طيفور
 ووافق على كلامه وقال إن فيروز شاه إذا عرف بزواج عين الحياة بغيره يقع في فراش
 الاستقام ويموت كمدا لأنه معاهدتها منذ البداية متيقن قل اليقين أنه سيكون بلا ملأ وأن
 بقوة سيفه سيحصل عليها وقد وضع كل قلبه وفكره عدما فإذا قطع الرجاء وقع باليأس
 والقنوط وإني أؤكد أنه لا يعود يقدر على حمل السيف ويضعفه تضعف قوة رجاله
 ولا يعودون قادرين على القتال ولا سبب يدعروهم اليه لأن قتاله وقتالهم هو الآن
 لأجل خلاصها من يتركها فإذا عرفوا أن لا تقع فيها ولو حصلوا عليها لا يقبل فيروز شاه
 بها إذ يكون قد صار له حبا شريك وأن ذمرا جاعلا اقتطعها غيره . نعم ان هذا هو
 الأمر الوحيد الذي يردع الفرس عنا وإني منذ الأول أعلم ذلك إلا أني كنت أصرف
 الجهد إلى إبادة رجال الفرس على أمل أننا نعود إلى بلادنا ويصفوا لنا الزمان ونرجع
 إلى تمراء البن وأما الآن فما من مطمع لنا في تلك البلاد وإني أسأل مولاي الملك قيسر
 أن يكرم عليه ولاية فيتولاها ويصرف بقية العمر فيها حاكما فلا يضر بلادهم ويمرهم
 من أكرام غيره . فقال يداخل حالنا ذلك لا بد منه وإذا كان الأمير أنبوش
 صهره فأى بلاد من بلاد الرومان ليست له أليس هو المالك عليها كلها وحقه ما كتبها
 وحماكتها وأمرها نافذ فيها رفوق كل ذلك فإني أسأل سيدي الملك قيسر أن يخرجه
 ببلاد ويقطعه أياها فيعتاض بها عن بلاده ويكون مستقلا في أحكامها . فقال قيسر إني
 لا أحب أن أمنع عنه بلدا من بلادى فأى ناحية أرادها أقطعها أياها وإني لا أرى له
 الآن أوفق من ملاطية فتد جلاء الفرس عنا يكون هو الحاكم فيها إذ ليس من الأمل
 لسيف الدولة أن يرجع إليها ولا بد من قتله وعليه فإني أطلب من الشاه سرور صدق
 وعزوى أن ينعم لأبنى بيته ويكون بذلك قد جعلى مديونا له ووفائى حق حوله وقدملى
 برمانا من محبة التي لا أشك فيها فاستحى الشاه سرور وسكت ولم يرد قط كلمة فأسرع طيفور
 وقال إني مؤكد أن سيدي الشاه سرور قد قبل من كل قلبه أن يكون الزفاف في هذه الأيام
 ولا يخل بيت على ابن صديقه وقد جرب الامتناع ولاقى اشتدال أهوال دون الحصول على
 نتيجة ولم يعد في الامكان الا فروغنا من هذه الأهوال والمصائب وزواج عين الحياة
 وتركها وشأنها مع زوجها وإني بلسان سيدي الشاه سرور أقول لكم ان تمثوا
 وتحضروها اليكم من قلعة الحديد وتزفوها حالا قبل ان يأتى الفرس ويأخذونها
 ويمنوتنا عن مقاصدنا .

قال ولما رأى الشاه سرور أن وزيره وهووم الحاضرين قد انهموا على هذا الرأي لم يردا من الموافقة وقال في نفسه إن أنتم في ملاطية أو في غيرها من هذه البلاد وارك بلاد البر ما من مطمع لي بعدها ولما رأى انبوش أن الشاه سرور قد أنعم وأجاب فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وسأل أباه أن يعث من يأتي بين الحياة قال لابد من ذلك . إنما كنت أخاف على فقدانها أمرت الأمير فهو محافظ قلعة الحديد الموجودة هي بها الآن أن لا يسلمها إلا لمن يكون حاملا خاتمي حتى أتى ولو بعث له بكتاب من خطي وحتمته بخاتمي فلا يسلمها إلا إذا رأى نفس الخاتم ومن المؤكد أن خاتمي لأسله إلا للرجلين وهما أما يد اخطل وزيرو وأميني وأما ولدي وولي العهد من بعدى . فقال يد اخطل وقد خطر له أن يعث بانوش إلى جزيرة الحديد ليل شوهه من عين الحياة قبل بوقت ويأتي بها ويراقبها في الطريق وتقع الألفة بينهما . إن من الصواب أن يذهب سيدي ولدك مصحوبا بشرة من الأمراء وبعضا من المساكين ويحضرها على الاعزاز والاكرام . فراقته الملك قيصر عليه وقال لولده انبوش سر أنت من هذه الساعة وأسفر عين الحياة ومتى أتيت إلى هنا مجلتا أمر الزواج فلا تمنى أيام قلبية إلا وتكون أنت بعلاها . فرح الأمير انبوش وسأل أباه أن يدفع إليه الخاتم فأعطاه إياه وأمر عشرة من الأمراء أن يراقبوه في طريقه إلى قلعة الحديد فأطاعوه وذهب انبوش فأحضر من الثياب النفيسة والحلى الفاخرة ما يكل عن وصفه القلم وهو سرور مزيد السرور من انجاز أمره وقرب وقت قرانه بمن أحبها . ثم دعا بالأمراء فركب بهم وخرجوا من المدينة يقصدون جهة البحر وساروا على الطريق نفسه نحو ثلاثة أيام يسهون في النهار ويبيتون في الليل حتى قربوا من البحر وثبت عندهم أنهم في اليوم القادم يصلون إلى جزيرة الحديد فزلوا القميت في الأرض التي رآهم بها هروا كما تقدم الكلام فغضبوا الحيام وأكلوا وشربوا وانوش مشغل الفكر به في اليوم الثاني سيلاق عين الحياة ويجتمع بها وتكون برفته ويقدم لها من جه ما يرضيها ويطرح لديها ما جاءها به لتكون مسرورة منه وصرف الوقت بهذا الفكر وحوله الأمراء وما منهم من يكلمه بكلمة لأنهم يعلمون اهتمام أفكاره بمقاصده . ثم انهم بعد صرف السهرة دخل كل إلى خيمته العنام وبقى عند انبوش ثلاثة أمراء يداونون معه فدخل كل منهم إلى فراشه ونزل انبوش في سريره وهو لا يصدق أن يقدم عليه اليوم الثاني

فلما رأى سرور خلا المكان قال الآن وقت قضاء الأغراض ونوال المراد وأسرع إلى طهر الصيوان فالتفت الوندورفع طرفه قليلا وأشعل قطعة من البج ورمها إلى الداخل وأرغى الطرف المرفوع حتى امتلا الصيوان من الدخان وثبت عنده أن الموجودين به

قد فرقوا بثبات النوم الثقيل وإن قطعة البنج قد شلتك إلى آخرها ولم يبق منها شيء البتة فرفع طرف الصيوان ودخل منه بعد أن سحب الخنجر بيده ودنا من الأمراء الثلاثة فذبحهم ثم دنا من انبوش وأرسل خنجره إلى صدره وأطاعه إلى عنقه فقتل رأسه بضربة وبعد ذلك فتش في ثيابه فوجد خاتم الملك قبصر ففرج غاية الفرج وسر مزيد السرور ووجد أيضا الحل والجواهر فآخذها وخرج من الصيوان وهو يكاد لا يصدق بما في يده ويتمجب من سرعة هذا التوفيق الذي وصل إليه من أقرب طريق وانخطف إلى رفيقه طارق وشياعوس وحكى لهما ما كان من أمر انبوش وأنه حصل على الخاتم المطلوب قرحا غاية الفرج وسر مزيد السرور وقال له طارق هيا بنا لنسرع إلى الضفة قبل الصباح ونسبر إلى القلعة ونناق بعين الحياة في اليوم الثاني لأنني مؤكد أنه في الصباح تظهر حالة انبوش فيعود الأمراء إلى أبيه ويطلعون على أمره فيربط الطرقات بالمساكرو ولا نعود نقدر على الخلاص قال هيا بنا من هذه الساعة ثم آخذها وانحدروا مسرعين نحو الشاطئ فوصلوا إليه في الصباح وركبوا قاربها وساروا إلى الجزيرة فصعدوا عليها ودنوا من القلعة فطرقوا بابها ودعوا الأمير فهد فجاء إليهم فقال له بهرور إن سيدنا الملك قبصر أفكر بعد غيا بنا بالعلامة فبشها مع رسول مخصوص من قلبه لنريك الإياه فطلب تسليم الأماري الذين عندك ومن جلتهم عين الحياة فجعل الأمير فهد من هذا الكلام وكاد لا يصدق ما يسمع وقال أروني العلامة فأراه بهرور الخاتم وقال له إن سيدي أمر بعد إطلاعك عليه وتصفقك إياه أن تميد إلى لارجمه معنى إليه ولا رب أنه يكون مشغل البال خوفا من ضياعه . وكان الأمير فهد قد اشتب في بادئ الأمر هؤلاء الثلاثة . وخاف جدا من أن يكونوا من عياري الفرس إلا أنه لما رآهم وقد عادوا بالخاتم تعجب جدا وأمن فيه فارجمه نفس خاتم الملك . فلم يعد يسمه إلا إجابة مؤالهم . وفي الحال صعد أمامهم السلم حتى انتهى إلى غرفة عين الحياة فوجدها في كدور واضطراب تفكر بأمر الرسل وهي لا تعلم من هم فلما رآه وقد جاء إليها انطفت فكرها إلا أنه جاء بحيث قالت له ما وراك من الأخبار قال بشرائك فانك ستزفين على سيدي الأمير انبوش وتصيرين مالكة هذه البلاد فأرجو أن قد كرتي لديه لا كون دائما بخدتك وصحت أنظارك فخلق قلبها ولققت مزيد القلق وقالت له من أطلعك على ذلك قال إن الرسل قد عادوا ومعهم خاتم الملك وطلبوا تسليمك بالسرعة المحتضية . وكان إذ ذاك قد وصل بهرور فنظر إلى عين الحياة فوجدما في حالة صعبة وقد علا وجهها الاصفرار وابتدأت ترتجف وتضطرب فخاف عليها من أن تقع إلى الأرض مائة فأراد أن يسمعها صوته ليترك سر أمره . فقال

لها لا ينبغي أن تبلى. يا سيدى فإن سيدى بانتظارك وما وصلنا هذه القلعة إلا بعد الجهد والبأس وأرصادنا أن لا تأخر دقيقة واحدة لأنه علم أن بهروز العيار ساع في خلاصك .

قال فلما سمعت كلامه هذا روها وتأكدته أنه بهروز فكادت تطير فرحا وتبين لها وجه الحلامر بحيله هذه فأجابه على الفور . اصبر قليلا فإن لى بعض حوائج أوجب في قضائها وأذهب أنت إلى أسفل فسوف أتحذر اليك مع امرأة سيف الدولة لأن زوجها فى الأسفل مسجوننا مع الأمير قهر . قال إن سيدى الملك أمرنى أن آخذك معجبة مع رديقتك وأما سيف الدولة والأمير قهر فانهما سيقيان فى القيود لأنى على ما أظن انهما يذهبان إلى الموت فقد خطر لى أن يمددهما . ثم قال للأمير فهد هيا فسلنا إياهما ولا تأخر فلا أقدر ان اذهب إلا فى هذه الساعة فساربه إلى السجن وسلبه سيف الدولة والأمير قهر فدفعهما إلى طارق وعاد فأخذ عين الحياة ونزل بها وهو لا يصدق انه يخرج من ذاك المكان ولما صار خارج القلعة وجد ان طارقا وشيا فوسم اخذا الاسيرين وخرجا قله فالتفت حيث إلى الأمير فهد وقال له انى اشكر معروفك لاحتياذك بسيدتنا والفتاك لحدمتها ولا تؤاخذنا على أخذها منك فى هذه العجبة فصر الأمير فهد بما كان وقال لم يخف على قط امركم وكنت فى شغل من جهنم قال ان كنت لاتزال فى شك اخرج لتريك انصنا من نحن قال ماذا يعنى فأتى فقلت بحسب امر سيدى . ثم اطلق الباب وعاد إلى داخل القلعة وسار الباريون الثلاثة ومعهم سيف الدولة والأمير قهر وعين الحياة ورفيقتها ولما وصلوا إلى القارب فكوا قيودهما وعرفوها بأقسامهم ففرح سيف الدولة وبار له وجه الفرج وقال ان الله لا يترك خاتمه المظلومين قال لا بد لسيدى ان يكافئك على طاعته بكل جميل واكرام ولا يسؤلك مفادتك بنفسك وببلادك لاجله وهم الآن بحالة عز وانتصار ثم حكى لهم بهروز كل ما توقع من الاول إلى الآخر فيما كانوا يسرون على القارب . ولما وصلوا إلى الشاطئ صعدوا منه وابتعدوا عنه وصاروا فى البرية وهناك وقف بهروز مطرقا وقال لطارق ولسيف الدولة لا يمكننا أن نذهب على مثل هذه الحالة فلا بد ان نصدف فى طريقنا أحدا فيعرفونا ويلقون القبض علينا ولا سيما اذا كان بلغ الملك فيصر خير تمل ابنه فيبعث بالساكر والارصاد واكبر شىء يظهر حالتنا وجود عين الحياة معنا وامرأة سيف الدولة وسيف الدولة على هذه الصفة قال طارق انى أفكر بذلك ولهذا خطر لى أن تصغ عين الحياة امرأة سيف الدولة قسمهما كبدتين لأن موى صباغ أسود لا يفرق عن العيد السود مطلقا . قال أصبحت فاعطى إياه فأخرجه له فدفعه إلى عين الحياة وقال ادخل مع امرأ سيف الدولة

إلى مفارقة هنا واصطليفا بهذه الصفة ونحن سنغير ملاسنا ثم اعطى من تلك الصفة إلى سيف الدولة والأمير قهر فاصطليفا وخرجا كعبدين أسودين بشدة اسوداد الليل فقال لها كونا في خدمتنا فإن بقائك على حالتكما يظهران يرانا أمرنا وبعد ذلك جاءت امرأة سيف الدولة وعين الحياة مصبوختين بذلك الصباغ ولم يكن السواد قادرا أن يقلل شيئا من جمال عين الحياة فإن هيئة الحسن الطيعة كانت لا تزال ترسل من جواذها ما يكفي لاجتذاب أهدق لب من الحب والميل الاقيادي اليه . وهكذا أصبح بهروز ورفيقاه بعد أن لبسوا ملابس رجال اليمن من الأمراء وفي خدمتهم اربعة أشخاص من عبيد عبادات ومن ثم استلوا طريق أم الروض مسرعين وهم غير مصدقين بالوصول

قال ولتندع بهروز سائرا ونرجع إلى رجال الملك قيصر الذين كانوا مع ابنه في مسيره إلى قلعة الحديد فانهم بعد أن قاموا في اليوم الثاني من رقادهم واستيقظوا ابن ملكهم وجسده مذبحوا مع الأمراء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم فثأروا عليه وتكبدوا جدا ولم يعلموا من الذي تحاسر على ركوب مثل هذا الأمر الفظيع ولما لم يروا بدا من الرجوع إلى الملك قيصر واطلاعه على واقعة الحال حملوا الجثة وساروا بها ليكون ويندون وينادون بالويل والثبور وعظائم الأمور ودخلوا المدينة على تلك الحالة فرموا انبوش وأشهر واخبر موته فضلت المدينة بأسرها وارتاع سكانها باجمعهم وسقط الملك عن كرسيه عند وصول الخبر اليه وتنف لحبه ومزق ثيابه وحزن الحزن الشديد وأحضر الرجال الذين جاءوا به واستعاد منهم الحديث لحكوا له بالواقع واهم لا يعلمون قائل تلك الجريمة فزاد به الغضب وقال لا ريب ان هذا فعل عياري إيران فابشوا في الحال بالمسافر أن تربط الطريق بين البحر وأم الروض ومن وقفا عليه أرأوه ياتون به الينا ولا يتركون أحدا قط لا غاد ولا راتح فاني لا أترك دم ابني يذهب هدرا وينفذ فيه سهم عدوه ولا بد ان اقتل بشاره ملوك إيران باجمعهم وانقيهم عن آخرهم ومن تلك الدقيقة أرسل بيد اخطل الوزير الرجال والفارسان وفرقم في السهول والوعور وامرهم ان يقبضوا على كل رجل يرويه غريبا او قريبا ويأتون به إلى المدينة ووعد الملك قيصر ان كل من يقاتل ابنه اغناه واعطاه مزيد المعطاء وجعله من اخصائه فقامل كل من السائرين ان يتسهل له نوال غاية الملك ولا سيما هلال الميار فان طمعه حركه الى الوقوف على ذاك القتال والقبض عليه واكدت له خبرته ان القتال هو بهروز ولا بد ان يكون عرف بسفر الأمير انبوش فسطا عليه في الليل قتلته واتزع منه الحاتم وخلص عين الحياة وذهب بها إلى فيروز شاه ولذلك جعل يخرج في النهار ويطوف في القفار يراقب الطرق على أمل ان يرى عدو

الملك وقاتل ابنه فيأنيه به . وبعد أن صار الجميع خارج المدينة وتفرقت الديادبة والارصاد أقام الملك مناحة ابنه وبكى عليه البكاء المر واجتمعت حوله النساء والرجال وأكثر من ندبه كل ذلك النهار واليوم الثاني رفعوه إلى مقبرة أجداده فدفنوه بها وأمسى الملك بحزن شديد ينتظر عودة فرسانهم وقبضهم إعلى فريم ولده ليأخذ بثأره قال وكان أشدنى مصيبة طغور لأنه خاب أمه وحبط مساء ولم تتم مقاصده فكادت مرارته أن تنفطر وغاب وجهه واسودت الدنيا في عينه وعرف أن الملك قيصر لا يرغب فيما بعد بين الحياة وربما ينظر اليه وإلى الشاه سرور وأولاده كأعداء الداء لأنهم كانوا سبب موت أبيه وأكثر غيظه كان من عدم الثقات الشاه سرور اليه واتقباه إلى كلامه ورأى نفسه مهانا من الجميع فهو مسموح الكلمة من أحد وخاف من أن تكون أباه قد انتهت وقرب زمان انتقام الايرانيين منه لأنهم قتلوا ابن الملك قيصر وربما كانوا استولوا على عين الحياة وبعد أيام قليلة يتملكون البلاد فلا يعوهم هاتق . وبقدر ما تكدر من قتل انبوش كان فرح الشاه سرور لان زواج بنته به كان على غير خاطره وكان يخاف من أنه إذا تم قران عين الحياة وحلم فيروز شاه لابد أن ينتقم منه إذا وقع بيده على أنه ثبت لديه أن قيامه عند الملك قيصر صار منذ ذلك الحين قليل الأهمية ويكون كضيف إلى أن ينشئ امر القتال وقد وطد عمره أنه إذا عادت اليه عين الحياة وأطلقت من القلعة وملاك قيادها أخذها وسار إلى حصار كر إبران ووقع على الملك خساراب وزوج فيروز شاه بها وإذا رأى أن لا سبيل إل ذلك قتل نفسه وخلص من كل هذه المصائب أو سمى مارسال أخيه اليها فمقتلها ويربح ذاته من سر طلابها ويكون ذلك بطريقة خفية عن الجميع فيقال إذ ذاك أنها ماتت موتا عاديا

قال وبينما كان بعض القواد الذين يسمهم الملك قيصر يطوف في تلك الجهات ومعه جماعة من الفرسان نظر من بعد عدة أشخاص آتين وكانوا هؤلاء هم نفس جرورد والذين معه فأمكن لهم في جهة من الطريق وأمر الفرسان أن تنقض عليهم عند وصولهم وتقبضهم ليرى من هم وكان سرور يسير بسرعة اختفاء من الوقوع بأيدى الأعداء وهو يطلب الوصول إلى جيوش الملك خساراب بسلام إلا أنه ما وصل إلى تلك الناحية حتى رأى الفرسان قد داروا به من كل مكان وقبضوا عليه وحمل من معه فلم يمد إلى الدفاع بل حمد إلى الحياة وقال للقائد لما هذه المعارضة ولم يسبق قبل ولا سمع أن يقبض على التجار وأبناء السبيل قال من أتم ومن أين آتون . قال نحن في الأصل من اليمن أما تاجر في جهات الأرض وننتقل من بلد إلى بلد وفي هذه الأيام كما في جهات الشام بنا جناتنا وربنا أرباحا موافقة وفكرنا في أن

تحتاج بضائع بلادنا غربية فحضر لنا أن تأتي هذه البلاد ولا سيما أن سيدنا الشاه سرور عندكم ولما اتفقنا على هذا الرأي خرجنا من دمشق نقصد هذه الجهة إنما جعلنا الطريق جعلنا نقشنت فكننا تارة نهدي وتارة نضيق وقد استدلنا من نحو ثلاثة أيام قليل لنا أن المدينة قريبة من هنا فسرنا لكننا لم نسر في الطريق المستقيم وخرجنا على غير إرادة منا فاذ بنا قد وصلنا البحر فتكدرنا من ذلك. ثم استلنا هذا الطريق وسرنا عليه ولا نعلم إلى أين نتوصل. فباقة عليك أن ندلنا إلى جهة المدينة علنا نصل إليها بأمان قال ان سيدي الملك قبصر أمرى أن أقبض على كل من أراه في طريق وأبث إليه ولذلك سأسير بكم إليه فإذا لم تكونوا المطلوبين اطلقكم وراكون قد اوصلتكم إلى المدينة. قال بهروز لا تسبب لنا الاهانة فامنع من أدنياء الناس ولا لسيدك الملك فينا تقع قال هذا لا بد منه وان كان يرجع لي انكم من اليمن ولكن خوقا من القوم والمخدور ثم ساقهم امامه وسار وهم بحالة رديئة ولا سيما بهروز فإنه كان امل بالخلاص وقرب الوصول الى فيروز شاه بعين الحياة فغاب قصده وانقطع امله وكان كل خوفه من هلال العيار لأنه يؤكد ان لا بد له من ان يعرفهم ويعرف عين الحياة ولو اختفت تحت اى حفة كانت الا انه رأى ذاته عاجزا عن الدفاع ولا يقدر على المقاومة فسلم امره لله وسأله الخلاص وساروا جميعهم نحو المدينة والقائد في مقدمتهم وعند دخولهم إليها صادف مرور هلال العيار فتقدم منهم ليرى حالهم ودنا من القائد وسأله عن سبب رجوعه فأخبره بأمر الذين معه وما سمع منهم فتقدم اليهم وعرفهم واحدا واحدا إلا انه تذكر كيف انهم وقعوا في يد القائد ولم يقفوا في يده فقال في نفسه لا بد خذ انعام الملك فانال عنده رتبة عالية ولهذا السبب عمد إلى خلاصهم منه وتسليمهم له ليتاجر بهم امام الملك قبصر ويقبض عطاء والحال دنا من القائد وقال له لقد اخطأت يا سيدي وتركته الطريق لينجو الغريم هؤلاء الذين قبضت عليهم هم من تجار اليمن وائى اعرفهم حتى المعرفة ولا ريب أن

انتهى الجزء الثالث والعشرون وسيليه الجزء الرابع والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

عند وصولهم إلى الملك قيسر يظلمونه على أمرهم فيطلقهم وتعود أنت بنى حين وينجو القتائل وتحرم الانعام . قال لقد أصبحت فاني كنت أتردد في ذلك ولم يطرقت ذهني قط أن هؤلاء الرجال قتلوا ابن الملك واني سأعود من هذه الساعة إلى ما كنت عليه قبلا وأسلمهم إليك كونهم من جماعتكم تغفل بهم ما يليق من كرامتهم واعتذر عنا عندهم ثم أمره أن يأخذهم وكرهوا رجعا إلى عله الاول نادما على قبضه طيهم وأسرع ليقيم في الجهة التي كان فيها قبلا وأما هلال فانه فرح غاية الفرح وأمل الانعام العظيم والخير العميم إلا أنه خاف من عاقبتهم وأن يتخلص أحد منهم قبل وصولهم إلى الملك وخطر له أيضا أن يقيم في مكان ويذهب إلى الملك قيسر بشرط عليه كثرة الانعام والاكرام قال بهم وهم موثوقون بالحبال إلى خربة داخل باب المدينة بابها إلى الداخل وظهره إلى الخارج فادخلهم إلى تلك الخربة لا يقدر على المدافعة والممانعة وهم موثوقون بالهلاك وقد نثت عند بهروز أنه عرفهم حتى المعرفة وأدرك قصده وغاية فصر على حكم القضاء وهو في قلق واضطراب بوجود عين الحياة معه على تلك الحالة لأنها تكون كبرهان عليه بقتل ابن الملك ونزع الخاتم منه ولما دخلوا الخربة سد عليهم بابها وأسرع إلى جهة الملك قيسر وهو لا يصدق في هذا النجاح بعد نفسه بالنساء العظيم والرتب العالية وأن يكون مقدما عنده على غيره ولما دخل الديوان وجدته في صدره وهو لا يزال بثياب الاحزان يبكي ويندب ولده فوق بين يديه وقال له اعلم ياسيدي اني قد وقعت على قاتل سيدي انبرش المتجاسر على اعدائه قال الملك بكيت اليه وكذلك كل من حضر وقال الملك أقد من هو هذا المرتكب الجاني فأعلمني به وإذا قدمه إلي أعطيك المال الغزير وأعطيتك بلاديرمتها . قال اعلم ياسيدي اني لما كنت متأثرا من قتله وحزني عليه شديدا كان يترجح في أن فاعل هذا الفعل هو بدون شك من عياري إيران فالتحيت لوحدي وأكسنت في بعض الطرقات وانخفضت لي مسكنا بين بعض الآكام على أمل أنه متى قطعت الأمل من مصادقة أحد فيها دخلت خيام الاعداء واستلمت من القتائل إذ لا بد أن يكون عندهم خبر به . وبينما أنا على مثل ذلك وإذا لاح لي

بعض جماعة آتين لجهة أم الروض فاعمدت اليهم وكان الوقت إذ ذاك المساء فزلوا في مغارة هناك وهم آمنون من طوارق الخلدان فصبرت عليهم إلى منتصف الليل وأتيت المغارة وأشعلت النج ثم دخلتها وإذا أنا بهروز العيار ومعه طارق عيار الوليد وشياغوس النقاش وبرقتهم أيضا جدان وعدنان وكلهم قد وقعوا بفعل النج فأوقعتهم بالحبال وأنا متأكد أنهم هم المعتدون على سيدي وبعد أن أوقعتهم جيدا وأمنت شرهم أبقتهم وتأملت العبدتين اللذين معهم وإذا بهما سيف الدولة والأمير قهر وكذلك العبدتين وهما عين الحياة وامرأة سيف الدولة فثبت لدى مانوحت قبال كل الثبوت اذ لا بد من أنهم بعد قتل سيدي المرحوم نزهوا الخاتم منه وساروا إلى قلعة الحديد فأخرجوا من فيها بواسطة وهم يلبسون ملابس تجار اليمن وعلى ذلك فنتهم إلى أطراف المدينة وأبقتهم في إحدى الحرايات لتأمر لي بجماعة كي أحضرهم بين يديك إذا شئت أحضارهم أو تأمر بقتل بهروز ورقائه لأنهم يستحقون القتل والعذاب فلما سمع الملك قيسر هذا الكلام سقط عن قلبه بعض من الهم لأنه كان يتفوق إلى أخذ الثار من قاتل ولده .

وقال لخلال غدا معك جماعة من حجابي واحضرهم جميعا إلى أمامي بالصفة التي هم عليها وإنني أحب أن أرى الشاه سرور الله على تلك الحالة وميلها للآيرانيين ولولا ذلك لما قبلت بالآيان معهم وسلمتهم قسما وأمتهم على جسد ما ليصفوه بتلك الصفة رغبة بالخلاص منا . فوقع الكلام على الشاه سرور أحد من حزب الحسام ولم يقدر أن يفهم بكلمة وقد استحي من الحضور وتنفى أن لا يكون قد خلق والتفت إلى ابنة الشاه أسد وكان بجانبه وقال له اذهب إلى أخنك ودبر أمرها وأمتها بأى حيلة كانت ولا تدعها تحضر إلى هذا المحضر على تلك الصفة فلداد فضيحة وطارا وبكى الجميع بعرضنا فلما علم الله هلالا وخبره وقد كان أخرى به أن يخفي أمرها ولا يظهره للملك قيسر فاجاب الشاه أسد وسار بجانب هلال وأخبره بأمر أياه فلم يثبته إليه حق الانتباه طمعا بنوال المال وسار هلال وعشرة من الحجاب يقصدون الحربة لاحتضار من فيها إلى ديوان الملك قيسر انفاذا لأمره .

قال وأما ما كان من بهروز وجماعته فاجم جدران تركهم هلال وذهب إلى جهة الملك قيسر كما تقدم معنا فوافق حيرة واضطراب وخوف وقال بهروز لاريب أن هذا الخيث وضعتنا هنا وذهب ليذهبنا لذلك راني أسأل الله أن يهدينا إلى طرق الخلاص لنعيد كيدك في نحره فقال شياغوس أن عندي طريق للخلاص سهل جدا قال وما هي قال لا تخفكم أن الله دخل في عجيبة ولن تكن في سواي وهي أني إذا وضعت الحديد بين أضراسي وضغطت عليه قطعت فليدرك أحدكم

كتانه فأحاول قطع طرف الجبل ومنى حل أحدنا فك الباقين واطلقهم ففرحوا لذلك
وتقدم بهروز وقال له فك كثنافى أولا فهك باسنانه وانطلقت يداه ففرح غابة الفرح
وتأمل بالنجاة وبأدر الى فك وثاقى الباقين ولم يكن إلا نحو ساعة من شباب هلال
التيار حتى أصبح كلمهم بحرية تامة من جهة رحليم . وبعد ذلك قال بهروز انى سأتلق
هذا الحائط وارفعكم واحدا واحدا وأدلكم إلى الخارج ولكن ذلك بكل سرعة قبل
هجرة هلال فانه لا يلبث أن يعود إلى هنا . قالوا أفعل ما بذاك فالتجاة بالاتمام
والتيدير وفى الحال أخذ الجبال فشدوا إلى بعضها وقرب شياغوس من الحائط لأنه
كان طويلا جدا وصعد على اكتافه وارتفع من على رأسه إلى أهل الحائط كانه فرخ
من فرخ الجمان ووقف عليه وانزل الجبل فربطت عين الحياة نفسها لمحبها ودلاها
إلى الخارج فشكت نفسها ثم سحب بعدها سيف الدولة وزوجته وقبرا وطارقا واحدا
بعد واحد ولم يبق الا شياغوس وحده وإذا كان مزمعا أن يدلى له الجبل سمع صوت
هلال يفتح باب الخربة فارتبك بهروز من أتيانه وعلم انه إذا صبر لينينا يسحب
شياغوس رآه هلال فقاطع عليهم الطريق ومسكهم كلمهم ولذلك ففز الى الخارج وهو
يتحسر ويتأسف على عدم قدرته لخلاص شياغوس وقال لمن معه هلموا بنا فلنذهب
وكضا فان هلال دخل الخربة ولا بد أن يعرف بهربنا فنبأنا بالرجال والفرسان
ولا ينبغنا إلا الهجرى والركض لاتنا مشاة وليس لنا خيل فتحملنا فاسرعوا فى المهرب
وما بعدوا عن المدينة بنحو نصف ساعة حتى أشرقوا على اول السهل فركبوه وساروا
عليه يقصدون ارض أم الروض .

ولما دخل هلال ومعه رجال الرومان لمسك بهروز ورفقائه لم ير إلا شياغوس
النفاس وحده وقد أصابه دوار قوى منه عن الوقوف فرمى بنفسه الى الأرض فدنا
من هلال التيار متجها وسأله عن بهروز وعين الحياة وبقية من معهما ألم يحبه بشئ .
ولأرد عليه بكلمة فصاح به وقال له من خطبهم من هنا والى اين ساروا اطلنى والا
تحرثك من الوريد الى الوريد فلم يسمح له ولا اجابه وكان بعد ذلك تطويل الوقت
لينينا يتأكد أن بهروز قد صار فى البرارى وصار من الصعب لحاقه ومن ثم تقدم
اليه بعض الرجال واشهر فى وجهه السيف وقال له اعلنا اين ذمب رفاقك والا
قتلك قال ان لذلك قصة طويلة لا أحب احكيها الآن ولا بدىها الا امام الملك فصر
فألحوا عليه فلم يستغدوا شيئا فالتزموا ان يحملوه الى الملك فصر فحملوه الى هناك
واوقفوه امام الملك وقال له هلال اعلم ياسيدى ان هذا الرجل يدعى شياغوس النفاس

وهو من رجال الملك ضاراب وقد كان مع بهروز وعين الحياة وسيف الدولة الذين اودعهم الخربة فلما عدنا لنحضرهم بين يديك لم نر قتله بل وجدناه وحده في ذلك المكان لسأنا من الباقيين فلم يخبرنا قاتلنا به اليك . فقال له اخبرنا يا شافوس بالعجل فنفقوا عنك . قال اسع لي ياسيدي فاني مطلقك على كل شيء من البداية الى النهاية وسبب قتل ابنك . وذلك اني كنت انا قبل ان دخلت العبارة وتعاطيت هذه المهنة نقاشا انقش الصور واخرق القصور ولم يكن ابرح مني لاني تطلعت عند طيطلوس وزير الملك ضاراب ولا خفاك ان هذا الوزير من اعقل الناس واخبرهم واحكمهم ماثرك فانا الا وتعلمه ولا سمع بلم الا واقته فصاح به الملك قيصر وقال له ويلك ما معنى هذا الكلام فانا نسألك عن رفاقك واست بعدنا بالحديث فاخبرنا اين ذهب بهروز والذين معه قال اني سأرسلك ياسيدي الى هذا الحديث واعلمك بهم انما لا يطيب لك ان تعرف ذلك مالم تتطلع على كنه المسألة وما وراءها واحب ايضا ان اخبرك ان بهروز ابن غول ووجد في البرية قرباه فيلوزور البهلوان بهلوان بلاد فارس وحاميا ابو جراد الذي قتل خرطوم واسر تمرناش وفعل بكم الافعال الصعبة واذا شرحت لكم عن اعمال فيلوزور تتعجبون غاية التعجب اكثر عما تتعجبون من اعمال بهروز . ثم زقت احشاء الملك قيصر وقال له دح عنك الهذيان والفسار واخبرنا بخبر رفاقك واين ذهبوا . قال اعلم ياسيدي انهم لم يكونوا في الاصل وفاق كلهم لان احدهم طارق العيار وهو من هيارى الوليد وقد خدم سيدي الملك ضاراب لما رآه كثير الحلم رقيق الحاشية يعرف قدر خدمه وحشمه ويراعهم حتى المراجعة حتى انهم يخدمهم بأنفسهم وبالحقيقة ان لا ملك على وجه الارض مثله والثاني هو سيف الدولة وهذا لم يكن ايضا رفيق لانه كان ملوكا وجرى له ما جرى وقبضتم عليه فخر اذ ان فرهم وقد خاناه . واما ثالثهم فهي سيدي عين الحياة ومن اين لي ان اكون لها رفيقا وهي سيدي ومولاة الفرس اجتمع لانها لا تلبث ان تصح زوجة لعارس فرسان هذا الزمان وسيد مواله الذي اذا ذكر اسمه عند الملوك الكبار اهتزت في كراسيا وغرت الى الارض سجدا واذا سألتني عنه ولم تفهمه فمر فيروز شاه مذل الاسود وميد الجبارة العظام من اوجده الله قمة لكل طغ وناغ وقد جاء هذه البلاد لدهيا خرابا ولا يترك فيها عاص وبشر الاولوية الفارسية فوقها فصيح كل هذه البلاد له وتحت طاعته ومن عاتده كان جزاءه الهلاك والاعدام وقد يشهد على كلامي هذا عدوه الاله طيغور السامع الآن قولي . فاقاضا الملك قيصر من كلامه وتكدر من قوله وعزم على ان يأمر بقتله لولا انه محتاج لان يعرف سبب موت ابنه

ومن الذي كله وكيف كان خلاص عين الحياة وميف الدولة واما طيفور فانه تمرمر
وانقضرت مرارته وعيل صبره فقال للملك دعك يا سيدى من هذا المنذار وأرسل
الحصاكر فى أثر الفارين فلا ريب انهم يقصدون معسكرهم ويسرون الى جهنم الروض
قال صدقت وأصعب ودعا فى الحال بقائده من قواده وأمره أن يركب بعشرة آلاف
فارس ويقصد ذاك الطريق ويقبض على كل من رآه فيه ويبيعه اليه فاستل القائد أمره
وسار مسرعا إلى انفاذ امر سيده ولما رأى شياغوس أن المطاولة لم تعد تقيد وأن
الحصاكر سارت فى أثر هرودز تكدر لعلهم انهم لا يزالون فى الطريق وانهم ما بعدوا
الا القليل كونهم مشاة ولا يسرون كمنائهم وعليه فعاد الى كلامه الى ان يجبر الملك
بواقعة الحال فاعاد عليه كل ما كان من أمرهم الى ان التقوا بأبيه وسار اليه هرودز
ونزع منه الحاتم ورجع الى قلعة الحديد وجاء بعين الحياة وسار قاصدا ام الروض
وقبل ان يصلوا اليها بساعات التقى بهم قائد من قواده فقبض عليهم وجاءهم ليحضرمهم
اليه وعند وصولهم الى المدينة احتال عليه هلال واخذهم ليرسخهم الأموال الغزيرة
ويشترط عليه الشروط العائدة الى نفسه وخبره وسارهم فوضعهم فى خربة هناك ورجع
ينهى عمله وينال مواعيده وحكى له ايضا كيف تخلص هرودز والذين معه فلما سمع الملك
يقصر هذا الكلام امتلا قلبه غيظا من هلال ومن عمله وقال له لو لم اتيقن انك ناصح
فى خدمتى لأمرت بقتلك الآن انما لا بد من مجازاتك على تمنيع قتلته ولدى من يدي
ثم امر ان يضرب خمسين سوطا على رجله فضرب حتى سال منها وبعد أن رفع من
تحت السباط قال له الملك انى سموت عنك لما سبق منك من الجهد والجهد فى سبيل
خدمتى واعدك ان انعم عليك اذا ارجعت الى قاتل ولدى وأتيتنى بما يشفع عندي فى ذلتك
التي هى من اكبر الذلات فصبر هلال على هذه الامانة واراد الانتقام من شياغوس
للتقاش على ما سب له من الضرب فقال للملك ليس ياسيدى من امر صبر على فلا بد
من ان افرد اليك كل قتلته اهلك وافرهم اسيادهم وبما أن شياغوس هذا هو اخدمهم
بى شريك هرودز فى تعديه على سيدى الملك فامر بقتله وكل ما اتيتك بواحد اريد
منك ان تقتله وتقدمه الحياة لتخلص من شره قال اصبت مم امر ان يؤخذ شياغوس
التقاش ويقطع بالسبوف بحيث لا يبق من لحمه قطعة كبيرة فاخذوه الى الخارج وقطعوه
انسوف قطعا وإلى هنا العدا انتهت حياة شياغوس التقاش المسكين الذى كان سبب
يصال الحب الى قلب عين الحياة كما تقدم معنا كلامه وخدم بعد ذلك دولة ايران بأمانة
وصداقة كبار من مقدمى العيارى

قال وأما ما كان من المصاكر التي سارت في أثر هروز فأنها سارت بسرعة على ظهور غرولها لا يأخذها مدبر ولا صبر حتى توصلت إلى الطريق وإذا بهارات الهاربين يسبون أمامها وهم مشاة قطعت في مسكنهم وأطلقت الأتعة وكلهم يصيحون صياح الفرح بنوال المراد وكان هروز يسرع رفافة إلى جهة عسكر الملك خواراب وهم يسرعون في سيرهم حتى تبعت عين الحياة وامرأة سيف الدولة من المسر وخارت قواهما فشكدر هروز من ذلك وقال لها إذا كنتي لا تسبران سرعة تدركي الاعداء فكانتا تسبران قليلا وتعدنان الراحة إلى ان تتيقرا من ورائهم عساكر الرومان وهي كالبحور الزواخر وقد تفرقت من كل الجهات وأطلقت نحوهم الاعداء فأيقن هروز بالتلاف وتكدر من هذا الامر وقال لعين الحياة عيا ياسيدتي فاركضي علما تتخلص من هؤلاء الرجال فلا قدرة لنا على مقاومتهم فتوقت قليلا وركضت خوفا من الوقوع في ايدي الاعداء إنما لم يطل معها ذلك لأنها لا تقدر ان تحقق قوى جديدة قصصرت وقصر الجميع ما عدا هروز وطارق فكانا يستنهضان همه الجميع ويطلبان اليهم السرعة في الجري ولكن دون جدوى حتى وصلت اليهم المصاكر ومسكنهم واحدا بعد واحد ما عدا هروز فإنه انطلق في ذلك السهل كذكر النعام وانطلقت من حوله الفرسان تطلبه القبيض عليه دون ان يتيسر لها لأنه لما رأى ان في السهل لا سبيل له الحياة اذا دام على وكفه خرقا من ان يكون في تفرق الفرسان من حواله يمين بقطع على الطريق اذا كان جواده سابقا ولذلك هرج الى جهة الجنوب وتسلق الآكام كالغزال في قفراته حتى قصرت الخيل عن لحاقه وثبت عنده انها عاجزة عن مسكه فكرت راجعة تفض على اكفها من القبيض لأنه هو وحده المطلوب الى ان اجتمعت الى بعضها وكلها في تحرق وتحسر وكدر وغيظ من فوات هروز ووقفوا يتشاورون فيما يفعلون وكان يحمل القبيض والحق والكندر والخوف والاضطراب والياس والمصائب ونحو ما منصب على عين الحياة وتمنت ان تموت وطلبت العناء والعدم ولا تصل تلك الحالة امام الملك قيصر ابريهام هذا الجميع بكارية سوداء هاربة الى نحر فيروز شاه لقضاء غايتها وقد نبذت عندها ان لاجاة لها إلا بمساعدة تعالى لأن رجال الفرس سيسدون عنها والفرسان الذين حولها كثيرون يبلغ عددهم نحو من عشرة آلاف فارس لا يمكنها ان تتعال بالخلعاص وقد اعانوها كل الالهة وأوتقوها كما توتق الرجال وامان واحد منبه اليها بل يفكرون في القبيض على هروز ولذلك رفعت رأسها الى السماء وفتحت اكفها بالدعاء وقالت اسالك يا اله السموات ورافع الشدات ودافع المصائب والويلات وجامع الشمل بعد الشتات ومعيد الابناء الى الامهات وكاشف عن خيلتك الضميعة الضيقات . يا أبا الرحمت وباعث

الخيرات . ومنع الماء من المجدات . يا من خلصت يوسف من الحب وسكبت عليه
مراحم الحنو والحب . وصبرته ملكا وسيدا نبلا بعد أن كان عجوسا وهانا ذليلا .
وأعدته إلى أبيه بقرب . بعد مقاساته الأرجاع والكروب . وحفظت دانيال في
حب الاسود وصبت عليه أنابيب الاقبال والسود أسالك بأنبيائك الكرام ورسلك
العظام وكل من له عندك رفة ومقام . أن تحفظني من هؤلاء الأعداء اللئام وتبدني
بأمان وسلام إلى فيروز شاه البيت الهام . إذا كنت كتب لي به نصيبا بالحلال
لألحرام . ولأفجل على بالهلاك والاعدام .

قال وما فرغت عين الحياة من دعائها وهي تعرف دموع الحسرة والهلم لإلوممت
صوتاً قد انحدر من بين تلك الأكام ارتجت له السهول والوديان واضطرب جيش
الرومان بأجمعه واهتزت الأرض من تحته ومالت الأشجار ذات اليمين وذات الشمال
كأن عصفت بها عواصف الريح الثقال وفارس خرج من وادى تلك المهترأب
على جواد كأنه الجمل في الارتفاع وهو من فوقه كالجبل الراسي ويده حمد يبلغ طوله
للمشاة أنزع وعرضه ذراعان من الحديد الثقيل العيار وقد غط على تلك الفوارس
كأنه الباشق الكبير على الصافير الصغار وضرب فيهم بعمده المذكور وأنزل عليهم
بلاء الله المشهور وفرقهم بضرباته ذات اليمين وذات الشمال وشردهم كما تشرد أفرارخ
الحجال حتى وصل إلى عين الحياة فرفضها إلى وراءه وأطلق سيف الدولة وزوجته
وطارقاً وقهراً وقال لهم سبروا ما من خرف عليكم فاني واقف لكم بالمحافظة ولا أدع
أحدًا يصل إليكم . ثم مال ثانية إلى جيوش الرومان وأعاد عليها الضرب كما كان حتى
أبعدا عن ذلك المكان ولم يترك لها من أثر فيه وعاد من حيث أتى وعين الحياة وراءه
لا تعلم من هو ومن أين جاء حتى كادت تغيب عن الهدى وقد ثبت عندهما أن الله بهما
لإجابة الدعاء . ولما رأى بهروز هذه الحالة تسبب غاية العجب وانحذف يجرى خلف
ذاك الفارس المقتنع وهو يجهل أمره ولا يعلم من هو وجعل يصيح وينادى ويطلب
إليه أن يقف ليكنه فلم يصح له ولا التفت إليه بل بأسرع من لمح البصر قاب منخلفة
كالبرق عن عينه فكاد يفتق من الحق وهو لا يعلم شيئاً عن هذه الحالة ولا يعرف
أين مقر عين الحياة ليخبر سيده بوجودها إلا أنه رأى لا مندوحة له عن العودة إلى
مسكر الملك ضارب ليطلع فيروز شاه على ما كان من أمره عساه يرى طريقة يطلع
بها على مكان وجود محبوبته وجاء إلى سيف الدولة ومن معه وهناك بالسلامة وقال
لهم لو فعل معنذاك الفارس رحمة لكان إعطانا عين الحياة ولا بد من سر عجيب تحت هذه
والأنظر التي رأيناها في هذا الفارس فما هو من رجال الانس وإلا ما قدر أن يفعل بشرة

آلاف فارس هذا القمل العظيم جرمة وجزة فهلوا بنا نخبر قومنا لهم أوسع منافكرا
وأكثر تبصرا ولا سيما الوزير طيطولس مدبر ملكة الفرس وحكيمها وفيلسوفها . ثم
ساروا إلى جهة معسكرهم .

وأما فرسان الرومان الذين قفستوا في تلك القيعان فانهم داموا في صبرهم وهم
يلتفتون إلى الورا . خوفا من أن يكون الفارس يتأثرهم حتى وصلوا المدينة فدخلوها
آمنين ووقوا بين يدي قصر وشرحواله كل ما توقع لهم من حين خروجهم إلى حين رجوعهم
فتعجب كل من حضر وشغل عقولهم بذلك الفارس وبفعله الذي لم يسبق أن سمع مثله
قط بين فرسان الزمان وصار كل يشتاق لأن يعرف من ذاك الفارس الذي خلص
عين الحياة وفعل هذا القمل لأجلها . ولا سيما الشاه سرور قائم تأثر من غياب بته
وناقته نفسه إلى أن يعرف من الذي نعم على مثل هذا العمل غير أنه وجد من نفسه
سلوى فقال خير عندي أن تهلك وتعدم ولا أعود أراها فيما بعد من أن تحضر في تلك
الحالة بين هؤلاء الجماعة ولو حضرت ماذا يأتري كان يحمل بي إنما الله لم يقصدل إهانة
ولا أراد لي فضيحة بل بعث من عالم فيه من ستر لي عرضي ومنع عني العار والتشديد
ومعكذا قد ارتاح ضميره وفي الملك قيصري قلق واضطراب من كل هذه الحوادث
المسكرة ومعاودة الدهر له وبات ينتظر قدوم عساكر الصين وفرسانها وأبطالها
ليضمها إلى العساكر الكثيرة التي كانت ترد إليه يوميا من جهات مختلفة .

قال وأما بهروز والذين كانوا بقيوا معه فانهم ساروا جميعا حتى وصلوا إلى
أرض أم الروض إلى المكان المقيم فيه الملك خاراب وكان فيروز شاه في مدة
غياب بهروز مقبلا على الانتظار لا يعرف كيف كانت أحواله وهل يتوفى إلى المطلوب
ويقال المرغوب أو يرجع بخفي حنين لا جدوى ولا نتيجة وفي على ذلك مدة طويلة وقد
طال عليه الحال وشغل باله واضطرب من غياب عياريه كل هذه المدة دون أن
يصل إليه منهم خبر وخاف من أن يكونوا قد وقعوا بيد الرومان فقتلوا بهم سوما
إما أسروهم وإما قتلهم ودام على هذه الحال وهو في كل يوم يؤمل أن يصلوا إليه
حتى كاد يقطع الرجاء من هودهم وإذا بهم قد جاءوا ودخلوا المعسكر وانتشر خبر
وصولهم بين الجميع ولا سيما خبر وصول سيف الدولة ففرح به الملك خاراب مزيد
الفرح ونهأ بالسلامة والخلاص من يد الأعداء ووعده بالجميل والخير وأنه يعوض
عليه أضعاف ما لحق به وأن يجازي له أهداءه بالويل والوبال ففكره على معروفه اثنتائه
ومدح له من عياريه بهروز ومهارته وكان فيروز شاه حاضرا وهو يتقلب على جمرات
الضجر يشتاق أن يعرف ماذا جرى على عين الحياة وكيف لم تحضر معهم وهل أنهم

وصلوا إليها أو لم يتيسر لهم ذلك وقد ضاق صدره ولم يجد يقدر على احتمال السكوت
فدأب بهرود أن يشرح ما كان من أمر غيابه أملاً أن يعرف شيئاً عن عين الحياة وسأله
إذا كان رآها أو علم بمكان وجودها . فأجاب في الحال وأخذ يشرح كل ما كان من
أمر غيابه فكان بهرود شاه يسر عندما يسمع بذكر محبوبته وزاد سروره وسرور
جميع من حضر عندما سمعوا قتل انبوش بن الملك قيسر ونزع الحام ورجوعهم إلى
القلعة وإخراج كل من فيها إلا أنهم أكلوا وأرتاعوا عندما ذكر بهرود خبر وقوعهم
بأيدي الرومان وأخذ هلالهم وخلاصهم ماعدا شياهموس فإنه وقع بأيدي الرومان
ولا يطرون ماذا جرى بعد ذلك عليه حتى وصل بهرود إلى حديث الفارس وانتشاله
عين الحياة من بين فرسان الرومان وفعله بهم العجائب وغيابه بعد ذلك بسرعة تحاكي
لمعان البرق فارتبك كل من حضر لاسمعوا وتعجبوا من عمل هذا الفارس ومقدرته ونظروا
إلى بهرود شاه فوجدوه ملقى على ظهره وقد أصابته رجفة عصية ولم يجد على أحد
وطاب من وجهه فذاف عليه كل من حضر في ذلك المحضر وقال له لا يجب أن تدع قلعة
الصبر واسطة بالسلط عليك ولا قطع رجائك وأملك من الوصول إلى عين الحياة قالوا
حفظها كل هذه المدة وصانها من مفاصل المصائب والحوادث قادر أن يحفظها لك كل
الحياة فلا يدنو منها أحد بشيء فلم يبد حركة ولا جواب بكلمة ولذلك دعا الملك ضاراب
طيطولوس فحضر منه وأرتاع من حاله وعجب كيف أن رجلاً مثل بهرود شاه فخر فرسان
الزمان وشطاً على ملوكها وغرب بلدانها وذلك كل حصن منيع وأرض الأسد في مراحضها
يقع من جرى خبر صغير صادر عن الحب والفرام ولم يله على ما أصيب به وأخذ شيئاً
من الروائح العطرية فوضعها في أنفه وسقاء المنشآت ما يتقوى به قلب المهوم المحزون
وقال له أني أؤكده لك يا سيدي أن عين الحياة هي الآن بأيدى اوطلمنتان وراحة فم من خوف
عليها قط وهي مخوفة لك عند الذي أخذها ولا بد أن يكون في ذلك
هذا العمل وأنت تعلم أني لا أنظر إلى خفايا الاحوال إلا أنظر الحكيم العاقل ولا أوجه
أفكاري إلى مستقبل الأيام إلى بالصحة والصدق فأجابه في نفس حزينه أني لست بمن تضعفه
المصائب والاحوال ولا أنا بمن يسلم نفسه إلى أهواء الصعوبات الحادثة ولو كنت أعلم محل
وجودها ولو كانت في قلب البحار أو داخل جبال قاف لكنت ترائي معلقاً بالأمل باقياً
سائطاً على كل الموانع وأدوس المصاعب وأصل إليها وعندما كانت عند الاعتداء كنت
تراني دائماً في مسرة وجور وممى في ازدياد ونمو لأنني كنت أؤكده أني لا أنال غايتي
ولا أصل إليها إلا بالبسالة والافتدام والصبر على المصائب فأدافع وأقاتل لأزلي تلك

الموانع أما الآن وقد ضاع الزمان وخاب الأمل ولا أعرف مكانا فأرسل إلى المكان
الموجودة فيه . قال هي كما قلت لك في مكان أمين عفوطة لكوس يظهر لنا كل هذا الحق
بعد قليل من الأيام أي بعد تسلطنا على المدينة وأني أعطي وعطى لا يخفى . قطأن الذي
أخذها هو نفس الذي أخذ خطية بهمدار قبا من البئر وقد وعده وطمته رجوعها
وأتكفل لك وأعدك الوعد الصادق أن أبذل الجاهد إلى استرجاعها فاجها يد أناس
من الناس وأشهد على أبوك وكامل فرسانك ووزرائك أني أعيدها إليك ممزودة
مكرمة مصانة من كل ما يكدرك وينضيك

قال فلما سمع فيروز شاه كلام طيطوس ارتاح إليه ضميره نوحا وركن إليه كل
الركون لما يطمئه من سمة إطلاعه على خفايا الأمور ومعارفه الفاتكة على كل من سواه
من رجال ذلك الزمان وفلاسفته وصبر على معض وطعن أمله بعناية الله إلا أن الفراق
كان لا يزال مؤثرا في داخله . وبعد أن أرفض الديوان وخلا بنفسه جمع كل حراسه
وبشأ إلى جهات الأرض الأربع يفحص فيها عن عين الحياة وهو يشاق أن يعرف
أين هي وفي أي مكان ومن الذي أخذها إليه وما هي غاية يا ترى منها حتى كادت
تعود إليه اضطراباته وفلاقله فباح بما في ضميره وجعل يسلي نفسه على فراق وجوهه
بالعصر فقال

إذا ما نسيم الريح من نحوكم أسرا	أطار شرار النار من كبدي الحرا
أبرق سري والليل قد روي يرده	فأسرى بقلبي عندكم وفي الصبرا
أكل نسيم مر بي يستغرق	وكل وميض لاح لي جدد الف كرا
ويوم السوى لا كان إذ فككت ربنا	وأظهر فينا الحب آية الكبرى
أقول لنفسي حين هانت حياتنا	ألا فاقرحي هذا الحمام لك البشري
وكم طالما قد كنت تستعجلينه	إذا ما تنها فراعنك أو أظهر واجرا
لعل الردي يهنيك من لاهج الأسى	فإن الردي بالصعب بعد لنوى أخرى
ويا قلب ما هذا القريب أكلنا	نضحت عليك الماء صيرته جبرا
وهل تظنني ناز الغرام وكلنا	خبت بدموعي أوقدته بد الذكري
بأصاحبي باقه غيب بذكرهم	وجودي عن نفوس ما زال لي سكر
صبي يشقى عصر الفراق بحاله	سواء حلا عندي بها العيش أو مرا
وان مت فادفنني بميثاك صاحبي	مع القبا وأكتب على شدي سطرا
ألا رحم الرحمن حرا قضى أمي	ولم يسلم على القبا ولم يرتكب ظمرا

وكانت حالة فيروز شاه في هذه المرة أصعب من كل ما مضى وقلبه لم يحسن
يطمئه على السوى والتعب وجبه كان يجره إلى التشوق والاطلاع على حالة عين الحياة

وعمل وجودها وان كان لا يطبع نفسه بالحصول عليها وبوجودها معه في الحبش
ليراها وتراه وصار يريد أن يعرف أين هي وفي أي مكان وهل هي بأمان أو بهذاب
وهل الذي أخذها يطلب زواجها ويستصحبها عليه أو لا غرض له فيها من ذلك وهذا
كان يقلقه في أكثر أحيائه وأوقاته وكاد يضيئ صبره ويضرب عقله ويعدم حواسه لولا
ملازمة واعتناء طيطلوس له في أكثر أوقاته وتسلية له وتعليه بالأمان والموايد
ولم تكن حالة بهمنزار قبا أقل صعوبة من حاله ولا غرامه أشد غراما من حرامه
فانه بعد أن ذاق ما ذاق من حلوة العيش والطمأن باله على محبته كليا وحصل عليها
وجاء مسرورا خطمت من البئر ولم يعد يعرف لما خبر ولا قدر أن يعلم من خطفها
وفي أي مكان هي . وقد زاد غياب عن الحياة اضطرابه وهيج بلباله وذكره بها وكيف
أن أمد بمادها قد طال وما وصل اليه قط علم عنها ولم يرج منه شيء إلا بموايد طيطلوس
وتعليته وكان كفره من العشاق يسيل نفسه بالأشعار والانغام وشرب العقار ليضيع
عن الصواب وما أشده وردده

أسلوبي	لسبدي	وسقامي	وانفرادي
أبدا ينقص صبري	واشتياقي في ازدبادي		
أنرى يذكركني من	ذكرهم وردى وزادي		
أنرى يذكركني من	كنت أصفيهم ودادي		
من لقلب مات يصل	جر شوق وبمادي		
عن لي برق كليل	دونه ييض غرادي		
مثل نار قد بدت	العين من تحت رماد		
قدح النار بأحشا	ئي من غير زنادي		
أذكر القلب زمانا	قد معنى حلو المبادي		
في دمشق جادها جر	د دموعي والعهادي		
فهر ما بين حنين	وخفوق واتهادي		
كم ليال قد قطنا	ما بأنس واتحاد		
وبدام مل يرد السماء	في أحشاء صادي		
فوق دياج من الرو	ض المندى وسط وادي		
فيه الآثار تصفي	ق كتصفيق الايادي		
وبه الظلم	تسجيح كصوت مستاد		
وغزال غير	مأمو ن على نك العباد		

سلبت عيناه منى ثوب لسكى وسدادى
سرفت بالسر والقدج رقادى وقزادى
خانتى من بعده صبرى كاخان رقادى
فرق لى كل من بيا لفتى حتى سهادى
وبكى لى كل من به صبرى حتى الاعدادى

وكان الملك ضاربا أيضا فى قلق واضطراب وانشغال بال من جهة غياپ حين الحياة وخاف كل الخوف أن يكون بعد مقاساته كل هذه الأحوال وعذابه فى القرية والحروب ووصوله إلى أبعد مكان عن بلاده فى طلبها تفقد من يد ولده ولا يعود يطلع لها على خبر وأثر فيه هذا الأمر كثيرا وكان يرغب فى أن يعرف الذى أخذها وأخذها من هو وفى أى مكان وكان يشاق جدا إلى نهاية حربه مع الرومان ليلتص إلى التفتيش والتحرى عليها وجعل ديدنه الصلاة والسؤال من الله ليلتص إلى ولده ويحبر خاطره بإعادتها إليه وزواجه بها وأصبح ينتظر شفاء بهزاد شفاء تاما . لأنه كان يتقدم إلى الصحة يوما فيوما تقدما تدريجيا جعل الجميع من جهته بأمان يؤملون انتحاج بيساكنه ولم يقف قط أحد منهم على خبر فرخوزاد بعد أن سألوا كثيرا وبحذر كثيرا لأن فرور شاه كان يحبه جدا طلبا كونه كان رفيقه فى بداية أسفاهه وكان يتحمل عنه ثقل المصائب ويشاركه فى الأحران والأكدار والعذاب . ولم يكن يهد فيه مثل هذا الشيط الناتج عن الحسد اللديم مع أنه من الأبطال الصناديد والفرسان الأله أجيد الذين هم بدرجة ثانية بالنسبة إلى فرور شاه وبهزاد وكان الملك ضاربا بانشغال فكر من جهته أيضا لا يجب أن يحصره ويحنيه لا سجا وهو ابن فيلوزور الذى صرف العمر بخدمة دولته والذب عنها والقتال عن حقوقها حتى أنه قتل فى سيل صوالجها وكان أيضا مشغلا الفكر من جهة طهمور الذى كان قد أخذ أسرا ريمك إلى المدينة القيصرية وبقي

مسجوننا متروكا مع أنه من عدد رجال الفرس ومقدميه

قال ولترجع بالحديث إلى فرخوزاد فإنه بعد أن ثبت عنده أن اخاه وقع إلى الأرض وظن بتأكد أنه قتل وقد الحياة خرج هائما على وجهه فى القلعة لا يعرف أى طريق يقصد ولا بأى جهة يسير ولما اتفرد بنفسه وشعر بقابضة حمله انقطرت مرارته وتأكد لديه أنه ارتكب جريمة كبرى ضد الإنسانية والدين وجعل ضميره يؤمخه ويهجم عليه رداءة فعله وحركه ارتباطه الأخرى بأخيه وجبه الطيمى نحوه فابتدأ يبكى وهو هائم وبعض على كفيه نداء وحرقة وتأسفا وتمنى كثيرا أن يقتل نفسه ولا يعيش بعد أخيه ساعة فيمنه حب الذات ويرجعه له عن عمله وأصبح بحالة صعبة جدا وكلما تقدم بالمسير ثقل عليه ضميره وتهدهد وأهانته وعنفه حتى أصبح كالمنحون

من تأثيرات الحزن والأسف إلى ان اشرق النهار فبقى في مسيره ولم يقبل ان يرجع إلى جهة بل قصد ان يعد الى اقصى مكان ويمش منفردا بالجبال بين الآكام والتلال ويحاشر الوحوش في القلا ويبيت معها في المغائر ولم تعد نفسه طليعه إلى ان يرى بشرا وبقى سائرا بسرعة فاقته الجهد وهو لا يذوق زادا ولا تطلب نفسه طعاما ولم يلق سوى الماء الذى كان يشربه من الاعين التى كان يمر بها نحو خمسة أيام وفى اليوم السادس اقبل على ارض مرملة محرقة فركبها من الصباح وبقى سائرا فيها يطلب الجبل وكلما سار عليها كلما اشتد الحر وتلهمت الأرض بنيران ولهب ناتحين عن اشتعال الزمالة بحرارة الشمس حتى تضايق كل المضايقة ولم يجد يقدر على المسير وعطش مزبد العطش ولم يكن له ماء فى تلك الأرض فابتغى بالهلاك وساق جواده يطلب الجبل وهو قاطع الرجاء من الوصول اليه لانه كان يراه إلى جهة الشمال وبقى سائرا يسأل الله الفرج ولا يصادف إلا اشتدادا وتلها إلى ان اخذت الشمس فى النزول فصرع بالعرودة إلا ان قلة الأكل والماء قد فعلا بجسمه فعلا زائعا واضعفاء وخارت قواه حتى انه بالكاد اصبح قادرا على ان يثبت على ظهر الجواد وبقى إلى ان قطع تلك الرملية واستلم اول الجبل فقلقه على غير وعى وكان الجواد من تحته ايضا قد كل ومل وخارت قواه وضعفت ولماسار على بعد الجبل هب عليه النسيم البارد بعد ان كان جسمه يقامى اشتعال العذاب من كل جهة وصوب فروق الجواد من تحته ووقع هو من فوقه فاثاب عن الصواب لا يمسى على نفسه وشعر بان جسمه اخذ فى الاتحلل وانه سائر الى الدنيا الاخرة وبقى ملقى على الأرض كالماتت نحو من نصف ساعة ولما كان الله لا يحب ان يمقده الحياة نظر اليه وشفق على حالته ولم ير ضحى بلاءه فبعث له من عالم الغيب من يقذه من تلك الحالة ويرفعه من هذه الشدة والضيق . وذلك ان بالقرب من تلك الجبل إلى جهة الجنوبية كان يسكن أمير من أمراء تلك البلاد يقال له الأمير دولا ب وكان شابا كريما وديعا مشغلا بحب الصيد ومطاردة الغزلان فيسير من بلده دائما الى ذلك الجبل يصطاد منه الغزلان والأرانب ويعود الى مقره وبالتقاء والقدر صادف مروره ذاك النهار من تلك الناحية بعد وصول فرسخ زائد اليها فقبل وفى أثناء مروره نظر اليه فتعجب منه وارتاح من أمره ونزل عن جواده اليه ونظر به فرجده جسمه لا يزال حارا فأمر بعض جهاته ان يحملوه الى المدينة ويسير على عجل امامه على بعد وسيلة الى شفاة وقال لهم لا بد ان يكون هذا الرجل من الأمراء والفرسان الشداد لان يظهر على هيئة دلائل قوية للبسالة مع انه فى حالة الاموات ولا بد ان يكون من اولاد الكرام والسادات

العظام . فحملوه وساروا به وقطعوا الجبل حتى انتهوا إلى المدينة فادخله الأمير دولاب قصره وأمر أن يؤتى بأصبر طبيب في بلاده وأمره أن يلازم معالجته وأن يطيعه ووعده إذا شفي بالانعام الثمير فنظر فيه الطبيب ولم ير في جسمه قطرة علة فثبت عنده أن الخوار والفتور قد غلبا عن الهدى فأمر أن يؤتى بالماء فسقاه وجعل يصرف العناية إلى معالجته بما يتقنه حتى تقوى جسمه قليلا فسقاه من مرق اللحم شيئا فشيئا إلى أن فتح عيناه ونظر إلى ما حوله فوجد نفسه بين قوم يمتنون به فلم يدرك حركة بل بقي على حاله لأنه شعر باحتياجه إلى الراحة فام نوما طويلا ولما استيقظ وجد الطبيب عنده فسقاه من مرق اللحم وطعمه فتقوى جسمه أكثر وقدر على التكلم وبعد على الوقوف ولم تقضى أيام قليلة إلا عاد إلى حاله الأولى وسلم على الأمير دولاب وعرف أنه هو الذي اعتنى به وأحياه بعد الموت فشكره مزيد الشكر وشعر بمعروفه واختار القيام عنده . فقال له اني لا أقدر أن أكافئك بإسدي على جميلك معي والثقاتك إلى واقفاذي من الهلاك وأرجاع الحياة بعد أن كنت نطمت الرجاء من هذه الدنيا . وتأكد عندي أني لا أعرد فأرى العالم مرة ثانية . قال الأمير ان الله هو الذي يعنى بك لأخدمك واسهل لك طريق الحياة وأنا لا أعلم من أنت ومن أين وصلت إلى ذاك الجبل ولا أريد أن أعرف من أين أنت لأنني ما حملت معك المعروف لأرجو عروضا أو لأعرف مع من حملته إنما لما رأيت فيك دلائل الفضل وعلام البسالة قلت في نفسي اني أخبرك بعد شفائك اما بالبقاء عندي واما بالذهاب عنى وما أنا الآن أقدم لك فيلقى وأرضى وأما كننى تحمك فيها وتختار منها ما يوافقك ويحل لك فلا شئ ممنوع عنك منها . قال فرخوزاد اني كنت مسافرا ففصمت عن الطريق حتى وصلت إلى الجبل وقد فرغ مني الزاد فتأسيت من الجوع وعذاب الحر وتعيب الطريق ما أضعف مني قواي ورماني الجوارح معالى الأرض فتداركنى أفع بك وبك فاقذفتي ولهذا ترانى مضرا كل الصعور بمعروفك معي وقد نذرت الآن على نفسي ان اتقى في خدمتك وبين فرسانك ما أمكنى من العمر فأرجو أن تقبلنى وسوف ترى منى ما يسر به خاطرك وإذا كان لك عنى فأبشئى إليه فانى كفؤ لكل من يقصد التحدى عليك وإيصال الأذى إليك .

فلما سمع الأمير دولاب كلامه فرح به غاية الفرح وسر مزيد السرور قال لفرخوزاد لقد قبلتك كأخ لى في هذه المدينة وشريكى في حكمى ولا أمتنع عنك كلما تشتهى . ثم عين له مكانا لسكنه وأقام على خدمته الجوار والميد وصار منذ ذلك الحين كأخيه فى القية يأمر وينهى بما به الصواب حتى أحجب الأمير دولاب من أعماله وأحواله

وتأكد لديه أنه ابن ملك أو وزير . غير أن بعض فرسان القيلة كان أخذه منه الحسد فجاء إلى الأمير وقال له لقد قدرت فرخوزاد فوق قدره وأنت تظن أنه من الفرسان الصناديد وعلى ما أظن أنك مغشوش به موهوم بظنك فإذا شئت أجمع في الندأعيان الطائفة وفرسان القيلة إلى ميدان اللعب فتسحق سوق الجريد وتجرب نفسه مع فرساتنا تبين لك أنك على خلاف الحقيقة وار في أبطالنا كثير أحسن منه وأشد بسالة قال إن ما يظهر لي أن لا أحد من رجالنا يقدر على مناحلته ومع ذلك فاني مجيب إلى طلبك وفي الندأبيت إلى كامل فرسان الحى أن تنصير إلى الميدان ويجرب الجميع انقسم معه . فخرج الرجل وذهب مسرورا بنجاح مقصده وفي كل ذهنا أن فرخوزاد لا يثبت أمام جريدة أحد من فرسانهم وفي صباح اليوم الثاني أعلن الأمير دولاب وجوب تجمع الفرسان إلى ساحة الميدان ليدار دولاب لعب الجريد على سائر أنواع الفنون الحربية أكراما لخاطر فرخوزاد فاجتمع كل رجال الحى من كبير وصغير واعتلت الفرسان فوق الصافات والمحدروا إلى ساحة الفزال يطاردون بعضهم بعضا وفرخوزاد واكب فوق جواده ينتظر اإقدام حتى تم له كل ما كان يشتهي ونظر إلى الفرسان الآخذين في الجولان وسط الميدان فوجدهم يتوفون عن الماتى فارس وللحال المحدر إلى ما بين الفرسان وصاح فيها بصوت كالرعد القاصف أدوى منه المسكان واخرق أولئك الرجال وصاح فيهم صيحات مرده البجان . وقال أريد منكم أيها الفرسان أن تقصدوني باجمعكم فمن أصابنى جريدته اعترفت له بالوحانية والكمال في القتال ومن أصبت خرج من ساحة المجال في الحال . فأجابوه إلى طلبه وأسرعوا من حوالبه كالسلاهب وهم يريدون أن يعرفوا نفل معرفته باصدق عبار .

قال وحى المجال ودار من كل مكان وتفرقت الفرسان من حوالبه إلى فرق وجماعات وانحذفت إليه بضرب الجريد قسائط عليه كالامطار فدخل تحت بطن الجواد وصاح به بما تعلمه منه وعوده عليه فخرج كالبرق في العمان دون أن تصل إليه جريدة أحد ولما اتقد إلى جهة من جهات الميدان استوى في بحر سرجه كما كان وأرسل جريدته إلى أحد الفرسان فأصابت اثنين سوى فخرجا من بين الباقيين وهما يتعجبان من سرعة قتاله . ثم عاد إلى الامام وأظهر التقصير حتى طمع به الجميع وحاقبه فصاح هم وحشردم عنه وبعد ذلك أصاب ثلاثة فخرجوا من بين الصفوف وجاهه الباقيون فلم ينالوا منه مرادا وكر عليهم فأصاب أربعة منهم ودام على مثل تلك الحال حتى أصاب سائر الأبطال . ولخصم في وسط الميدان فتأخروا إلى الوراء وهم يطمون انهم ليسوا من رجاله وأنه من العجائبة الذين لا يقاس بهم خيهم وتقدم منه الأمير

دولاب وقبلة بين الايمان وفرح به مزيد الفرح وشكره على بساته وزادت محبته له
 الفرحهم فطار وعادوا من ساحة الميدان الى البيوت وما منهم الا وفي قلبه الحوف
 والرعب من أعمال فرخوزاد وقد أخذ مبرة كبرى عند الجميع . وعاد هو أيضا
 مسرور من اقتداره على الجميع ودخل مدله وهو على الحالة وقد قال في نفسه خير لي
 أن أقيم بين هؤلاء الاقوام وأكون كرئيس عندهم يروني أعينهم طلبا كبيرا وفارسا
 حسيبا ولا أقوم عند من تضعي بساتي لديهم ولم يكن يحظر في ذهنه قط أن يرجع الى
 الايرانيين لانه يعلم من نفسه انه جنى جناية كبرى لا تسمى ولا تكفر وكان يستعد
 كل الاعتقاد ان اخاه قد قتل وقبر ولا أثر له بينهم وجل ما يشناه أن تصل أخباره
 الى الاميرة انوش فتأتي اليه وتقيم معه في ذلك المكان على الراحة والسعة لاشبه
 يكسرها وصبر على هذه التبة منتظرا لعل الزمان وسعيه وماذا يأتي من أمره . وصار
 يحضر دائما عند الامير دولاب ولا يفارقه ويذهب معه في أكثر الاحيان الى الصيد
 والقتص فيصطادون الفزلان ويقنصون الوحوش ويأتون بها عملة على ظهور الخيل
 الى أن كان ذات يوم بينما كان الامير جالسا في ديواته وإلى جانبه فرخوزاد وبعض
 رجاله وإذا برسول قد دخل عليه وقيل يديه وأعطاه كتابا فنهض وقراه وبعد أن فرغ
 منه ظهرت على وجهه علامات الكدر والاضطراب واطرق إلى الأرض كالو وقع
 بحسبة عظيمة فظهر حاله لدى الجميع وسأله فرخوزاد عما وقع به وحل عليه وما هو
 ضمن ذلك الكتاب من موجبات الكدر والغيظ . فقال أعلم أني منذ بضعة اشهر
 ذهبت إلى عمي الامير رخام فاقسم عنده اياما وخطبت منه ابنته وصرنا اياما على
 الحظ والانتراح وحدث من هناك حل أمل أبي بعد ستة اشهر اذهب اليه ليرفني عليها
 بينما يكون قد دبر أمرها وأنا بانتظار الوقت الآن لأذهب اليه وإذا به يقول لي الآن
 أن رجلا من القريسان الصناديد جاء بتيكته اسمه الامير غيطم وطلب اليه أن يرفه عليها
 واتع وأخبره انها عظيمة لابن محبا فقصدان يأخذها بالرغم عنه وأشير عليه الحرب
 فصاره إلى أن طلب بين يديه ولجأ إلى قلعة هناك مع حريمه ورجال الأمر غيطم
 يحاصرونه فيها وهو يدعوني أن أسرع اليه واقبذه ولذلك تراني مضطربا وكسود من
 عمل هذا الأمر وأني أعلم انه بطل شديد البأس قوى المراس لا يعطى له نثار جبار
 من الجبابرة الكبار .

قال فلما سمع فرخوزاد كلامه فرح غاية الفرح ووجد وسيلة لمكافاته على جميله
 معه ولذلك أجابه انك هذا الأمر مما يريدني شأنك عندك وعروسك فاجمع
 رجالك في الحسالة وصر إلى حرب هذا العاك وأني أهدك وأعهد لك بقتل

الامير غيطم وتفرق رجاله والافراج عن حاكم الامير رخام بأقرب وقت فسر دولاب
من كلامه رجع رجاله وأمرهم بالركوب والمسير إلى جهة همه فساروا في مقدمتهم
فرخوزاد كأنه أسد من الأساد وهو مشتاق إلى ملاقاته الفرسان ومنازلة الأبطال
والفصحاء ليرى عمله للامير دولاب وداموا على المسير إلى أن وصلوا إلى أرض
الامير رخام فوجدوا عساكر الأعداء منتشرة فيها وقد تملك البيوت ونهب الأموال
وطردته إلى الجبل وأقام غيطم على حصاره في قلعة هناك . ولما نظر فرخوزاد ذلك
صاح وحمل على البيوت بمن وراءه من الأبطال والفرسان وسطا سطوة جبار وأشغل
فيهم حرب الصارم النار كما تشتغل النار بالقش اليابس وبأقل من ساعة قام الصياح .
وارتفع من كل ناح . وحل على رجال غيطم الويل والعذاب . وذاقوا أمر طمان وضراب
فصبوا على الدقاق والقنار والثبات في المجال . إلا أن فرخوزاد ضيق عليها الطرقات
وقادها إلى حفر التكتبات . وبأسرع من أربع ساعات أخلاها من البيوت وأركبها سبل
الفئتان . وقد تملت عما كانت قد نبت . ووصلت إليه وملكته . ونارت مسرعة إلى
الجبل إلى أميرها تخبره بما كان . ولما وصل إليه المنهزمون وأخبروه بعمل فرخوزاد
وأنهم طردوهم من البيوت تكدر مزيد الكدر وكان قد حصر القلعة كل الحصار
وثبت عنده أنه سيمتلك من فيها بأقرب وقت ويحظى بنبذ الامير رخام إلا أن كر
راجعا وهو من الغيظ على جانب عظيم وما بعد عن القلعة إلا القليل حتى صادف رجال
دولاب سائرين إلى جهته فصاح فيهم وحمل عليهم وفي نية أنه يشتتهم ساعة من الزمان
فالتقاء فرخوزاد وأخذ معه في الكر والفر والاخذ والرد إلى أن تبين لفرخوزاد فيه
العجز والتقصير فصاح فيه صيحة إيرانية وضربه ضربة قوية وقدم على أم رأسه فشقها
إلى ثكبة لباسه ومال عن جواده إلى الأرض قتلا وفي دماثة جديلا ولما رأى قومه ما حل
به وأن رجال الامير دولاب قد قاجتهم وقوم الامير رخام قد خرجوا من القلعة
وثبت لديهم موت أميرهم أركنوا إلى الفرار وتشتتوا في البراري والقفار فتأثرهم
فرخوزاد وأعمل سيفه فيهم حتى روى الأرض من دماهم وعاد من خضمهم وهو
كالارجوان من عظم ما لحق بثيابه من أدمية الفرسان . ورجع بعد ذلك إلى مقام
رجال الاميرين فلقوه بالاحسان وأتوا على فله وتمسكوا من بسائه وشجاعته وأخذ
الامير رخام إلى البيوت فدخلوها بالافراج والمسرات شاكرين الله على ما أولاهم
من النصر عن يد فرخوزاد وبعد ذلك عملوا الولائم والدموات وعزموا على زواج
دولاب بنبذ همه واكراما لحاظ فرخوزاد وترجابه وصرفوا نحو من أسبوعين على
هذه الحالة وهم في حذر السرور والفرح يهتمون بالمرس ويصلحون شأن العروس

وبعد ذلك زفوه عليها وأقام سرور أوفرح بها غاية الفرح وسر مزيد السرور وفي اليوم الثاني استأذن من همه بالرجوع الى الديار مع عروسه فاذن له وأوصاه بها وبمداواتها وسأله بالمحافظة على فرخوزاد وقال له ان مثل هذا القارس لا يهمل أمره بل يقدم له كل ما عورهان فهو بطل من الابطال يندب وجود مثله بين سادات هذا الزمان فاذا أقام في قبيلتك ملكك به كل ما تريده وتقتد سطوتك في كل مجاوريك وارتفعت منزلتك عند الملك فيصير ملك ملوك الرومان وسلاطين الافرنج وحاكم سورية وما حوالها . فوعده بكل جميل وساروا عائدين الى بلادهم عدة أيام حتى وصلوا اليها ودخلوها باحتفال عظيم وفرح بهم قومهم وكل من في الديار وفي ثاني الايام دخل على الامير دولاب أحد أعيان قومه الذي كان تحلف في الحى لمحافظةه وقدم له كتابا وقال له انه بعد مسيرك اليوم وصل الينا هذا الكتاب من الملك فيصير يدعوك به ان تسير لصيرته باطالك وفرسانك لان الملك ضاراب ملك الفرس وسيدهم قد جاء بلاده ودخلها عنوة وسطا على عدة مدن وأن عنده فرسان وأبطال لا يسطل لهم نزار ولذلك اتعد على أن يجمع عليه الفرسان من أربعة أقطار بلاده ولا يدع فارسا الا ويدخل في هذه الحرب لينتقم منهم ويبيدهم عن آخرهم . فلما قرأ الامير دولاب هذا الكتاب وقع بامور صواب وأطرق الى الارض باكتاب واضطراب وكادت تندقق الدموع من عييه فرأى حاك فرخوزاد وعلم ما هو واقع به . فقال له لاي شئ أنت في قلق واضطراب وماذا وقع على أفكارك وقلبك من الخوف والهول . قال اني سمعت من مدة بسالة رجال الفرس واقدامهم وأنه يندر وجود فارس في أربعة أقطار الدنيا كفرسانهم ولا سبأ ابن . اكهم فيروز شاه وقد حكى لي بعض الرواة عنه اخبارا يكاد العقول لا يصدقها وهم الآن في بلاد الملك فيصير والملك المذكور يدعوني أن أسير لخدمته برجالى وحيث أنى عاتش تحت لوائه وفي مملكته لا يسعنى الامتناع واذا سرت فاني مؤكد بفرح الصعوبات والمصائب وطول هذه الحرب مع اني كنت أعد نفسي كل الوعد بالخط والانشراح مع زوجتي الجديدة وقللى لا يطاوعنى على تركها وفراقها بعد أن تزوجت بها ولم أقم معها في بلدى ولا يوما وربما لحقتى من تلك الحرب ضر أو أصابنى ببلانية فتركها امرأة لا مابجا ولا مبيع لها تقضى عذاب الحزن والاكدار .

قال وكان فرخوزاد على نار الهياج واشغال البال من جهة قومه وهو يرد ان يعرف ماذا جرى عليهم وماذا حل باخيه ويطلب ان يصل اليه خبر منهم حتى يجد هذه الفرصة واستنسب المسير الى بلاد فيصير تحت اسم ذاك الامير فقال له هل ان الملك الاكبر يعرفك وجهها بوجه . قال كلا فلم يسبق لى ان رأيت اوراقا انما

أوامره فصل إلى دائما يطلب الاخرجة والاموال فأرسلها له كخبري من محاله وأمره ببلاده . قال إنا كن الامر كذلك فاني أسير اليه تحت اسم الامير دولاب وأقاتل عنك بين يديه وأبدل غاية المجهود حتى أبني لك عنده منزلة رفيعة ويعلم منك من أشد أمراته فلما سمع الامير دولاب هذا الكلام نزل على قلبه ألم من لذية الشراب وقال له إني أشكرك على هذا الجليل والمعروف فاني أعهد اليك بالمسير حتى قال إنني بذلك الفرح الأكبر لأن أكون قد وفيتك بعض مالك على من الجليل الذي لأنساء طول مدة حياتي وأحب شيء . فدى هو أن أراك مع عروسك مرتاحا قائما على الغناء والموسيقى . ثم إن فرخوزاد أخذ نحو أربعة آلاف فارس من فرسان القيلة وودع الامير وخرج يقصد الملك قيصر حتى وصل اليه وانضم إلى بقية العساكر التي كانت تتجمع لقتال الفرس وقد بعث علم بوصوله إلى حضرة الملك وأنه قائم مع الذين قاتمين بانتظار أوامره للحرب والقتال .

قال وكان الملك قيصر على مقالى النار ينتظر وصول عساكر الصين اليه أو وصول خبر من جهات ملكهم لانه كان يعلم أنه بدون مساعدة الصينيين لا يقدر على الثبات في وجه الفرس ويبقى بالانتظار وهو متعجب من عدم إتيان الملك ضاراب إلى بلاده بعد نصرته على ولده وتمزناش ولم يكن عنده قط خبر بهزاد وما حل عليه من أخيه فرخوزاد الذي أن جاءه الخبر بقرب وصول منكوخان وأولاده مع العساكر والرجال قهرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وأمل الخير والفوز على الاعداء . وطردهم من بلاد موالاتقام منهم بثأر ولده المقتول . وخرج في دجالة ووزرائه على بدوهمين للقاءتهم والموسيقىات تعزف باغمام الاسترحاب والاكرام الى أن التقي قيصر بمنكوخان فسلم عليه وترحب به وبأولاده جميعا وأظهر سروره فيهم ومثله فعلت أمراؤه وأعياءه وعادوا يرجعون وقلوبهم تصفق من الاستبشار والآمال بنوال المراد حتى ضجعت من ظهور مسراتهم وصباحهم بالافراح تلك الارض ولما قربوا من المدينة سال الملك قيصر منكوخان ان يذلل برجاله الى جهة من اطراف المدينة كان اعداها لنزلهم وهي واسعة وحة محاطة من اكثر جهاتها بالاشجار والرياض فسر منكوخان من هذا المركز وأمر رجاله ان تحيط في تلك الارض وسارهم مع قيصر الى الديوان ليقدم له مكتوب سيده وجلس الملك ومن حوله سائر الاعيان والوزراء وجلس منكوخان بين اولاده السبعة وقدمت لهم أكاسات الشراب وموجبات الترحاب وبعد ذلك سال الملك قيصر منكوخان عن سيده الملك جهان فقال انه بخير وأمان وقناقتا من عمل أعدائك واتزل بكل غضب عليهم وتمنى أن يكون هو نفسه حاضر عنك ليبددهم ويشتمهم في أقطار الارض إلا أنه لما كان يعلم اني قادر على

أنفذ غاياته وما ربه بعثى اليك مع أولادى وقد دفع إلى هذا الكتاب لاسله اليك مع حياته وسلامه . ثم دفع اليه الكتاب فتناوله منه الملك قبضه ودفعه لوزيره يداخل قطعته وقراه يرى فيه

من ملك ملوك العالم وسطان سلاطينها الاله الاكبر والمعبود الاعظم إلى صديقه الملك قبضه ملك النصارى والاfrican

بعد انوال بركاتك عليك واسكاب مراحمي وايصال مساعدتي اليك اهدى ايها الملك الامين الورد ان اخذت كتابكم وشكرت جنابكم على ملاذكم في وطلبكم الامداد من لندن اعتاني وكدرنى جدا خبر وصول الملك ضاراب الفارسى إلى بلادك وتعمده على جيوشك وطعمه بك ولذلك ترانى مسرعا إلى إجابة سؤالك ولم تقبل شيعتى الكريمة أن ترد طلبكم وتضيق ظنكم في واظهارا لاشتداد رغبتي بذلك ولأريكم عظم غنى من هذا الملك المملوك المتمدنى الطامع الذى لم يعرف حق قدره بعث اليك بمنكوخان فارس بلادى ومدبر جيوشى وأوحدا أطال هذا الزمان وفوق كل ذلك فاني أمرته بأن يأخذ أولاده الذين ضربت بشجعانهم الأمثال في كل مكان وأن يكون معهم أربعائة ألفه من فرسان الصين وأوصيتهم كل الوصية بأن يسكروا إلى الملك ضاراب ويعثوه إلى إجازته على فعله وأقدمه مقدمة الفار وأمرها أن تذيب جسده في الحال ولهذا أوصيك أنت أيضا أن تترك لرجالى الغنائم التى يفتنوها والأموال التى تحصل أيديهم اليها وأن تبحث مع منكوخان الجواهر الموجودة مع الفرس التى ذكرت أهم جاءوا بها من أماكن متعددة والأمان والسلام لمن أطاعنى وعبدنى وأعترف بقدرته يترانى . والويل والعذاب لمن عصانى وخرج عن طاعتى ولم يعترف بقوة مجدى وسلطاني .

ولما قرأ الوزير يداخل هذا الكتاب لمن الجميع في قلوبهم الملك جهان وتموخرابه من العزيز الرحمن . إلا أن الملك قبضه أظهر فرجه وسرته وشكر من أحماه ومدحه المدح الفائق وعمل ولية فآخرة لمنكوخان وفي كل غلته أنه قادر على كبح الايرانيين ورد جماهم وكيدهم وكانت بعد المواعيد الفارغة ويشهد له أنه من أول واقعة يأمر أولاده بالبراز واحدا بعد واحد فيفضحون جيوش الفرس ويبدون فرسانها وأطالها وإذا اقتضى الأمر وكان بين الأعداء من قدر أن يبت أمانهم برز هو إلى الميدان وأتزل على الجميع العذاب والموان . ومن كلامه هذا كان الجميع فرح وجور لاسيا طيفور فانه تقدم من منكوخان وتقرب منه ومدحه ومدح سيده وأظهر رغبته في عادته وطلب اليه أنه بعد الفراغ من القتال يأخذه معه ليقدم اليه طاعته ويعترف بألوهيته وعظمته فوضه بكل جميل وخير وأقاموا

على انتظار وصول اليرانيين لينزلوا بهم الولايات والمذاب غير أن الفاء سرور كان
كما تقدم معنا الكلام قد تبعه بقله كل الثبوت أن لا ملك من ملوك الدنيا يقدر
على الفرس وأن لا فارس من فرسان ذلك الزمان يقدر أن يقف أمام فيروز شاه
ولهذا لم يؤخذ بكلام منكوخان ولا اغتر بمساكره وأجلاه وترجع في ذهنه أنهم
لا يشتجون أمام الملك ضاراب ورجاله يوما واحدا لعله أن السعادة قد وافقتهم على
القائه معهم والطاعة لهم والله قد خصهم بكل المزايا الحسنة الكريمة وجمع كل
الشجاعة وخصهم بها وخص فيروز شاه ويزاد ببسالة وإقدام عجيبين لا يمكن أن
يقف أمامها فارس قط من فرسان العالم غير أنه كان صابرا على أمره مكبرا من
غياپ بنه بمعنى أن يكون في يده وتحت أمره ليعدهما بفيزوز شاه ويطلب إليها
أن تصلح بينهما وتطلب له العفو من الملك ضاراب . ومن العجب أنه عندما صفا
بخطه وطاب قلبه لم يعد في وسعه الوصول إلى بنه وهذا انتهى كان يقلقه لتأكده
أن الملك ضاراب سيفوز على الرومان ويتملك ملادهم ويقع هو في يده وما من شافع
يشفع له عنده غير حلمه وعبه ولده لا بنه وعليه فاته نقي صابرا على دهره منتظرا
خبر ظهور بنه وهو يؤمل أن تظهر لفيزوز شاه ويتملكها

قال فلترك الرومان وشأنهم وماعم عليه من أمرهم ولترجع إلى الملك ضاراب
فاته نقي صابرا نحو من شهرين على شفاء يزداد حتى عاد إلى ما كان وقد أن يلو
الجزاد ويقل السلاح ولما رآه على تلك الحال وتأكد بعينه شفاؤه وأنه لم يطل من
جسمه عضو فرج مزيد القرح وأمر أن يجعل يوم صلاة وسبح لله من كل جيشه
من الكبير إلى الصغير وأن يشكر الجميع الله على مته وسماحه بقيام بطل الفرس
رجبارهم فأجاب الجميع أمر الملك وفعوا بأدعيتهم سبحانه وتعالى وأبدوا له شعورهم
بعمته وفعله عليهم وكان لأدعيتهم ولصلاتهم غوغاء وضوضاء من الصباح إلى
المساء وما من واحد امتنع أو ترك الصلاة . ثم أمر أن يصوم الجميع يوما آخر لله عز
وجل وأن لا ينوق أحد منهم طعاما أو شرابا ففعلوا وكان نازر ذلك فيهم عظيما
ومن خضوع وخشوع لعزته تعالى . ولما فرغوا من ذلك وقدموا ما هو متوجب عليه
نزيهم أمر الملك ضاراب أن يحتفل برليلة ثلاثة أيام من نفقة خزينة تقام بها
التهاني ليزداد وأن يأتي كل فرد لتبتهنكته بالسلامة فجرى ذلك وانتشرت أسباب الحظ
والهنا في كل الجيش ودار القماء والرقص حتى لم يكن قد سبق مثل ذلك في جيش
الفرس وكل رجل من المجتمعين في ذلك المكان حضر ليزداد وهناء بالسلامة وهو
وإن كان مسرورا بحبب الملك وفرحه وفرح رجال فارس أجمعهم بسلامته إلا أنه
كان مكبرا من غياپ أخيه فرخوزاد ويرى أن كل هذه الاحتفالات لا تنفع

بشيء في جنب الوقوف على خبره ولما انتهت مدة الاحتفال أمر الملك ضاراب بالانهاب
 المسير إلى مدينة الملك قيسر لحاربه وبعث بعياره شبرنك يكشف له خبر الأعداء
 ومقدار عددهم وفي أى جهة نازلين وحل م خارج المدينة أو داخلها وحل بينهم القتال
 أو مزمعون على الحصار فسار شبرنك وقاب مقدار يومين وكان وصوله إلى المدينة
 يوم وصول منكوخان بمساكره ورأى كل ما كان من أمره وعرف ما لزمه معرفته
 وعاد إلى ملكه فأخبره بكل ما رأى ونظر وقال له اتى نظرت الجيوش قائمة في ضواحي
 المدينة على أمة القتال يوم بالانظار وقد أفرز مكان غصوص لرجال الصين واحتفلوا بهم
 مزيد الاحتفال فلم يهتم الملك ضاراب لهذا الأمر وقال لا أخاف رجال الصين ولا الهند
 مادمت متكلا عليه تعالى وعندي من الفرسان ما يوجد نظيرهم في غير مكان . وبعد
 ذلك أمر عساكره بالركوب على الترتيب والانتظام وأن تسير كل راية فوق قائد من
 قواده وكل قائد يقود جيشه على حدة فكان ذلك وبأقل من الزمان تحركت ركاب
 الملك ضاراب من أرض أم الروض وسارت رجاله متقدمة إلى جهة البلد طلب القتال
 ونهاية هذه الحال . وبقوا في سيرهم يوما كاملا حتى أشرفوا على المدينة وشاهدوا
 من بعد أبينتها وأسوارها وهي ذات أبنية فاخرة وقصورها شاهقة لم يروا قط مدينة
 أنظم منها ولا أجل منظرا وروا في خارجها الجيوش وهي كالجراد المنتشر ولما وصل
 الملك ضاراب إلى مقابل الأعداء أمر عساكره بالدول تجاهها وأن تضرب كل فئة
 خيامها إلى جهة من تلك الأرض وتنصب عندها الرايات والأعلام فأجابوا أمره
 وضرىوا خيامهم وسرحوا أنعامهم وفكوا خيولهم للراحة بقية ذاك اليوم على أمل
 أنهم في اليوم الثاني يقومون إلى الحرب والقتال .

قال وكان لما بلغ وصول الفرس إلى تلك الجهات إذ ان الملك قيسر اشتاق إلى
 رؤيتهم فطلب الفرقة عليهم من على الأموار فصعد مع منكوخان وبقية جماعته
 الأعيان ولما وصلوا على ظهر السور نظروا إلى القادمين فوجدوهم على ذاك الانتظام
 الذى سبق ذكره في غير هذا المكان وكان إلى جانب قيسر طيفور يسأله عن
 كل فارس بمفرده ورأى في المقدمة سيامك سيابا حافظ مقدمة الجيوش تحت الراية
 الممهودة به ووجاله كلهم بالجنات وعلى أكتافهم القسي والكنانات . وقد أخبره
 طيفور أن هؤلاء رجال السهام وأنهم يرمون بها يرشاة لا توجد بينهم من
 فرسان هذا الزمان ولا يمكن أن تخطى سهامهم . وأخذت أن تتقدم من الفرسان
 والشاهات وهو يعددما ويصفها ويذكر بسالة مقدميها حتى أرام الملك ضاراب وهو
 تحت راية الأسد والشمس تخفق بالهواء وعلى رأس العسلم جوهره كالنبراس تتدد
 [١٠ - فيروز ثالث]

عن مسافة بعيدة بما يبر التواظر وعن يمين الملك خراب وريرة طيطلوس وعن شماله
دوش الراى وبين يديه فارس فرسان ذاك الزمان وسيد الأبطال والشجعان من سأل
عن اسمه جامد الصوان . فهروز شاه . هروس الميدان ولازال يصف له حتى وصل إلى
للخوخة ونظر بهزاد شاه محفوقا بسبعين ألف من رجال الفرس لاشداء فقال طيفور
للك قيصر وهذا ياسيدى بهزاد الذى قتل خرطوم وأسر تمرناش وهو ابن فيلوزور
البهلوان بن رستم زاد حاة هذه الدولة وأجلها وهذه الرتبة مخصوصة بهم وقد حصهم
الله بالبسالة والاقدام حتى أنه يندر وجود مثلهم بين رجال الصدام كل هذا ومنكوخان
يخطر ويسمع ويتبع من هذه العظيمة ومن هذا الفخر الذى اعتادوا عليه رجال الفرس
وهذا الترتيب وكيف أنهم قسموا إلى قسم وفرق وسدت كل فرقة إلى قائد ومن ثم
عادوا عن الأسوار يحدرون الأوامر إلى فرسانهم بالاستعداد والتأهب إلى صباح
اليوم الثانى .

ولما كان صباح اليوم الثانى نهضت المساكر من راندها وهدت إلى أماحتها فقلعتها
وجاهت خيولها مركبتها وانتظرت أوامر ساداتها وفرسانها لتعرف على أى وجه يكون
القتال وركب الملك خراب واحتاط به حرسه وركب فهروز شاه فوق كنيه وهو
يشعر أن ينتهى القتال فى ذلك النهار فيبهر تلك الارض ويسير فى تلك الارض ويسير
فى البرارى مفتشا على حين الحياة فى كل مكان وركب فهروز وتقدم وضلت مثله جميع
الفرسان والأبطال ومثل ذلك صار فى صاكر الأعداء فقد ركب منكوخان بأولاده
وأمر أن يبرز أحدهم فى ذاك النهار ويطلب من رجال الفرس فرسانهم وأن لا يعود
حتى يقتل فيهم مقتلة عظيمة وركب الملك قيصر بالعظيمة والجلال ورفعته فوق رأسه
الرايات الرومانية وبين يديه تمرناش وجماعة الحراس والخدام ولما اصطفت الصفان
وترتب الفريقان .

وهدمت الفرسان على الهجوم وإذا بأصغر أولاد منكوخان قد التحدروا إلى
الميدان ولعب فيه ذهابا وإيابا ومن ثم وقف فى وسط الميدان وصاح معلنا
باسمه وشرف نفسه وطلب براز الفرسان فاستعد الأمه سيادك وعول على أن يبرز
إليه وإذا به يرى قد خرج من أطراف الجيش العارسى فارسان مثلمان وقف أحدهم
فى الوسط بين الفريقين بعيدا عن الجبال والثانى صاح والتحدروا إلى ابن الوزير وأخذ
معه فى القتال والصدام قال وكان فهروز شاه والمملك خراب وبقي أبطال إيران قد
شاهدوها ولم يعرفها أحد منهم وثافت أنفسهم إلى الاطلاع على أخبارها ومن أين
جاءوا ولاسيما لما نظروا أن الذى صدم ابن الوزير هو من الأبطال الشداد وأنه عارف
بفنون الحرب والقتال حتى المعرفة ثابت الحيل والقوى وحق صدرهم من ذلك وفى

الحال أمر فيروز شاه عياده بهروز أن يتقدم من الفارس الواقف في نصف الميدان منفردا عن الفريقين ويسأله عن حاله ومن أين أتيا فسار حتى قرب منه وقال له إن سيدى فيروز شاه قد أشغله أمر كما ولم يرمكيا ولذلك متى لأسألك عن نفسك فن أنف ومن رفيقك ومن أين جئتما . قال سر إلى سيدك واخبره أننا من أحر عبيده ومن لا تترك فضله ولا نساءه فورة راحة وسيد رقنا قانا هو قاهر شاه وهذا الذى فى القتال هو أخى قادر شاه . فلما سمع بهروز كلامه عاد راجعا مسرورا بهذا الخبر لعله أن سيده يسم منه لأنه كثير ما سمعه يذكر هذين الاسمين ويتشوق للقاءة صاحبيهما وعند ما وقف بين يديه أطلعه على ماسمه من الفارس فصفق استبشارا وفرحا وتحقق عنده الخبر بما كان براء من قتال قادر شاه وتطامع جسمه وشكر الله على عوده إليه بعد أن كان قد تركه فى الجزيرة يضرب فى الطبل لخلاصه وقد فداه بنفسه وقبل الهلاك فى سبيل حياته وتنى أن يعرف كيف خلص من ذلك المكان أو وصل إلى أخيه حتى جهاما معا وأقام ينتظر عودتهما من ساحة الميدان ليسلم عليهما وسألها وهما كان منهما بعد مفارقتة لها .

قال وأما قادر شاه فانه أخذ مع ابن الوزير فى الطراد وأشعل نار الحرب ذات الاتفاق وكانه من معرفة فنون الحرب فى درجة واحدة ومن المقدرة والشجاعة فى ميدان واحد ولذلك طال بينهما الماطال . وهما على تلك الحال وبقيبالكر والفر إلى قرب الزوال دون أن ينال أحدهما من الآخر منالوإذ ذاك ضربت طبول الاتصال ورجع الاثنان إلى الخيام لأخذ الراحة والنمام ولما عاد قادر شاه إلى جيش الابرانيين مع أخيه لاقاهما فيروز شاه وسلم عليهما وأظهر مزيد فرحهما قدماه له اشكروا الامتان وعادا معه إلى صيواته ونزعا عنهما ثياب السفر وأكلوا من الطعام حتى اكتفوا وبعد ذلك أخذهما إلى أبيه بنينا كانت الفرسان والابغال تتجمع عنده لصرف السيرة كالعادة ولما وصلا بين يدى الملك ضارب وسلا عليه وقبلا يديه ترحبهما وأمرهما بالجلوس بجلسا وبعد أن استراحا سألهما الملك عن حالهما وعن سبب مجيئهما إلى المسكر والقدم إلى تعذته وإذ ذاك تقدم فيروز شاه من أبيه وقال له اعلم بأنى أنى حكيت لك قبلأعند خروجى من إيران إلى حمراء العين أنى لقيت اثنين فى قلعة يدعى أحدهما قاهر شاه والآخر قادر شاه وحكيت لك أيضا قصتهما مع همها وكيف أنى أجبرته إلى زواج قاهر شاه بيته وان قادر شاه سار معى إلى الجزيرة المظلمة حيث أرسلنا المركب هناك وعند ما طلبنا الخروج أقام قادر شاه بضرب الطبل حبا بخلاصى وقد قبل بلاك نفسه أملا بذلك وبعد أن فارقت لم أحد أعرف ماذا جرى عليه وهما فلما الآن الاغان قد وصلالىنا بعد

أن اجتماعهما ولا أعرف شيء من قصتهما وأريد أن يطلعنا قادر شاه على قصته وسبب نجاته من تلك الجزيرة فقال الملك خراب انى أتذكر ذلك ولا أنسا وطالما فكرت به وشعرت بمعروفه در شاه وجيله معك وأحب أن أعرف من الذى خلصه من ذاك المكان وأطلب اليه أن يحدثنا بقصته لنصرف السهرة فيها ونعرف كيف انتقل الله من ذاك الخطر المبين فأجاب قادر شاه طلب الملك خراب وأخذ أن يحدثه بقصته بعد غياب فيروز شاه وما جرى عليه من الأمور والأحوال . قال :

انه بعد أن فارقتى سيدى فيروز شاه وأنا أضرب على الطبل كل ذاك النهار حتى نبت لدى نجاته وبعده قد غاب المركب عن نظرى وبقيت وحدى فى تلك الجزيرة وحيث شعرت بنقل الوحدة ولم يكن الخطر والموت على تلك الناحية قد فعل بقلبي بقدر ما فعل فى فراق فيروز شاه وبعده عنى وحرمانى من القيام من خدمته بحسب مشيتى ولذلك بكيت بكاء التواكل وكان الزاد والمؤنة عندى كثيرة إلا أنى كنت لا ألتذ بالاكل فما كنت آكل إلا قليلا وأصرف بقية الوقت بالذكر والنظر فى سبيل الخلاص على أن أجد طريقة أخرجها من الجزيرة وأعود إلى إغناد غايانى من خدمة الذى فعل معى الجليل وأحس لى أخى وأتقضى من ظلم حى على غير معرفة منه وهو ض أن يقابلنا بالقساة والانتقام أظهر نحونا من رقة الجانب والدعة والمساعدة ماتركنا حتى الساعة ففكر من فضله ولما أمسا المساء فى تلك الساعة اشتدت على الحال وتكدت جدا ولم أكن أرى قط أنيسا يؤانسى بل كنت أرى الطيور تلقى عليها مع اختلاف أجناسها وصفاتها فمن بواشق جارحة وغربان ناعقة ورخاخ كبيرة وما شابه ذلك مما ألقنى وأرعبنى ولم أتم كل تلك الليلة بل بقيت مستيقظا أضرب أكثر الأحيان بالطبل حتى لا تقرب منى تلك الطيور ولنصلم انى حى وقد خفت إذا تمت نظنى ميتا فتعوم على ثنائى كل لحمى وتبتى عندى ذلك لأنما كانت تلقى إلى تلك الجزيرة إلا لهذه العاية أى لتأكل من لحوم الذين يسحبهم الطلسم بالرغم عنهم ويموتون هناك وكان يرجع لدى كثيرا انه لا تمنى أيام إلا وأدقنى بطون تلك الطيور . وكان أكبر شيء يضيغنى وحدث له حسبا أن الشجرة التى كنت يمتنها كان قد نزل عليها طير من الرخ كبير الجثة هائل جدا بحيث أن الشجرة مع ضخامة ساقها مالت من وقوعه إليها وملاها من كل جهاتها وما قطعت ذاك الليل حتى تضايقت كل المضايقة ولاقيت أصعب المضايقات وأشد المصائب وعند ما أخذ نور النهار فى أن يتقدم متدرجا إلى كنت أسر والفرح ولا سيما عندما رأيت تلك الطيور اخذت فى أن تهاجر راحة عنى واكثرها ينظر إلى نظر الحق والفيظ كيف انها لم تقدر ان تسطو على فى ذاك اليوم وكيف ان

الحياة ساعدتني عليها فانقذت منها ولا ريب أنها كانت تعد نفسها بيوتلم أن لا خلاص لي من الجزيرة فأمرت عليها ومن ثم تعود إلى انقاذ ما رهبها بيوتعزيق جدي احتداما وبعد أن أقمرت الجزيرة من كل ذى نفس طبرى وارتفعت من فوق رأسى تلك الغمامة السوداء التى كانت تظلل قسما ليس بقليل منها أى أن طير الرخ الكبير الذى كان قائما أعلى الشجرة بارحها وغاب وانقضت من بعده الأنوار جليلة واضحة ولما خلا من المكان وبعد عن الخطر الذى كان قريبا منى يتهدى شعرت باقتدارى إلى الراحة فالتفت حجرا هناك مأخذ الوسادة وغرقت بنوم ثقيل قلت به أكثر من ثلاثة أرباع النهار ثم استيقظت من النوم مرتاحا كل الراحة وإذا بسلطان الجرح يحاربني فعدت إلى الطعام فأكلت حتى اكتفيت ومن ثم أخذ اليسل ينشر سواده شيئا فشيئا ويلق النهار سحاف نوره وعادت إلى الموموم وعاودنى الخوف والكدر وقد بدأت الطيور تلقى طائفة بعد طائفة وهى مرسة أصواتها المتروحة فى ذلك المضام فيتأفف منه عجب عجب وضجيج كأن يوم القيامة قائم . ثم أسودت الأرض من حولي بغمة وشعرت بثقل ربح قوية انبعثت من وفور ذاك الطير على تلك الشجرة فكان قد وقع على قلبي وجاذني الحرف ثانيا كالأول وصرفت تلك البلة كالبلة الأولى سائلا منها قدوم الصباح وحلوله . إلى أن جاء بياضه بظلل بقا بسواد الليل نمت إلى العصر وقمت فأكلت وشربت وهكذا كانت حالى مدة قيامى على تلك الجزيرة وكان يضطر لي أحيانا أنه لا بد من وقوع مركب ثانية عليها فبحث الله من عالم غيبه من يسلمني أو يقوم مقامى بدق الطبل فأبحر من الموت الذى كنت انتظره يوما بعد يوم وهذا الخاطر وإن كان ضعيفا ويطرق ذهنى بعده كثيرا إنما كان يقوى من آمالى ويربى من خلال الخيال طرق الخلاص فقطعت نحو من أسبوع على ما تقدم دين جدي ولا نتيجة وفى آخر ليلة من قيامى على تلك الجزيرة عاودتني الأفكار وتراكت على فصدت أقل من قبلها إلى كثيرها ومن كثيرها إلى قليلها حتى فكرت أنى كنت أسمع بالحكايات العجائزية ووقع أناس على مثل هذه الجزيرة وطرق ذهنى أن أحدهم يخلص بواسطة طير الرخ وتذكرت أيضا أن هذا الرخ قوى يحمل الإنسان من مكان قريب إلى مكان بعيد دون أن يشعر بثقله أو يضربه . وإذا ذلك تقوى آمالى وبأن لي وجه للخلاص جديد . وقلت فى نفسى إنى هالك لأعالة فبقائى على ما أنا عليه حين الخطأ والغلط وأنه وإن كان خلاصى بواسطة هذا الطير لا يخلو من الخطر والضرر إنما ذلك أخف بكثير من قاعضى عن النظر إلى الطرق المؤدية إلى الخلاص وإن من اللازم على أن أختار أخف الضررين . وثبت فى ذهنى كل الثبوت اتى إذا

ثمقلت بهذا الطائر يحلنى فلبقى إلى غير ذلك المكان ربما يكون هناك عالم وأناست
 الجيش بينهم أراذهب عنهم إلى بلدى وعند ذلك عدت إلى إجماع ما خطر لى وتسقت
 القدحرة شيئا فشيئا حتى قاربت رجل الطير فأقمت منتظرا لمحريكه لأتلقى بهما وبعيت
 على هذه الحالة إلى أن كان الصباح فأرسلت كل يد من يدى إلى رجل من رجله وسألت
 مساعدتى من الله سبحانه وتعالى أن يتم لى آمالى ونجاتى ولما شعر ذاك الطير العظيم
 بى صفق بجناحه واخترق الجو سائرا لى وأنا مدلى بالخلعاء وقد نظرت نفسى راكبا
 خطرا كبيرا لارتفاعى عن اليابسة بضعة أياما وكنت أقصور أن كل ما هو تحتى بى
 وماء ولم أفر على أن أنظر إلى الأسفل خوفا من أن تلعب برأسى صفراء اليوم فتصيب
 بى من الهدى وتضعف من قوتى فانك غلظى وأهوى إلى الأصمق ويعلم الله ماذا كان
 يصل لى ولهذا كنت موجها بكل قواى إلى أن أبهى متمسكا بأرجل الطير ومرسلا
 بكل أفكارى إلى جهة الخلاص وأنه سلبقى فى مكان ربما يكون سبيلا لحياى وغلاصى
 وهكذا صرقت بحرا من نصف ساعة حتى أخذت يداى فى أن تتخدر أو شعرت بضعفهما وخضت
 من أن يطيل الطير طيرانه فيرمى الضعف بالرغم عنى إلا أن هذا الأمر لم يطل كثيرا
 لأنى نظرت قد صرحت إلى جهة جبل هناك وأخذت فى الوطوء والنزول حتى استقر على رأس
 الجبل وما من وقت فرحت به زمان طوله أكثر من ذلك لأنى نظرت إلى نفسى وقد تخلصت
 من الموت وعدت إلى الأرض اليابسة وترجع عندى أن لا بد بعد هذا الجبل من وجود
 أماس أقدران استأنس بهم وأوصل منهم إلى بلادى أو إلى بلاد فيها سيدى
 فيروز شاه

وسبب هذا الفرح هو أنى كنت أفكر فى الأول أن الزمان لم يعد يسمح لى أن أتشرع
 بالمسير فى ركابه مرة ثانية فلما وقفت رجلاى على قمة ذاك الجبل طرق فكرى قرب
 وصولى منه فأوجب قلبى مسرة عظمت وفى الحال تركت رجل ذاك الطائر وحسقت
 يدى أى بشدة ففرمتى إلى جهة ثانية وحيدت أخذت فى النزول عن ذاك الجبل وأنا
 أفكر فى حالتى فى الجزيرة ولا أقدران أعرف المسافة التى سارها بى غلظى الطائر العظيم
 إنما على ما أظن قد يمكن أن تكون مسافة عشرة أيام على الأقل . وبعد أن اتيت من
 الجبل وصلت الى سهل يشغله عدة طرقات أحبت بى الآمال والرجاء وثبت عندى أن
 هذه الطرقات هى لأناس يقصدون ذاك الجبل للاحتطاب أو لتنايات أخرى فاستلمت
 طريقا من هذه الطرقات وسرت فيه كل ذاك النهار حتى المساء وسرت نحو ساعة من الأبل
 فتبينت أنوارا عن بعد فأملت بمصادقة الناس وإن لا بد هناك من قوم يشغلون تلك
 الأوار فسرت نحوهما وأنا لا أصدق أنى أصل إليها وأرى من فيها وقطعت تلك الليلة

سائرا ولم أقرب من المدينة الا عند بزوغ شمس اليوم التالى وعند ما دنوت منها وجدت جماعة خارجين منها وهم من الادميين فاجئت نحوهم وأنا بفرح لا يوصف وعلمت عليهم بلغنى فلم يفهموا منى شيئا بل نظروا الى متعجبين منى وأشاروا الى اشارة السلام فعرفت أنهم لا يعرفون بلغتنا وأمعنت النظر فيهم وإذا بهم كلهم عور وليس فيهم ذو عينين فتعجب من هذا التصادف الغريب وقلت فى نفسى لا ريب أن سكان هذه المدينة كلهم عور ومن ثم أخذتوني وعادوا بى فى أسواق المدينة يقصدون ملكهم وهكذا كان فاقى ما صادفت أحدا فى طريقى الا وكان أعورا منى وبين واحدة . ولما وقعت بين يدى حاكمهم نظرت فيه فإذا هو مثلهم وكامل رجال ديوانه نظيره فأخذتني الدهشة وعجبت من هذا الأمر وأظهرت خصوصى الملك والتفت عليه سلامى بالاشارة فأجابنى من دعا برجل غريب كان حاضرا فى قصره يعرف اللغات الأجنبية لحضر بين يديه فأمره أن يدانى عن حالى لحكىت له كل ما كان من أمرى فى الجزيرة المطلمة حتى وصلت اليه فأظهر على نفسه الاندهاش من تعلقى بالعائز حتى تخلصت وأمرنى بعد ذلك بالطعام فأحضر لى وأكلت منه أكلا ذريعا لاقى كنت جائعا وكان أكثره من الفاكهة اللذيذة وبعد أن اكتفيت أمرنى بالجلوس إلى جانب المترجمان . ثم أمره أن يخبرنى ان لا أعجب من وجودهم على هذه الصفة بين واحدة فانهم لم يكونوا فى الأصل كذلك بل يبدون صحيحى الأعين انما تسلط عليهم جماعة من الطيور فتضيق أعينهم ولا تفك عنهم وإذا غلب الواحد منهم داخل بيته سنينا وأعراما لا ينجر من شرها لاتها تطوف حول البيت ولا تترك أحدا يدخله حتى يسمل لها طلبا وأن لا بد فى القدر أن أصبح مثلهم ومن الأمر الغريب أن تلك الطيور متى أكلت عين الانسان لا تعود مرة أخرى إلى التعرض له ولا تضر بعينه الباقية وعليه فقد اعتادوا منذ القديم

انتهى الجزء الرابع والعشرون وسيليه الجزء الخامس والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

أن يقدموا أولادهم فتأخذ عينا وتبقى الثانية . فسألت الترجمان وكان مثلهم
أعور وعمل أنت وقع عليك ما وقع عليهم . قال لي إني كسك مسافرا في قارب لي
فصحبني الرياح إلى هذه الجزيرة مع قاربي فنزلت إلى البر ودخلت بين هؤلاء
الجماعة فجاءني طير وقفا عني فتأملت في البداية إلا أن وجدت أعجبا يسلمون بقيام
بين هؤلاء القوم وقلت في نفسي ليس من العدل أبقى بينهم دون أن أكون
أعورا مثلهم وقد قيل في المثل (إذا وجدت بين الموران قاطع عنك) وقد أنشيت
راحة المباشرة بلدي ووطئ واخترت القيام في هذه المدينة لأن مكرم جدا من
ملكها ومن أهلها جميعا . فقلت له إن ما أسمعه هو من العجب كيف أن الطيور تسطو
على الإنسان مع أن الله سلطه عليها وأعطاه السلطان الأول وهو العقل للتدرب
والتهديد والتخلص عند الوقوع في الشدائد فهل لم تروا وسيلة لرفع هذه المضرة عن
المدينة وقتل تلك الطيور وتدميرها عنكم . فأخبر الملك بقولي فقال إن ما من وسيلة
تقدر بها تغلب على هذا العدو إلا أني أهدك كل ما في وسعي وما في يدي إذا
بعت القدر لنا من هدينا إلى طريقة تدفع عنا هذه المصيبة . ففكرت في نفسي وخفت
من أن يصيبني قسم ما أصابهم فأرسلت منهم بعين واحدة وعدت إلى استعمال
الوسائط لقهر هذه الطيور فلم يترك على فكري إلا أن اتخذ لي قوسا أو تر به سهم
وأرسل به كل طير يدنو مني وكنت عارفا برمي السهام وعندما خطر لي هذا الخاطر
ترجعت في ذهني القور فأتلمت الملك أن يسمح لي باتخاذ طريقة لهلاك هذه الطيور
فقرح جدا وأمر الترجمان أن يلازمي وأن لا يفارقتي ويقدم لي كل ما أحتاج
إليه ففعل وخرج معي بعد أن أوصاني الملك بالرجوع إليه في المساء للمبيت عنده
كي يقوم بأكرامي

وبعد أن خرجت من بين يديه ذهبت إلى البرية وأخذت من الرماض قوسا
وجبتها بوتر وأحكمت صنعها وأقمت عملها وأنيت ببدء أسهم حدثت رؤوسها
على حسب ما أريد وجربت القوس والسهم فإذا هي على أم المراد لا تقطع قط
فقرحت بنجاح مسماي ولم يعد لي إلا أن أستعد لملاقاة العدو فأقمت يومين في

يأت الملك وأنا على الأكرام والترحيب 'متظرا اليوم الذي تلقى به هذه الطيور متفقد المدينة وتظر من يد فيها جديدا ولم تقفأ عنه . وكان لهذا الملك بنت يضاء الوجه يعاطله حرة وقوامها لم يكن أقل لثورة من العوال وكل ما فيها كان كامل إلا أن ذهب حينها كالشوه وجهها . فلا يميل إليها القلب وعندما رأني آلتني وترجعتني وأظهرت ميلها إلى وقالت لي بآلتك تبقى كامل العينين فبق فتنة لناظرين فلهظت منها غايتها وأنها تحجب مني وترغب في فحسبت لذلك حسابا وخفت من الوقوع بمهينة جديدة تمنى من السفر من تلك المدينة إلى بلادى وأنا في شوق لذلك إلا أنى صبرت منتظرا أبواب الفرج إلى أن كان اليوم الثالث وإذا بالطيور قد أقبلت فأخذت السهام وأوترت واحدا منها وأطلقت على المتقدم فأصاب كبده وصاح متوجعا ووقع إلى الأرض فأسرعت إلى سهم آخر وأطلقت على آخر فأصابه وقتلته وكان كثير من المجموع وقوا يرون حملى ففرحوا إلى جدا وجعلوا يصفقون بأيديهم ويرون حملى بتعجب وأنا أرى من تلك الطيور حتى فخرت وتفرقت وشردت مائى منها إلى جهة الجبال ودنا منى الملك وقبلنى وسألنى ان اعلم بعض رجاله هذه الحرفة حتى اذا تعلوها تغلبوا بها على هذا العدو فمأ بعد إلى الأبد فيخلصون من شره فاجبت طلبه ودفع إلى عشرة رجال فعلمتهم كيف يصنعون القسى والسهام ثم علمتهم الرمى وجربوا أمامى مرارا وقد وضعت لهم مرمى يرمونه بها ولما صاروا يحسنون الرمى فرحوا جدا وصاروا فى كل يوم يتمرنون من أنفسهم ويعلم بعضهم بعضا كل ذلك الأسبوع ولما كان الأسبوع القادم عادت الطيور لتجسمت وجأت متفمة منى وقد دعت لموتها كثيرا من أبناء جنسها بما كاد يحجب عين الشمس فأسرعت إلى سلاحى ووضعتم السهام بين يدى وجعلت أصيبها بقلوبها وكادها وفعل مثل الذى تعلموا رمى السهام من المدينة فقتلوا كثيرا من الطيور ولم يبق الا القليل فشردوا كالاول عاسرين وعدنا نحن ظافرين وقد ثبت لدى الملك ان من يلدق تلك المدينة منذ ذلك الحين يبق على عينه وقد دفع عنهم هذا العدو دفعا كاملا ولم يعد من وسيلة له عليهم وإذا حاولهم مرة ثانية عاملوه بالقتل والطرده وعلى هذا وقعت من قلب الملك وسكان المدينة موقعا عظيما وجعلوا يدهون لى ويترحبون بى ويكرمونى مزيد الأكرام وكان أشدهم حبا لى بنت الملك وقد ثبت عندها انى اتقى على حالى فلا يشوه وجهى العور وان لا ترى لها زوجا فى قومها غير اعرر فصرفت كل غايتها فى مراعاتى وكانت فى بداية الامر تستعمل الإشارة فى حديثها معى إلا انى أخيرا تعلمت بعضا من لغتهم فصرت افهم كل ما يقولونه لى واقدر ان افهم كل ما اريده وهذا سرها جدا وجعلها ان تكاشفى بحبا وطلبت إلى

ذات يوم أن أوافق أيها إذا طلب إلى أن يزوجه بها لأنها سأك بذلك قبل به
 وواجهها إليه وردها أنه يزفها على فلما سمعت منها كلامها وقمت باليأس والكدر
 لأنى كنت لا أحب أن أبقى بتلك المدينة ولا بطرق فكرى فعد أمر الزواج بل كانت كل
 أمكارى موجبة الى إيجاد وسيلة للفرار من تلك المدينة والبعد عنها . فقلت لبنت الملك هذا
 لا يكون الآن ولا بد من إجرائه غير أن من اللازم أخيره لينبأ أكون قد عرفت كيف
 أقدر أن أعيش بينهم قالت إن أبى رعدى أنه يقيمك بين رجاله ويقدمك على الجميع وتكون
 لك رتبة فوق كل رتبة من بعده وأنت تستحق ذلك لأنك خلصت بلاده ورجاله مما
 كانوا أرقصين به قبلا . ولما نظرت إلى إلحاحها تكثر في داخلي ولم يكن على أن أعدها
 وأأعدها أو أجيبها بشئ مما يطلبه بل سكنت صابرا على حكم القضاء وما يفعله في الزمان
 ولم يكن يهمنى ويشغلى إلا فكر واحد هو وصولى إلى بين فيروز شاه ولهذا كنت
 أشاغل عن كل شئ . وأكره في كل شئ . ولا أرضى بغير النظر في الطريق الموصلة الى بلادى
 وكنت لا أرى طريقة للفرار من تلك المدينة ولا سيلا للعداء هنا إلا من جهة البحر وقد
 تذكرت أن القزجان كان قال لى انه كان في قاربه فعمله البحر إلى هذا المصاطم .
 وقلت في نفسى لابد أن يكون ذلك القارب باقيا إلى هذا الحين غير مستعمل من أحد
 وعلى هذا اتجهت الى الساحل أقش على غائتى وإذا أنا بالقارب في ناحية من البحر
 متروكا غير ملفت اليه ولا أحد ينظر فيه فتبين لى وجه الخلاص وعدت إلى
 المدينة وأنا أشغل في تهيئة لوازمى وما أحتاج اليه في سفرى إذا نوبت على أن
 أركب ذاك القارب وأبعد عن تلك الناحية مخلفا من زواجى بينت الملك إذا
 دعانى اليه

وبعد أن مضى على أكثر من شهرين وأما في تلك المدينة أتأهب واتمدد وقد
 وصلت إلى شراع القارب ومجاذيفه وأعددت المال كل اللازمة الكافية لى أثناء
 سفرى بالبحار وإذا بالملك قد دعانى وش فى وجهى وتلطع بى كل الملاطفة وقال
 لى انى لا أنكر لك جميلاتك معنا ومعروفا أوصلك اليها ولهذا أرى نفسى مضطرا
 أن أكافئك على عملك وذلك بأن أزوجك بفتى ففى تلقى بك ولا تقل بغيرك
 فاطرقت الى الأرض مفكرا بما يجب فظن أن سكوتى هذا ناجم عن القبول والحياة
 بالتصريح فقال لى انى أعرف فيك الكمال والياقة ولهذا لا تجيب عما يتردد في فكري
 واتى ساذم من هذه الساعة إلى بنى وأدعها أن تكون على استعداد للملاقاة مع سعد القرطاف
 نولاشموا الأفراس وأنعم النحور وأجل لكما يوم القران يوما يكن مثله بل وحيث لم يكن
 لى من وريث ذكر يرث الملك من بعدى فاصد اليك به وتكون أنت الحاكم على هذه

المدينة من بعدى لما اجبته بشئ. وصبرت على حكم الفضل وفي نفسى انى انهر بعد
 أيام ولا أذع لبنت الملك مطعما فى . وسار على الملك ظانا أن حياى من الدخول فى
 مثل هذا الحديث معنى من التكلم وكأنه قد اتفق من سكوتى قبولى بزواج بنته وكنت
 أرى من نفسى انى ملتزم بأن أراعى جانبى وأن لا أرجع طله بالحيلة وجل ما كان
 يثبت لى أمل وجود القارب . فعنى سرت ومعدت عن تلك المدينة خلصت منها ولا
 يعود سيل الرجوع إليها فابقى ببدا عنها وأذع بنت الملك وشأها ولا أعود أعرف
 ماذا يعمل عليها . ولما كمل لى كل شئ. وصرت أقدر ان أبارح المدينة بدون ريب
 وطولت العزم على السير فى الليل على القارب إلى ما شاء الله وهكذا كان فانى عنده
 اشتداد الظلام حلت كل ما كان عندى إلى القارب وركته لوحدى وخرجت من ميناء
 تلك المدينة على اكف الرحمن لا أعرف نهاية مسيرى إلى أى مكان وصرفت ما قى
 من الليل سائرا حتى اشرق الصباح وكانت الريح موافقة لى فانطلق القارب بمنزلة البحر
 قارا من قباحة منظر أهل تلك المدينة وعند شروق النهار فطرت إلى الوراء وإذا أنا
 بعيد عن المدينة بعدا شاسعا ولم أجد أراما إلا قليلا فثبت لى خلاصى وتأكدت أن
 أهلها لا يرونى وأنهم وان فكروا بهربى منهم وبلغ ذلك بنت الملك وحركها حبها
 إلى استرجاعى فلا يقدرى على الوصول الى وهكذا بقيت سائرا بأمان فرحا بما
 أفاضه الله من المساعدة ومنحبه من الالتفات وتأكدت أنه يقصد وصولى إلى
 بلادى وأرجاعى إلى خدمة سيدى الذى نذرت على نفسى خدمته ما زلت حيا ودمت
 فى القارب مسافرا ولدى كل ما يطلبه نفسى ومحتاجه من أسباب القوت والماء فكنت
 أجعل لا كلى أوقانا معينة أترك القارب فيها ومن ثم أعود فأخدم نفسى واعتنى
 بقاربى ونقى القارب سائرا فى وكان البحر فى كل هذه المدة هاديا صافيا والارياح
 ساكنة ملجمة عنى إلى أن مضى على نحو من خمسة عشر يوما على ذلك القارب لم اصل إلى
 شاطئ. ولا ملت إلى برحتى سمعت نفسى من سحر البحر ونسيت جدما من قلة النوم لأنى
 كنت لا أنام إلا ساعة أو أقل فى كل يوم يوما متقطعا اغتشاء من ان اصاب بمصيبة
 جديدة وتعبا من ان تختلف معى الريح ويضطرب البحر وانافى منتهى نفسى وصرت
 اشتاق من نفسى ان اصل إلى البر وأرمى بكلى عليها ولا أعود مرة ثانية الى سفر البحر
 لاسيما واما منفرد لارقيق ولا أنيس اصرف الوقت معه فكنت أرى اليوم سنة
 لا بل جيلا ونفخت جدا من أن يطول الامر على ولا أصل على الشاطئ. إلا بعد قطع
 اليأس والرجاء والصبر ومضت على خمسة أيام أخر حتى وصلت الى البر فقرحت
 بهذا وشكرت الله على سلامتى ونزلت الشاطئ. مسرورا واخذت من القارب كل ما

كنت احتاجه من الثياب والطعام وانتكست على الله عز وجل وجهت في البر اسعى إلى مدينة أو قرية أصرف فيها أياما للراحة والسكنة وسجني مسهري إلى أرض واسعة كثيرة الأشجار ياقتها كأنها الفردوس في أنهاره وأظهاره قرحت جدا وقلت لابد من أن يكون خلف هذه الرياض قوم يسكنون .

وبقيت في مسرى حتى تبين لي من خلالها قصر قائم شاهق فانتعلف خاطري لنحوه ونمائي الأمل إلى أراحة حيث كنت تعبنا جدا مشتاقا لملاقاة بني جنسي من أولاد آدم ولما وصلت القصر فرحت جدا وإذا أنا ببابه مقفلا فطرقت طرقات متوالية حتى سمعت حركة من الداخل ثم تبينت صبية عربية قد طلت من إحدى نوافذ الباب وهي كأنها البدر في الأشراف فلما رأيته سألتني عن حالي وماذا أريد فقلت لها اني غريب مسافر وقد تبعت من المسير ففرجت إلى هذا القصر أطلب الراحة عنكم يوما واحدا ومن ثم أعود إلى حالي وأكون قد استقلت منكم على الطريق الموصلة إلى بلد اتجهى إليه فدخلت إلى وفتحت الباب وأنا متعجب من جمالها ورفقتها وقالت لي أنه لا يمكنك أن تنام هذه الليلة في هذا المكان بل أجلس عندك فأتيك بما عندى من الطعام وأزودك ما يكفيك في طريقك إلى أن تصل إلى بلد من البلدان المجاورة وإذا أطلت المقام في جانب هذا القصر فلك صاحب لاهالة لأنه ظالم غاشم فانك لا تحافظ اقله ولا يراعى حرمة الانسانية . ثم سمعت أن تلك المرأة قد تنهدت تنهدا عميقا من فؤاد مقروح وترقرقت في أعينها دموع مؤلمة جرح لها نواذى وثبت عندى أنها مظلومة . رجعت من صاحب القصر . فقلت لها بالله عليك أن تطلعين على امرئ ولا تكتمنى عنى أمرا وأعلمي أن الله يثني اليك لأفذلك إذا كنت مظلومة من ظلمك فقالت لست أنت من يقدر على انتقازى ومساعدتى وأما قصتى فسوف أطلعك عليها . ثم تركتني ودخلت القصر فغابت بضع دقائق ثم عادت إلى الطعام فوضعت أمامى وقالت كل وأرح نفسك بينا أكون قد أطلتك على قصتى مختصرا وسر عن هذه النواحي فتنبو من الحلاك فقلت لها لا يمكننى قط أن امد يدي لطعام من طعامك قبل أن أغنى مرامك وأعرف امرئ وإذا كنت تظنين أنى لا أقدر على مساعدتك فتنى عرفتى قصتى وثبت لديك أمرى تعرفين مقدركى وقوتى . ثم شرحت لما قصتى من البداية إلى النهاية وهي تتعجب من أمرى ومن معاندة الزمان الذى أبعد عنى وطنى وبلادى وقالت لي إذا أنت ابن ملك قلت نعم وإنى من الشاهات وسوف يظهر لك ذلك . فاطلبنى على امرئ وكوئى براحة بال قاتى حرمك أن لا انتم ولا آكل ولا اتمرك من مكان قبل أن أفرج عنك وأدفع ما يفيظك ويحييك . قالت ان قومي يسكنون في بربه بعد مقدار يوم من هذا القصر

ويبلغ عددهم نحو خمسمائة نفس يعيشون من حراثـة الأرض وزراعتها وابتى هو الرئيس عليهم ولى اخان ذكران قطب بالقرب من مكان اقامتنا اى عن بعد نحو يومين إلى الجنوب مدينة شهيرة يذهب قرنا إليها في السنة مرة او مرتين او ثلاث لأجل قضاء حوائجنا وما يلزمنا منها ولأجل بيع ما يتحصل لنا من محصولات الأرض ونحن مسرورون بهذه العيشة ولا عدو لنا وليس من سبب يكدر لنا راحتنا فكان من امرنا ان نصرف الوقت على الشغل في النهار والراحة في الليل وكان اخوى وابوى يحبوننى كثيرا ويعتنون بى ويهتمون بأمرى حتى بلغت اشدى وحسرت كما ترائى فذهبت فى ابن عمى وخطبتى من ابى فأجابه الى ذلك وعدت من ذلك اليوم لابن عمى وانا احبه حبا عظيما إذ لم يكرهلى رجاء بغيره لاسيما وقد تأكدت انه سيصبح زوجى وكنت معتادة على معاشرته والقيام معه منذ الصغر فخر ان الله سخط علينا صاحب هذا القصر وهو فارس صنديد وبطل شديد اسمه الرماح وعنده عشرة من الرجال فجاء قومى وسطا عليهم فلم يكن فيهم من يقدر على مقاومتـه او قتاله وأسر أبى وأخوى وعهد على قتلهم فاستجاروا به وصالحوه على ان يدفعوا بى اليه وما فعلوا ذلك إلا رغبتهم ونأكدوا انهم إذا ما قتلوا قتلهم واخذوا بالنصب فاشترى حبانهم فى إذ لا بد ان اكون حصيه الأمير رماح المذكور وعد ان سددنى اليه واخذنى وعادى إلى هذا القصر وكان ذلك منذ ثلاثة ايام فوضعنى فيه دون ان يقرب منى وهو فى كل يوم يذهب الى الصيد مع رجاله فيصطاد الوحوش والفرلان والطيور فى أبى بها فى المساء ثمينة لهم ولطعامهم فاطبخته

وقد سمعت يقول لجماعته انه لا يقرب منى مالم يعد لهم ولية كأنه يريد ان يعمل لنفسه عرسا واحتفالا ولما انا فأتى مقبورة من نفسى عزونة على ابن عمى اكراه هذا الرجل واتمنى له الموت لانه لا يعرف الله ولا يراعى حرمة الانسانية ولولا امل بنجاة ابى وخلاصه من يده لما وافقته على مقصده بل كنت قتلـت نفسى وعدمت الحياة إلا أنى اخاف على حياة ابى وأخوى فهم لا يقدرـون عليه ولا يستطيعون مقاومتـه فاذا عانده وابعده عنى وقطعت رجاءه منى عاد إليهم فالتفت منهم ولذلك ترائى حزيمة كتيبة لا أسأل خلاصى إلا من الله سبحانه وتعالى . اما انت فلتست فى حاجة لأن تحاطر نفسك لأجلى فرما كان اقدر منك فيعتك بك وتكون اهلكـت نفسك يديك لأجل حمل المعروف مع من لا يملك امرها وانى لا اريد ذلك اختشاء من ان يصل اليك اذى بسى فاكـون كأنى قد اهرقت دمك يدي . واقل ان اجعل نفسى ضحية لهذا الغاشم الظالم وامتنع من ضرر غيره وارفع شره عن عباد الله . فلما سمعت كلامها تأثرت منه واشتقت لقتل الأمير رماح لأربها فضل به

قلت لما كرتي براحة فسوف يظهر لك فعل وترى بهيكل ما فعله بدموك وهذا يشفق قلبك به وقد أنست اني لا أدرك طعامك مالم أقتله مع جماعته وأهدمه الحياة إنا أريد منك أن تغفل الباب وترجى إلى مكانك وعند القتال قن في النافذة وانظري ما يكون من أمرنا فدعت لي بالنصر وعادت إلى داخل القصر وادمعا تشرق على غبورها فحركت في المروءة ووطدت كل العزم على إغاثة هذه الصبية ورفع الظلم عنها وإرجاعها إلى أهلها عسى أن الله سبحانه وتعالى يقرب من الرجوع إلى بلدي وأهل وإلى خدمة سيدي فيروز شاه فأرى وجهه مرة ثانية . ثم اقتعدت سقي فوجدته لا يزال على حاله لأنني منذ وقوعي على الجزيرة المطلسة لم استعمل ولا أخرجته من غده حتى تلك الساعة فمسحت بحرقه من القبار وأعدته إلى قراه وكنت أرى نفسي محتاجة إلى جواد أركبه لأننا نل عليه جماعة من الفرسان فوق خيولهم غير أن رجائي بمساعدته تعالى قوتني على انفاذ ما أرى وإجراء ما نويت فجلست إلى ساق شجرة على بعد قليل من القصر وأهنت بانتظار الأمير وجماعته حتى قرب الوقت ومالت الشمس إلى جهة الغروب وإذا بهم قد أقبلوا من صدر البرية وجاءوا القصر وقبل أن يدنوا من بابه نظرتي الأمير فبعت أحد جماعته إلى قرحته وأملت بأخذ جواده وانصببت واقفا على أقدامي إلى أن دنا مني وأراد أن يسألني عن نفسي فما مكنته بل اغترطت سبني بأسرع من البرق وضربه به على وسطه فإل قتلا وفي الحال تناولت طارقه وعلوت جواده وأشهرته السيف وإذا بالأمير قد أمر جماعته أن تنفض على وتقطعي بسيوفها جوا . على قتل أحدهم وكان الفيظ قد أحرقه فمعه على الانتقام وأقام بانتظار رفاة الذين ما لبثوا أن وصلوا إلى حتى شاهدوا الموت الأحمر من يدي فاقى بعد أن ركت الجواد نظرتي إلى نفسي نظر الفخار وتأكد لي اني أيدهم بأجمعهم فصمت فيهم وأرسلت السيف إلى اختراق صدورهم واحدا بعد واحد حتى القيتهم جميعا إلى الأرض مددين ما منهم من عاد يرى هذه الدنيا بين بصرة . ولما اتيت منهم كانت الشمس قد غابت إنما لا يزال النور ناشرا ببعض لوانه على ذاك القلا فلم أقبل أن أترك قتال الأمير رماح أو استشفه إلى القند بل أطلقت عنان الجواد إلى نحوه لا سيما عندما نظرت الصبية واقفة في نافذة القصر تنظر إلى فعل وعلام الفرح والسرور تطفح فوق جبينها الواضح اللاح وأما الأمير فانه تقدم بهجده مني وقال لي من أنت أيها الفارس الباسل فقد أعجبني قتالك وسرتي نزالك ولم أر بعمري من هو مثلك في ساحة القتال قلت دعك من السؤال عني واترك هنك المطاوعة واستعد لحرب إنفاق عازم على هلاكك . قال اني أحب أن أعرض عليك أمرا لك به الخير والراحة وذلك أنك

فلت وفاق ولم يبق منهم ولا واحد وأرى نفسي محتاجا إلى رفيق يقيم معي ويساعدني.
 في معيشتي فإذا شئت تعاودنا على المحبة وأقمنا مع بعضنا وكنت لك رفيقا أميناً وكنته
 لي صديقا صدوقا فلتقي بي بيتنا في كل سكان هذه الأراضي فتتهب أموالها وتأتي بيتنا
 ونسألتها ونعيش على الحظ والانصراف وإني أخبرك أن عندي الآن صبية من أجل
 بنات العالم فيمكننا أن نصرف الوقت عليها إلى أن نصل إلى غير ما قلته خابت آمالك
 وسامت أحوالك أظن أن الصبية تبقى لك عروضة لقبائك بمرورك أو تظن أني مثلك
 فأسد الطمع والعمل فأستد لقتالي ولا مطمع لك بعد بها ثم صحت به وانحدفت عليه فلتقتاني
 بقلب قوي وجنان جري وأخذنا في القتال والحرب والنزال وكل منا يؤمل هلاك
 خصمه . ونزع اسمه . وداما الضرب والطمعان يتناحروا ساعة من الزمان . حتى اشتد
 الظلام فحقت من أن يعرفني منه ما أنا طالبة فصحت به وخجلت وقامت من جانب
 وضربتني بسيفي فالتفت إلى الأرض قليلا مفارقة الحياة فصرني ذلك جدا وشكرت الله على
 نصرتي وخلاصني من هؤلاء القمام وأتيت من الباب فطرقت وإذا بالصبية قد أسرع
 وفتحت وتلقيني بالترحيب والاكرام وجعلت تدعوا لي وتسال الله بطول حمري
 فنزلت إليها وشكرتها على ذلك وقلت لها الآن وقت الفرج وقد يمكنني أن آكل كل
 ما أهدته من الطعام لما من مانع يمنعني بعد عن أن أكون مرتاحا في هذا القصر هذه
 الليلة ولم يعد من خوف طبعك من أعدائك فقد ملكوا جميعا . قالت قد شاهدت بعيني
 فعلك ودمعت من قتالك وكنت خائفة طبعك منهم أسأل الله نجاتك وخلاصك
 ثم دخلنا القصر فوجدته واسعا جميلا فأقمت مع الصبية في هناك وراحة وقد
 أحضرتني على مائدة الطعام فأكلت وإياها من لحم الفولان الذي كانت طبخته في
 النهار من صيد الأمير دماح في اليوم الماضي وبعد أن اكتفينا من الطعام قامت بي
 إلى صفة المدام وكانت معدة له ولجأته فأقمنا عليها نشرب ونخمر وهي تسكب
 لي وتسقيني وكنت أرى عنها أنها مالت إلى واحتبتي فطلبت نفسي أن أقابلها بالمثل
 إلا أني وجدت أني غير قادر على ذلك وإني محتاج إلى السفر في الحال والرجوع إلى
 بلادى فرددت جراح النفس وطلبت النوم فلدتني على الفرقة التي كان ينال الأمير
 بها فتمت كل تلك الليلة مرتاحا إلى صباح الغد فنهضت من رقادي وغسلت وجهي
 وقلت لها هلي لأذهب بك إلى أبيك وأهلك لما قيامنا بهذا القصر محمود قط وإني
 لا أرغب من أن تبقى بعيدة عن أهلك وقومك . قالت حسنا فكرت فإني متشوقة
 إليهم وطالة أنهم في مزيد كدر من أجل وفي الحال ركب جواد الأمير وأعدت لها
 جوادا فركبته بعد أن أصبحنا معنا زاد النهار وسرت وسارت إلى جانبي وفي بيتنا شيئا

تريد أن تتأخى به فيمنعها الحياء والخجل ولم يخفى أمرها فاردت أن أريح ضميرها من هذا القيل والخبير ما بنيت قتلها أنى وددتك مودة صادقة وحبتك جاعظيا ولولا وغبتي في سرعة سفرى ورجوعى إلى وطنى لطلت إليك أن تكونى زوجة لى غير أن هذا لا يمكنى الآن وقد هويت كل النية أن أزدك على ابن عمك وخطيبك كونه كان حبك وتحببه منذ البداية . فلما سمعت كلامى نظرت إلى والاحرار يجلو وجهها وقالت لى وحي تردد فى الكلام كأنها شعرت بالحيرة والفشل انى كنت أحب أن أكافئك على معروفك بأن أبقي بقية عمرى فى خدمتك وأنى أسير معك إلى بلادك قلت لولم تكونى لأخر قلى لأجبتك إلى ذلك انما من الخيال أن أحرم ابن عمك منك وكرامتك وتعلقك لا يقبل معك بذلك فكأنها شعرت من نفسها بغلظها وسكنت على قطع الرجاء والبأس وبقينا سائرين إلى جانب بعضنا كل ذلك النهار حتى قربنا من المكان المقيم به قوما عند المساء فدخلناه وهو إلى جانب حرش من السنور وقد نصبوا بيننا الخيام إلى بعضنا ولم يكن عندهم علم قط بما ولدك اهترتهم الدهشة والرحشة لما رأونا وفرحوا بنا مزيد الفرح واخذوا فى أن يترحبوا فى ويكرمونى وقد سأل العصية أبوها عن سبب رجوعها فحكته له كل ما توقع لها معى وكيف اتى قتل الأمير مراح وجماعته وخلصتها منهم فسرروا مزيد السرور ووقعت فى قلوبهم موقعا عظيما حتى كادوا لا يصدقون انى أقدر على هلاك عدوم واكرمونى مزيد الاكرام واحلونى محل السيد والملك وقدموا لى كفا فى وسعهم حتى عدت لا أقدر على شكرهم وقيت نحرًا من ثلاثة ايام على مثل هذا الاكرام وقد عادت إلى العصية وراجمتى مرارا بأن اقبلها فى خدمتى فرفضت ذلك وقت لها اذا شئت ان ترضينى فأرجعنى إلى ابن عمك واخى بكل قلبك على حبه فتبقى براحة معه فالتزمت اخيرا ان تصنى إلى كلامى وتتفاد إلى امرى وسلت بنفسها إلى . وبعد بعضى الثلاثة ايام دعوت بابيا وامرته ان يرفها على ابن عمها فاجابنى فى الحال وذوجه بها وعمل له ولية فاخرة اكراما لى وعندما انتهى الزفاف سألت اباما الاصراف وطلبت اليه ان يهدينى إلى بلد قريب من تلك الناحية تاقى اليها تتوافق والمساوين فاجابنى إلى ذلك وقال لى انى اجبت معك ولدى فيسير إلى مدينة قريبة منا من كشمير العجم فيمكنك ان تسير منها فشكرته على ذلك وفرحت غاية الفرح وفى نيتى ان اسافر من تلك المدينة إلى كشمير العجم ومنها إلى ايران بلد سيدى الذى اشتاق إلى ملاقاته وتقبل يديه فزودنى الرجل بما احتاج اليه فى الطرق وودعته وودعت ابنته وخرجت مع ولديه كل ذلك اليوم واليوم الثانى وفى اليوم الثالث اقبلنا على تلك المدينة واذا بها عامرة وسكانها من الاجم

أصحاب الشغل والعمل والتجارة فمرى هذا الأمر وترجع إلى الوصول إلى غايته ونوال ماأما طالبه فنزل في فندق مخصوص للمسافرين وسألت صاحبه متى علم بسفر القافلة إلى العاصمة أخبرني بها لأنى مزع على السفر إليها فوعده وأقمت بالانتظار بعد أن ودعت ابني الرجل اللذان جاءا يدلاني على المدينة . قال وكنت قد أحضرت من قصر الأمير رماح بعضا من الدراهم والجواهر لأصرف ماأحتاجه في سفرى ولا أقع بالعود والغسل إلى أن كان ذات يوم جاءنى صاحب الفندق وأخبرنى أنه رأى قافلة على أهبّة الاستعداد والمسير إلى بلاد الملك فشكرت فضله وسرت إلى رئيس تلك القافلة وتواصت معه على المسير فى الطريق برهته ورجعت أحضرت لجوادمي ما يلزمه من الملف وأعددت الزاد اللازم لى فى الطريق ودفت أجرة الفندق وركبت مع القافلة وسرنا معا عن تلك المدينة وكان رئيس تلك القافلة أينسا بشوشا فمرنى مرافقته والسفر معه وصرفنا قسما من الطريق على الضحك واللعب والحظزائد فرح بى وبمعاشرتى كل الفرح ولما قربا إلى واد يبعد نحو عشرة أيام عن المدينة التى خرجنا منها أمرنا الرئيس أن نزل إلى ناحية من الأرض ونصبر إلى الليل وكان الوقت إذذاك بعد الظهر فسألت عن السبب وقلت له دعنا نسير بقية هذا النهار وفى المساء نبيت فى المكان الذى نصل إليه . قال لا يمكننا السفر من هذا الوادى إلا تسرقا بحيث لا يرانا من فيه لأن جماعة من الديلم بلغ عددهم أكثر من خمسين فحاربوا المارة ويهون ما تصل إليه أيديهم وقد اعتدت عند مروى من هذا المكان أن ألف أرباب البغال والخيول بالباد فلا يسمع لها صوت وأسير فى وسط الظلام لا يراى أحد ومتى نجوت من الوادى لا خوف على قط من أحد . قلت له وهل كل خوفكم من خمسين فارسا أو أتم فوق المائة قال ان ليس فىنا من يقدر على مقاومتهم قلت سرولا تخف ضمرا فسوف أريك ماأفضل بأعدائك قال إنك لا تقدر أن تأتى بحركة بين أيديهم فهم أبطال متناديد قلت لابد من قتالهم هن آخرهم ومنع شرم عن عباد الله فإذا سرت معى كان خيرا وإلا فافضل ما بدأ للكراما أنا فأنى أقطع الوادى وحدى فى هذه الساعة ومن تعرض لى أعدت الحياة . ثم أطلعت لجوادمي اللتان ودخلت لم الوادى فحاول صاحب القافلة أرجاعى فلم يستند شيئا فالزم أن يتأثر بى بجماعته وساروا من خلفى يرون لى وأنا أتقدمهم حتى كدنا نتوسط الوادى وإذا بجماعة الديلم قد صاحوا وابتعدوا من تلك الزوابع ببررون بلغاتهم وفاجئنى جماعة منهم وسار الباقون لجهة القافلة فقاطعتهم ومحت بهم وابتدروهم بضرب أسبق من رواسق الغمام فاخترقت الصدور وطيرت الرؤوس وأجريت الدماء وفطمت فيهم المعائب حتى اشتد بعمل رجال القافلة فثبتوا فى القتال وم يرون لى وأنا [١١ - فيروز ثالث]

انخطف من جهة إلى ثانية وكلما كثر الديلم على رجال القافلة حدثت فقرتهم عنهم وأهلكتهم منهم جماعة حتى ما أقبل مساء ذاك اليوم إلا والجميع تمددوا على بساط الرمال يكتمون الأرض مع وجع السيف أشباحا بلا أرواح . وبعد ذلك دنا مني رئيس القافلة وشكرني على فعل وقال لي اعذرني يا سيدي فأني لم أقدرك حتى قدرك وقد نصرت بخدمتك في الماضي ولم أضنك أنك من فرسان هذا الزمان وإذا صدقي حذري تكون من أمراء إيران الذين تضرب بهم الامثال في هذا الزمان قلت لست بمن ظن ولا أحسب أنا من بعض هيدم بل أنا من أهل الكوفة وخرجت في سفر مع رفيقي وتولنا البحر فهاج بنا ورمانا على الجزيرة المطلسة وحكى لي بعد ذلك كل ما كان من أمري إلى أن وصلت إليه فتعجب من حديثي ولازمي تلك الساعة ملازمة العبد السيد وفعل مثله فومه وصاروا يتحدثون بحديثي وبما رأوا مني وبقاتلك اليلة في الوادي وفي الصباح ركنا ورفع الرجال الاحمال وساروا حتى قطعنا الوادي وأخذنا في الطريق المستقيم نحو عشرة أيام آخر تسير في النهار وتدرج في الليل وفي اليوم الحادي عشر أفلنا على المدينة المقصودة لخدمتها وأردت أن أسير إلى فندق أصرف فيه أياما للراحة ومن ثم أسير إلى إيران وقد ثبت لدى كل الثوب التي بوصولي إلى هناك اما اني اصادف فيروز شاه أو أعرف بمكان وجوده فأسهر اليه واقم على خدمته غير أن صاحب القافلة منعني من ذلك بالانسام والحلق انه لا يدمني أنزل في غير بيته فاجتهدت ودخلت مسكنه ظلا قانا أهله بالسلام والترحيب وحرف البغال إلى الخان يبيتون فيه كالمادة وأعد لي غرفة مخصصة وقال لي ان القافلة من بلاد إيران لا يمكن أن تسير في هذه الايام ولا بد بعد مضي شهرين تمر قافلة من هنا فتسير معنا من غل نفك من الضياع وتكمل في الطريق فرأيت في كلامه صوابا وكان مسكن الرجل متناجدا فظهر لي انه من الاغنياء الكرماء الشرفاء وكان له عدة اولاد ذكور شبان من المتوظفين في معسكر الملك وكانوا يأتون إلى كل ليلة إلى غرقي ويلازمونني ويبدون لدى كل ما يسرني ويرضيني

و ذات ليلة بينما كنت في غرقي دعاني صاحب المنزل إلى غرفته لصراف السهرة وكان عنده إذ ذاك اولاده وجماعة من اقاربه فذهب اليه واقفنا على الاحاديث والاعبار وذكر فرسان الزمان وتفضيل احدهم على الآخر . فعكس صاحب المنزل مما شاهد مني وما رأى من بساقي واقدامي واحطب في مدحي وإذ ذاك قال لي احد اولاده لا ريب ان قادر شاه يحسب من الفرسان الصناديد غير اني رأيت في بلاد ان فارسا من الفرسان جينا كتنا في حرب تمزأ اليه قد نك في جيوشنا فكنا ذريعا وقتل فيروز وميسرة اخوي طومار الزنجي وكنا إذ ذاك لا نعرف من ذاك

الفارس أما بعد كسرنا وبجئنا إلى هذه البلاد سمعنا أن ابن ملك إيران قد قصد تلك
 البلاد لأجل عين الحياة فترجع عندنا هو نفسه فلما سمعت من ابن صاحب المنزل هذا
 الكلام تأتت قصة إلى معرفة حقيقته وقلت على أقف على خبر جديد أنا باحتياج إليه
 ومن ثم سألته عن معنى كلامه وكيف كان ذهابه إلى ترواء اليمن وما هي صفات ذلك
 الفارس . فقال أن ابن ملكنا الفاه روز كان قد سمع بذكر عين الحياة بنت الشاه سرور
 فخطبها من أيها فامتنع عن إيجابته ولم يجبه إليه فصار يسأله عنها وأما جد طومار
 الزنجي فبعث إليه بأخويه يبروز ومبيرة مع صاكره وأجلاه وسرنا إلى ترواء اليمن
 وحاربنا الشاه سرور فكسرناه شر كسرة وحشرناه إلى المدينة وكنا نتنظر دخولنا المدينة
 واستلامها بعد قليل وإذا بفارس قد انحدرت إلينا في صباح يوم من قمة الجبل فتوسط الميدان
 وقتل يبروز ومن ثم قتل مبيرة وقد صاكرهم ما هو رتبنا نحن خائفين من صوته فوعين من هيته
 فانه كان كالشهاب عند انقضاضه لا يضرب فارسا إلا ويحرقه ولا يجلأ إلا ويسحقه
 وكنا في تلك الأثناء قتلنا أحد أولاد الشاه سرور وأسرتنا واحدا فأيناه به إلى هذه
 البلاد فإقامه إلا أباما قليلة حتى توفي في الأسر وكان في نيسة سيدنا أن يطلقه إلى
 أهله لما عرفنا أن فيروز شاه ابن الملك ضاراب سيد العجم وملكها الأكبر يرهب في
 رواج عين الحياة وعلى ما أظن أن الفارس المذكور هو نفس فيروز شاه وقد ثبت
 عندنا فيما بعد أن طومار سار بساكره وأجلاه إلى اليمن فصادف الملك ضاراب
 مع جيشه فقتل بهم كل الفتك وكان يركب الفيلة فيبرز إليه فيروز شاه وقتله . فصار قلبي
 يخفق عند سمي لذلك وهذا الاسم المحبوب مني ولم أقدر أن أضبط نفسي عن البكاء فأزلت
 حينئذ دمة الذكري وظهرت حالي للجميع وسألتني صاحب المنزل إذا كنت أعرفه
 فحركني اعترافي بالجميل أن أحكي لهم قصتي معه وماذا باداني وكيف أرجع إلينا بلادنا
 وأمتنا من هنا وأزوج أحبي يته . فما منهم إلا من شكره وأتى عليه وقالوا أن هذه إلا
 ماثر العجم ومحمد دم . ثم سألت ابن صاحب البيت وهل لم يعد بسمع بعد ذلك خبرا
 عن فيروز شاه . فقال لي أنا لم نعد نسمع عن خبره وجل ما نعله الآن أن جيوش الفرس
 مع ملكها ضاراب هي في بلاد اليمن وقد بعث ملكها يستدعي أولاد عمه كرماز شاه وخورشيد
 شاه للسيرة إلى هناك ولم نعرف بعد مسيرهم ماذا جرى وماذا كان . قلت إذن الملك
 ضاراب ليس في بلاد فارس قال نعم فهو الآن غائب عنها فشكرت الله الذي عرفني بوجود
 فيروز شاه وسمعت شيئا من أخباره وتأكدت أنه في بلاد اليمن وأني سأقصده إلى هناك
 وأطلب أن بالي نواعو بعد أن انقضت تلك السيرة ذهبت إلى غرقى فمعت مرتاحا وقت في

لصباح وسألت صاحب الدير أن يسألني إذا كانت جاءت القافلة التي تذهب في طريق
 إيران فسار عنى ثم حضر إلى وقال لي حتى الساعة لم يحضر وعلى ما أظن أنها محضرة
 في الأسبوع القادم فصبرت إلى مضي الأسبوع الحالى وجاء الأسبوع الذى بعده فغلب
 عنى الرجل ثم عاد وقال لي سألت قبلى أن لا بد من حضورها في هذه الأيام لأن
 التجار بانتظارها أسبوعا بعد أسبوع فهى قرية الوصول فصبرت على ما أنا عليه من
 الانتظار وفى كل أسبوع أعلق الأمل أنها تحضر في الأسبوع القادم حتى مضى على
 نحو من ستة أشهر في بيت صاحب القافلة فضاقت نفسى وقل صبرى وقلت
 له أنا أنتظر إلى نهاية هذا الأسبوع فإذا لم تحضر القافلة عرت بنفسى مفردا . قال
 انى لا أدعك تذهب وحذك يا سيدى فان الطريق كثير المسالك فقد يمكنك
 أن تضيع وتصل إلى غير بلادك وليس في خدمتك أحد ولا في خدمة جوادك
 رأيت قائم عندي كانك قائم في بلادك وما أحد يتقل عليك بشئ . قلت ان غايى
 وجهل منأى أن أسير إلى بلادى لآلتقى بأخى قاهر شاه وأنظر الى ماذا ألقى حاله
 من بعدى

وما جاء آخر الأسبوع الا وجاءنى الرجل وأخبرنى بانىان القافلة ووصولها
 فسررت جدا وشكرت الله على ذلك وطلبت اليه أن يعد لى لوازمى للسفر لأسرعها
 ولا تأخر فأجاب طلبى وقبل سفرها جاءنى صاحبها فعرفه فى وأوصاه بخدمنى . وأقمت
 إلى اليوم الثانى فركبت وركب رجال القافلة ورفضوا الخيل وسرنا جميعا عن تلك
 المدينة بعد أن ودعت صاحب القافلة الأولى وشكرته على اهتمامه به ومعرفته منى
 ودعنا فى مسيرنا نحو من خمسة عشر يوما حتى وصلنا إلى إيران فودعت أصحاب
 القافلة وانفقت لى مسكنا فى إحدى الفنادق أقمت فيه مقدار شهر الراحة وللوقوف
 على خبر جديد من جهتك فلم أتمكن من أن أعرف شيئا جديدا وبعد ذلك تأقت
 نفسى إلى وطنى وإلى ملاقة أخى فخرجت وحدى حيث لم يعد من خوف على أن
 أضيع فى الطريق إذ لا طريق غيره مشهور مطروق فسرت فيه وكلما تقدمت كلما
 فرحت ونما سرورى حتى وصلت إلى القلعة المقيم فيها وهو المكان الذى تعرفنا
 فيه روز شاه فوجدت أخى مع زوجته هناك براحة وأمان صلت عليه وسلم على
 زوجه فحنا يمعنا فرحا لا يوصف وسألى عن رجوعى فحكيت له كل ما تقدم معى فى
 سفرى فتعجب من ذلك مزيد العجب وشكر الله على وصولى سالما اليه بعد مقاساة
 كل هذه الأحوال والشدائد والمخاضات الأليمة الموجهة وسرنا إلى عمنا إلى الكوفة
 وملت عليه وحكيت له أيضا بقصتى وأقمت عنده نحو شهر على الترحيب ورجعت
 إلى القلعة إلى أخى وأخبرته أنى مزعج على المسير إلى اليمن أفحص عن مكان وجود

فيروز شاه إذ بلغني انه سار الى هناك ابوه وجيوشه بأجمعها ولا ريب انهم في قتال وتزال ومن الواجب علينا ان قاتل بين ايديهم فاستحسن كلامي وبعت بروجته الى ابيها وركبنا وسرنا مدة ايام حتى وصلنا نمرود العين وإذا بها آثارا حالكما بالية لا تحصى هناك فاقمنا فيها اياما وسألنا عنكم فقبل انكم تبغتم الفارس سرور الى مصر ثبتت عندنا انكم في مصر فخرجنا من نمرود وجئنا الى مصر مع مقاساة التعب في هذه الطرق لآثام طويلا ونحن منفردين وكلنا وصلنا الى مدينة اور بلد نقيم فيها يوما او يومين فقط لناخذ ما نحتاج اليه وما يلزمنا في الطريق الى أن جئنا مصر وكذلك لم نرا احدا هناك غير الارض التي كانت مفروشة بأثار آدمية المقتولين واجسامهم ودخلنا المدينة فحسبنا لنا فيها مما كان لكم في مصر وانكم منذ بضعة اشهر خرجتم من المدينة بقصد السير الى هذه البلاد فصرقنا نحو اسوعين في احد فنادقها ثم بارحناها وركبنا الطريق الموصلة الى هذه المدينة غير ان كثرة المسالك تذهب بنا احيانا الى التخرج عن الطريق الى غير ممة تعود ثانية اليها لدى استدلالنا من المارة او سكان الواحي حتى انعم الله علي بوصولنا في هذا اليوم الى هذه الجهة وشاهدناكم على اداة الحرب والقتال وجرى ما جرى واني اشكر الله حيث اعادني الى خدمة من ثابث تفتاق نفسي الى خدمته وأحب أن أراه في قل صباح.

فلما فرغ قاندر شاه من كلامه سربه فيروز شاه مزيد السرور وهذه بالسلامة ومدحه على حبه له وكذلك الملك ضاراب وبقية الحضور وقد تعجبوا من قصته وما لا قادر اسفاره وشعر الملك ضاراب بفضل قاندر ان يكافئه على ذلك فامر ان ينصب له في صيوانه ولاحيه كرسين من العاج بين اولاد عمه لانهما من الحكام والشاهات واه غ عليهما ثوبين من الثياب الملكية الفارسية المروكشة بالذهب مع قبائين من خصائص حكام الفرس وهكذا اصبح في راحة ونعمة تامة . ولما اخضعت السهرة انصرف كل واحد الى محل منامته وكان ضرب لقادر شاه واخيه صيوانا بجانب صيوان فيروز شاه فذهبا اليه وباتا فيه ، في الصباح نهضت تلك الفوارس طالبة الحرب والقتال واصطف الفريقان في ذلك المكان وتعدد كل فارس وحمل وفيه منكوخان ان ابنه في ذلك الباريفعل في الاحداث الشنيعة وتفسر من كثرة جيوش الفرس واثان ملاسهم وزخارف امتعتهم وهو يدق نفسه بالاستيلاء عليها واخذها منهم بعد تفريقهم وتشتيتهم ولما كمل انتظام القومين وترتيب الفريقين توسط ابن منكوخان الاكبر الميدان وصال ورجاز ولعب باربعة اركان الميدان وطلب البراز من فرسان ايران فعملوا الى الدورال اليه وإذا بفارس قد دخل من طرف الجيوش الى وسط الميدان وهو يصيح صباح الاسود الكواسر وهو راكب

على جواد أسود كانه القيل الحالك وعليه الثياب السود من رأسه الى قدمه وحمل وجهه ثمام أسود يستر وجهه حتى لا يبان منه الا عينيه وصدم ابن منكوخان صدمة جبارا لا يسطل له بنار وأخذ معه في الصدام والقتال والكر والعز وارتفع من فوقهما الغبار حتى حجبهما عن الانظار وذلك الفارس يطاول ابن منكوخان وبراعة ويلاعبه بالقتال وقد سد عليه كل الأبواب ولم يترك له منفذا ولا مخرجا حتى مضى قسم من النهار وأخذت الشمس أن تميل الى جهة الغرب بقصد الاستتار وحيتذ انقض داك الفارس المثلث على ابن منكوخان الاول وضربه بسيفه ضربة الاجال فشقته الى نصفين وأرماه الى الأرض قطعتين ثم مال بوجهه الى رجال الفرس وصاح فيهم وقال ويلكم أيها الافوام لا تظنوا اني جئت مساعدا لكم أو معينا فكما قتلتم فارسا من أعدائكم لا بد لي من هلاك آخر منكم فلتبرز لي فرسانكم وأبطالكم لأريها الموت الأحمر وما أم كلامه حتى قامت الضوضاء في جيوش الفرس وتنجبوا من امره وإذا بعد الخالق القبروان قد برز اليه وصدمه وأخذ معه في القتال والمحاولة والزال راسع عليهما المجال . وارتفع عليهما واكثرنا من الصباح . وفاضا في الحرب والكفاح . كما قبض زواجر الامطار . الى ان جاء الغروب ودقت طول الانفصال وعندها بأسرع من لمح البصر تقدم الفارس المذكور من هبة الخالق وقبض طيه من بحر سرجه ورفسه على يده كانه العصفور ودار بنان جواده الى جهة الحلاء وصاح مخرج من تحت كالبوق الخاطف وبأقل من دقيقة قاب عن الابصار ولم بعد يرى له اثر وعلا الصراخ من كلا الطائفتين وقد رجحوا الى الخيام وهم في اكذار واوامام لا يعرف احد منهم هذا الفارس وكيف قتل واحدا من الصينيين واستأسر آخر من الايرانيين . ورجع الملك ضاربا الى خيامه وهو مغمو ومكمود لا يدري بمجته من شماله وجلس في صبرانه بفكر في امر ذاك النهار وما كان من امر فارسه ولما اجتمع من حوالبه رجاله قال لهم لقد كنت علقنت الامل في الاول بقتال هذا الفارس لاني تميزته بين اختياري واذا هو من الابطال الشداد عارف بكل فنون الطراد ولم يخطر لي قط انه يكون لنا عدوا وينتشل منا فارسا صنديدا وبطلا عبيدا كعبد الخالق احد بهلوان ملكتي فقال له طيطوس واني اعجب انا ايضا من هذا الامر ولا بد من مردعا هذا الفارس مثل هذه الاعمال فهو لا يمكن ان يكون عدوا لنا ولا مل الصين وقت واحد واتنا نسأل الله ان يكشف لنا امره وهل ظني انه في القدر ينحصر ايضا للقتال ولا نعلم ماذا يكون من امره وهل يظهر لنا اسمه أو يبقى مستترا واعظم عجب من سرعة جواده فانه انطلق انطلاق الارباح حتى ان الابصار لم تقدر ان تلحقه

وأما منكوخان ابن ملكوخان فإنه رجع حزينا إلى صيواته يكي ولده مونيخ عليه
وقد شاهد مصرعه بعينه وجاء إليه قيصر وبقية الأعيان همروه به وخلصوه عنه فقال
لهم لا ريب أن النار مكدره منا ولم ترض علينا في هذا اليوم ولا أعرف من أين حضر هذا
الفارس لأنه ليس بآرائي ولا روماني فهو غريب الشكل والوطن قتل ابني وأسرقا صا
من الأعداء فقال الملك قيصر نعم أنه ليس منا ولا من الأعداء ولا يسكن بيننا ولا بين الأعداء
ولا عرف أحدا منا أمرا عنه وأنا مؤكده أنه سيأتي في القد أيضا لاستضاف قتله فقال
منكوخان إذا حضر في القد برزت إليه وأخذت منه بالثار وأزلت عليه اللابا والاكندار
وبسلة عبرة للنظار . فقام إليه ولده الثاني وقال له لا يمكن أن ندعك تبرز إلى مثل
هذا الفارس ونحن في قبسد الحياة وإذا كان أخي قد قتل في هذا الأرض فمعلوم عندك
أن روحه تقيم في الصين ولا ريب أنها جاءت جسدا شريفا وإذا كلنوحى الإله علينا
وحية البار لنا لا يخاف من أن نحل أرواحنا بأجساد غير طاهرة فنحن على يقين بأنني
لا بد في القد من أخذ الثار يدي وأريك كيف أفعل مقاتل أخي إذا عاود الحى . إلى
بين الصفوف مرة ثانية وإلا قتلت في ثأره ميثاق من فرسان الفرس . فاطمأن بالي
منكوخان من كلام ابنه وارتاح بالله وبأنوا تلك الليلة ينتظرون القد .

قال ولما كان صباح اليوم الثاني حبت الفرسان من مرافقها وركبت على ظهور خيولها
وتقدمت قوادها ترتبها وتصفها وإذا بابن منكوخان الثاني قد سبق الجميع إلى الميدان وطلب
مبارزة الفرسان وسأل رجال إيران أن تقبل عليه وتأتى فرسانها إليه وإذا بالصياح
قد قام من بين تلك الروابي واقض من بينها فارس بلباس حرأ على جواد أحمر كانه
الضباب وأطلق لجواده العنان ولعب في وسط الميدان أشكالا وألوان حتى تحيرت منه
الاجال والفرسان ولا رأوا أخف منه بين الفجمان وأحدقوا إليه بالأعيان ينتظرون
نهاية فعله في وسط الميدان وإذا به قد صدم ابن منكوخان وأخذ منه في الحرب والطمع
والقتال والجولان وقد أظهر من شجاعته المعائب وأبان في حربه الخرائب حتى ارتبك
خصمه وضاق عليه المجال وغاب عن رعيه فلم ير له خلاصا ولا انقلاص وثبت عنده
أنه سيلحق بأخيه بأسرع حال وتيق ذلك الفارس يلاعبه كالبلاعب المرافقار عنقوقه
بين يديه قبل أن يذل به الهلاك والجار حتى قات الظاهر وإذا ذاك صاح به
وحربه ضربة قوية وقمت على وسطه قطعت وأعنف إلى الأرض كالجزع الممدد
وقبل أن وصل إلى الأرض تركه ومال بأنظاره إلى جهة الفرس وصاح فيهم وطلب
برازم وإذا بهم نزار قبا قد صار أمامه فصاح به وتصادم وإياه وكان يهتزاز من

الأبطال لشداد ذو معرفة بفنون الحرب والفراد ولهذا علق فرسان الفرس الآلاء،
بنوال المراد وأصبحت تنظر نهاية العمل بين الاثنين وما تكون النتيجة من هذين الفارسين
ودار دولاب الحرب بينهما أى دوران وألقى عليهما ملك الاقدام ما له من العظمة
والسلطان لجأ كل في طاعته بما عنده ودأما على مثل هذا الشأن إلى قرب الغروب وإذا
بالفارس قد صاح كالعادة ولاصق به، دأر إلى جانبه ومد يده إليه بأسرع من وقع
البصر واقتله من بحر سرجه ودار برأس جواده وصاح به فاضطف وعاب وفي يده
بهمنزار غير مال به وبثقه وعد غيا به خربت طول الانفصال ورجع الفريقان عن
القتال وهما في أسوء حال ولاسيما الملك ضارب فانه كان في اكتئاب واضطراب يقاوم
من القم والسكدر أعظم عذاب وجاء إلى صيواته لا يعرف ما أمامه وما بين يديه واجتمعت
حواله أبطاله وفرسانه فقال لهم أريد منكم أن تفكروا في أمر هذا الفارس وتروا
لنا الطريق الوحيدة التي يمكن أن نطلع على أمره ونعرف مكان وجوده وإن أخاف
إذا دامت الحال على هذا المتوال عدة أيام أخذ كل أبطالنا وفرساننا واحدا بعد واحد
وعلى ما يظهر لي أنه نادر المثال في هذا الزمان ليس له ثأن قط فقال طيطلوس اتى
لحظت من أمره شيئا واحدا جعلني بأمان واطمئنان من جهة لأنه وإن كان يظهر لنا
العداوة ويأتينا كنهم إلا أنه لا بد أن يكون صديقا لنا مختلف عنا ، الدليل أنه عند
مبارزته لأعدائنا يقتل من يكون أمامه منهم وعند محاربته لرجالنا يأمر من يحاربه
ولا يوصل إليه أذى وهذا مما ينفى الالتفات إليه والنظر فيه قال الملك وإن كان على
ما تقدم لا بد من الاكتشاف على خبره والاستطلاع على أمره لنعلم من هو فإذا صح
ما ظننته دعونا إليه ، أنسابه وأقنائه ، قام الصديق الأمين والصاحب المعين ، ولأنظرنا
في هلاكه واسترجاع أسيرينا من بين يديه لأنه إما صديقا أو عدوا فقال طيطلوس
دع هذا الأمر على فاني أفكر في طريقة توصلنا إليه وإلى الاستطلاع على أمره ولذلك
ارواح فكر الملك ضارب نوعا رعدا باله وعاد ينتظر حمل وزيره طيطلوس ومثله
بقية الفرسان والأبطال .

قال وكان غيروز شاه كل هذه المدة مشغل البال على عين الحياة لا يسمع لها
خبرا ولا يعرف مكان وجودها ولا بأي مكان هي وكثيرا ما اتكبر في أن يترك
الجيش ويتوغل في تلك البرارى والقفار يفتش عليها ولا يرجع إلا بها إلا أن خوفه
من الأعداء على جيوشه كان يمنعه وكان يخاف جدا أن تحمل بنيا به عليهم مصيبة جديدة
فيستظر النهاية وفي كل فكرة أنه بعد الفراغ من الحرب يسير منفردا مع عياره غيروز
في البحث والتفتيش على مقرها . ولا ريب أن من كان مثله صرف كل حياته أى منذ

وهي على نفسه على حب فتاة واحدة ولم يتغير قط عن حيا ولا سلاما دقيقة وكان وهو تحت أثقل المصائب وأشد الأحوال يتذكرها ويبعث بالفكره اليها ويرى من نفسه أنه في عظيم حاجة لأن يجعل الذكرى سلوة له وتموية فكيف يرتاح فكره ويهدأ ضميره وهو يراة مطلق الحرية وهي في يد من يجهله ولا يعدل ما حل عليها .

ولما كانت تلك الحالة حالته ونظره ما نظر من أمر هذا الفارس اشتبه بأمره وتكدر من محله ومرات كثيرة ما كايطلب أن يبرز اليه لينهى أمره فيمنعه مانع من قلبه بالرغم منه فيتردد إلى أن يسقه غيره وكان لا يعلم سببا لذلك ولا يعرف القضاء المرجبة اللازمة له ليتخدها في قهر أمياله والتذلل إليه ولما خلا في تلك الليلة بنمسه زادت عليه الهواجس والقلق وعظم عليه الحال وأخذ يعدد في فكره كل ما كان من أمره من حين البداية حتى ذلك اليوم وتذكر بها جماعها ورقة حديثها وعذرية الفاظها وفولها في كل مرة مجتمع بها إلى لك ولا حول عن حبك وإذا أرغمت أسلم بنفسى إلى المارت وهذا الذى كان يحيفه أكثر من كل شئ من أنها تسلم بنفسها إلى الهلاك إذا قصد الأعداء الوصول إليها أو رغبتها على تركه ولما حل به ما حل ولم يأخذه نوم دعا اليه بهروز الصيار عياده الخصوصى وكاتم أسرارهم وأطلعه على أمره وقال له إن لا شئ يهمنى إلا أن أعرف بمكان وجود عين الحياة وفي أى مكان هي

قال هذا لا يفوتنا ولا ينبغي عنا ولا بد من أن نصل اليه بعد أيام قليلة على أنى الآن في محاربة مع افكارى فان تارة أصادقها وطورا اكذبها قال لماذا وما هو الشئ الذى تشير اليه افكارك .

قال انى في المرة الأولى والثانية من مجيء هذا الفارس خطر لى انه ربما يكون نفس الفارس الذى استخلص عين الحياة من رجال الملك قبصر يوم كنت عائداً به من المدينة اليك ولهذا قد صرمت مرارا ان اتبع آثار هذا الفارس وأعرف مكان إقامته وفي أى جهة ينام عند رجوعه من القتال فيبر انى كنت اتردد واقول إن ذاك أشد بأسا من هذا وأعظم مراسا وحتى الساعة لا أعرف الحقيقة والمرجح عندى أنه هو نفسه .

فلما سمع بهروز شاه هذا الكلام سقط على قلبه أشبهى من لذيق الطعام وفكر ربما يكون صحيحا ولذلك لم يعد يأخذه صبر ولا توان وقال لبهروز انى أدى في ذلك

وجهها كبيرا الصواب وعلى أى وجه كان فانتا مضطرون للاستطلاع على أمره ومعرفة حقيقته فسر أمامى من هذه الساعة لتدخل فى الوادى وتداوم المسير حتى تصل إلى مكان وجوده . قال ليس هذا بصواب ياسيدى فانتا إذا سرتنا وحدنا فى هذا الليل وبما لا يهتدى إلى ما نحن فى حاجة إليه من كشف خبره وبأق التهار ونحن بعيدون عنه غير أن من المواقى أن نصير إلى القدر فنى جا . ترصدناه إلى أن يعود فتأثره شيئا فشيئا ونسير على أثره حتى نصل إلى مكانه فاما اى أبنجه واستأسره وإما أن أنته إذا تبين لنا أنه عدو . فلما سمع منه فيروز شاه ما أشار به رآه صوابا .

قال إذن دعنا عند اشتغاله بالقتال نتفرد إلى أطراف الجيش وعند عودته نصير أمامه دون أن يعلم بنا أحد نقطع عليه الطريق ونسكن فى جهات البر إلى أن يبرون ثم نعود نبصر فيما يلزمنا اتخاذ أو اتد معه قال أن ذلك عين الحكمة والادراك ونسأله تعالى المساعدة والمساعدة والهداية إلى مكان وجوده عين الحياة وهكذا صبر فيروز شاه ينتظر اتيان ذلك الفارس فى اليوم القادم وفى كل فكره أنه يلقى به فى القفر وحيدين منفردين ويسأله عن حاله ويطلع على أمره وإذا كبر وقصد الحرب قتله وأعدمه الحياة .

فهذا ما كان من رجال ايران وابن ملكهم وأماما كان من الملك قصر ورجاله فأنهم عادوا فى ذلك اليوم بنيطور حتى وكدرا أكثر من اليوم السابق وكذلك منكوخان خانته أصبح بحالة هم ونكد وحزن مفرط وقمة الضربة عليه دون غيره فقد قتل له ولدان وصار هو صاحب اثار أكثر من غيره واشتعل قواده والنهب من حمل ذلك الفارس الذى تقوى على ولده وقتلها وترك فى قواده من أجلبها نارا تطلق .

قال وعندما استقر فى صيوانه جاء الملك قصر وطيغور ويبدأ خطل والفساد سرور وجماعة الاعيان والأمراء كالיום الاول يحزنونه ويسلونه على فقد ولده المقتولين وبعد أن دار بينهما الكلام . قال الملك قصر انى أحب أن أخسر نصف أموالى ونصف مملكتى وأفهر ذاك الفارس أو أجعله يكون خصم الايرانيين معضا . لأنه يظهر أنه لا يريد الضرر فىنا وحدنا بل فىنا وفيهم وأحب من كل قلبى أن أوصل إليه وأعرفه من هو وما هى هايته .

قال طيغور على ما يظهر أنه يقصد العداوة ويريدنا أن أكثر عما يريدنا للقرس فقد تهاوس ومد يده إلى ولدى منكوخان وقتلها دون أن يفعل فيها ما فعله فيهم فانه أخذ منهم أسيرين دون أن يضربهما أو يلقى عليهما شر بطشه واقتداره ولهذا يظهر لنا أن فى المسألة سر عجيب لابد من ظهوره لنا عند إجراء البحث والتفتيش عليه ولهذا فقد فكرت فى أن نحيط بأمر الوقوف على خبره خلال العيار فهو قادر على المتدبرة على

تخاذ مآربنا وغايتنا فقال الملك قيسر إذا فعل حلال هذا الأمر وجاءني بما أنا طالبه أعطيت نصف أموالى أو قطعت قطائع وضياعا وكاث بكل ما طلب وكان حلالا حاشرا طمع مراعيه الملك وكلامه فنان عليه بذل حياته في سبيل غناه وحركة طمعه الى ان يسلك أصعب المخاطر لئلا المال والفنى العظيم وفي الحال أجاب الملك قائلا انى أوكد لك يا سيدى انى في الليل القادم أو فيا بعده آيتك بالخبر اليقين وجعلتك مسرورا منى كل السرور وانى قد عزمت ان اصبر الى الغد فنتى رأيت الفارس المقصود قد عاد الى القتال انطلقت من جهة جيوشنا الى اطراف الرادى واكننت هناك حتى ارادته عاد من عمله ولا بد له من المرور في الطريق الذى يأتى منه وجئت انتبه من خلفه الى ان اعرف مكان وجوده فاذا سئل على القبض عليه فعلت ذلك وجئت به مأسورا مكتوما الى ما بين ايديكم تعملون به غايتكم وإذا رأيته قد سال دون غايتى مواضع وصعب على القبض عليه عدت اليكم وعرفتكم بمكانه واخذت المساكر فتكسبه في وسط الظلام ونأتى به اسيرا ذليلا تنفذون به ما استخفه فلما سمع الجميع كلامه شكره عليه ولا سيما منكروخان فانه خلق فيه امل كبير وقال إذا تممت ما قلت يا حلال خبرك بان تطلب منى كلما اردت فافعله لك لاني مقهور من هذا القس المتخفى الذى لا يريد ان يظهر امره فوعدهم بكل جميل وغيره وبات تلك الليلة على نية انه في الصباح يتوغل في الوادى ويقصد الطريق الذى يمر عليها فارس النهار فيكن فيه وينظر عرشته من الحرب بسير خلفه ويعرف امره وكذلك الملك قيسر ورجاله اصموا على مثل هذه النية يؤملون ان حلالا يكشف الغطاء .

قال ولما كان اليوم الثاني نهضت المساكر من رقادها وانصرفت الى خيولها لما رأت أن الشمس قد بدأت بالظهور وبشت باشتها على تلك السهول وتعدت كل فارس بعدد وزود بالطعام الذى يحتاجه عند الوقوف في معارك القتال وبالماء الذى هو ضرورى لبل ريقه عند اشتداد نار الحرب المطفئة المهلكة ومن ثم اخذت القوارس ان تتقدم الى ساحة الميدان اقواما رفقات كل على جانب وتحت حكم يدار بحسب طلب قائدها لما اصطف الصفان وترتب الفريقان وانتظم القومان برزايين منكروخان الى ساحة الميدان وأطلق لجواده العنان فسر من تحته كالبرق في العمان . ثم كر راجعا الى وسط المجال وأشار الى الفرسان بالبراز وسرعة الاجاز فبولت ان تخرج اليه واذا بالفارس المثلث قد خرج كالعادة من اطراف تلك الجبرش وهو يصبح وينادى وقد انقض على ابن منكروخان وكان الابن الثالث فرجه وأخذ معه في العراك والصدام . والافتراق والالتعاض وضرب أشد وقوما من رسل الحسام . وبينما كان الفارس في القتال وكان فيروز شاه للاطلاع على حالته

ولهذا السبب قال بهروز الآن وقت استنظام الفرصة واتمام ما توفى عليه بالأمس قال
 إليك ما طلبت فاني بانتظار أمرك فسر واني أسير في ركابك ثم انقرد إلى جهة الوادي
 وأقاما عند بابه ينتظران رجوع الفارس وما يكون من أمره . وأما هلال العيار فانه
 سار من جهة ثانية إلى الوادي قبل أن سار بهروز شاه وتعمق إلى الداخل وأكمن ينتظر
 هودته لينهي خطته وما جاء . لأجله قال ودام القتال بين ابن منكوخان الصفي وبين
 هذا الفارس أكثر من نصف النهار إلى أن جاء الوقت المعين الذي قتل به أخوه أرغندها
 صاحب به وضربه بحسامه فألقاه إلى الأرض قتيلًا ودار بعنانه إلى جهة رجال إيران
 وسألهم أن يتقدموا إليه بأسرع إليه قادر شاه وجاؤله بقيم ذلك النهار إلى أن قرب الغروب
 فانتفض عليه واقتله من سرجه وحمله في يده وصاح بالجواد فمر به كالطير في الاسراع
 ووقع على الايرانيين الخزل والكدر وهادوا وهم بأسفون على قادر شاه وكادوا من
 القنيط ينشقوا

وثبت عند الملك ضارب أنه ان أحمل أمر هذا الفارس انتقل فرسانه
 واحدا بعد واحد فلا يبقى منهم أحدا ولما عاد إلى صيوانه افتقد ولده بهروز شاه فلم
 يره فسأل عنه فلم يعلم أحد بسبب فياه بل قيل له أنه غائب عن الجيش هو وبهروز
 العيار فاضطرب الملك لذلك وشغل بال جميع الحضور وقال لطيطوس اني أخاف من
 وقوع ابني بمصيبة كبرى توجبني إلى أن أصرف شيخوختي بالحزن والكدر قال وكان
 طيطوس كما تقدم من فلاسفة الزمان وحفلاته وحجراته بين أقرانه وكان يقول للملك
 مرارا أن لابد من زواج ابنته بعين الحياة ومثل ذلك قال له في نفس ذلك الوقت اعلم
 أن ابنك لا يصاب قط بنكبة كوني أعرف واعترف أن الله لا يترك من يتمسك بحبائه
 وأنه سبحانه وتعالى يعلم أن ولدك وحيد وأنه إذا أصيب بنكبة أو خلت عليه مصيبة
 يكون الله سبحانه وتعالى ظالم وحاشاه من ذلك فهو ينوع العدل ومصدر الرحمة وهو
 يعلم أنكم مطيعون وصاياه تفعلون غايته وتتشرون اسمه وأقطار العالم وتليه فليرح ضميرك
 بأسيدي فما هو إلا سار بأرادته واختياره لتفتيش على عين الحياة وتلقي بنبؤ أنه سيعود
 اليها وتنتقينا إلى يوم الزفاف ولكن مؤكدا لديك أن الله كتب له نصيبا طيبا
 فلا يحى ما كتبه قط ولا تمنحه المصائب مهما تكاثرت والدليل أن بهروز رقيقه ولا بد
 أن يعود اليها بعد يومين أو ثلاثة أيام باذنه تعالى فارتاح خاطر الملك إذ ذاك وصبر
 على حكم الله تعالى وعلق آماله برحمته وسأله نهاية الحال على غاية المثال

ووقع أيضا القنيط والمهم على منكوخان لفقد ولده الثالث وعمل له منحة كبرى
 وضم الزمان للذي بعث الفارس المسار ذكره من حيث لا يعلمون ليهلك أولاده

ظلمنا وعدوانا . وكان الملك قصر ورجاله يمرونه على قهده ويطيرون بضاطره بأخذ الثار
وانه لابد في نفس اليوم التامد يأتي هلال العيار بالأخبار ويعلمون معنى ذلك السر
الحق ويطلعون على أمر هذا اله والاله . وهكذا كان الفريقان بالانتظار ليعلمون حالة
هذا الملم الذي أنزل الخوف على الرومان وحل بالكدر على أهالي إيران وجعل له في
الطائفتين حديثا ذا شأن وبات كل ملك ووزير وأمره من أعظم أهل ذلك الزمان في
تلقى واضطراب يرهب في الاكتشاف على أمره يعرف من هو ومن أين جاء

قال وفيما كان الفارس حائدا من وسط الميدان وحاملا قادر شاه كما تقدم الكلام
التقى به فيروز شاه في أول الوادي وكان كامتاله ولما نظر قادر شاه معه لبث به النخوة
الفارسية ولم يعد يقدر على الصبر وضاق جلده . فصاح به وقال له ويلك أيها العاق
قف مكانك واستعد للاقاة الأهوال فقد بنيت وظلمت وأنت كاسم أمرك لا تظهره
لأحد حتى أوجيني أن التفتك على انفراد وأعرف أمرك وأنزل بك الويل والحقاق .
ظلمنا سمع الفارس كلامه ولم يفه بكلمة بل التقى قادر شاه إلى الأرض واختلط من
وسطه الحسام وحمل على فيروز شاه حلة الأسد الهجاء واللبث الضرم فالتقاء قلب
لا يخاف شرب كأس الحمام وأخذ معه في المراك والصدام . والافتراق والالتحام .
والمهاجمة والالزام . وكان الليل قد أخذ في أن يشتد بالظلام . ولولا صفاء الجو بانوار
الكواكب . لاسودت تماما تلك الجوانب إنما كان هيق من النور يبعث اليهما فيظهرهما
إلى بعضهما ويكشفهما ومما في مهمة وبربرة ودعمتهما فتوجها تكاد تنشق من الحلق وكل
منهما يمتنى أن يكون له على الآخر السبق . وإن يفوز على خصمه ليكسب عليه الشرف
والافتخار ويشر بالفوز والانتصار وكان يعمل الصارم البتار على الدرق شعلات نار
فيزيد ليهما هيق الكواكب بالانوار وكانت الخيل من تحتها من أحسن خيول الزمان
فساعدتهما على الثبات لدى الضرب والطعان والورف في ذلك الميدان وقد رأى ذلك
الفارس خصمه ثبيل العيار فزاد عليه الدرهم قطاروا ظهر كل قوة في مساجله ومناخله
وكذلك فيروز شاه وجد فارسا ليس كالفارسان وشجاعا لم يرمثه بين فرسان الزمان
وعلم أن لا ينجيه من بين يديه وبيله الموز عليه إلا الثبات والاقدام وإظهار جميع ما
نعمه من فنون الحرب والصدام

هذا وكان قادر شاه واقفا إلى جانب ينظر ما يقع بين الاثنين ومما تارة يظهران
عند ما يقربان منه وطورا يمتنحيان عند ما يبعدان عنه وقد حار عقله وله عما شاهد
ورأى وعلم أن فيروز شاه وخصمه من أشد الفرسان ولذلك كان خائر المزمو

من أن يتصر عليه خصمه أو يوصل إليه الأذى منه . وأما هيرودس فانه كان كفرخ من فروخ الجان لا يستقر في مكان . بل كان ملاصقا لحولاه . يفتقر من خلقه ولا يفارقه دقيقة وهو صاحب يده خنجره ينتظر نهاية العمل بين الاثنين يستعد عند وقوع مكروه على فيروز شاه أن ينتفض هو بنفسه على الفارس فيدعه الحياة وكانت الحرب عاقدة بين الاثنين باعثة بزعيمتها إلى الفارسيين . وهما يفيضان كالفيض البحور عند الهيجان دون أن يأخذها نصب أو ملال . من معاندة القتال بل كانت ضرباتهما تشتد كلما طال عليهما المطال . وعزائمهما تتقوى كلما أوسعا في المجال حتى مضى عليهما أكثر من خمس ساعات وهما على تلك الحال . يتعاركان عراك الأسود ويهجمان جهات الفهود وما منهما من يقدر أن يصل إلى الآخر ويتال منه قتال . وعند ذلك نظر الفارس قتال فيروز شاه فتعجب منه وأراد أن يرميه بصياحه فصاح صيحة قوية أشبه بصياح الجمان . ارتجفت منه الجبال والوديان . وصممت منها الأذان إلا أن فيروز شام لم يؤخذ من هذا الصوت ولا ضعفت عزيمته وما أثر به ولا قلب حمت . بل تعجب منه وعلم أن خصمه ليس من الانس فأرغى رأيه وهاجم كاتيج لحول الجبال وغاب صوابه ولصم به الفيظ والحق وصاح صيحة تكاد أل تقابل قوة صياح ذاك . ورفع الحسام إلى ما فوق رأسه وقال خذها ضربة من يد فيروز شاه . حبيب عين الحياة . ميدان الانس والجمان . وقاهر الغفاريات والمردان . ونزل بالسيف يهوى فتأكد الفارس أنه مقتول لاحمال عندما شاهد عمل فيروز شاه وخاف عليه من أن يفعل به الفيظ ما لا يرضاه . فرمى نفسه إلى الأرض بأمرع من ملح البصر . وصاح العدو ياسيدي فاسمع عن جاريتك راضيا الأمان . فما هي عن يثبت أمامك في ميدان فلما سمع كلامها وعلم أنها من ربات الحدود أخذته الاندهاش والانبهار وكاد يغيب عن الصواب كيف قدرت أن تثبت أمامه كل هذا الوقت مع أن أشد الأبطال بسالة كطومار الزنجي وغيره لم يقدر أن يقف أمامه ساعة من الزمان ثم قفز عليها وقد تقدمت منه واقتت السيف بين رجل جراده وقالت لا تؤاخذني ياسيدي بميلى فلما تجاسرت أن قطعت هذه الأفعال إلا لاختبر ما أعطاك الله من القوة التي نثرت ان وجدت بغيرك من فرسان هذا الزمان لا من انس ولا من جان وأكد اني ما قصدت الجيوش المجهزة من الرومان والفرس إلا لأجلك ويسيك . قال ومن أنت وما سبب فعلك هذا ولماذا كان يسبي قالت سوف تعلم من أنا متى وصلت إلى قصرى وأطلعت على من فيه . قال واين مكانك وهل هو بعيد من هنا قالت لا بل هو قريب جدا إلا انه مظل بالأشجار الغضة لا يمكن لغيري أن يدخله أو يعرف مكانه وقد أتمته في هذه الأيام لا أعرف به أيام الحرب التي تكون بينكم وبين الرومان

وافقد غائبي التي سوف تعلمها وتأكدهما ولد حصلت طليبا بمساعدة التتضاء والقدر
فهل بنا نسير لتعلم من أنا وتظنني على نور الصباح وتأكده قولي وما تسمعه مني .
وكان بهروز قد اقتضى على السيف مأخذه خوفاً من أن يكون كلامها هذا خداع واحتيال
ثم أمرها أن تركب وتسير فقالت اني لا أركب الآن واني أسير بين يديك كخادمة
لكن أمر صديقك قادر شاه أن يركب لتصل بأقرب آن فأجابها ودعا قادر شاه إلى
الركوب وكان عائب الصواب عما سمع ورأى وهو لا يصدق بالخلاص وبنياته من يد
ذاك الفارس وفي الحال ركب وسار إلى جانب فيروز شاه وبهروز بين أيديهما والفارس
يسير إلى جانبه أيضا يقصدون مكانه

وقد ختم معنا أن حلال العيار كان قد ربيع في نصف الوادي من النهار ينتظر
عودة الفارس لنهي خلك ويعود بقي صابرا إلى أن اشتد الليل ظلاما وأخذت ساعته
في أن تتقدم واحدة وكلما طال الوقت زاد به قلقه وضيق صدره وصل صبره ولم يكن
يعرف سبب هذا التوقيف وما هو الموجب لتأخر الفارس القائم بانتظاره إلى هذا الوقت
مع أنه كان قبل تلك الليلة يرجع من ساحة القتال منذ غياب الشمس ولا يلبث أن يتوغل
في الوادي بسرعة البرق حتى يفيب عن الأحياء وتناقلت به الأفكار ويقدر أمورا لم
تكن في مال فظن تارة أنه قتل في الميدان من أحد من رجال الرومان أو من أبطال
الفارس أو ربما يكون بهزاد أو فيروز شاه قد نزل إليه وأنهى عمره وهذا الفكر جعله
أن يشكر بالروح إلى معسكره ويستلم من ذلك الفارس من الملك فيصرويسأل عن
عدم رجوعه إلا أنه خطر له ربما يكون قد سار من غير طريق ولم تكن هذه الطريق الموصلة
إلى محل سكنته وتدم غاية الندم لتروطه إلى أواسط الوادي وبعده عن مكان تجمع
المساكر وهذا الفكر الأخير جعله في ارتباك عظيم لا يعرف ماذا يصنع أيرجع إلى
الجيش أو أنه يتقدم إلى الامام ويسير فاحصا عن الفارس أو يلبس في مكانه ينتظر
النهار ليعلم مروه ومن أين يخرج وهذا رجح له وجه الفوز وقال الا جدر في أن
أصبر إلى الغد وعند انبثاق نور الصباح أصعد إلى ظهر الوادي فأبصر كل ما فيه وأدى
الفارس من أين يخرج وإذا لم أره يكون قد قتل فأرجع حزينا كئيبا خاسرا المال
الموجود به من الملك فيصير ومن منكوخان ربحي صابرا على نفسه إلى أن مضى نصف
الليل وإذا به يسمع صوت أقدام خيل مقلة لجهته وصوت أناس يتكلمون ففرح غاية
الفرح وقال لا بد أن يكون الفارس نفسه قد جاء من هذا المكان ومعه أماسيره وأما
رفيق له كان ينتظره في فم الوادي ولا شك أنه هو لأن لا يمكن لغيره أن يسلك هذا
الوادي في مثل هذا الوقت ولهذا السبب مال إلى جهة الطريق راكمن في طرفها ينتظر مرور

تقدمين حتى ذواته واجتازوا بقربه فوجدتم أربعة أنفار فارسين ورجلين فتعجب ولم يعرفهم لأن الليل كان مظلا وكان يرى من بيتي الكواكب اشباحهم دون أن يتأكد من فصيل إلى أن فاتوه فانطلق من خلفهم ينظرون أين يتبنون وهو فرح جدا يرجح له أن انفاسه المقصود لا بد أن يكون معهم وبقى على مسيره لا يظهر لوطىء قدميه صواخرفا من أن يظلموا على أمره

قال وكان هؤلاء الأشخاص هم فيروزشاه ورفاقه الذين تقدم ذكرهم ويقوا في مسيرهم غير متبينين إلى أحد ولا يعلم أحدا يطلع على أمرهم وكان فيروزشاه مشغول الفكر بحسب أن يصل إلى قصر تلك الجارية ليعلم من هي وهو على مقال البحر من أجلها يشاقق أن يعرف قصتها وخبرها ومن هي وكيف قدرت أن تقدم على مثل هذه الأعمال وأكثر عجب من شجاعتها وأقدامها وبساتها وبناتها في القتال ثبات صناديد الأبطال وبقى على مثل ذلك حتى دخلت بهم الأدغال الملتمة وقربت من القصر فطرفت بابه وإذا بالخدم قد أسرعت ففتحت لها وقالوا لقد اطلت النياب هذه البلية يا سيدتنا فأتنا من أجلك على مقال النار قالت اتي ما اطلت غيابي هذه البلية الا لقضاء مصلحة فقد وفقني الله إلى ما به الصواب وتلك ما لنا طالبت ثم عسست بأذن الخدم والتفتت الى فيروزشاه وقالت له سر يا سيدي مع هذا الخادم الى هذه القراة التي يوصلك إليها قال اذهب الآن إلى غرقي لأنزع عن ثيابي وأخذت نفس الراحة ومن ثم أعود فاجتمع بك واشرح لك عن قصتي وسبب قتالي معك ونزولي إلى الميدان وتكون انت قد أخذت نفسك الراحة وأكلت شيئا من الطعام فانك لا ريب جائع تشاقق الأكل ولم تأكل كل هذا النهار وفوق ذلك فانك صرفت الليل ايضا بلا أكل وانبتت نفسك بقتالي فقال لم يعد لي من صبر ولا اطيع ان اتقاعد عن الاطلاع على أمرك قالت ان ذلك لا يفوتك وسوف تعلم كل شيء ويظهر لك كل شيء ولا تفكر الا بالخبر ولا تقن في الاكل خير فاننا من بقصد لك ضرا وحاشاى من أن أجسر على مقاومة سيدي ومولاى أو افعل غير ما يرضيه فأجاب طلبا وسار وراء الخادم إلى غرفة الطعام وإذا بها حيث المائدة فيها وعطبا من كل ألوان الطعام من طيور ودجاج ولحوم حلال مطبوخة أشكالاً والأواني وحلويات متنوعة مما توق النمس الى أكله وكان فيروزشاه جائعا جلس عليها وأراد أن يمد يده فقال له بهروز لا تفعل يا سيدي فأتنا وإن كنا في حجر الأمان مما لا يجب أن نخاطر بأنفسنا ولا نترك مبلل التيقظ والانباء ثم دعا الخادم وأمره أن يأكل أمامهم من كل أصناف الطعام ففعل وأكل من كامل الأروعة حتى ارتاح فكرمهم وعلوا ان الطعام مهيأ وفي الحال جلسوا ياكلون وهم يتعجبون من

تلك الآنية الذهبية المزركشة بالحجارة الكريمة التي لم تكن في تصور اعظم الملوك ولم يروا مثلها قط قبل ذلك اليوم وبعد ان انتهوا من الطعام واكفوا نهضوا فاضلوا ايديهم وانتظروا امر صاحبة القصر وإذا بالخدام قد دعا فيروز شاه وقال له انبعث يا سيدي فنهض ومشى خلفه فخرج من الغرفة إلى الدار مم تسلفا سلما طويلا وكان فيروز يتأثره خوفا عليه حتى انتهوا من السلم إلى دار حلوية واسعة جدا فيها عدة مقاصير وبين تلك المقاصير مقصورة إلى زاوية الدار مشدلة بالانوار تفوح منها رائحة العطر والندافسار الخادم إلى جهتها ومن خلفه فيروز شاه وفيروز يتأثره وقبل ان يقرب من الغرفة وقف مرثعا وذلك انه سمع صوتا يحبوا منه جدا مالوفا ومطبوعا في ذهنه وصاحب ذلك الصوت يقول

احريق ام غرام	وجنون ام هيام
واشتياق ام نزع	وحنين ام حمام
ودموع ام بحار	وذفير ام حرام
وذبول ما بجسمي	ام خفاء ام سقام
والذي قد قاله الا	حي ملام ام خصام
والذي تنقله الري	ح كلام ام سلام
وعجاك ام الله	س ام البدر النعام
والذي في فمك العا	طر شهد ام مدام
والذي يمتز في بر	ديك فغن ام قوام
وحلال قتل من لم	يجن ذنبا ام حرام
لا وما يفعله العث	ق بطني والامام
انرى ذنبي زفيرى	كلما ناح الحمام
ام نراه سرى اله	ثم والخلق نيام
ام بكائي كلما لا	ح من البرق ابتسام
ان تكن هذه ذنوبي	في الهوى ففى عظام
ولئن اثبت لى بال	زور جسم او مقام
فسيحوا هذه الآ	ثار دمي والفرام
طال في الغربة يارب	هواني والمقام
غاب عن سكنى فال	ليل في عيني قلام
ونهارى منذ فارة	ت عجاى ظلام
كل انس بعده عذ	دى وذر وانام
وعلى الدنيا إذا ما	فقد الالف السلام

وكان يسمع الانقاد وقلبه يخفق ويلج من الفرح والمسرّة لأن الصوت صوت
 عين الحياة والانقاد انقادها وقد تأكد ما بينها مؤثف في باب الغرفة مندهشة
 لا يعرف ماذا يقول ولا ماذا ينتهي اليه امره لأن ملاقاته لها على غير انتظار أثر فيه
 كالأثر فيها فبقيا ينظران إلى بعضهما ولسانهما لا يحسن التكلم لا يتدبّر مترجمان كثرة حذوره
 وسروره وبقيتا نهر من خمس دقائق على هذه الحالة إلى أن زادت حال عين الحياة فصاحت
 بعد ذلك ورمته بنفسها إلى الأرض غائبة عن الهدى تالم لذلك ودنا منها وزفها من الأرض
 وكان الخادم حاضرا لجماء بماذا الزهر وبالشبهات فسكبوا على وجهها وسقوها من كل ما هو
 نافع في مثل هذه الحالة حتى أخذت تنى على نفسها شيئا فشيئا ونظرت إلى فيروز شاه نظرة
 الحب وقالت اصبح ما ارى هل انت فيروز شاه ام شبح بحث يخيّل لي ويعذب قلبي .
 فأدّرف دموع الفرح عند سماعه كلامها الصادر عن صفاء النية والثبات على الحب والمودة
 الأكيدة ولذلك قال لها انا هو من تركته يقاسى بعدك نزاع الأوجاع والآلام ويلاقى
 أشد المصائب والمصاعب وانى اشكره الذى اوصلنى إليك وجعلنى ان اسر بقلبك مرة
 ثانية وقد طلعت العزم من الآن وصاعدا ان لا ادعك تبعدين عني ولولا حالت دون ذلك
 موانع العالم باجمعا فانك ما زلت يدي أصبحت ما لك اكل ما اشتيت وارغبه وسواك
 لا ارجب شيئا ولا اطلب شيئا ولو انك سلبت نفسك الى مصر لما احتاج الامر الى معاناة كل
 هذه المشاق التي لا تيناها ولا تقاها غير انه سرتى منك همك هذا وطاعتك لايك وجبك شرف
 اسمك بين بنات العالم اجمع . لم تجب بكلمة بل نظرت اليه وتنهت من فؤاد قريح مجروح
 وبقيت في حالتها مقدار نصف ساعة وهو إلى جانبها يطيب بحاطرها ويظهر لها فرحه
 بوجودها الى ان قدرت على الجلوس جيدا ونما بقلبها جيش القوة تدريجيا وامكنتها ان
 تمسك نفسها قهامت اليه وجددت السلام عليه . وكان بهروز لما رأى اجتماعه بها لم يقل ان
 يبق هناك فعاد الى المكان المقيم فيه فأدّرشاه وتركه مع محوته بنشايان لواعج الحب
 والغرام مثل ذلك الخادم فانه بعد ان ثبت لديه رجوع عين الحياة الى وعيها غاب عنها
 وتركها عندهما كل ما يحتاجه وطرف فيروز شاه إلى الغرفة فوجد برأى المدام مصفوفة
 على المائدة والرياحين موضوعة في اوعية من الذهب الوهاج المنقوش والكؤوس من الذهب
 ايضا بما يدمش العقول وعلى اطراف المائدة ايضا مباحر من الذهب تفوح منها روائح
 للعود والبنبر بما جعل تلك الغرفة محل انس وطرب . فسأل عن ذلك عين الحياة
 وقال لها لمن اعد هذا وما سب مجيئك إلى هذا القصر ومن الذى جاء بك وكيف
 قيامك هنا هل كنت براحة او لحق بك امة قابدى لى كل ما وقع

عليك ولا تخفى حرفا واحدا لاني مزعم ان اجازى صاحب هذا القصر على فعله ان
غيرا وإن شرا

قالت ليس لهذا القصر صاحب ذكر اما الذي جاء بي هو الفارس الذي رآه
يهود وقد فتك برجال الرومان وانتشلني من بينهم وأنا على تلك الحالة أى بصفة
المعبد. ولما دخلت القصر قال لي ذاك الفارس لانه أمين في هذا الموضع ولا
تخاف ضرافا من ذكر في هذا القصر سوى خادم واحد من وهو الذي كان هنا
الآن. ثم كشف الفارس عن وجهه وأراني انه امرأة مم أعاد لثامه وأدخلني
وسلني إلى هذا الخادم وأوصاه بخدمني وإكرامي. قلت لها لما تكذبت أنها امرأة
وأنا متدمنة من عملها باقة عليك أن تنهي بي إلى جيش الفرس إلى يهود شاه .
فقلت لي لا يمكن ذلك الآن بل اني مزمنة أن أحضره اليك إلى هذا القصر بعد
قليل من الايام فكوني براحة واستمدي للملاقاته وعدى نفسك بالاجتماع به في هذا
القصر الاجتماع الذي لا يعقبه فراق مؤلم فيما بعد. فسرت لسكلامها وسرت مع
الخادم الى هذه الغرفة التي ترائي بها الآن وكنت لا أرى أحدا قط سواه وسوى
امراةين خادمتين صفتها طرية جدا بمضران الى في كل مرة فتزعان هن ثيابي
وثأنيان بلباب فاخرة مطية وبعد أن تتيان حملهما تفلان يدى وبارحاني . وفي
يوم دخولي الاول إلى هذا القصر جاء تاني وغسلا بدني من السراد وبالحقيقة اني
كنت مسرورة في هذا القصر بالانفراد عن الناس وبالراحة من النظر إلى وجوه
المحتدين وأنا أعد نفسي من يوم الى آخر بالاجتماع بك وبثيابك الى هذا القصر
حتى كانت هذه الليلة فسهرت قليلا ونمت وفيما أنا نائمة الآن طرق على الخادم الباب
وقال لي من الخارج اسرعي الى لبس ثيابك فأسعد اليك قليلا بما يسرك فتأكد
عندي قرب مجيئك الى فنهضت ولبست ثيابي وفتحت الباب واذا بالخادم قد عاد الي
بالشموع فوضها وصف المدام كما نراه وقال لي ان سيدتي أخبرتنى أن أجيتك
بأحد أمراء الفرس ليخبرك عن يهود شاه لانها راقبتك اليك فشغل قلبي لذلك رضمي
ولم أعرف من هذا الذي وعدني بمجيئه الى أن دخلت على أنت فأشكر الله الذي
جمعني بك وبالحقيقة ان حضورك هو الملة الوحيدة التي تكفل لي الراحة الابدية
وهأنذا سفرة المدام تدعوننا لتخضية بقية هذا الوقت بالحظ والانشراح

اتهى الجزء الخامس والعشرون وسيليه الجزء السادس والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

فطر إلى نفسه بالسادة والافال وأخذها من يدها وأجلسها إلى جانبه وسكب لها
خمرًا وأعطاهما وعلقت هي كذلك وهما بالحظ والانثراح والسرور والفرح وذاق
فيروز شاه من لذة النظر إلى محبوبته ومعاطة الخمر معها ما جعله بقاءة من الفرح والمسرّة
وتأمل في محاسنها وباح بما في ضميره من أجلها وأشد :

أبت لحائك إلا أن تريق دى فمن إراقتك يا عين أغناك
في فيك راح وشهد الماكبدي واجر قلباء إن لم أر تشف فاك
حلوت ناظر ك المغرى بسفك دى لما اقتضى الحال من تحذر اغراك
فسكر الهجر تميزي بمعرفة وأعرب الوجد أفعالي بأساك
يا كمة حجبها قلبي وطاف بها فلا جعلت صفا خديك مسماك
وفي محارب صدغك التي انعدت أمسى تهجد طرفي الخاشع الباكي
أنهى إلى خصر ك الوامى حنا كبدى عسى برقتك يرئى لحضاك
وادنحى ان تجردى لى ولو بكري ليشهد الطرف في الاحلام مرآك
زورى اكتاما بلبل الشعر واسترى كى لا يبين صباح الثغر مسراك
ولا يروك وسواس الحلى إذا أخفيت عن وجه آثار عماك
فما أذا الصبح لولاك ابتسمت له ولا دجى الليل إلا جن صدغاك
ولا روى عنبرى الصدغ مستده إلا لينقله عن طيب رماك
وحاذل رام تشبها فافهمه دليل حسن أقامته ادلاك
وقلت تزجر شيئا وهو منع ولو تصور حسنا ما تداعاك
فان حكى البدر زامى وجنتك سنا فالحسن يشهد للحكى لا الحماكى
وان رما الظى عن جفنيك ملتنا فالسحر يوم ان الطي جفناك
من أين للظي أصدغ مقربة تحمى الشقيق الذى ابداء خدك
وكيف الظي الحاظ ملوزة تعلو الوشيع الذى هزته عطماك
ما البدر ما الشمس ما الطي الغريروما زهر الرنى وضوء البان لولاك
باهى على الغيد واسي الزهر هجتها فالغيد والزهر من أسرار معناك

ملكه الحسن رقما بالكثير ولا تبغى على فاني من رعاياك
أنزه الطرف عن رؤيا سواك كما أوجد القلب عن تليث اشراك
وكان انشاده بحرية قاده اليها الرايح الكامنة في قلبه من مفاعيل الحب القديم
وهو لا يصدق ان الزمان أحاد اليه وقا من أوقات اجتماعه بها منفردا بخلة ليس من
فصول ولا رقيب وأما عين الحياة فانها سرت بكلامه لعلها أنه الرجل الوحيد الذي
ألقى كل رجائها عليه وسلته قلبها واعتمدت أن تسله بنفسها كل أيام حياتها وكان
صقلها وخبرتها بأحوال الزمان وأنبائه جعلها ان لا تصجل من كلام من أحبت وعاهدته
وعاهدا عهدا محبها ثابتا أن يكون زوجها وتكون زوجته ولهذا أخذت في أن تسكب
الحز وتسقيه واشتافت الى ان تصفه بنفس ما وصفها وتكشده من الشعر ما يطيب به خاطر ما
تتناولت كاسا وشربتها واشتدت :

بحار الطرف في دل عجب	يزك مرة الفصن الرطيب
فهرجع رآك بقلب صب	ومقلة سامر باك كتيب
أسحر ما بطرفك أم حسام	يسل عن القلوب بلا ذوب
وورد ما بخدك أم دماء	سفكت صارم العطش الغضوب
تصون لشقوتي برد الثنايا	مخافة أن يذيب فنن مذي
بما في وجنتيك وما بقلبي	من الجمر المندى والقييب
يعز على أن يدبر جهادا	جمالك للميون وللقلوب
ويؤلمني بأن تدنى الأمانى	خيالك من أخى أمل كذوب
ترى الدهر البخل يهوديoma	فيسمح بالقفاء بلا رقيب
وتصني لي فاشكو ما أقامى	كما يشكو العليل إلى الطبيب
فلي كبد يقطعها اشتياقي	وقلب لا يقر من الوجيب
وان أعيأ اللسان يان ماى	شكوت اليك بالدمع الصيب
كفافي منك بامولاي هذا	وهذا منك لي أوفى نصيب

ولما انتهت من انشاده ما سر منه فيروز شاه وشكرها عليه وسر منها مزيد
السرور وقال في نفسه كيف أنها ثبتت كل هذه المدة مع قلب الايام وكثرة
الحوادث على ان تبقى بحقوق الحب وتحفظ كل الحفظ حتى أصبحت كالمنجونة وهذا
الذي كان يسره وبزیده فيها رغبة فوق ما هو عليه من جنون الحب . وهكذا حالة
المعشوقين وإلا فلا أى ان يكون الحب متبادلا متعادلا لا تضعفه الحوادث ولا يقلل
منه البعاد ودامت عين الحياة مع محبوبها ومحبوبها معها على تلك الحالة اكثر
من ساعة وإذا بصاحبة القصر قد دخلت عليهما فترحب بها فيروى شاه وأجلسها إلى

جانبيها وأمن بها فرجدها أنها من بنات الجان فقال أريد منك أن تحكي لي عن السبب الذي دعاك إلى أخذ عين الحياة وإلى حمل ما حملت في الميدان . فأتى في رغبة إلى ذلك . قالت أتى سأطعمك على كل شيء . إنما أخبرك أتى في هذه الساعة بينما كنت آتية إلى هنا نظرت شخصا يتلصص بين زوايا القصر كأنه الصل عند انسياقه قبضت عليه وسألته عن نفسه فقال لي أنه من عياري إيران وأنه جاء بفنش على سيده فيروز شاه لأنه كان غائباً عن الجيش فلم أصدق بل قبضت عليه وأتيت لأطعمك على أمره . قال احضريه إلينا لنعلم من هو وإذا كان من عيارينا عرفناه . فأمرت أن يؤتى به وكان هذا هو نفس هلال العيار فذهب في متأثرهما إلى أن دخلوا القصر فدخلوا والنسل إلى جهة جدران القصر وانساب من تحتها من جهة إلى جهة وقد عرف فيروز شاه وبهرود فانشغل باله وأراد أن يعرف قصتهما وأكمن في زاوية القصر ينتظر غفلة وإذا بصاحبة القصر قد مدت فنظرت به وقبضت عليه وجاءت فسألته فيروز شاه فأمرها أن تحضره ولما حضر نظر إليه فعرفه وكاد يطير من الفرح وقال وقعت يا هلال فأتى موفق في هذه السفرة من فضله تعالى ثم قال لصاحبة القصر هذا من عياري الأعداء من أكرم خيانة وخداعاً واحتيالاً . فقالت ماذا تريد أن أفعل به . قال مرادى أن أطلع أذنيه وأنفه وأجبه مكتوماً لأرجع به إلى أبي يحاكمه ويقنه لأنه يشتاق إلى موته كما يشتاق إلى موت طيغور . فأجابته طلبه وفي الحال تناولت مكبتها وقطعت بها أذني هلال وأنفه وأخذته إلى غرفة أخته بها مربوط الأيدي الجبال وعادت إلى فيروز شاه وجلست معه على المائدة وأخذت تحكي له قصتها قالت

اعلم يا سيدي أن سبب كل ما تقدم هو أنت وذلك أتى من بنات الجان اسمي المرحمة ولي أخت من أجل بنات الانس والجان اسمها جهان الفروز وكنتا نأتى أكثر البالي إلى القلعة التي كان فيها الكنز في الاسكندرية فنقيم في أعاليها ونصرف أكثر الأوقات هناك على الحظ والفناء والانشراح إلى أن كان اليوم الذي حدث به فرائدك أخفى وسألتني عنك فأخبرتني بكل ما أنت عليه من العظمة والسعادة فطلباً مني أن أجعلها بك وأظهرت لي أنها أحببتك وتعلقت بك فحكيت لها قصتي مع عين الحياة وأنه كان يضرب الدنيا لاجله . فقالت لا بد لي من الاجتماع به والا فأتى أموت من هذه الساعة فطعنتها وقتلتها لأن ذلك لا يمكن الآن ولا بد لي أن أروجه بك قبل أن يتزوج عين الحياة وأدعه يعرفك قبل أن يعرفها . فارتاح لذلك بالها واطمأن خاطرها وعلقت آمالها على رندي . وأخذت منذ تلك الساعة أراقب أعمالكم وأراهمكم من مكان في مكان وفيما كنتم أنتم في ملاطبة ويمثم بكرمان شاه إلى أن طأكية مرت مع جويشه

الى تلك البلاد ألاحظ أمرهم وأراقب أحوالهم حتى اذا وقعوا بمصيبة أنقشتم منها فلم يصعب عليهم شيء. ولما كانوا في الطريق قصدت أن أنقش من بينهم كلمة لك صاحب الشام فاختلطت من البر والبراء فقلت في نفسي انهم قدروا أن يعرفوا من الذي أخذها. ثم لما رجنا الى هذه النواحي أتيت هذا المكان فابتنيت فيه قصرا وهو هذا القصر الذي نحن فيه وأقمت أنتظر الحرب أن تقع بينكم لأجعل لي شغلا في افكاركم يشغلكم والتي في اعدادكم الرعب والخوف. وفيما أنا على مثل ذلك وجدت عين الحياة مع بهروز وسيف الدولة وقد ادركهم الرومان ومسكهم وقصدوا الرجوع بهم فاحدثت اليهم وخلصتهم واخذت عين الحياة الى لان اخي جبار افروز كانت لاتزال دائما تلح على وهي خائفة من أن تتزوج بين الحياة قبلها وأنا اصدما ان لا يمكن ذلك وان لا ادهه يتم حتى جنبها بين الحياة وقلت لما مانذا خطيئة من نحيته عندنا ولم يعد يمكنه ان يتزوج بها قبلك. فارتاح بالما. ولما كانت عين الحياة تستحق الاكرام والاعتبار اقمتها على خدمتها وهي لم تعرف احدا منا وبقيت منتظرة ان اصل اليك خبرنا لتعرف بأمرنا حتى وقعت الحرب وجاءت جيوش الصين مع جيوش الرومان فلبست ملابس الرجال وضلعت وكنت نويت ان ايد جيوش الرومان على هذه الطريقة فلم تسمح لي بل اسرعت الى وكان ما كان. ولهذا ارجو منك العفو يا سيدي على ما سبق مني في قتالك فاني تهاست على ما ليس من حق واقى اعترف انك اشد بأسا من كل خليفة ربك في زمانك هذا من اس ورجان ولا يمكن لأشدهم بأسا واقاما واقوامهم حيلاربطيا ان يثبت او يقف امامك اكثر من ساعة او ساعتين

قال فلما سمع فيروز شاه كلامها تعجب منها ومن حديثها واطرق الى الارض برمة ثم رفع رأسه وقال لها اني ارجو في ان لا اصنع لك قولا ولا ادعك تظنين وعدك مع اختك غير ان امرى ليس بيدي فقد سلبت كل امرى الى عين الحياة فهي وحدها تقدر ان تفصل هذا المشكل وتأمر به بما تريد فاذا قبلت تزوجت باختك والا فلا مطمع لها بذلك. فظفرت المرحفة الى عين الحياة وسألها الانصاف والرحمة فقالت اني لست بمن تلاعب بهم الفجرة والحسد وانكم علمتم مني معروفا كبيرا لا انساه الى الابد وذلك انك خلصتني من ايدي الرومان وأنا تلك الحالة الشقية وسرت امرى ومنعت مني الفضيحة ولم الصبوت واكبر معروف فقلت مني هو انك كنت السبب باجتماعي بفيروز شاه وتقرب مني وحصوله على مدان كنت اشتاق ذلك ولو في المنام وعليه فاني ارجو من كل قلبي ان تزوجى اختك به ولو كان ذلك قبل حيث ذكرت انها مظلومة بحبه ولا تطيق صبرا على ذلك وارجو ان يرحمها عسى ان الاله يساعد

على رحى . فسر فيروز شاه من هذا الكلام وثبت عنده أن عين الحياة ما أجابت
إلى ذلك إلا مراعاة للرفعة وله فتخلت على أميائها وأبائها وإن كانت لا ترضى في
حيه شريكا لكنها وجدت نفسها مضطرة إلى ذلك كما وجد نفسه هو أنه مضطر إليه
وعليه قال للرفعة واني أعذك أيضا بإبقاء الوعد الذي وعدت به أعذك جهان افروز
فصفت من الفرح وأسرفت الى أختها فأخبرتها بما كان وجاءت بها إلى فيروز شاه
وأمرتها أن تقبل بديه فقبلت ولما رآها وشاهد حسنها العجيب أبدش وحار وعلم
أنها وحيدة في مصرها غير أن قلبه لم يمل إليها كل الميل كما كان يميل إلى دين الحياة كونها
هي وحدها المالكة الوحيدة عليه منذ الصغر . واجلس جهان افروز إلى جانب عين الحياة
وجعل يسرقه بالنظر إليها . ثم قال للرفعة أريد منك أن تأتني بكلية والقرسان الذين
عندك إلى ما نهم من فرسانى وأعالي ولا أريد أن أصير عليهم أكثر مما صيرت قالت
لا بأس من ذلك تأني احضرهم إليك ولا تخف عليهم فأنهم عندى على الأكرام والأحراب
وما من امر يكدرهم قط ثم سأوت إلى الطاق الأسفل وجاءت بهم جميعا وقد منهم
لفيروز شاه وترجب بهم وعناهم بالسلامة فقبلوا يديه وشكروه وكان دظلمهم دهشة
بهمتار فبا عند مشاهدته كليلة وكاد ينسى عليه من عظم الفرح والسرور الذى لم يكن
يقتظره وأصابها هي أيضا مثل ما صابه وجلسوا مع فيروز شاه على تلك المائدة يصرفون
بقية الليل على الحظ والهناء حتى اذا جاء الصباح قاموا قليلا ثم ساروا إلى
مسكرهم

قال وكان هلال مربوط الأيدي كما تقدم معنا في غرفته وضمت فيها مرعفة
وبعد أن بعد عنه وجد نفسه متألما من عظم الجراح والأوجاع بسبب قطع أذنيه
وانته غير أنه خروفا من الموت إذا كان يعلم أنه لابد أن يقتل اذا وقف أمام الملك
ضاربا أخذ أن يتخلب على أوجاعه ويتجدد ويتصبر لينظر في طريقة يقدر بها على
الخلاص من ذاك القصر وبعد أن صرف كل فكره إلى ذلك زين له وجه الفرج
فتقدم من الدفعة التي كانت تعنى في الغرفة الموضوع فيها واحرق الحبل المربوط
به على لحياها حتى احترق وانطلقت أيديه فاستنتم هذه الفرقة وخرج كأنه البرق في
المرعة وانتقل إلى الخارج دون أن يراه أحد لأن المرعفة كانت اذا ذاك أمام فيروز
شاه تمسكى له نصبتها وبعد أن بعد عن القصر فرح جدا وأمل بالخلاص ونسى كفره
أوجاعه وصار قاصدا جهة الملك قبصر وفي نفسه أن يطلعه على خبر فيروز شاه وعين
الحياة وأنهما في القصر في نصف الوادى ووعد نفسه كل الوعد بالانتقام منه جوار
لقعه معه لأنه تطلع له أذنيه وانته فلم تمد تقضى حاله على أحد ولا عاد يقدر أن
يتحاطل منه الديارة وبقي مصرعا في سبيله حتى قطع الوادى ودخل بين الجيوش

وجاء إلى خيمة الملك قيصر عند انبثاق نور الصباح فتدخل عليه وهو في تلك الحال فاندحش منه وقال له ماذا حل عليك ومن الذي فعل بك هذا الفعل الشنيع فقال له ان الذي فعل معي ذلك هو فيروز شاه ابن الملك خسرو . قال ومن أين وصل اليك وهل هذا الفارس هو الذي كان يأتي الميدان قال كلا بل هو مقيم في قصر بنصف الوادي يشرب ويخمر ويسكر مع عبر الحياة غير مكتوث بحوادث الدهر وبكباته . قال ومن الذي أوصله إلى هناك قال لأعلم ذلك ولا سألت عنه بل ما صدقت أن نجوت بنفسى فأتيت مسرعاً لأعلك بذلك وأطلب اليك أن تصحبني خمسين ألف فارس فتدخل الوادي وتقبض عليه وتأخذ منه بالثار . فلما سمع الملك قيصر كلامه فرح بهذا الخبر وقال أصبت بذلك فأننا نقدر في مثل هذه الساعة أن نتدبر إلى مسكه وهلاكه ومن بعده هون علينا كل أمر صير . ثم دعا الملك قيصر بتكوخان وأولاده وبالقهاء سرور وطيفور والوليد حاكم مصر وأطلعهم جميعاً على ماسمعه من ملال الميار وأن فيروز شاه مقيم مع عبر الحياة في الوادي مشغل بشرب العقار والحظ والهناء غير ملتفت إلى ما سيحل عليه وأن هلالاً رآه على هذه الحالة وجاءني بخبره وذلك بعد أن وقع بيده وتطلع له أذنه وأنه فتكدر الجميع على ملال ومأجل به ما هذا الشاه سرور فانه شمت به ونمى أنه كان مات لانه فضح بته أمام الجميع وحكى أنها مقيمة مع فيروز شاه على افراد بين الكاس والعقار ولحق به من الحقل والعار ما لم يلحق به قبل ذلك الآن . وأما متكوخان صفق من السرور وقال الآن يسهل علينا أخذ الثار من سيد الفرس وفي مثل هذه الساعة يجب أن نسير إلى مكان وجوده بالقصر القائم فيه ونهلكه ونعدمه الحياة . فقال انى أؤكد لكم أنكم ستقتضون عليه لا محالة . غير أن من اللازم أن تصبروا إلى المساء وتحت أجنحة الظلام تمشون بالساكر فلا يدري بها أحد ولا يراه أحد وإلا اذا بعثتم بها الآن رأينا الفرس وأطلعت على أمرها وعرفت بمكان مسيرها فتسير في أثرها ويضيع الريح الذي يؤمل به لا بل كدنا نحصل عليه وهذه فرصة لا يمكن أن نضيعها أو نتقاعدها فاستحسن الجميع كلامه وصبروا إلى المساء .

قال ولم تقع حرب في ذاك النهار بين الطائفتين لأن الملك خسرو كان مشغول بالبال لغياب ولده وبهروز ويجب أن يعرف إلى أين سارا وفي أى جهة توجهوا وخاف أيضاً انه إذا باشر حرباً جاء ذلك الفارس وقتل في جبهته بقياب ولده وكذلك الرومان فانهم لم يرغبوا بمباشرة حرب في ذاك النهار بل صبروا يصدون أنفسهم بالقوز في المساء يرجون مجيئاً أعظم من نجاح قتال ذاك النهار ولما كان المساء جمع الملك قيصر خمسين ألف فارس من الفرسان القسادات تحت إمرة قائد من قواده العظام

وأمر هلالاً أن يسير بهم إلى الوادى عند نصف الليل بحيث يكون الكل نيام فلا يشعر بهم أحد ولا يعلم بمسيرهم نحوهم . وعندما تنصف الليل أخذ هلال القرسان وسار بهم وهو يعد نفسه كل الرعد بالقبض على فيروز شاه والأتان به أسيراً إلى منكوخان والملك نصير وينال انعامهما بدلاً من أذنيه وأتفه المقطوعين وبقي في مسيره إلى حين الصباح وفى الصباح وصل إلى القصر وقرب منه . وكان فيروز شاه مقبياً ذاك القصر المهدم ذكره وقد صرف اليوم الثانى مع عين الحياة ولم تدعه المرحفة أن يذهب وقد لفت له لا بأس على قومك من أحد وانتا فى القدر نسير باجمنا ويفرح أبوك بنامزيد الفرح ولما عرفوا فرار هلال تكبدوا مزيد السكر وقال فيروز شاه انى كنت أحب أن أقود هذا السكاب إلى أمام أبى لينتقم منه جزاء على فعله لأنه خانته وغدر به وأحدث معه يوعده . فقالت له لا يفر من أيديا فاني فى كل ساعة أقدر أن أمسكه وأقوده إليك ومنى وصلنا إلى الجيش انتبك به كما كان مقيداً وتركك اناك يفعل به ما اراد فاقاموا بقية ذاك اليوم فى القصر وتلك الليلة والمرحفة تقدم المآكل الطيبة والخور الصافية وهم على غاية ما يرام من الماء والخبز وجهان افروز وعين الحياة فى عجة ووافق وكل منهما تبدى لثانية ما عندهما من عجة ووافق وكل منهما تبدى لثانية ما عندهما من عجة فيروز شاه فتساعدها الاخرى بالنصير والتحد فقد حان الزمان وأن الاوان وكلية وبهم نزار قبا فى جنة من النعم يشكران الزمان الذى اعادهما إلى بعضهما وسمح لهما بالاجتماع على مثل تلك الحالة . وفى صباح اليوم الثانى نهضت المرحفة من رقادها باكراً ونظرت إلى البر فرأت المسافر مقبلة مع هلال فادركت سر المسافر رجاء فيروز شاه لحكت له وقالت إذا شئت مرني يا سيدى فاسير إلى هذه المسافر واندما قال لا يمكن ذلك بل من الواجب ان نخرج إليها كلنا ومحاربها حرباً عادياً ونفتتها ومن ثم نسير إلى ابى فاني لم اعد اصبر اكثر من يومين ولا بد ان يكون لأجل على مقالى البار فاجابته وجبات بالتحيل لساتر القرسان واوصت اخنبا جهان افروز بعين الحياة وكلية وركبت فوق جوادها وركب فيروز شاه على كبته كأنه البرج الحصين ولما خرجوا من القصر قال فيروز شاه للمرحفة انى اتخذ الجهة الشمالية حيث قائد السكرو مقبى فائقه واعده الحياة وافرقت من حواله كل قومه وافصدي انت البنى ولندع هم نزار قبا عبد الخالق القيروانى وقادر شاه يقصدون القلب فنرفع بهم وقمة لم يروا مثلها قط وتبدهم بساعة واحدة وارصمك ان من وقع يده هلال يقبض عليه ولا يتركه يفر فاني اريد ان أقوده إلى ابى لينتقم منه فوعده بهروز بأنه لا يتركه يفر ولا بد ان يقبض عليه اذا رآه وبينا كانت المرحفة وضوفا يستعملون للقتال كانت صاكر الرومان تتقدم شيئاً فشيئاً

قال الراوى فلم يشعروا إلا وصوت فيروز شاه ينادى بأصواته القوية وقد أطلق
عنان جواده وأشهر يده الحسام كأنه قضاء الله إذا انحدر على الإنسان وكذلك المرحفة
فانها أبرقت وأرعدت وزبدت وأمطرت وهي تنادى متناداة الفجر وتترعد القوم
بالهلاك والقتل والدمار والموان . ولم يكدور إلا دقائق قليلة حتى اضطرب ذلك الجيش
واختبط وقام به الصباح من كل جهة وناح ودار به دولا ب حلف الأعمار وقصفها
من بعد الأمان والاستبشار . وراحت الأرواح . تركض مستجيبة من عالم الأشباح
ولم يكن يرى في تلك الساعة إلا الدماء الفائرة والخيل الفائرة والاكف الطائرة
وأشعل فيروز شاه نار تلك الحرب والطراد . وأقام في جهنم القتال لعذاب الفرسان
والأجناد . قيام المحاسب والوقاد . فكان يخطف النفوس العاصية ويرى بها إلى لميب
خضب سيفه الزمان قتلوب في تلك التيران كما يذوب في وجه الهواء الدخان . يصيح
رينادى في نداء أنا فيروز شاه حبيب عين الحياة . حتى أوقع الرعب في القلوب وأنزل
أنابيب المصائب والكروب . وأحل على أعدائه الغضب والانتقام فكان جراؤهم منه
الاعراض والاعدام . وكانت الخيل تلطم بعضها عارية من وجهه أملا بالخلاص من
حروبه والنجاة من لميب طمعه وطربه إلا أنها كانت كمن يهرب من الدب فيقع في الحب
أى أن المرحمة كانت ذات بأس وإقتدار عجيب فقارئة فيروز شاه في حملها وسطت كما
تسطوا الآساد . وقطعت المعاصم والأوردة وأجرت الدماء من الصدور . كما تجري في
كانون الشتاء النهور . وسدت عليهم طرق الفرار على أمل أن لا ينجم منهم قط فارس
بل تملكهم من آخرهم ولا تبقى إلا على كل جريح وسقيم وأما بقية الفرسان فانهم دخلوا
في الوسط وأقاموا فيه سوق الطعان والضراب . وأجهدوا أنفسهم على الثبات والاقدام
في مثل هذا الموقف غير أن فيروز شاه كان لا يفتل عنهم بل كان ينخطف في آوّه إلى
جهنم فإذا وجدهم مغلوبين أفرج عنهم وفرق المرحمين ووسع لهم المجال ثم عاد عنهم
إلى الجهة التي جاء منها وكان يؤكد أن المرحفة قادمة على حمل ما أعهد إليها ولذلك لم
يقصد جهتها بل كان مطمئا مرتاحا . عالما أنها ستغرق من حولها . وبقيت الحرب
عاقدة على مثل ذلك أكثر من ثلاث ساعات وهررائيل قابض الأرواح به أول من
فرسان الرومان واحدا بعد واحد واثنين بعد اثنين وعشرة بعد عشرة وعشرين بعد
عشرين ويسلمهم إلى أيدي الفناء حتى كادوا يضمحلون ورأوا ان لا خلاص لهم إلا
بالهرب والفرار فالوى الباقون عنان خير لهم وانطلقوا يسرعون إلى جهة المعسكر يطلبون
الاختفاء من وجه فيروز شاه والمرحفة ومن معهما من فرسان إيران قتلهم حتى

أبعدهم عن تلك الناحية وأجروهم عنها تماما ولم يبق منهم إلا القليل والباقي انبسطوا
متمددين على بساط الأرض تدوسهم حوافر الخيول وتأكل لحومهم الوحوش والطيور
وأما بهروز فانه كان في الأول لا يوافق مولاه حتى تأكد تقهر الاعداء من أمام وجهه
فاستل الخنجر ومال فبما بينهم مفتضا على هلال وكل من وقع في طريقه أعدمه الحياة إلى
أن توصل إلى غايته وهو أنه رأى هلالا قارا يطلب النجاة فاقبض عليه كالجنبد وقبضه
من عنقه ودفعه إلى الأرض وأخرج جبلا فربط أيديه وقاده مسرورا بعمله
مشتيا بعده

وعد رجوعه من ساحة القتال وبعد الاصداء من الجبال قدمه لسيدته وحكى له
عنه فقال له كُن أنت حارسا عليه ولا تغفل عنه فاني مزعج أن أقدمه في هذا اليوم
إلى أن يغرق في محله وخيائه كما إني أنا أيضا ملقح من عقارب كيد وذبابات غدرة
ولا ريب انه سيموت شرمية ليكون عبرة لغيره . فأجابه بهروز عنده وأما فيروز شاه فانه
سأل المرحفة المسير إلى مسكرأيه فأجابته وعادت إلى القصر فأركبت من فيه من النساء كل
واحدة في هودج وأخرجت الأموال وما كان ثمنها من مفروشات القصر وانطلقت مبعدة
عن تلك الجهة سائرة بين يدي صاحب هذه القصة وطلوها وقد أنهت مما كانت تطلبه وسرت
لسرور اختها بمن أحبه كما كان سروره هو بعين الحياة وحصوله عليها وإتيانه بها بعد أن
صرف الأيام والليالي بعدا عنها مشتاقا إلى نظرة واحدة منها ووجد نفسه بمنه لامتجد
وعرف أن اقرب أيام اجتماعه وزواجهما بحيث يكون قد انتهى وقت العذاب وكان يزيد
سروره عندما يتأكد أن أباه سيفرح ويسر بها أيضا وانه كان كل تلك المدة وماهض
عليه من الأهوام والشهور يحارب في سبيل الحصول عليها دون أن يراها أو يلم صورتها
ومثله كانت كل رجال إيران . ولما كان يقرب من الجيش أي بعد أن خرجوا من
قم الوادي بعث بهروز أن يسرع إلى أبيه ويطلبه على أمره ويعلمه بوصوله ووصول
المرحفة وعين الحياة ومن معهم فأجابه وانطلق بسرعة تحاكي وميض البرق وكان
الملك ضارب في قلق واضطراب لغياب ولده عن الجيش مقدار يومين لا يعرف في
أي جهة سار وبقى على مثل تلك الحالة إلى أن وقف بين بهروز وشرح له عن
أتان سيده ومن معه فسمعت أراج المم عن قلبه وانطلقت دمة الفرح من عينيه
وقال أحقيق ما تقول هل عاد ولدي والفرسان الذين أسروا من جيشي ومعهم
الفارس الذي أسرم وهل حقيق ما تقول من أني سأرى بهد قليل خطية ولدي
وأظفرها في يده ونحت حوزته فأفرح بعد أيام بزفافه وأراه مسرورا بهما منجما بمشيته

وكان يتكلم والدموع تنحدر من عيونه لأنه وإن كان صارم الأمر شديد العقاب غير أنه كان رقيق الحاشية عصب المزاج يتأثر من أقل الأشياء تبعث إلى ذلك حساسه وشعوره وفي الحال نهض وقال يجب على أن أسير بنفسى إكراما لولدى والألق خطيبته وأترحب بها مزيد الترحيب وعند نهوضه نهض كل من كان حاضرا وركب الجميع وشاح خبر وصول فيروز شاه بعين الحياة بين كل الجيش قاذد حواسا نرين يقسا بقرون ليروا الفتاة التي اختارها ملكهم وابن ملكهم وسيدهم والتي صرفوا كل هذه المدة بالحروب ومقاومة الأموال لأجلها ولأجل زواجها به . ولما قرب فيروز شاه من أيه ترجل إلى الأرض وسعى على أقدامه إلى أن دنا منه فقبل أبوه مثله وضمه إلى صدره وهويته بنجاحه قبل يديه وقدم له المرفعة وقال هذه ياسيدى من كانت تأتى الميدان وتقبل تلك الأفعال العجيبة وهى من بنات الجمان صاحبة بطش وإقدام وبسالة تنذر مثلهما من فرسان الانس والجمان وقد فعلت كل ما فعلت طمعا بأن تقدم إلى أختها زوجة وسأطملك على كل ما كان من أمرها وتقدمت المرفعة من الملك ضارابا قبلت يديه فشكرها على معروفها وكيف أنها أوصلت عين الحياة إلى ابنه وكانت الوسيلة الكبرى لخلاصه وراحته ومنع عذابه ثم تقدمت منه عين الحياة وهى تشرق بأفوار البهاء والجمال كأنها حورية قد خرجت من الجنان لم تره قط من مئ أجمل منها من عاسنها واندش بما شاهد فيها وقال فى نفسه لقد أصاب ولدى بشدة تعلقه بهذا الملاك المجازى وأما هى فأتاها قبلت يديه وأطرفت إلى الأرض فأمرها أن تعود إلى مودجها وهما ابنتها ومن بعدها تقدمت جهان أفروز وأبدت فروض الطاعة والخضوع للبلق قرحب بها وهماها بولده ومن ثم سلم على كل فرسانه الغائبين وكر راجعا وإلى جانب ولده والفارسان تزدحم من كل جهة لترى عين الحياة وما منهم إلا من يتعجب ويفرح لذلك وهم ينادون له بالنصر ودوام الثرور ويدهون له ولخطيبته بطول العمر والبقاء حتى كادت تسد الطريق ولم يكن من يقدر أن يدرك حالة رجال الفرس وقوة فرحمهم فى ذلك اليوم ولما وصلوا إلى الخيام نزلوا عن خيولهم وأنزلوا عين الحياة ومن معها فى صيوان مخصوص ضرب لهم من الحرير الأبيض سجاجاته من الأقمشة الفارسية الفاخرة وعلى أعدته الذهبية قطع من الجواهر الكمية كل واحدة بقدر البيضة وأقيم عليها الحراس وفيه الختم والجوار وهو مقطوع إلى غرف ومساكن أشبه بالقصور الملية خص واحدة منها لعين الحياة والثانية لجهان أفروز والثالثة لفيروز شاه والباقيون الجوار والسيد وقام فيروز شاه مع حبيته ينتظر ما كتبه الله له فى نصيبه . وضرب إلى المرفعة صيوانا مخصوصا خصص لها به الخدم والسيد وأخذ يهتازر قبائلية إليه وضرب لها صيوانا يقرب

صبراه ولما اجتمع جميع القرمسان في صيوان الملك ضاراب حكى فيروز شاه لايه مفصلا كامل ما وقع له مع المرفعة وما معه منها من قصتها وما هو السبب الذي دطاها الى سلوك هذا السيل والايان الى تلك الناحية وكان الجميع يتعجبون من توفيقه وسعادته وعلو منزلته حتى صارت الانس والجن تطلب خدمته وتسمى في التقرب منه مثل ذلك جرى على ابيه وشكر الله على هذه المنة العظيمة وشعر بقرب الهناء والراحة وقال اني لا أقدر أن أفي حق الفكر لمن جعل لنا بين خليفتي مدلة أولى ورفعة وعلو شأن وأطلب منه تعالى ان ينهي أعمالنا بالخير والنجاح ويقرب منا أيام رجوعنا إلى الاوطان إلى بلادنا واكبر شكرى هو كوني أرى كل فرسانى وأطال مقيمين حولي غير غائب منهم إلا لمخوزاد ولا بد لي من الوقوف على خبره وإرجاعه بنا مكرما وأصنع له عن ذنبه وكذلك طهور فانه أسير في جيوش الأعداء ولا أعرف كيف كانت حاله واتى ان كنت انذرت موت فارس بلادى وحاميتها من خدمها بأمانة وعصرف كل العمر في تفيد دهم تقدمها وفلاحها ورفع اسمها بين الممالك وهو فيلوزور البهلوان إلا اني أتوسى عند ما أفكر أنه لا يزال في ديوان خليفتي وفرعه الذكي هزاد الجبار من قاق كل فارس بطل باقدامه وسبائه وأسرا لما أرى نفسى اني قادر على مكافأته ورفع منزلته وتقديمه منى ارتقائه إلى الرتبة الملكية . ولو غياب شياغوس بين الأعداء وعدم على خبرا عنه التفخال بالى من قبله لقلت الآن اني أرى نفسى كائى في نفس اليوم الذي خرجت فيه من إيران غير خاسر أحدا من رجالى إنما لا بد لي من الوقوف على خبره والاكتشاف على أمره وخلصا طهور وذلك أكون على أهم ما يكون من السرور والافراح فقال بهروز يجب بأسبدي أن تمزق الاموال عن روح شياغوس فقد كان صادق الخدمة في دولتكم وكنت اظن منذ الاول انك الملك قبصر لا يبنى عليه ولا يتركه حيا لأنه كان شريكا بقتل ابنة انبوش . ونبت لي ذلك من هلال المبارقات في أثناء الطرق فاطلعت على انه قتل أفصح قتلة أى ان الملك أمر بتقطيعه قطعاً قطعاً بسيف وجاهه ولذلك أقسمت ان لا بد ان آخذ بنصى ناره وأقل به نفس الملك لأنه كان رفيقا لي في أسفارى وأعمالى يسمع لأمرى ولا يعصاني قط كبقية العيارين الذين سلبنى أمر النظر اليهم فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام تكسده رويد الكسود وبكى عليه وكذلك جميع الحاضرين وحزنوا لموته ولا سجا فيروز شاه لأنه تذكر فعله الحسن معه وخدمته السابقة وإلقاء محبته في قلب محروبه عين الحياة .

ومن ثم أمر بهروز ان يأبته بهلال ويقدمه من ابيه ليحاكمه على أفعاله فسار اليه وأحضره إلى بين يدى الملك وهو بأشيم حالة من جرى قطع اذنيه وأفقه ولما وقف

في الوسط قال له الملك خراب أتذكر يا ملال ما فعلت معي في إيران وكيف أنك أحثت الوعد وأخلفت ونكرت جميل معك وخنقت وقصدت هلاك ابني وأخذت في الليل من بين جيشي لنفسه إلى رجال اليمن ولما لم يساعدك القدر أخذت بفرخوزاد وخورشيد شاه إلى الأعداء ولو لم يساعدهما الله لقتلا وذاقنا الموت وفوق كل ذلك أنك كنت صارفا كل الجهد إلى معاندة أعمالي وفضح عياري ببلادى وتوصلت أخيرا إلى أن كنت السبب في قتل شياغوس وفوق كل ذلك فأنت ذميت في هذه المرة الأخيرة إلى نفسك ولدى رأيتك بالمساكر الرومانية والصينية إلى الوادى في نيتك أن تقبض عليه وتسلمه إلى الأعداء فهل تنكر شيئا من ذلك فلم يبدك ولا عارض بكلمة ثم نظر الملك إلى وزيره طيلوس وقبترجالة وقال انى سألكم الحكم عليه بما تقتضيه العدالة والحق ومجازاته بما يستحقه على أفعاله فأجابوه إلى طلبه وبهد المذاكرة حكموا عليه بالإعدام وأعرضوا ذلك على الملك قال لقد أصبحت ولى كنت أحب أن أرفق به وأخضعه ضير أنه ليس بمن يستحق وبقائه هضم ضرر علينا ولا فأنشره ثم سلمه إلى بهروز وقال له أنت الميتة التي تختارها أنت واجعله مرة أخرى فلا يفعل الذين يوعدون بالطاعة فعله ولا يخشون من يدخلوا في حوزتهم ولا يمتثلون على الملوك الكبار . فاجاب بهروز وأخذ من حضرة الملك لافناذ الحكم به في اليوم الثاني ومن ثم تفرق الجميع إلى خيامهم في تلك الليلة وفي الصباح اجتمع الناس أنواجا وجاءت الفرسان من كل جهة ومكان لحضور موت هلال واذا بهروز قد جاء به وأحضر معه خشبة عالية رفعة عليها وأخذ خنجره يده بعد أن جرده من كل ثيابه وجعل يوخز به بدنه ما بين كل وخزة وأخرى مقدار قيراط حتى جرحه في كل بدنه جراحا خفيفة رفيعة بدأ الدم يسيل منها كالأنابيب وهو يتألم ويشاهد بعينه أعمال عدوه ولا يقدر أن يتخلص من بين يديه أو يذافع عن نفسه بل كان يرى أدميته تسيل من أنابيب جسده معذبا بأوجاعه وأيديه مربوطة ثم قال له بهروز أتذكر يا هلال وأنت على آخر رده من حياتك أنك خدعت بي وأخذت منى عين الحياة وسيف الدولة وزوجته والأمير قهر يوم كانوا في المنارة قرب ملاطية ثم اتى لا أنسى ذلك ولا أنسا قط لأنه لم يقدر احد حتى اليوم ان يقهرنى ويغلبنى الا أنت في تلك المرة ولذلك جازيتك هذه المجازاة . وكان الجميع ينظرون إلى هلال مشتغفين به وقد استحسنا هذه الميتة القبيحة . وما جاء آخر ذلك النهار حتى كانت روحه قد فارقت جسده وحيث أن الملك بدفته إكراما لكرمه جعلته تعالى وقال انى احزن عندما أصلم بموت احد الأعداء إذ لا يطيب لدى إمرار الدماء إنما التقصاص جعل من الله فهو ضرورى لإصلاح نفوس

عنده وهو الذى اتهم الملوك بالحكم بالحق والعدل وأرجو من الله لا يمسئلى ولا يقدرنى أن أظلم أحداً من أبناء جنسى الأدمى . وإن أرجو ميتة طيفور مثل هذه عقاباً له على أفعاله لأنه كان السبب لإمراق كل هذه الأدية وملاك كل هذه النفوس التى ملكك بسبب هذه الحرب .

ثم أمر ضارنى بطول الحرب أن يضر بها قبل صباح اليوم الثانى تذكيراً للاعداد بالحرب والقتال وقال لابد فى هذين اليومين أن تنتهى الحرب بيننا وبين الرومان وقد هون الله علينا كل أمر عسير .

وأما ليروز شاه فاه بعد أن خرج من ديوان ايه سار إلى صبرانه واجتمع بين الحياة وصرف معها وقتاً على الحظ والانشراح وقال لها ان الحرب لابد أن تنتهى بعد أيام قليلة ونرتاح من كل هذه المصائب ويطلب لنا الوقت فار الاعداد أخطوا فى الاضمحلال وأنت الآن فى يدى وما من مانع بمنعنا بعد استبلاتنا على بلاد قيصر من الوفاق والزواج ونوال المراد وفى هذا اليوم قتلنا هلالاً شرقة وارتمنا من شروره ولم يعد بين الرومان من يبارق نظاف أن يسطر علينا ويقدم علينا لا فى ليل ولا فى نهار . ولما سمعت عين الحياة كلامه بكى وأظهرت التألم وأطرفت بغير مبدية كلمة . فارتاح لذلك وسألها عنه . فقالت انظن ان يحلولى العيش او يطلب الهناء إذا لحق باني أو بأحد آخرى أدى ضرر أو أذى أليس ان أبى هو الذى ربانى وأحبنى وأكرمنى كل العمر وميزنى على كل آخرى أليس هو الذى أوصانى الله بطاعته وأكرامه ووضع على الفروض اللازمة فى خصوصى له أأكرن من الحياة وحبى وبعل فيروز شاه ويقال حتى أبى بحث أبى وأمتى إكراماً لأبائى وولغائى وهذا الذى يكبى ويهمنى دائماً . وهذا الذى يشغلنى ويمسئلى على الدوام فى حزن نعم انى لا أنكر حبك عندى وتفضلك على والدى إنما لا يمكن لى ان أعيش براحة يتيمة مقطوعة رلاشى . يسرى إلا ان أكون جامعة على محبتك وطاعة أبى وقت واحد وتكون أنت وهو على اتفاق وحب وأنا اعرف أكيدا وانيقن ان أبى يرغب فى التعرب لك وطالما رغبت فى ذلك منذ الاول فغير ان استأذنه كما كان بمشورة طيفور وتقدمه عنده . فقال لها ان كان ما يفيظك هربعد ايك عنك فأتى اصرف أجدى إلى استرضائه ولا بد من وقوعه بايدينا وحينئذ استعطف بخاطره وأسأله الرضا عنى وعنك وهذا مما أرغب فيه أكثر منك وفوق كل ذلك فأتى أحمل أبى على ان يفور عنه ويسمح له عن ذلك بموئيك فى خصاص طيفور فقط وإن كان قد اصغر على هلاك ايك لكنه لا يرضى بكبدوك وكدر عيشتك فى حياتك فقامت اليه وقبلته فرحة وقالت له هذا الذى أرجوه منك وعرضه فلا وانت تعرف من نفسك محبة ايك لك ومحبتك له وغيرتك عليه أليس تمت كامل الصفات وعهدك بى كمهدى بك . فكرر عليها الوعد وقال لها انى أقسم

لك ان لا اقرب منك إلا بارادة أهلك إنما لا أقبل قطيعة منك متى بارادتي دقيقة واحدة ولو هلك جيش العالم بأجمعها واندكت مدنها وقتلت ملوكها وساداتها . قالت هذا الذى أرجوه طول العمر ولا أكرهه قط واني لو بقيت طول عمرى بلا زواج وفيدك لا أطلبه قط وجل غايى أن أرى وجهك فى الصباح والمساء بل وفى كل ساعة ودقيقة فسره كلامها وفرح لأجله ونوى كل التية على استجلاب خاطر أيها وحمله على قوته به وعول على أن يبعد بذلك إلى جبروز فيسير اليه ويطلب منه الحضور إلى جيش الفرس إذا كان قبل ذلك وإلا احضره بالرغم عنه مبنجا ومن ثم يترضاة بنفسه قال فهذا ما كان من امر جيش الفرس وأما ما كان من أمر الملك قيسر ومنكوخان ومعاشرهما فانهم بقوا على انتظار هلال وان يعود اليهم بغيروز شاه مقيدا مع عين الحياة كل ذلك النهار إلى المساء وفى المساء جاءت اليهم الرجال الذين هربوا من الروادى وهم منقطعون من خمسة وعشرة ينظرون إلى الامام والروادى خائفين من ان يكون الفرسان فى اثرهم . ولما وقفوا بين يدى الملك حكوا له كل ما وقع عليهم من فيروز شاه ورفاقه فتكدر مزيد الكدر وكادت تنشق من الغبط والحنق وجرى على قلب منكوخان اكثر مما وقع على قلبه وخاف من ان يكون تبديد جيش الصين فى تلك البلاد على يد رجال الفرس ولهذا أخذ يفسر فى الانتقام منهم بأى وسيلة كانت واستشار الملك قيسر فيما يفعلون قال لا شئ . ينجينا من هؤلاء الأبطال إلا الثبات فى الميدان وصعدى اتنا لا نبلغ منهم مراد إلا بهمتك وبطنتك وبركة آلهتك وبسالة اولادك فاتفق منكوخان من هذا الكلام وقال انى سأسأل مولاي وولى امر الصينيين ان يتعنطينا ويساعدنا ويضولوا النصر على هؤلاء الأوماش وبعد ان انصرفوا من صبيان الملك قيسر سار منكوخان إلى صبيانه ودخله مايوسا مكذرا وإذا بطيفور قد دخل عليه وجلس عنده يباحثه فى امر القتال ثم قال له اخبرنا اعلم يا سيدى انك غريب فى هذه البلاد وليس فى الرومان من يقدر على الدفاع والثبات ولذلك خطر لى ان ابدى لك رأيا فيه الصواب والتوفيق قال امد ما فى ضميرك لعل يكون ذلك خير وتوفيق يأتينا بالصراحميد قال ان اؤكد لك ان الفرس سيستولون على بلاد قيسر لكثرة فرسانهم وباطالهم . لاسيا وهم على اشتداد عزم وهمة الرومان فى خوف منهم ولولا ان تاتى اليهم بالجيش الصينية لسلخوا بلادهم إلى اعدائهم لجبايتهم وضعفهم ومن اين لهم ان يثبتوا ثبات الصينيين اذ يقاثلوا قتالهم ولهذا خطر لى خاطر نافع وهو ان تدبر لى تدبير واسطة ترغم اعدائى بران على المسير إلى الصين برجالهم وفرسانهم وهناك تذهبونهم ذبح الانعام وتهلكوتهم

عن آخرهم وعلى ذلك تفرض هذه الدولة وينضب عليها ملككم . قال ابي افكر في ذلك ولينة كبرى اذا وصلوا الى هناك ونزل لحرهم ملكتنا ههنا اهلكهم عن آخرهم وأرسل بغضبه عليهم واستعبدهم استعباد الأرقاء العبيد غير اني لا اجد طريقة إلى ذلك ولا يمكنهم أن يدوسوا بلادنا أو يصلوا اليها وما من سبب يدعوهم إلى هذه الغاية قل اني وجدت لذلك طريقا نافعا ناجحا وهو أنه موجود عند الملك قيسر أسير من الفرس اسمه طهمور أحد بهلوانى بلادهم وأمرأته وهو عزيز عند هذا فى الهند أطلبه اليك واجتمع عندك إلى حين ترى الغلبة وتأكد أن لا رجاء بالنصر على الفرس وحينئذ تأخذ معك هذا الأسير وتقدم بلاد الصين وتبقى عند كفى السجن إلى حين يقصدونكم لأجل خلاصه فأخذ لأولادك بالثار منهم فقتله وقتل كل رجل منهم وعلى هذا تكون قد أحسنت التدبير وفعلت فعل الرجل الخبير وأرضيت مرلاك كل الرضا لكن يجب أن لا تطلع الملك قيسر على فكرك بل اطلب منه هذا الأسير مديا أنك تحب أن تبقى عندك لتأخذ من عذابه فأرك وتروى ظمأ قراذك من مجازاته بالضرب والتعذيب . فوافق كلام طهمور خاطر منكوخان وسرته مزيد السرور وقال له انك من اعظم الرجال حكمة وأوسعهم رأيا وتدبيراً ويطلب بك أن تكون داعيا فدواور الملوك الكبار وانى أهلك عند وصولنا إلى عاصمة الصين ادخل بك إلى قصر ملكنا وأشرطك بالوقوف تحت سياحه واسأله ان ينظر اليك ويكرمك واحكى له عن حكمتك ومساعدتك لرجاله وهو لا ريب يعرف قدر الذى ملك حشكتهم الايام وقلبتهم التجارب فاصبحوا وحيدين أيامهم . فعلق طهمور أمه بمواعيد منكوخان ونظر إلى مستقبله نظر الراحة والأمان وقال فى نفسه خير لى أن أعيش فى تلك البلاد على عبادة غير الله مكرما من أن أبقى هنا مردولا مرفوضا مستهجرا والملك ضاراب يسمى فى طلبى والحصول على لقتلى واحلاكمى وبعد أن اتفق مع منكوخان على مثل هذا القآن رجع إلى صيوانه ونام مرتاحة مسرورا بعد نفسه بأنه صار وزيرا من وزراء ملك الصين وان كلمته صارت نافذة فى كل تلك البلاد ونام تلك الليلة . وفى صباح اليوم التالى ضربت طبول الفرس تندهو الرومان أن تستمد وتتهى القتال والنزال وتطلب من رجال الفرس الاستعداد أيضا متنورة بان ذلك اليوم يوم قتال وحرب ونزال وعلى هذا خرجت الفرسان من مرافدها وتقدمت سروج خيولها ونقلت أسلحتها وانتظرت إلى أن نادى الفخر الأخير يطلب منهم التقدم إلى ساحة القتال فقدموا بهمة وحمية وترهبوا صفوا صفوا وأقدمت فرادهم توعز اليهم بالتعليقات . وإذا بغيرود شاه صاح من جهة اليمن صياح الأسود والمجدد المجدد الصواقر وانقض على الرومان فاجابه بمثل صوته يزداد

وانحدر إلى جهة الشمال وانحط على عساكر الصين انحطاط القضاء المنزل فالتقت
 بهما المرحفة وصاحت في وسط العسكر وحملت حملة تزيع الجبال من مرا كرها ورات
 العساكر أعمال هذه الفرسان الثلاثة فانسرت قلوبها وأمرها الملك ضاراب بالحملة باجمها
 فهزت الأعلام وأطلقت الأفعنة وأسرت طلب العتق والقتال وكان في مقدمتها أنوش
 بنت الشاه سلم فاخترقت الصفوف وتمتعت المينات والألوف وفعالت فقال الأبطالان
 الشداد وكذلك بهمنزار قبا فانه حمل برجله يظهر شجاعته واقدامه وحمل أيضا عبد
 الخاني القيرواني ومرادخت الطبرستاني وشيرين الشيلي الطلقاني وبهمنزار قبا وسيف
 النولة صاحب ملاطية والأمير قهر وحمل أيضا خورشيد شاه ومصفر شاه وجمشيد شاه
 وكرمان شاه ويلاتا بن فيروز البهلوان . فاهتزت لحناهم السهول والجبال . والتفتهم
 عساكر الرومان والصين في مثل تلك الحال . صابرة على شدة الحرب والقتال ماخوذة
 بكثرة الفرسان والأبطال . عالة أنها لا تثبت كثيرا أمامهم في ساحة المجال . إلا إذا
 ثبت منكرخان بأولاده الباقين وابصار من الشجاعين الاندام ما تقتد به ظهورهم اجمن
 وكان منكرخان قد حمل على القوس وفي نيته أنه ياخذ نفسه منهم بالثار وينزل عليهم
 البلاد والعمار . وأوصى أولاده بأن يختاروا دائما الفرسان الشداد . فاسرعا أو قتلها في
 وقت الطراد . وكذلك تمر تاش بهلوان الملك قيصر فانه فرح بهذه الحملة وفي نيته انه
 يلتقي بهزاد فيتوصل اليه من أي باب كان وربما قتله وأخذ نفسه منه بالثار هير ان
 بهزاد كان هذه المرة في عساكر الصين فلم ير أحدهما الآخر وكان إلى جهة تمر تاش أس
 الأساد وقارس ميدان الطراد فيروز شاه بن الملك ضاراب . الذي أنزل على الأعداء
 أنابيب العذاب وسد في وجوههم كل طريق وباب

قال ولم تكن إلا ساعة من الزمان . حتى اختلطت الفرسان بالفرسان . وكثر
 الخوف وقل الأمان . وحكم الموت بكل ما له من السلطان . ونشر حكمه على ذاك
 المكان وأخذ يتقدم كل من له ويقدر عليه . ويمكنه مع مساعدة خصمه ان يصل اليه
 حتى اسود بياض النهار . وأظلمت الشمس واحتجبت الأنوار . وارتفع البقع والغبار
 وانتشر في الأفاق اكتف انتشار . ورفع ما فوقه روافع الجند بأسر الأسرار وبعت
 إلى ما تحتها براعت الهودم والاكدار وارسل اليهم رسل التحوس والاختطار حتى
 سميت من المتقاتلين الألبصار . وتمتعت عيون الهلاك بأوجه التفار . واندفعت دواقي
 الدماء تسيل مسيل الأمطار . وتمددت في أفنية الأرض تمجدول الأنهار . وانسابت
 في رياض الوغى بايشم بوار . والبست الأرض بما هي عليه من الاحمرار . حلة تظهر
 باقبح اظهار . وأثمرت المتون بالفضج الانمار . وازهرت المنابا بمكره الازهار وكانت

الحرب عاقدة البنود على الأعمار وموسدة النفوس في سرر الدمار فله در فيروز شاه الأسد الكرار والفراس المنوار والبطل الذي لا يسطل له نارا فانه ولده شيوخ المصائب من أرحام الأبطال وفرق بين فراده الآمال بالصارم الباروشة متجمعات الجيوش بعزمه الثقيل المعيار وساعدت أفعاله الاقتدار لانتشار صيته في سائر الأمصار وكذلك بهزاد الفارس الجبار الذي ندر وجود مثله في جميع الأقطار قد قدم الأعداء ضحايا وعرضها للنكبات والأضرار وخطط أجساد الأشرار بأبدان الأبرار وداس بحوافر جواده الرؤس فسحقها مع الأحجار وأرهب من الصيغين الكبار والصغار وفيما هو يحول ويرأر كاليث الحداد إذ التقى بأحد أولاد منكوخان رئيس عصابة الكفار . فضربه بمسامه وإذا رأسه قد طار ومثل ذلك فعل بأخيه الخيث الغدار وقد قتلها ومددما على رمال القفار وأما المرفعة فانها أظهرت ما عندها من القوة والاقتدار وقلبت الجيوش من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار وأبعدت عنهم الرجاء بالجلد والاصطبار فاندثروا من قوائم سيفها أي اندثاروا شاهدوا عزرائيل يخدم ركبها خدمة العبيد للأحرار وهكذا كانت تفعل بقية فرسان الفرس ومن معهم من الأنصار حتى خيل للأسباع والأبصار أن يوم الحشر قد صار وجاء غنائيل وجبرائيل يربان نفوس الخطاة من الأخيار فانكر الأب لابن والجار لجار وهر هزير الأصوات فارتفع كبركان نار بطاير منه اللهب والشرار وفرق إلى الجحيم متفجرا أي انفجارا وكان الملك ضاربا صاحب الشرف والافتخار وطبعطوس ذوالهية والوقار ومن حو اليهما من رجال الحكمة والعقار ينظرون إلى هذه الحرب باندعاش واندهاش وما منهم إلا من قتله من شدة هذه الواقعة وحار واعتزت منهم النفوس والأفكار بما كانوا يرونه عن بعد من عمل فيروز شاه وما يدونه في ذلك المضمار وهو يفيض في حره كانه يفيض البحار وينحذف على فرق الرومان انحذاف كواسر الأبطال وينادي أنا حبيب عين الحياة ذات العفة الأظفار ودام القتال متعنا إلى أن علا الشمس الاصفرار ومالت إلى الغروب طالبة الاختفاء والاستتار وبعث الليل جيوش الظلام والاعتكار .

قال وفي تلك الساعة ضربت طول الانفصال ورجع الفريقان عن الحرب والقتال ولم لا يصدقون بقرب الزوال والرجوع عن تلك الحال ولا سيما رجال الرومان فانه وقع عليهم من القتل والحرق وقع الخوف وتأخروا كل التأخير وأصيبوا بالبلاء والعذاب وكذلك رجال الصين ومنكوخان ابن ملكوخان وأما إيران فرجعوا على الفرح والسرور وهم يتخونون أن يكون قد طال ذلك النهار لينهروا تلك الحرب دفعة واحدة ولا يعودون مرة ثانية إليها لأن النصر قد عايناهم ووعدهم بالخدمة والطاعة

ولما رجعوا إلى الصوان تلقى الملك خراب ابنه بالاحضان وقبله ما بين الأعيان وشكره على ما رآه منه في ذلك اليوم العظيم فقال له أعلم يا أبي اني لم أفعل شيئا استحق عليه المدح والثناء فإنا إلا ملزوم بحماية الدولة الفارسية ووقاية من الأعداء ولا يتعجب مني من يعرف أن أبي فارس ميدان السباق وسيد سادات القتال وقد سار ذكره بكل الآفاق وإذا لم أكن بهذه الدرجة التي ترها في وإلا لاستحق أن أدمي ابنك ولا يلقى بي أن أقاتل بين رجال فارس ألت أنا ملكهم وابن ملكهم وقادهم وعلى محمد القائد إذا قاتل أكثر من ألف من النفر فأنزل أبوه من كلامه وكذلك كل من حضروا بعد أن أكلوا الطعام واكتفوا منه شكروا الله عليه وجلسوا الحديث بأعمال النهار فقال الملك خراب أنه قلنا مر علينا يوم مثل هذا اليوم كثير الأموال فاني كنت أرى فرسانى كسفلة نار تنقد في وسط أنون من اللهب الأحمر وهو يلتهم الأعداء كما تلتهم النار القش اليابس وكنت أشفق على صياحهم وبكائهم وأبألم من أنينهم وعينهم ولولا أن الحرب علة منه تعالى حفظا لما يتبعهم من السلام ولحقوق الدول المقامة يمين الحق سبحانه وتعالى لحرمت على نفسي إهراق دماء عباده الذين خلقهم لتبديحه وتمجيده فقال طيطولس ان جعل الحرب سيف انتقام له فمن طغى وبغى وكفر بعث اليه من جنسه من ينتقم منه قصاصا على فعله وجبره وعلى هذا فإنا لا نتخاف من رؤسا ما الله بشانقمة لغيرنا وجعلنا قضيب تأديب لمن ترك وصيته ولم يعمل بها ولا التفت اليها وان كنت أعلم ذلك إنما لأسر بقتال عبادة الله وعباده وأهل كتابه وأسأله تعالى أن ينهى أمرنا على خير ويسير بنا إلى خير قال صدقت ولذلك أحب ان أنشر في القديين كل صاكرى ورجالى بأوامري أنهم يترفقوا بأمور أنصامهم وان يتأكدوا اني لا أرغب الاضرار بالناس وهكذا أيضا عند دخولنا هذه المدينة فإنا مزمعون أن نقيم فيها زمانا ليس بقليل إذ انها تكون محط راحتنا وهناتنا فلا يمد أحد من قري يده إلى أحد من أهلها أو يقطع حاجة من حوائجهم ومن يرض شيئا أو مالت نفسه إلى شيء فينتاعه بالدرم والدينار ولا يظلم أحد أحدا ولا يميل عين أحد إلى جارية بكرى كانت أو ثيبة وادعوا في كل أعمالكم جانب الحق واجروا بحسب ما أوصيكم وابتعدوا عن المعاصي واني على يقين أننا بعد يومين أو ثلاثة أيام على الأكثر ندخل المدينة ونسلط طيطس ونجلس فوق عروشها ونرفع رايتنا فوق أسوارها وحصونها وقلاعها فنصبح البلاد بلادا فارسية وسكانها متقادون إلينا بالرغم عنهم وبما يروه منا من الحلم والاستقامة فأجاب طيطولس ان ذلك صار قريب لدينا وما من أمر يبعثنا عنه مع مساعدة الباري سبحانه وتعالى واني أطلب إليك يا سيدي الملك ان تجعل زفاف فيروز شاه

على عين الحياة في هذه المدينة تحتل بعمره فيها فهي من المدن الشهيرة بالزينة وأسباب
الحظ والسرور لا سيما واننا نعلم أنه قد تمذهب لأجلها كثيراً وتعذبنا نحن لعذابه
فنفسل انذار تلك المعاصب التي مرت علينا في اليمن ومصر وغيرها بأيام سرور وهناء
ونجعل أيضاً زفاف خورشيد شاه وبهمنزار قبا ومصفر شاه يوماً واحداً . فاجاب الملك
ضارباً طلبه وقال له لقد نظرت موضع النظر واننا بعونه تعالى ستقيم أهراس فرساتي
مع عرض ابني غير ان ذلك يحتاج إلى تبصر وتدبير فان تاج الملوك وكرومندان بعيدتان
هنا ينبغي احضارهما وأكثر شئ . أرهب فيه هو زفاف فرخوزاد معهم وأربدان أعرف
مكاه لا يبعث فاحضره الينا فقال له بهروز العبار اطم يابسي أي بينا كنت مراقبا
لسيدي فيروز شاه أثناء القتال كنت أرى بين الأعداء فارساً كفرخوزاد بالتمام يعمل
حملات الأسود الكواسر ويهجم هجمات الفرس دون شك ولا ريب [تعا عند وقوع
أحد من رجالنا بين يديه يكف عنه ويعرض ولا يقرب منه بأذى ولا بشر ولولا ضرورة
انتباهي وتبقي وحرمي على سيدي فيروز شاه خوفاً من أن يخذل به القام لتبصت
ذلك الفارس وتأكد كل التاكيد مما رجح لي ذلك هو أنه كان يتبع خطوات فيروز شاه
ويرمقه كأنه يميل إليه [لما لا يرهب في أن يقرب منه فقال الملك لا يبعد ان يكون
فرخوزاد بين عصاكر الملك قصر محض في صف الرومان أو غيرهم من انصارهم ولذلك
فان أعهد بخطة الاكتشاف على ذلك إلى بدر ثقات بأن يراقبه وإذا تاكده بنظر إلى
أي جهة يسير وفي أي ناحية يقيم وفي المساء أبعث من يأتي به الينا ويرضاه فان أجاب
كان ذلك من توفيق العناية فاصفح عنه وأساعه على فعله وإلا فلا أعرد أذكرك مرة
ثانية . فاجاب بدر ثقات في الغد لا بد من الاكتشاف على ذلك ولا أدع المساء يأتي
إلا بصحة الخبر .

قال وبعد ان انقضت السيرة وانفرطت سبحة ذلك الاجتماع سار فيروز شاه إلى
صيواته لوجد محبوبتيه بانتظاره لحياهما وسلم عليهما فرجتا به وهنأه بالسلامة من
حرب ذلك النهار وسألتاه عن نتيجة القتال قال ان الحرب لا تدوم أكثر من يومين
بعد ولا أظن ان الأعداء يقدرون على الثبات أماناً أكثر من ذلك لأن كثيرهم قد
أصبح قليلاً ولقد منهم كل فارس وبطل وكادوا يضمحلون أي اضمحلل ويفنون
أي فناء . فلما سمعت عين الحياة منه ذلك فرحت [لا أنها تنهدت وقالت له لقد عدتني
ياسيدي خيراً وعاهدتني صدفاً انك تحضر ابني إليك لترضاه واخاف عند وقوع القتال
نقع على ابني مصيبة فتدمه الحياة وتبقى من بعده في حزن ويأس عليه أليس
الحداد طول العمر . فتكدر من قولها وقال لها لا أخلف بقولي وقد قلت لك ان

لا أحدا يضر به ولا يد من أن أبحث إليه فأحضره إلى رأسك أن تكتفي له كتابا
خارصه إليه وتطلب منه أن يأتى إلى جيشنا فأتانا بانتظاره وأطلب من أبى أحنأ أن
يكتب له كتابا يقرضه به ويظهر له قوله بقيامه بيتنا ومسامحته إياه عن كل ما أذنب
به عندما قال فسرت عين الحياة من ذلك وأخذت فكتبت إلى أبيها كتابا وهو :
من عين الحياة بنت الشاه سرور وخليفة فيروز شاه إلى أبيها

بعد تقديم مزيد الاعتبار لمنايته تعالى والشكر على رحمة وفضله أبدى أن الزمان
ما كان ليسمح لنا بالهناء والراحة وأقام على عنادنا أياما ليست بقليلة ولا خافكا ما أصابنا
به من العذاب في كل هذه المدة والتفتت من مكان إلى مكان ونحن في كل هذه المدة على
نار الكدر وأنت أعلم بكل هذه الأمور التي كنا في فتن عنها وقد تسببت لنا بواسطة
آراء طغور الخبيث الذي قادنا بالرغم من معرفتنا بحسن مستقبلنا إلى أبعاد البلاد وخرج
منا بلادنا .

ولا خفاك أيضا أنني منذ البداية آميل إلى فيروز شاه وأوصاء ولا الأمم على
ذلك لأنى أصطبت من التجربة ما جعلنى أن أنظر الأمور على حقيقتها وقد تأكد
عندى أنه الرجل الوحيد الذى يمكن أن ألقى عليه اتكال فى حياتى وأكد لى قلوبانه
هو الذى كتب الله لى نصيبا عليه ولم تكن هذه المحبة اختيارية بل أرغمت عليها من قبله
تعالى فهو وحده الذى رعى حبه بقللى وجملة سيدي وعجوبى بوقت واحد حيث يفرحنى
ورغبة بسعادتى ولو نظرت أنت نظرى وأبدت عنك المفسدين لكنت الآن بنعمة
عظمى وبلادك فى بحر وازدياد وصرك فى خدمتك بينك على أعدائك ويبد لك كل
من يحسر على أن يعاديك أو يقاومك واتى كنت الآن مزمنة أن أسلم بنفسى إلى فيروز شاه
واسر إلى بلاده وتتقضى هذه الأسباب إلا أنى كنت أعلم أن ذلك يضر بك وبحسب
حصانة منى على سلطتك المعاطاة لك من الله على فكنت أعمل المشاق وانتقل على جمر
المحارث التي وقتت علينا ومع كل ذلك فإن آمالى كانت تنمو من جهة أخرى فيروز شاه
ورحمتى فى أن يجمع بينكما الزمان ويقربكما من بعضكما والآن قد وصل إلى وأخلفنى إلى
صبرانه بالرغم من كل الموانع التي وقتت فى وجه قعدة واتى لا انكر عليك سرورى
وفرحى من ذلك لكنى أرى من خلال هذه المرات والأفراح نوعا من الآلام
الموجعة وهو أنك بعيد عني مع اخوتى ولهذا كنت أسأل فيروز شاه استعمال الأسباب
مبنى وبينك بحيث تكون قائما فى جيوش إيران مكرما معوزا مرفوع المقام وقد وعدنى
بكل جميل وفرح وانه لا يكون زفاف ولا فرح إلا برضاك وحضورك نصبرت إلى أن تأكدت
قرب اندثار الرومان وانصارهم غنمت من أن يلحق بك ضرر أو يصل إليك أحد بأذى

فأله اتقاد وعدمه فمرني أن أكتب إليك كتابا أعليك بكل ما هو واقع وأنه قد ساعدك عن كل ما مضى ورغب في حضورك وفوق كل ذلك فقد وعدني أنه سيصحب كتابي هذا بكتاب من آية بنفس هذا المعنى حائرا على ما يسرك . وعليه فاني أسألك أن لا تخرج مثل هذه الفرصة ولا تحذرك نفسك بأن تشاور طيفور وتطلعه على أمرك بل احضر حالا فهو مبنوض للبرانيين ولا بد لهم من قتله وبشفعه هذا يعمل على أن يوثق لك بالانتقال من مكان إلى مكان والاصرار على المداوة . أما الآن فلا يفيدك غير الاقتياد إلى عجة فيروز شاه والحضور إليه واطلب السماح منه على ما سبق فهو كريم حلیم يعتبر قدومك إليه من أعظم أسباب الفرح ترضية لي . وإذا أطلعت طيفور على أمرك وحكيته له ما أخبرتك به وانتقلت وإياه من هذه التواحي تصرفون العمر مشكتين من ناحية إلى أخرى وأخيرا تموتون بالاحزان غرباء مرفوتين من كل مساعد ونصير لأن غاية الفرس أنا وقد حصلوا على رصرت بأيديهم فالتزم أن أجاهرهم وأقبل يبعدك إذا رفضته أنت إنما أحزن العمر مكثرة من أجلك فاقام سعادتي وسعادتك متوقفة على قبولك وانسحابك من بين الرومان وإتيانك مع العيار الذي يرسل إليك هذا المكتوب والسلام عليك مكررة تقبل أيديك والسؤال منك بالحضور اليانفي نفس هذه الساعة أي الساعة التي تطلع بها على افكارنا .

ثم ختمت الكتاب وسلمته إلى فيروز شاه بأخذ منها وقد سر من كتابتها وعرف أنها عجة لايتها ترغب في حضوره وأنه إذا بقي غائبا عنها لا ترحح قط ولا يطلب لها الهناء وحسب ذلك منها فضيلة وكرامة وحسن طوية وتربية وأوعب قلبه فرحاً من أعمالها وقال لها لقد جعلك الله بكل الصفات وفضلك على غيرك من النوع البشري النسائي فأنت وحيدة بينهن . قالت اني اعرف في ذلك وليس هذه إلا بارادة الهية لأنه لا يقبل ان يهيي لك زوجة غير كاملة فوجدني على ما أنا عليه لأصلح ان أكون قريبة منك وأحسن في حبيك ويليق بي ان أقي العمر ملكة لفارس وقرينة لقبروز شاه فواد اجمابه من كلامها وبعد ذلك انصرف كل إلى فراشه بنام مراتها إلى حين اتيان النهار التالي .

قال وأما الملك فيصر وجماعته فانهم بعد ان رجعوا من القتال وصاروا بين الحيام وأمنوا على أنفسهم من الأخطام أقاموا يندبون حطوطهم ويتدبرون بأمرهم ولا يعرفون ماذا يفعلون . وما أقام الملك فيصر إلا القليل حتى جاءه منكروخان وطيفور وكان طيفور سار إليه وهو على غاية ما يكون من الحزن على أولاده فقواه وطلب إليه ان ينسى طهمور وان يصحبه معه إلى عاصمة الصين إذ لا بد لهم من المسير إلى هناك لأن الفرس قد توفقوا إلى الفوز والانتصار . ولما دخل منكروخان قائم له .

الملك قيصر على الالقدام وأجلسه إلى جانبه وترحب به وعزاه بولديه المتولين في ذلك النهار وبعد أن جلسا وارتاح بهما المقام قال منكوخان إني فقدت خمسة من أولادي في هذا الحرب وفي أفضلها على كل جيوش إيران وملوكهم واني حزين جدا على اخذ الثار ولا أعلم من أي باب يمكن أن أتوصل إليه حتى عرفت أخيرا أن عندك أسير منهم اسمه طهمور من أمراءهم فسرتني ذلك وأتيت أطلبه لآتيه عندي وأعذه به كل يوم بقدر جهدي تشفيا منه على ذلك يطفي لي بعضا من لوعتي واشتداد حزني . فاجابه الملك قيصر إلى طلة وأمر أن ينقل طهمور إلى صيواته وقال له اننا مكثرون لعدوك أولادك أكثر من كدرك عليهم لأنهم قتلوا ظلما بهذه الحرب فقمح الله الفرس وأهلكهم فكلهم فرسان وأبطال وما كان أعتنا عن مباشرة الحرب معهم وقد قتلوا الولد وحيدا وأحرقوا قلبي على موته فقال طيفور ان كل ما تان هو بقضاء وقد فابتك مات بسباح منه تعالى وكذلك أولاد سيدي منكوخان فانهم سيتلون شرف التقمص في الصين ويحوزون على أعظم جسدوا بره فيها ولهذا لا بد لمذكرخان أن يتمرى ويفرح . وبعد هذا الكلام دار حديث القتال وتدبير الحرب وما هي الوسيلة الثابتة فسدت في وجوهم الوسائل والأبواب . وأخيرا قال الملك قيصر اني أؤكد أن ثبات الفرس بفرسهم وأبطالهم ولا سيما بغهروز شاه وجزاد ومتى قتل هذان الاثنان عاد النصر الينا وقهرناهم وأدلتناهم وعندي أن لا فارس بقدر ينال على ذلك إلا ان كان تيمرتاش لاسيا وان له ثار على جزاد فاجاب تيمرتاش انه في الغد يتولى أمر القتال بنفسه ويرجع شرفه الذي أفقده لياه خصمه بأسره وقهره وهكذا انفرط ذاك الديوان يؤملون في الغد نجاح تيمرتاش على ان التقادير تساعد على جزاد وغيروز شاه فيقتلها أو يأسرها ويكون له السبق على غيره . وأما الشاه سرور فانه عادم من صيوان الملك قيصر وهو على ما هو عليه من الغيظ والكدر سمع ان الملك قيصر قد لعن السبب الذي أوجب وصول الفرس إلى بلاده ولام نفسه كل اللوم على ما سبق منه وعلى انتباهه إلى طيفور وجهه له واستماعه لكلامه . مع أنه في هذه الأيام تركه لوحده ولم يعد يجتمع به إلا القليل وإذا اجتمع به يظهر له كل عناد كانه لم يكن ملكه وهكذا كان قائما على تبيكيت الضمير والحق من حمله ومن طيفور ونفسه تميل إلى مصافاة الإيرانيين وهو لا يعرف السيل الاؤدى إلى ذلك ويخاف ان سار اليهم ينتقمون منه أولا يصفحون عنه وليس عتده من خادم أو حيار يركن اليه ليرسله إلى فيروز شاه يسأله العفو عنه ويطلب من بنته إذا كانت موجودة في الجيش أن ترفع خضوعه إلى الملك خضاراب وتسال له السماح منه . ولهذا كان كاحقر الناس ورعاهم فاقد الراحة والامن مبلبل البال بعيد الانصار

ليس في يده ولا بارة الفرد ولا خادم عنده يجده بأمانة بل كان الذين يأثونه بالآكل من الرومان قد عينهم له الملك قيصر منذ أول دخوله إلى تلك البلاد وخاف أن يمت بأحد أولاده فيصابون بمصيبة لم تكن في الجبال . ولذلك اجتمع بولديهما واستشارهما فيماذا يفعل . فقال له أن لا شيء ينفعنا الآن إلا الصبر على رحمة تعالى فإن الحرب قريبة النهاية فعددا أما نسل بأنفسنا إلى الإيرانيين وتكل على صفوفهم فإذا أجازوا كان أكراما منهم . إلا فلهم الحق أن يقتحموا منا كل الانتقام لأننا كنا السبب في هزاجهم وصدابنا وكل الأوم عليك وعلى طيفور هذا الحديث الذي بعد ذلك الآن واختار منكوخان وتواطى . وإياه فجازاه الله شرا على فعله . ثم إن الفاء سرور بات تلك الليلة مضطربا ينتظر ما نخبأ له في زوايا الزمان

قال ولما كان صباح اليوم الثالث ضربت طبول الحرب فاقبضت الفرسان ونهضت من مراقدها كحسب عادتها تطلب الحرب والقتال فركبت خيولها وتقلدت بنصولها وطلبت ساحة القتال واصطلمت من اليمن والشمال . وطوت على الهجوم على بعضها البعض وإذا بتمرتاش قد توسط الميدان وهو على جواده المعبود ولعب به على الأربعة أركان . حتى حير الحواطر والأذهان ثم وقف في الوسط وأشار إلى الفرسان إشارة الاستهزاء وقال أبعثوا لي ييزاد لأخذ لنفسى منه بالثار وأعصمه الحياة وأدهمكم تكون عليه طول الزمان . قال وما انتهى تمتراش من كلامه حتى فاجأ ييزاد لأنه لما رآه في وسط الميدان فرح به غاية الفرح واشتاق إلى قتاله ليعيده إلى أسرته أو يهلكه ويسدده هذه الدنيا ولما قرب منه صدمه صدمة جبار وقال له ويلك أجمس مرة ثانية أن تنازلي وتطلب القتال وقد شاهدت بعينيك ما حل بك ولولا ما غطصك انس الصفا لكنت دخلت القبور منذ شهر إنما أعادك الله إلى بين يدي هذه المرة لا تتقم منك ولا أبق عليك بموتك خير من أسرك . قال وما رجعت إليك إلا في نيتي أن الدهر لا يدوم لك فيومك قد مضى ويوم بالصر قد آنس ولا بد لي من أن أجازيك بنفسك فطعك . ثم انطبعا على بعضهما انطباق الأسود . ونهمنهما مات الفهود وأخذوا في الطعان والطراد . والتقربوا بالاعتاد والصراخ والصباح والقبضان بالحرب والكمفاح . حتى سبحت الخيل من تحتها بالفرق وأخذها الاضطراب والتلق وتنادى فوقها منادى المنيا . عبطا بها بجيوش البلايا والزيابا ووقف عمرائيل منتظرا قدوم أحدهما إليه لياخذ بروحه إلى عليها ولم تكن إلا ساعة حتى ارتفع فوقهما الغبار . وغشهما عن الأبصار وهما في أشد قتال وحرب ونزال . وكان تمتراش كاتقدم معنا في غير هذه المرة أنه من الصناديد والابطال المعدودين في ذلك الزمان والذين تضرب بهم الأمثال في كل مكان . ولهذا ثبت بين يدي ييزاد ثبات

الأسود لأنه عرف مقدار خبرته بالقتال وقوته في الجولان والزال فابدى كل ما عنده وأراد أن يوهم بهزاد ويرهبه ويوقه بالخوف منه فجعل يصيح ويهجر ويقتل من حكان إلى مكان إلا أن بهزاد كان قد أخذ عليه التفوذ قبل الآن . وعرف من نفسه أنه أقل درجة منه وأنه يعجز عن أن يخيفه فلم يحسب له حساب بل كان يقابله بالمثل ويفيض في حربه وقتاله ويبدل كل استطاعته في قهره وكيد وقد عول تلك المرة أن لا يتركه يبعد من أمامه إلا قتلا ليفتخر بفعله هذا على سواء من الأبطال الشداد . وكانت الفرسان من القرس واقفة تنظر النهاية وقد سار فيروز شاه إلى جهة الشمال في هذه المرة وعزم على الهجوم على عساكر الصين إذا انقضت الحال وذهبت المرحفة إلى الصين فوقعت هناك تنظر أيضا نهاية الحرب بين بهزاد وتمرناش لتنتهى أمر الباقين من عساكر الرومان الذين تركهم لما فيروز شاه وأما عساكر الرومان . وولون الفرج والتجاح ويطلبون من الله أن يقتل تمرناش بهزاد . وينال منه غاية المراد . هذا والفارسين في حرب قوية المقدار . تفتح من حوافر خيلهما شهب البار ويتطاير من افرندى سيفهما الشرار . وهما مظلان بذلك القبار . يترآن للانظار . كأنهما أشباح تبيل في تمام الاحتكار وما تنصف النهار حتى سمعوا صيحة اعتوت لها تلك السهول والوديان ومالت إليها الفرسان بالعيان وقائل يقول لمينيك يا فيروز شاه فارس فرسان هذا الزمان فانظر إلى عدوك وماذا يعمل به الآن . وهالك ضربة من بهزاد بن فيلوزر البهلوان بن رستم زاد ثم رفع يده الحسام وقد تمكن من تمرناش من الامام وتمطى بكل قوته وضربه به ضربة فارسية وقعت على درقته فسمع لها قرقة واحتكاك فاقطعت الطارقة وتطايرت من يد تمرناش ووقع السيف على رقبته بخفة هزاد وسرعة معرفته بفن السيف فاطارت الرأس عن الجسد وباسرع من لمح البصر رفعه برجله فاقامه إلى الأرض عددا كاه النخلة السحوق حتى اندمشت من عظم تلك الضربة الفرسان يواخذتهم الحيرة والانبهاث . ونظر بهزاد إلى جهة فيروز شاه فرجده قد صاح وحمل ليكمل بقية ذلك النهار وينزل على الأعداء نوازل البوار فصاح هو وحمل على القلب حملات الاسود وعلقت المرحفة مثله وفي الحال أمر الملك ضاراب بقية الاطال أن تحمل حملة واحدة فهبت أهدتها وانحدرت إلى ساحة القتال وانطقت على الأعداء انطباق العمامة السوداء وهي تصيح مفتخرة باسمها ولبقها فالتفتها عساكر الصين والرومان وما منهم إلا من قلبه من الخوف ملآن وجميعهم اقتنوا بالهلاك والقلمان والتفتيت عن الامل والحلان وقامت الحرب على ساق وقدام وقدام الشجاع ومهم وتأخر الجبان من الهلاك والعدم . واختلطت ببعضها تلك الطوائف والامم

قال وكان الملك ضاراب كعادته ينظر إلى الحرب ويتحدث مع طيطالوس بهجة
 بهزاد وقال له لولا أن أكون محتاجا أن أبقى واحدا من عائلتي ستمزاد في ديوانى ليكون
 كفارس بلادى وحاميا لا سيما وإن ابنى سيملك مكانى فلا يعود يقرب الحرب والقتال
 وفقا لشريعة الفرس إلا بعد الأيس والجهد لرغبة رتبة بهزاد إلى أن أسله هذه البلاد
 وأجسه حاكما عليها ومالكا فيها عروضا من قصر لانه يستحق أن يكون من ملوك العظام
 قال انى أفكر في أمره يا سيدى فليس له ثأن في هذا الزمان إلا أن كان سيدى فيروز
 شاه وقد تبينت من حربه مع تيمناش هذه المرة واختبرت عظم مقدرته فوجدت انه
 قد فاق على آباءه وأجداده بما هو إلا وحيد الزمان وفارسه وما جاء آخر ذاك النهار
 حتى تأخرت رجال الرومان كل التأخير وانسبطت تلك الأرض مفروشة من جنث
 قتلاها ومنغطة بالآدمية وعند اقبال الظلام ضربت طبول الاتصال ورجع الفريقان
 عن الحرب والقتال . وهما في حالتين متناقضتين فإن جيوش الرومان رجعت مقبورة
 مكموذة قائدة الحبل والقوى ورجال الملك ضاراب عادوا منصورين ظافرين فرحين
 بأعمال بهزاد وفيروز شاه الذى أهلك أكثر من نصف عساكر الصين وأكمل على أولاد
 منكوخان الباقيين لانه التقى بهما في الميدان وألحقهما بأخوتهما وتركهما عبدة لناظرين
 وابقى أباهما حزينين عليهما كل العمر . ولما رجع الملك قصر إلى ديوانه اجتمع اليه كل
 من بقى من فوساته وشكوا اليه ما لقبوا من الفرس وما وصل اليهم منهم وكيف أن قتلوا
 بهم قتل الأسود ولم يبق منهم إلا القليل . فقال لهم لولا انى اهل قبيحا إذا تركت
 عساكر الصين خارج المدينة لدخلت في هذه الليلة البلد وقلعت أبراجها وأتت على الحصار
 إلى أن أعقد صلحا مع الابرايين ومع كل ذلك فاقى في الفد أبست إلى الملك ضاراب
 وأطلب اليه هدنة في القتال لينبأ تكون قد أجريتنا صلحامه وأرضيناه على المصالحة والوفاق
 وهكذا انفقوا وأملوا الخير والنجاح والخلاص من هذه الحالة ومن أفعال تلك الحرب
 وأما الملك ضاراب فانه عند عودته إلى صيوانه تلقى بهزاد وشكره على فعله ومدحه
 كل المدح وأجلسه في مكانه ومن ثم جاءت الفرسان فتجمعت إلى مراكرهما وكل
 جلس في كرسيه ولما انتظم الديوان كعادته أحسن انتظام ووقف العباورون في
 مراكرهم في خدمة أسيادهم وإذا بدر قتات قد وقف بين يدى الملك ضاراب وقال
 له اهل يا سيدى انى أجريت ما أمرتني به في هذا النهار وراقبت الفارس الذى أشار
 اليه بهروز ردلى عليه وإذا هو نفس فرخوزاد وبقيت أراقبه إلى أن عرفت مقره في
 هذا المساء وفى أى جهة تاذل من عساكر الأعداء فهو يرد جيشا من البادية . ولا
 أعرف سببا لذلك فخرج الملك لهذا الخبر وقال لا بد لنا من احضاره الينا ومصالحته

مع أخيه فوقف هزاد وقال انى يا سيدى فى شوق عظيم لهذا الامر انا أريده من كل قلبى وانى منذ أول يوم أحبت أن يكون عندى وليس له فى قلبى أدنى بغض أو عداوة بل بعكس ذلك وعلى هذا فاق أساك الآن أمام هؤلاء الأبطال والفرسان وأدعهم أن يكونوا شهودا على انى انتازل عن هذا المنصب اليه وأعيش من تحت يده وبحسب ارادته فما هو إلا أكر منى سنا وله الحق أن يأخذ لنفسه المقام ويخضب إذا رأى قد نزعته منه وفوق كل ذلك فأرجوك أيضا أن تتم عليه ولا تترك مفتاذا ومكذرا وقد يكفينى أن اكون كبقية البهلوانين بل كبقية الدولة أقاتل عند الاقتضاء وأخدم سيدى فيروز شاه وقت السلم وجل ما أريده أن أرافق الصباح وفى المساء . فتأثر الملك من كلامه وتعجب من حسن طويته وصفاء باطنه . وقال له لقد أحسنت قولك وانى إذا جاء أخوك أنهم عليه مزيد الانعام ولا أدعه منكذرا قط إنما من صالح الدولة ونفع الأمة القارسية وأجابه اسم عاتلنكم وذكر آهاتك وأجدادك أن تكون رئيس بهلوانى على كنى وسيد هاو أمبرها وأستاذ رسانها فن اخبرته بهلوان كان ومن نزعته نزع ولك الحق بالامر والنهى على الجميع . وقد قلدتك فوق كل ذلك رتبة الملوك وناديتك بهزاد شاه ولا أرجع عنه قط وسيكون لك هذا القرب مقيدا وسأجعلك فى ديوانى دائما ولا أنسى كل الخدمة التى أمضيتها لى فى هذه الحرب وأخطتها لها وأريدك انى أقطعك ولاية من ولايات إيران تكون لك وفى يدك تذهب اليها أى وقت شئت وتقيم عليها الحكم والامر له من قللك ثم التفت الملك ضاربا إلى هزاد وقال أريد منك هذه اليلة أن تذهب إلى عساكر الأعداء مع بدر فتات وتدخل على فرخوزاد وتدعوه أن يعثر إلى ديوانى وذلك بعد أن ينام الرومان وأخبره انى عفوت عنه وسامحته ومثل ذلك أخوه هزاد فقد ترك له حقوقه ولا يسأله بما سبق من فعله فإذا جاء حالا كان له الخير والصلاح وإلا فاقى لا أعرد بعد ذلك إلى مسامحته وإذا وقع بينى حاكمة محاكمة المجرم وأحرمة من حلى وضوى فعذره من كل ذلك وانصحه . قال انى أكفل بحبه طائعا صاغرا نادما على فعله

وبعد ذلك قال فيروز شاه لايه انى أجسر يا أبى أن اتبس منك شيئا لا أظن تمننى عنه فما أنا إلا ابنك على كل حال وقد سبت لك ولجيشك هذا با واناما لولاي لما رسلتم اليها وقد كنت منذ أول عا قى عين الحياة أرغب فى تخفيف الاثقال والمتاعب عنكم فبر أن الدهر أخرجكم اليها وعتمكم لى حلتكم على عدم تركى وعلى معاضدنى ومساعدتى ولولاك ولولا حوك الأبو لى لأصابتى المصائب وربما كنت قد قتلت وأملكنتى الأعداء إذ انى اعترف وحسى لا أقدر على حل كل هذه

المشاق إلا إذا وافقت بركات أديتك المقدسة المقبولة عند الله تعالى . ففرقت دعة الحب في عين الملك خساراً ومسح وجهه بمنديل وقال له ماذا تريد فأبده فلا شيء يخرج عنك وإذا طلبت إلى أن البسك التاج الفارسي لفتت الآن بدي ووضعت على رأسك لآبك الحق به منى وهموم أهل فارس يطلبونه في الصباح والمساء وهم يريدون موتهم في خدمتك أفضل من حياتهم بعيدين عنك فأوجع غايتك ولا تحش بأساً بطلبك هذا . قال إني أطلب منك شيئاً ربما كان عندك أفضل من هذا التاج وعندى أنه أيضاً أحب منه وذلك أن أرجوك أن تكتب كتاباً إلى الشاه سرور تطلب إليه الحضور ليا وترك جيش الرومان وتظهر له عفوكم ورحمتكم وإني أعلم وإن كان في ذلك صعوبة طبعك أن تنازل مثل هذا العذر إلا أنه ترجع عن قسم أقسمته إنما محبتي أكبر شفع عندك بمثل هذه الصعوبة أى بإزالتها وعندما فرغ فيروزشاه من كلامه هذا رأى بنفسه على أقدام أيه ليقبلها فرغته إليه وقبله في جيبته وقال له وإني وإن كنت أخاف من إرجاع طلي بالحنية ومكابرة الشاه سرور وادتماعه عن الحضور إلا أجب طلبك أكراماً لك ولعين الحياة وحبا براحتك وراحتها وأعرف أن طيبة قلبها وحسن تربيتها وسلامة أخلاقها لا تطيعها على إيجاد أيها وقهره وذلك فرض عليها ففى عفة به مدفوعة إليه بالواجبات التي تطلبها منها الحقوق الأبرية .

ثم إن الملك خساراً أمر وزيره طيلوس أن يكتب إلى الشاه سرور كتاباً يقترضه به ويسأله السلامة والوفاء وأن يأتي إلى معسكر الفرس ويلفه عفو له ومساعدته عن ذنوبه فكتب طيلوس ما يأتي :

باسم الله الرحمن الرحيم الحليم العليم الكريم

من الملك خساراً ملك الأعجام وسلطانها وفاتح اليمن ومصر والشام وما خوالها

إلى الشاه سرورى نسبي وقريب وعم ولدى

أما بعد فإني أكتب إليك الآن بقلب صاف ونية سليمة لا بمقدولا بكدر ليكون مؤكداً عندك أى حتى الساعة ارحنى وأقبل إن تأتى إلى وتعرف بخطأك فترى منى غير مانظك وما يقوله لك المفسدون ولا أحب أن أطيل معك في العتاب والملام فانت اعلم ما سببت لنا من الانعاب والعتاب وما ألقيت على عرائقنا من الاحمال الثقيلة وما كلفتنا بأعمالك السالفة من قتل الفرس والابطال إن كان في حمراء اليمن أو في مصر حتى مرات عديدة كدنا بمحق عن آخرنا وتساعداً الإقدار وتدفع عنا الأخطار بسيف ولدى فيروزشاه كل ذلك لأجل زواجه ببتك حين الحياة وأنت تمنع وتدافع وترفض طلبه أما بخضا منك وإما إجابة لطلب المفسدين . حتى قدتنا إلى هذه البلاد وجرى لنا فيها ما

جرى وأرسلنا بد العناية إلى أن نُفكنا بأعدائنا وكدنا نفهم ونشتهم كل فريق بطريق
ولما كان وللى فيروز شاه قد صرف كل الجهد والعناية حتى أخرج بنتك من قلعة الحديد
وقتل انبوش بن الملك قيسر الذي كان يطلع نفسه فيها وتقلب بحسن حظه ومهارة صياده
بهروز على كل الصناعات والموانع وجاء بها إلى جيشي مكرمة محترمة عزيزة طلبت
إليه أن يصممها لك ويصنعك إليها ويترخاك لتأمن من جهنم المذاب إلى جنان الراحة
والراحة فوعدها كل الوعد وإنه لا يدع بابا من أبواب مرصاتك الا واستلمه لأنك
حموه على كل حال وأبو عروسة . وعليه فقد استشارني في ذلك وطلب مني أن
أكتب إليك أسألك المحذور إلى ديواني وأنت على غير الصفات التي كانت بك قبلا
أي أنه من الواجب عليك أن تفكر كل الفكر وتتأكد كل التأكداني إذا أتيتني
بفصوص نية وانتمت إلى ابني بينك زوجة ودقته عليها برصاك أعدتك إلى تمنك
ونسيت كل ما كان يتنا من الاتحاد والصفائين وإني بعثت إليك بهذا الكتاب
لأطلعك منه على صفوى منك وتركى كل ضغينة وإذا امتنعت أو حاولت غير ما
أخبرك به تكون قد أعطأت بحق نفسك وقتت ذاتك إلى المذاب يدك لأن
لا مطمع بعد للرومان بالنجاح والأمان ولا سبيل لخلاص من أيدينا وإذا
امتنت عن الاتيان والانضمام إلينا زفناها على فيروز شاه كيف كان الحال وتكون
قد أحرمت نفسك من الراحة التي تنتظرك والسلامة التي ترغب فيها والسبب الوحيد
الذي دعاني إلى بسم هذا الكتاب هو أولا الفضال بال عين الحياة من جهتك وعلى في
بكاء تمر من كل شيء إنما بعدك عنها وعدم الوفاق بينا يكبها وثانيا اني لا أرغب أن
أزف ابني على بنت من بنات سادات هذا الزمان كبنتك دون أن يكون أباهما حاضرا
او ينتهي الزفاف على الطريقة المألوفة عند الله والناس ونحن أجمعنا نرغب ذلك
وتطلبه ونريد حضورك بينا فاعقل إلى خبرك وارجع عن حبك

اتمى الجزء الخامس والعشرون وسيله الجزء السادس والعشرون

الجزء السادس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك خسرو

وأمر إلى نفعك وآت إلنا ذكرك ونساعك والسلام
وبعد أن فرغ بطولوس من كتابة الكتاب دفعه إلى الملك خسرو ففتحته
وسلته إلى ولده فقبل يديه وشكره وقد سمر منه كل السرور وصار يطلب منه تعالى
أن يأتي الشاه سرور ولا يتأخر عن الحضور . وبقى صاروا إلى أن أرفض المجلس وصار
كل إلى ناحية فدفع فيروز شاه الكتابين إلى فيروز وقال له أوصيك أن توصلها إلى
الشاه سرور وتسأله الابن ابنا وبلغه مزيد سلامي وكثر احترامي وإني أتعظه أبا
لا أقبل قط بأهاتيه ومثل ذلك أبي وابن عيني الحياة في شوق إليه . فأجابه إلى
سؤاله وقال اعلم يا سيدي أني مزعج أن أفعل في هذه المرة في جيوش الرومان
فملا يذكر بعد الآن ولم يدب بينهم قط من عيار عرافة فقد مات هلال وانقضت
عنه المخاوف ولذلك صاحب معي كل عيارينا . ثم إن فيروز دعا بطارق وهدر
نحات وشربك والأشوب وكردك وكمال العيارين والبسم ملابس الرومان وأوهز
اليهم بقائه ودبرهم بمعرفته وساروا من تلك الساعة إلى عساكر الرومان وتخللوا
وصار فيروز مع بدرقات وكردك إلى الجهة التي فيها فرخوزاد ووصلوا إلى صيوانه
ودخلوا عليه فاجتذوه من نومه فأتته وقال من أين أنتم فقال له فيروز إنا نحن من
جيوش الرومان وقد علم الملك فيصر بما أنت عليه من القوة والبطش ووصل إليك خبرك
فبعثنا إليك لتسير إليه في الغد فرفع منزلتك ويرقيك أعلى الدرجات . قال إن
لنذي بلغ الملك ذلك قد أخطأ وكذب فأنا قط بهذه الصفات . قال فيروز لا بد
من سيرك إلى الملك فلا تكابر فقد بعثنا إليك نعرض عليك طاعته قال اني
لا أرغب الحضور الآن ولا بعد الآن . قال اجعل ذلك أكراما لي لأنك صديق
وصديق مولاي وعمه وقد أوصاني كل الوصية أن أعرض عليك طلبه قال من أين
عرفك وأنا لم أرك قط قبل الآن ولا نظرتك عيني قال حتى هذه الدرجة أنسيت
من لازمك مدة طويلة ثم منع الثام عن وجهه فرفقه وقال له فيروز أنت قال أصبحت فقد
أرسلني الملك خسرو وفيروز شاه وأخوك بهزاد لا طلعك على رضاهم منك فقد عرف
أنهم بين أعدائهم فغافروا أن يلحق بك أذى فأحضر اليهم الآن وهم سماعوك

من كل ما أصدر منك وما منهم من يذكر قط محلك . وقد أوصاني الملك ضاراب
أن أقول لك أنه عفا عنك كل الغور ولم يقصد لك ضرا ولا يهاكمك على ذنبك هذا
إذا أتيت صافرا طائما الآن واعترفت بذنبك وخطاك وفوق رضاء عك وعفوه
ينهم عليك ويوصل أكرامه إليك ولا إذا التمت أصرا على عما كنتك وقاصك وحدى
أن تذهب الآن فما أنت إلا من أمراء فارس سائر على صفات كرامهم وما وقع
منك على سبيل الخطأ مغفور لك وعند ما خرجت الى الخارج تبغى سيدى بهروز شاه
وقال لي قل لفرخوزاد إني له بالانتظار وإني على نية ملاقاته في الغد بين رجالنا وهو
مزيد شوق إليك فلا تنسى حقوق الإخاء والمحبة التي كانت بينكما . فسقطت من أعينه
أدمع الذكري وقال نعم إني منطلي . وبجيم ولكني سأسير الى أمى التي ربيت في حجرها
وإني الذى أطعمنى من خيرات أنعامه فيقبلانى لأنى كنت ميتا فمشت وخلا فوجدت
وإني من هذه الساعة سأترك هذه المساكن وشأها وأرجع الى معسكرى وقومى
ثم نهض فلبس ثيابه وأخذ سلاحه وسأل العيارين أن يسيروا معه فقال له بهروز
سر أنت وحدك فما من خوف عليك قط من أحد فأتنا سنخفى مهام أخرى ولا
نحب أن نأتى هذا المعسكر ونرجع منه بدون أن نؤثر فيه فانتظرنا في أول جيوش
الفرس فقال وقمكم انه الى طلبكم وسار الى جهة الجيوش فتقدموا هم الى جهة خيام
الملك فيصرف فوجنوا صيوانه مضروبا في الوسط فصرفوه من ارتجاع العلم فوجه
ومن حسن اتساقه وانتظامه وجاء بهروز من ققاء وقلع الوتد المضروب عليه وأسل
كاللهي الى الداخل ودار في جهاته من ناحية الى أخرى حتى وصل الى المكان
النائم فيه الملك فيصرف فاستل خنجره وضربه به في صدره فخرقه وتركه مضرجا بدمائه
مقتولا وخرج بأسرع من البرق وقصد صيوانا آخر من الصوارين الكبيرة فدخله وإذا به
صيوان الشامسرور فابقظه من نومته وقد فرح بهذا التوفيق والتسليم فارتعب الشامسرور
وخاف لأنه كان في تلك الأيام محرونا كثيرا يخاف أقل الأشياء لا يعرف كيف يبغى أن
يتصرف وهو محترمهمان حزين . فلما استيقظ شائفا سأل بهروز ورداه من أتم فقال له
يمن عيارون الفرس . فزاد خوفه وأرتبك بأمرة وأيقن بالهلاك وقال أما بجبرتك
لا تفعلونى ضرا ولا تصعدونى شرا بل خذونى الى سيدكم فإذا عفى عنى كان كراما
منه وإذا قتلتى فاقتل هناك جواز على فعلى فقال لا تنف فما أتينا إلا لطلب إليك
المسير الى جيوش إيران الى حضرة الملك ضاراب قد عفا عنك وأبيناك بكتابين
أحدهما منه والآخر من حين الحياة

ثم انهم دفعوا اليه الكتابين فاخذهما وقراها وسر مزيد السرور وجعل يقل
الأرض ويشكر الله وقال اتى أقبل أن كون عبدا عند رجال الفرس ولا سيدا
[١٤ - فيروز ثالث]

عند غيرهم وقد كنت متفوشا فها هم بالحقيقة إلاكرماء العالم وفضلهم في هذا الزمان
وهالك من هذه الساعة أسهر معك أرمي بنفسى على اقدام ولوى فيروز شاه وهو يقبلنى
لأنى أعلم أنه يقتل على كالسجة الضالة ليرجعنى اليه ولا يسأل عن ذنبى . قال له
بهروز لقد أصيب في صدرك إليهم فاتهم يكرمونك وتكون أنت السيد بينهم وامرك
نافذ عليهم أليس أنت أبو عين الحياة وهى الآن مالكة الفرس باجمعهم وامرهم نافذ
فيهم كلهم كونها زوجة فيروز شاه وهو بمنزلة المعبود عند قومهم فنفذ معك أولادك وسر
من هذه الساعة ولا تبلى . فط لأن في الغد لابد من الاستيلاء على هذه المدينة وعلى كل من
فيها بعد إخراجها كمة كل جان وقيل كل مدافع فكن عليهم أنت ممن يحكمون ولا تكن ممن
يحكم وما مر مطيع بعد لرجال الرومان أو لغيرهم بالنجاح والقوز .

قال لى أعرف ذلك ولى عدة أيام أطلب من الله الفرج والخلاص من هذه البلاد
ومن بين هؤلاء القوم لأنهم أسطوا مرقدى جدا وأبولونى منزلة الاحترار والازدراء
ولاسيا وزيرى طيفور الخبيث . قال سمرأت مع بدر فثات وعن سنذهب إلى صيوان
طيفور فنقبض عليه ونأخذه إلى ملكنا فعمل به ما يستحقه . قال ان صيوانه قريب من صيوانى
إلى جهة اليمن .

قال إننا لانضج عنه بل اعجل بالمسير وسر أماننا خوفا من أن تتعوق فيقع بك غيرنا
لأن الجيش الرومان علو الآن من العيارين يعثون به ويقتلون فى امراته وفرسانه
ولا يقون منه أحدا . فمضى الشاه سرور فى الحال وسار إلى أولاده فأيقظهم وطلب
إليهم أن يتبعوه فأجابوه وساروا من خلفه وأمامهم كودك اليارليخج بهم من الجيش
ويوصلهم إلى الناحية المقيم فيها فرغوزاد على الانتظار وسار بهروز وبدر فثات إلى
صيوان طيفور وما وصلوا اليه حتى شاهدوا طارفا خارجا منه وساءلا طيفور
على أكتافه وهو مبعج ومكتوف الأيدى فرقه بهروز وقال ماذا فعلت بطارق قال أنه بعد كل
عمل مع رفاق الأثوب وشيرونك فأتى بعد أن فارقتكم دخلت إلى صيوان كبير فاذا به
الوليد ملك مصر سيدى الأول فارقت به وقتك وأعدته الحياة فسرت منه إلى
غيره وإذا بأحد أمراء الرومان ففعلت كذلك ومثل هذا فعل العيارون فاتهم ففرقوا
وأخذوا يقصدون الخيام المتارة ويقتلون سكانها وهم فى أمان إذا ما من عيار قط
يجول يخاف منه ويحس له حساما ومن ثم جئت أنا إلى هذا الصيوان فوجدت هذا
الخبيث المحتال طيفور ظم أقبل أن أقتله بل سميت فى أسره فنجته وحمله على عاتقى
بعد أن ربطته بالحبال وهما ما أخذه إلى حضرة سيدى الملك ضاراب لعلنى أنه يرهب
فى أن يقتله أمام عينيه وهذا الذى فعلته هو تطبيقا لأمرى وما أوجزت إلينا به قال
حسنا فعلتم ثم كروا راجعين إلى جهة معسكرهم ودأبوا فى المسير حتى خرجوا من

هساكر الزومان وجاموا هساكر ايران فراو فرخوزاد وانشاء سرور واولاده وسائر
العيارين بالانتظار قرح بهم بهروز وسار إلى جهة فيروز شاه يطلعه على ما وقع لهم
ويقدم له معه الشاه سرور وفرخوزاد .

قال وكان فيروز شاه بعد مسير بهروز من عنده سار إلى صيواته ودخل على
عين الحياة فوجدما مع جهان أفروز بانتظاره كالعادة لحياهما وجلس بينهما
مدة وهو في حط وانسراح ومن سأله عين الحياة إذا كان بك الكتاب إلى أبيها قال
بعثته مع عياري وأرسلت أيضا كتابا من أبي يدعوه إليه ويعدّه بالأكرام والانعام
واني على يقين ثابت أن أباك وأخوتك يأتون هذه الليلة إلينا ولا يمتنعون قط قالت اني
أشعر بذلك وحضري يقول لي به وعليه فاني حولت أن لا أنام هذه الليلة قبل أن يأتي
بهروز بالخبر اليقين . فقال لها إليك مارتعنين ثم صرف جهان أفروز وقال لها اذهبي
إلى فراشك الآن راني سأقي مع عين الحياة بانتظار أبيها وأخوتها أو بالحري بانتظار
العيارين لئري بعد عودتهم ماذا فعلوا فاستكثت وذهبت وبقيت عين الحياة مع فيروز شاه
يتحاطبان الخمر ويتشاكيان الحب والغيام وقد قال لها أهل كنت تظنين أن الدهر يسمح
لنا بمثل هذا الاجتماع ونحن على أفراد خالون من الحسود والرقب قالت اني كنت
أنتظر مثل هذا إنما لم أكن أصدق وقوعه وحتى الساعة تراني غير مصدقة بالحالة التي
أنا فيها وبالنعم الحاصلة عليه والسعادة الواقعة فيها ولا أعرف من نفسي أني يقظة أنا
أم في منام رهل من أكله هو حيي أو خياله الوهمي نعم 'إن لذة ساعة من اجتماعي بك
في هذه المدة قد أنستني الماضي وما به وما لاقته منه كآني لم أنقلب بفراق ولا يبعاد
ولا قاسيت عذابا ولا أتعابا قال ان ذلك منتهى غايي أن لا يفكر أحدنا بما مضى فان
الدهر كثير القلب حاربنا مدة ليست بقليلة وجار علينا جورا عظيما إنما كان لا يصل
إلي منتهى جورده وظله بل كان براعي جانبا والآن أراه قد وافق على مساعدتنا لما رأنا
تثبت أضراباته وشداته ولا وقع عندها فافرحي وسري وكوني أمينته من الآن فصاعدا
فها هو عن يدوم على حاله بل إذا جار في الاول وفي بالآخر إذا وفي بالاول ظلم بالآخر
ثم داما على مثل تلك الحالة يتشاكيان الحب ويتحادثان بالفرام وأصله وفصله إلى أن
دخل عليهما بهروز وأخبرهما بوصول الشاه سرور وأولاده فهض فيروز شاه مسرورا
ومثله عين الحياة وركضا إلى باب الصوان وإذا بهم قد دخلوا فلقياهم بالترحيب
والأكرام وورمت عين الحياة بنفسها إلى أبيها تقبل أيديه وتبكي من عظم فرحها ومسررتها
وكذلك فلتت مع أخوتها وقبلوها وسروا بها وسلموا على فيروز شاه وسلم عليهم وأدخلهم
إلى الغرفة التي كان مقبلا فيها مع عين الحياة وأجلسهم إلى جانبه ونما فرحه عندما

شاهد فرخوزاد أيضا وحنا بالسلامة وقال له اني كنت من أهلك على مقالى النار ولا
تظن أن أحدا هيرى سيلوك على فطك لأن أبى وأخاك أصرا أن لا يذكر شيئا مما رفع
غير أبى أحب أن ألومك لحي وموآخاك لك وقد كان أخرى أن تأتى إلى وتطلب منى
كل مافى ضميرك فانيلك مرادك ولا أدع فى نفسك حاجة . قال انى عرف من نفسى
خطأى وجريمتى ولذلك جئت معتذرا مفساما فكن أنت السبيل الوحيد لتفدىنى
لايك قال لا بأس عليك . ومثل ذلك قال الشاه سرور وقال انى أعرف بكل ما وقع
منى وبكل ما أوصلة اليكم من العذاب والاصاب غير أبى أعترف الآن بذنبى وأطلب
تلك أن توصلى إلى أيك وتساله الغفر عنى شفاها وأن يقبلنى دخيلا عليه . قال أنت
الآن فى صدر رجال الفرس والآمر والهاى فيهم وما من أحد يعتقد عليك أو يعضى
لك أمرا الست أنت سبب حلة وجود عين الحياة فيهاذا أندر أن أكافئك فكن براحة
واعتبر نفسك أنك بين الأجمام بمنزلة الملك ضارب لابل نفس أبى المذكور يراعيك
ولا يردك طلبا كأنك الأمر عليه اكراما لبنتك عين الحياة التى هى بعد قليل ستصبح
زوجة لانه وملكة كل فارس واليمن ومصر وارومان أى على أكثر من نصف الكرة
الأرضية وما من أحد الا يرى من نفسه وجوب الطاعة لها . فمر الشاه سرور من الكلام
وتقدم منه وقبله . وقال له بالحقيقة أنت انى وصهرى المستحق الاعتبار والاكرام . فلما
سمع فيرور شاه كلمة صهرى وابنى شعر من نفسه بحاسة الفرح ومثل ذلك عين الحياة وما
كانت قبل ذلك تصدق أن تسمع من أبيا مثل هذا الكلام وشكرت الله على هذه المنة العظيمة
وأحسنت من نفسها بسمادة فوق العادة لأنها قدرت أن تجمع بينه وبين أبيا وتصلح بينهما
وترفع الاحقاد والضنة ان التى كانت كامة بينهما حتى حصلت عليه وتلك بأقرب وقت بعد
وصولها إلى يد حبيبها

ثم استعاد فيرور شاه من عياريه . اكان من أمرهم وما فعلوا فى جيوش الرومان
فأعادوا عليه كل ما كان من حالهم وأهم قتلوا الوليد الملك قيصرو سائر الملوك
والأمراء والفراد الذين تجمعوا فى ذلك المكان وجاءوا بطيفرور أسيرا مقيدا وعند ما
سمع منهم هذا الكلام كاد لا يصدقه وقال أين هو طيعور الآن قالوا هو مع طارق
العيار علفظ عليه ينتظر أمرك ليدخله عليك . قال انى لا أريد أن أنظره الآن بل
من الواجب أن أسير بكم إلى أبى تطلعه عنى على ما أجريتم وما فطتم فى جيوش الرومان
من قتلتم ومن جنتم . ثم سار أمامهم وكان الوقت اذ ذاك آخر الليل ولم يبق الصباح
الا نحو ساعة من الزمان ودخل عليه وأيقظه من نومه وجيهم من خلفه يسيرون .
ولما استيقظ الملك ووجد ابنه والياري والشاه سرور وأولاده وفرخوزاد وأمرهم أن

بجملته وبكت فأحضر طيطوس وبزاد ودوش الرأى وجماعة الأبطال والفرسان الحضروا
بأجمعهم لا يعرفون السبب الموجب للطلب في مثل هذه الساعة ولما انتظم الديوان أصلح بين
فرخوزاد وبزاد . وأمر الأول بثوب ملكي كأخيه وقال من حيث أنك ابن فيلوزور
وأخ لهراد فأرفع ربتك الآن واسألك عن كل ما صدر منك كونك قد سمعت أمرى وأنت
حالا مع عيارى ولولم تحضر لعلت أنك عاص فوجهت بكل انتقامي ضدك وانزلت عليك
أشد قصاصي غير أنه يظهر لي أنك نادم على ما وقع لا يمكن رده . فقال فرخوزاد انى قد
أخطأت بحق أخى بزاد وما ذلك الا من فعل الشيطان فقد وسوس لى حتى قدمت
لارتكاب جريمة من أكبر الجرائم وأى شئ أحب عندى من ان ارى أخى وأمر الناس
لدى سائدا على الجميع اليس هو خليفة ذاك البطل السعيد الذكر الذى ربانا على الحب
والوفى قبح الله الجهل وعدم التبصر وهأنا معترف بذنى شاعر بكل ما وقع منى من الخطأ
فتحرك الحب الاخرى الصحيح وقلب بزاد فالتفت إلى من حضر وقال إني لا أنذكر ان
أخى فعل منى شيئا يستحق ان ألومه عليه وأغضه ومعظم ما وقع بيننا انى تجاوزت عليه مع انه
أكبر منى وول مهدانى وقد قبلت المقام مع انه كان من الواجب تركه فهو ميراث ابيه
الخصوصى والآن أشهدكم كل جمعا انى تنازلت له عن المقام واسال سيدى الملك خراب
صاحب الرحمة والكرامة ان يقبل ذلك ويمتدأنى لا ازال فيه حيث انى في خدمته إلى الابد
ولا يحرم أخى من نصيبه . فاعترض فرخوزاد وقال لا اقبل مطلقا ان انزع منك مقاما
انت احق به منى والبقى عليه ولو هما جرى واسال الملك ضارب سيدى ان لا يسمع مثل
هذا الكلام . فاجاب الملك ضارب ان المقام قد وجهته منذ الاول الى احدكما بزاد ولا
يمزل منه قط الا بإسماح من الله ومع كل هذا فانى لا ترك فرخوزاد بل اطلب ان يكون
شريكا لأخيه فى الرتبة والرأى الآن الى ان يهدأ بنا الحال ويروق البال فأوجه اليه بقطيعة
يصمق فيها مع زوجته انوش التى خدمت جيوشنا خدمة الأبطال الأشداء فهو افضل بنت
استحققت مثا الوفاء والانعام والاعزاز والاكرام . ثم البس فرخوزاد ثوب الملك وهناك
به الجميع وفرح بكل ما وصل اليه من الانعام وشكراه على بقاء اخيه سالما ولعن افعال الشر
والحدة التى صمت ابصاره فلم يعرف واجبات الاخاء ومثل ذلك كان بزاد وقد فرح
بأخيه وبرجوعه كل الفرح

قال وبعد ان أصلح الملك بين فرخوزاد وأخيه قدم منه الشاه سرور وأولاده
وانعم عليهم كثير الانعام وقال لهم انى لا تبخل ان اعبدكم الى بلادكم واطوائكم وان
كان ما وقع منكم هو على سبيل العناد والغيظ وما قد ضوت عن كل صفواتكم وبدلتها

بالرحاء. والشكر من اتيانكم إلى ودخولكم على وهذا أحسبه من تمام السعود والخطوط
الراجعة لراحة ولدى وهناء فوقف الشاه سرور وبكى بكاء الفرح وقال أرجوكم
ياسيدي ان تقبلني عبدا عندكم فقد كنت في جهل عظيم وكان قضاء من البغض يستر
أعيني قد أوجده في طيفور واني منذ الأزل كنت انظر إلى فيروز شاه نظر الحب
والميل وكلما ابدته إلى فيفور لامي وعفتي ونسب إلى الجبن والخوف وعدم الشرف
وكنت اظنه ناصحا لي بما خبى ولا اعلم ان ذلك ناتج عن بغض في قلبه وحسد كون
صمى فيروز شاه لم يطلب مساعدته ومسامحة بمثل هذه الناية وعليه فاني مدين لحكمكم
وعدلكم وورقتكم وكرامتكم وكان يخفي جدا انكم لا تبغون على إذا لجئت اليكم فكنت
أصدق ذلك لعلني بما جئت يداي عندكم وليس عندي الآن ما أقدمه لكم إلا الشكر
والثناء . فاني عليه الملك ضاراب وقال له دح ذكر الماضي فانت إلا صرت واحدا منا
ومما قليل يتصل النسب بينا ويختلط الدم ويكون لك طينان الحقوق النسبية ما يدهونا
إلى السعي خلفه ولا أنكر ان ما كنت تبديه انت من العناد والحقد ضد مملكتي ضد
ابني فيروز شاه كانت نفسه ابنتك حين الحياة بحكمتهما وتبصرها بالوفاء والحب .

وبعد ان فرغ من الشاء سرور واجلسه إلى جانبه طلب ان يتقدم إليه العيارون
ويعرضون عليه ما كان منهما أثناء دخولهم إلى معسكر الرومان وما وقع منهم هناك
فتقدم إليه فيروز وشرح له مفصلا كل ما كان من امرم وما فعلوه في الرومان وانهم
ذهبوا الملك قيصر ووزيره وامراه وكذلك الوليد حاكم مصر وان الأعداء سيصبحون
هذا النهار بحزن وكدر والدم متوجعين بما أصاب ملوكهم وساداتهم واخبرك أخيرا ان
طارق العيار قد جاء بطيفور معه وهو ينتظر امرك ليدخله طيك فسر الملك ضاراب
مزيد السرور وقال هل لم يقصد احد منكم عساكر الصين قال كلا لأنها منفردة لوحدها
بعيدة عن الرومان قال وهل تقفرا على خبر لظهور قال لم يكن قط بين الرومان ولم
نعلم بمكان وجوده فقال اني لا أنكر لكم هذه الخدمة وامر ان يدفع لكل عيار ثوبا
مزركشا وخنجرا مرصعا والى دينار من الذهب فسروا مزيد السرور وفرحوا بهذه
نعامت القزيرة

ثم امر ان يقدموا إليه طيفور فجاءوا به مكتوفيا وواقوه بين يديه فقال
له ماذا رأيت بنمسك أيم الخائن العشاش قد قرب الله يوم مصرعك هل يد من
كان لولا احمالك الشريرة ؟ كم راجلك العطايا غير انك لست عن بكرمون لا تستحق
إلا الموت والعذاب فاجاب بجملة اني اعرف ياسيدي ما انا عليه واؤك كدان كل ما فعلته
توجبني عليه الانسانية وحقوق الخدمة واذا كنت ترغب في قتل تكون قد ظلمتني وما رعبت

المدل والحلم ومع كل ذلك فان كنت أنا من يظلم فما أنت من يظلم فارضى بي واعلم انى
 أمين على خدمة سيدى وما فعلت إلا ماوجب على فعله . وماطلبت قط مرة من سيدى
 الشاه سرور ان يصير على عداوتك إلا بعد ان يبدى لى كل افكاره ويظهر لى انه يرضى
 خيها وماأنا على كل حال إلا وزيره وملزوم بمراعاته فقال الملك خاراب انى لا أقتلك
 حالاً أثبت عليك ألوف من الخيانات التى ارتكبتها ضدنا وسوف أعين لجنه خصوصية
 لحاكميتك والحكم عليك بما ترتأه قال وانى اشتبهى من هذا الامر لا ثبت براءتى وعدم
 خطائى وانى لست المسئول ضدكم ومن ثم امر الملك ان يؤخذ الى تحت الحفظ وان يقام عليه
 عيار مخصوص لا يخرقه الى حين النهاية من الحرب فينظرون فى امره ورفع الى خيمة
 خصوصية واقاموا عليه بدرجات وبعد ذلك قال الملك خاراب لرجاله الآن وقت
 النظر فيهاذا نفعل لأن النهار قد اقبل ولا يمكننا إلا ان ننهى بقية العمل فى هذا النهار
 فنفرق هذه الجيوش ونستولى على المدينة دفعة واحدة وانى اوصيكم ان من يدخل منكم
 المدينة لا يضرب أحد ولا يؤذى أحدا ومن اضر من اتباعكم أحد اوقت التأمين فعاقلوه
 بالضرب والقتل . ثم انه فرق عساكره الى فرق واقسام وامرها ان تدفع على الأعداء
 دفعة واحدة فمن قارم قتلته ومن اطاع تركته وامر أيضا ان تضرب طبول الحرب
 والكفاح تنذيرا للقوم بالمحجم .

قال وكان الرومان غير هالين بما حل بهم الى الصباح وفى الصباح دخل على الملك
 قيصر امين اسرار وبعض خدمة فوجدوه فى فراشه والنم يسيل منه الى الارض وقد
 تنطلى وجه الفراش منه فعلوا انه مقتول فصاحوا وناحوا وبكوا من شدة التعرق
 وجهرى فى مثل ذلك فى خيمة الوليد والوزير رادفع الصباح من كل ناح وشاع خبر
 قتل الملك قيصر وانتشر غزن الجميع وبكوا . بطوا ان امرهم قد آل الى الخراب والدمار
 ووصل الخبر منكوخان لجنفل وأرتاع وسأل عن طيفر فقيل له انه مفقود لا يعلمون
 عنه خبرا ثبت لديه تحريق الجيوش فى ذاك النهار وانهم لا يثبتون أكثر من ساعات
 قليلة ولهذا دعا بأبطاله واوصى فى معسكره ان يتيسروا للهرب عند اشتداد القتال وقال
 لهم قاتلوا نحو ثلاث ساعات ثم انضموا الى بعضكم واقصدوا الحرب شيئا فشيئا والتأخير
 من الطريق التى جتت منها وانى سأفعل بالأعداء فعلا اجعلهم يتأثرون منهم سلم ظهروهم
 الى جماعة من الفرسان واوصاهم بالحفظ عليه وان يكونوا فى مؤخرة المعسكر حتى إذا
 اخفوا فى الحرب يكونون هم فى الاول وبعد ذلك دعا بمائة فارس من فرسانه الأشداء
 وقال اريد منكم عند اشتداد القتال ان تراقبوني دائما ولا تبعنوا عنى وانى فارس وقع
 امامى الى الارض فاتخذوا عليه وكفهوه ومن طاولنى وطاولته فى القتال وثبت امامى

صويروا سهامكم الى جواده فاقبلوه من تحت رمتى وقع الى الأرض لو تقوه فاني احب ان تلقى منهم الفرسان واصحبهم معي الى بلاد الصين واجعلهم في حرقة عليهم كي يهربوا على المسير الى تلك البلاد . فاجابوا طلبه ولما سمع صوت طبول الفرس ركب فرسانه ودورهم اعظم تدريب ورتبهم اعظم ترتيب وامرهم بكل ماخطر في فكره .

قال وفي تلك الساعة ركب جيش الفرس على انهم ترتيب وانتظام وكل فرقة سارت الى ناحية وبعضها قصد ابواب المدينة وهجموا هجمة واحدة وفي مقدمتهم أسد الاساد وفارس ميسدان الطراد فهود شاه وهزاد وبقيّة الفرسان الاجواد واقضوا على قوم الرومان اقتضاى الاسود الكواسر فالتزم الاعداء ان يركبوا ويأشروا الحرب والقتال وهم على آخر نفس من معانة اليأس والاحزان وقطع الرجاء ولم يكن الا القليل حتى اختلط القوم . ودار بينهم دولا ب العرب واللعان . وكثر القيل والقال . بين الفرسان والابطال . وكان يوم عظيم الاهول . لم ير مثله على الرومان من قديم الاجيال فيه ذاقوا الهلاك والويل ولعب بهم لاعب القناه والدمار وأورثهم موارث المصائب والوار وسدت في وجوههم طرق الحرب والقرار فلم يروا أوفى من أن يسلبوا بأنفسهم ضحايا الى سيف أهل إيران ويختاروا لنواتهم الموت والقلعان وحمل الله قلوبهم عن طلب العفو والامان فذهبوا ذرى الارياح وحلت المصائب من كل ناح وجودت الفرس فيهم الضراب وأنزلت عليهم أنابيب العذاب وتركزت فيهم أنرا لا يحى الى يوم الحشر وذكرنا يذكرونه من بدم طول الدهر فأعتمدت في صدورهم نصولها . وألبست أضعاف جماعهم حوافر نعلها . وأما منكوخان بن ملكوخان . الكافر بدين الديان فانه تلقى العرق التي جاءت نحوه فقلب أقوى من الصوان وجاولم مدة من الزمان . وجعل يتأخر أمامهم الى الورا شيئا فشيئا برجاله وأبطاله وفرسانه وهو يصول ويحول . ويهجم كالغول . الى أن وقعت عينه على قادر شاه وهو ينقض على الابطال والفرسان . كأنه فرح من فروخ الجان . ويضرب ضرب الابطال والقصمان فمال اليه واقض عليه وأخذ سلسلة من الحديد بها عدة شناكل وأرسلها نحوه بحفة أسرع من لمح الصر فوقعت تلك الشناكل على زردته فطقت أطرافها فاجتذبه بقوة ومقدرته والقاه الى الأرض وإذا برجاله الذين أوصاهم أن يصحروه قد اقتضوا عليه وأوثقوه كئنه وأرسلوه الى المؤخرة ليضم إلى طهرهم هذا وعساكر الصين تأخر شيئا فشيئا كما أوصاهم ذام يصول ويحول من مكان الى مكان حتى وقعت عينه على جهنم فلي يطارد المسافر وطعن بها فقاهاه وفعل معه مثل ما فعل مع

قادر شاه ورماء بالشناكل إلى الأرض دون أن يقرب منه أو يصل إليه فأوقفته الساساكر
وعضته إلى رقيقه هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . بين تلك المجموع والامم
لا يعلم الفارس ما حل بأخيه وما جرى عليه وما صار فيه . وتبقى منكوخان يحاول أن
يرى فارسا آخر يفعل به ما فعله بخيره فقادته الصدفة إلى أن التقى بسيامك سيابا وهو
يزيد تيران تلك الحرب اضطراما ولها . ويضرب بسنده الابطال والفرسان فيمدهما
على بساط الصحصان . كأنه الأسد الكاسر أو الذئب الجارح فالمنكوخان إلى محوره
ورفع السلسلة إلى الهواء ورمى بالشناكل عليه فسمع سيامك صوت خشيها ومال
بنظره إليها فوجدما نائلة إليه فمال عنها وتستر منها بدرقه وصاح في منكوخان واقض
عليه وهو مندثر من غيبته وبما يقاتل ولما رأى ذلك العيين أن عمله قدخاب عمد إلى
سيفه فاخترطه والتقى سيامك وكان من الابطال الشداد فاقع بينهم سوق الحرب والطراد .
فافرقا والتحما وصاحا وهما ووقع بينهم قتال شديد يفك الزود التعيد . وبينما هما
على مثل تلك الحال وإذا برجال منكوخان قد عمدت إلى النال وصوبتها إلى جواد
سيامك ففتكته ووقع إلى الأرض فاقتض عليه الصينيون بأسرع من لمح البصر وألقوه
وشاهد رجال سيامك ما حل بأميرهم فهاجوا وماجوا وانحنوا على الصينيين يطلبون
خلاصه فاشتبكوا ببعضهم أى اشتباك . وحل عليهم سلطان الوبال والهلاك . وقتل من
الفريقين قوم كثير . وانفجرت منهم الأدعية كالماء الغزير إلا أن منكوخان لما رأى
صعوبة الحال . وأن لا قدرة له على الثبات في المجال . اكفى بمن أسر وأشار إلى
عساكره بالحرب والانفلال . فألورا هنان خيولهم وألقوها إلى جهة بلادهم يرتججون
الخلاص من أولئك الأسود الزائرة والذئاب السكاسة . وتبعهم رجال الفرس
يضربون باقتيتهم إلى أن غابوا عن تلك الأرض ولم يبق لهم أثر فيها ومن ثم رجسوا
عنهم عن بعد أن أهلكوا أكثر من نصفهم وهم يتحسرون ويحترقون على غياب
سيامك وطلوا بأسر قادر شاه وجمندار قلى وكان الملك ضاربا قد أباد بساكره
عساكر الرومان وشكتهم في كل ناحية ومكان وأهلك منهم قسما كبيرا لا يدرك مقداره
وتكومت أكواما من جثثهم بما يدهى أشد القلوب قساوة إلى الرحمة والرفق وبعد
ذلك أمر بضرب طبول الرجوع عنهم لما وجد أن لا بقية فيهم . وكان فيروز شاه قد
توصل إلى باب المدينة فتح الدخول إليها إلى أن هذا الحال وراق البال وبطل الحرب
والقتال . ومن ثم بمث بباريه إلى الاهالى يخبرونهم بموت ملكهم وأمراده وتشتيت
فرسانه وأبطاله وأنهم ان أطلعوا حقا عنهم وأعادهم إلى أمانكنهم كما كانوا والادخل
بالمساكر إلى المدينة وأهلك كل من عصى ومانع فارتجف الاهالى وخافوا سوء المسير

ولم يروا أبدا من الطاعة فخرجوا من مساكنهم ووضعوا المتاديل في رقابهم وجعلوا
يصبحون الامان الامان فأمرهم فيروز شاه أن يتقدموا إلى جهة أيعر كان الملك ضاراب
قد أقام في صوانه فتقدم إليه أعيان المدينة ودعروا له بالنصر والاقبال وقدموا له
طاعتهم وقالوا له اتنا لسنا نحن رجال قتال . بل رجال أموال فمن تزوج بأمتنا صار
عمننا وما قد أتيناك طامعين فان عوت عنا بقينا في طاعتك كل العمر وإلا فانت حران
تفعل بنا ما تختار وليس فينا من يقدر على مقاومتك وعنادك لانك الرجل الوحيد الذي
اختصك الله لنفسه وأهد اليك بالنصر والظفر وان ترعى عباده بحلم ورافة . فطيب
بمحاطهم وقال لهم لا تخافوا قط من ضر ولا من أذى لما أنتم الآن لامن رعيا دولتي
وقد دخلتم في حوزتي فابقوا في أمانكم على البيع والشراء والاختار والمطاء . ومن اذاكم
أو فعل معكم قبيحا أطلعوني على أمره لأملكه وأعدمه العياة ومن من قومي أخذ شيئا
كان جزاءه القتل لان المساواة مستول بها من الله فلا تفكروا بسوء فاني أحلم عليكم من
ملككم الذي ذهب يومه ففكروه على قوله وسروا من عدله ورحمته ودعوا له بطول
العمر والعز والبقاء وعادوا من بين يديه مسرورين وفرحين جدا وهم يقولون لبعضهم
ان مثل هذا الملك يجب أن يفوز ويسود لانه عادل وحليم والله يحب الذين مثله فلا
يقطع لهم من النصر رجاء . واما الظالمون فينالون جزاء ما يفعلون ودخلوا المدينة ونشروا
بها رابات الامان والسلام وعادوا كأنهم لم يتغير عليهم قط ملك ولا أصيبوا بأمر
من الامور

هذا وبعد ذلك نظر الملك ضاراب إلى فرسانه وكانوا يردون اليه واحدا بعد واحد
ويجلسون في مراكرهم بعد أن يشتريه بالنصر والظفر فوجد سيامك ساقيا وبهمزدار
قل وقادر شاه غائبين عن الصيوان فسأل عنهم ف قيل له ما راوه من فعل منكوخان
وكيف أنه أسر سيامك بالعجل والخداع قال لا ريب أنهم جميعهم في أسره لانهم كانوا
على جيشه فشكدر من ذلك مزيد الكدر ولعلم على أكفاه وقال لا تنتهي من مصيبة
إلا وتقع في ثانية ولا يزال لنا عند الدهر بعض بنض وعناد فتياب فرساني بما يحترق
ويتركتني دائما في هم ونكد إلا أن ذلك كله من الله سبحانه وتعالى فهو صاحب الامر
والنهي وربما أراد في أن يذهب بنا إلى الصين لخلاصهم وهلاك ملكها العاتي الجبار
وبعد هذا أمر عساكره ان تغل جثث الموتي قتاريا التراب وتدفنها وتظف الارض
من الادبية كي لا يفسد المناخ تفشوا الامراض فيما بينهم فاجابوا واخضوا يظفون ما أمرهم
به الملك واما هو فانه ركب وأمر حاشيته ويطاقته أن تركب لركوبه وتزل معه في
المدينة ليدخل إلى ديوان قصر ويجلس فيه وينام في قصره ويقم هناك معهم حيث في

نته أن يرف ابنه فيروز شاه على عين الحياة وكذلك فرسانه وأولاده الذين انظروا لهم خطيات في هذه الحرب . فركب الجميع وساروا معه وبين يديه حتى دخل المدينة فخرج مع أهلها إلى ملاقاته وعدوا بين يديه يتنادون بالأدعية له ولولده حتى وصل إلى قصر الملك فيصر فدخله وهو يتعجب من حسن اتقانه وأثاثه وبنائه وجلس على كرسيه وكانت من العاج مجللة بشبكة من القز الفاني وأكثر الكراسي من هذا الباب لأنها أسفروا خف وهي مصفوفة على أحسن ترتيب ونظام الأصفر والأصفر وأرض القصر مفروشة بالنفوش الملوثة بما يدهش الأبصار وكذلك السقف والميطان فأنها كانت مدهونة بالدهانات الزينية ومنقوش عليها الصور والتمثيل والوقائع التي كان يفعلها رجال الرومان القدماء وصور مشاهير منهم امتازوا على سوام

ولما جلس الملك ضارب واستقر به المقام وجلس من حوالبه جميع الأبطال والفرسان على اختلاف رتبهم ومناصبهم سأل طيطولس فيما يجب أن يفعل بعد الآن قال أعلم يا سيدي أن لدينا أمورا كثيرة ينبغي أن نسمى فيها إما فلتترك ذلك إلى القدر حيث الآن قد قرب وقت العشاء ومن اللازم أن تنقل النساء إلى داخل المدينة وتعرض لكل فارس فيها قصيرا وتفتش أولا على طعمور أهل هوف المدينة وأصيب بنكة . قال أصبت بذلك ثم دعا بأحد الرومان من الذين كانوا بخدمة الملك فيصر وسأله عنه . قال له أعلم يا سيدي أن طعمور هو الآن مع منكوخان وعلى ما أظن أنه أخذه معه إلى بلاده أسهرا وذلك أنه لما كان قتل من أولاده جماعة طلب أن يسلم إليه ليأخذ لنفسه بالنار من هذا ولا أعلم من الذي دله عليه وأخبره بوجوده عندما قد سمعت الملك فيصر يقول لوزيره لابد أن الذي أخبر منكوخان بذلك هو طيفور لأنه لا زمة وصار يقيم أكثر الوقت معه وعنده ولا يود إلا وقت المنام فينام في صبرانه قرب صبران القاه سرور . فتذكر الملك ضارب من هذا الخبر وقال لاربيب أن طيفور هو الذي سأله في أن يأخذه ظلمته الله من حيث عياده فلا بد من قتله كيف كان الحال لأن أذاه متواصل لنا غير منقطع قط فهو مثل العقرب كيفما مال لسع فأرجع وإني أسأل الله أن يقدري على خلاصهم وأرجعهم إلى فهو السميع الجيب ولولم يكن لي أكثر من ست سنوات خرجت من بلادى وأنا كالغريب المشتت أتقل من جهة إلى ثاية من المشرق إلى المغرب لسرت الآن حالا إما لوعة ابني على خطيئته واحتياجه إلى الزواج يلزمي أن اتقاعد الآن عن كل ذلك وأجبه إلى حيث يشاء ربي سبحانه وتعالى . ثم أمر الفرسان أن تنقل بكل امتعتها إلى المدينة وتأتي بما هناك من البنات فتضم كل واحدة بقدر يليق بشايتها لستعدادا للزفاف فذهب الجميع إلى الخارج وسار بهم نازقا إلى كلبه بنت ملك

العام فلبثها خبر الملك وجاء بها ومما في فرح لا يوصف يدان أنفسهما بفرح
 الاجتماع وكذلك فرخوزاد فانه قرب من أنوش وعرض عليها أمر الملك وسألها ان
 تأتي معه المدينة . فالتأتأت إلى أشكر الله على حلول وقت الأفراح . ولهذا فأتى أخبرك
 الآن انى سأنزع هذا الثوب عنى ولا اعود اليه فيما بعد ولا يلقى لى ان ابأشر حربا
 ولا قتالا بل اقيم كنية الزوجات فأوصبك برجالى واجلال وان تصرف مزيد العناية
 الى وقائهم ومراعاتهم . فوجدتها بكل خير ومن ثم نزع عنها ملابس القفرسان
 ولبست ملابس النساء وافرغت منها من الخلل والحلل ما جعلها وزاد في بهاء محاسنها
 حتى كاد يصيح عقل فرخوزاد وعاد بها إلى المدينة ودخل القصر الذى اصطلها
 واما فيروز شاه فانه دخل الى صبراته وكان يهرود قائما كل تلك المدة عند باب
 للمحافظة عليه وعند دخوله لاقته جهان افروز فسالت عليه وسلم عليها وقال لها اتى
 فى كل هذا النهار ما رأيت اختك المرفقة ولا اعلم سببا لغيابها . قالت انه بعد خروجه
 من هنا الى ايكه جاءت واخبرتني انها ذاهبة الى بلادنا لان عدوا قادرا قصد التسلط
 عليها وجاء بعض اهوانها فأخبرها وقد اوصتنى ان ابغلك سلامها وارصنى بخدمتك
 والاقبال لأمرك وانى اتى عندك دائما . وقالت لى انها لا ترهب منك الا القيام
 بخدمك والمحافظة على ومراعاتى . اذ انها لا تعلم اذا كانت تعود فتراك مرة ثانية
 او لا فاذا اتصرت على هذا العدو وارجعت عادت الى خدمتك والا فلا تعود فأتى
 ثانية . اذا تكون قد ظلمت او أسرت . فعزى فيروز شاه لغيابها وقال انه يصعب على
 ذلك جدا ولا كنت احب ان اجد عنها أو القاعد عن نصرتها فلبثها صبرت واخبرتني
 بأمرها . قالت ان ذلك لا يمكن اولا لانك من الانس وثانيا لانك فى حاجة الى الزفاف
 والراحة . وبعد ذلك دخل على عين الحياة فوجدتها مع ابيها واخوتها براحة تامة
 ومروءة وانتراح قدامواله وسلموا عليه وقربت منه عين الحياة وهناته بالسلامة
 ونهايه هذا الحرب وقرب ايام الراحة . قال لها ان الله قد استجاب دعائنا وقرب
 منا زمن الافراح والاطمئنان ويسرى الآن ان اراك مع ايك على اتم سرور وفرح
 كونك كنت دائما تسألينى فى ذلك والآن فأتى انتيت لأذهب بك وجهان افروز الى
 المدينة لان أبى قد اعد لنا قصرا عظيما من قصور الملك قصر وهو القصر الذى كان ادمع
 ان يتزوج به أنوش ابنة وسيفكر فى الهندا يلزم اتخاذه بحيث يكون العرس فى هذه المدينة
 والحمد لله قد زالت كل المومع والعموات ولم يبق من سبب يؤخر اجتماعنا فلهوا ابنا جميعا لتدخل
 البلد ولتأخذ كل واحدة منكما ثيابها وحلاها وما هى فى حاجة اليه فنهضت عين
 الحياة الى تدبير امرها وكذلك جهان افروز وسلموا كلها يلزم لها الى فيروز وارصوه

يصحبهم معه إلى القصر . ثم ركب فيروز شاه وأركب غليته وأركب أيضا الشاه سرور وأولاده وخرجوا من الصيوان وجاءوا المدينة على أجنحة السرور ودخلوا القصر الحمد لهم فرجعوا أن الحـم قد هبت وزبنته وأشطته بالأنوار حتى صار يحلوا الانتظار ولما دخلت إليه عين الحياة قالت إلى فيروز شاه كم كنت نعيمة لو أدخلت إليه قبل الآن أى لما كان أنبوش يطلب ذراعى وقد ذهب إلى قلعة الحديد لىأتى به إليه فاشكر الله على هذه المنة فهو مغير الأحوال ومقلبها وحاشاه أن يظلم قط عباده . فقال لها لو سم ذلك لكنك أنا في العود منذ ذلك الحين لأنى لا أطيق أن أسمع أنك قبلت بغيرى أو بالحزن أرغمت فرفضت على غيرى وما كان يجرى أن أنعم ثقل الحوادث بالصبر الجليل هو ما كنت أعلمه من صدق حبك وعافيتك من المواقفة على غيرى قالت كثيرا ما كان يخطر لي أنى أميت نفسى قتلا إذا وصلت إلى حالة أرى ذاتى مضطرة فيها إلى التسليم لتعيرك ودخل فيروز شاه بها فانزلها في غرفة فاخرة تليق بشأنها وفعل مثل ذلك لجهان افروز وأقام معهم في ذلك القصر الذى كان فيه قبلا . وأما بقية الفرسان والملوك مثل خورشيدشاه وجمشيدشاه وكرمان شاه ومصفر شاه فكل منهم نزل في قصر مخصوص أعد له وناموا جميعا تلك الليلة براحة وأطمئنان ينتظرون الغد ونرى بدر فئات بين الساكر محافظا على طيفور ليئنا يطلبه منه الملك ضاراب وقد بذل كل الجهد في هذا به

قال واقضت تلك الليلة على الجميع بحسب ما تقدم وفيروزشاه أسرا جميع وأفرحهم وقد أقام مع عين الحياة وجهان افروز في ذلك القصر وكان أعدله الخدم مائدة الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم حضروا إلى مائدة المدام فجلسوا عليها وأخذوا يتعاطون المدام ويتناشدون الأشعار ويطربون بالفناء وكان صوت جان افروز جميلا جدا مسكرا ووجدت الدهر قد راق لها وطاب عيشها بحبيها فارادت أن تسليه بنشأتها فرفضت صوتها منشدة بما يأتى :

قد صفا ماء النعم	في مجياه الوسم
قربه جنة عدن	وتنايه جحيم
ان رنا نيم بالا	باطل غزلان المريم
او تنى اخجل الاله	صان بالقدر القويم
او تنقى بلبل البلبا	ل ما لشدو الرخيم
وإذا قام مدير الرا	ح في الليل الميم
كشف الليل تناء	وانجلى ليل الموم

يقرع الجلام بدر منه في ثمر نظم
 فاذا غب من الرا ح احسب لب النديم
 يا حيائي وحامي وحبيبي وقرمي
 لم لا ترق لجسي من تمنيك سقيم
 روق حق قد حكي رقة افساس النسيم

وكانت جهان أفروز تنفذ وفيروز وعين الحياة مأخوذان بحسن صوتها وورقة
 إنفادها حتى كاد ذلك التصريح قص طربا من معنى ورخامة ذلك الصوت وحسنتها عليه
 حين الحياة وأما فيروز شاء فانه سر لذلك كل السرور وأخذ كاسا من الخمر فسقاها يده
 ثم أخذ هو أيضا كاسا وانضمدا :

لو صرت من سقى شيه سواك ما اخترت من دون الأناام سواك
 لا فوت من إشراك جيك سالما إن شئت دين هواك بالاشراك
 أغربت قلبي إذ ملكك صميمه أكذا يكون تعرف الملاك
 كيف استلحت دم الحب ولم يكن قلبي عصاك ولا شفقت عصاك
 هل عتدم الوجات وعص في دمي أم طرفك الفتاك قد أفتاك
 أصغيت سمعا للوشاة فتارة أخشى عليك وتارة أعشاك
 زعم العداة بأن حسنك ناقص حاشاك من قول العدا حاشاك
 قالوا حكيت البدر وهي تقيصة الدر لو يعطى المني لحكاك

ولما سمعت جهان أفروز إنشاده سرت به كل السرور وكان يقع على قلبها
 أحلى من النوم على أعين النعسان لأنها كانت لا تصدق أن تسمع منه مثل هذا
 الكلام وأنه يخلص في حبها إلى درجة أن ينزلها منزلة أولى ويعاملها ببعض المعاملة
 التي يعامل بها عين الحياة إذ أن تلك هي عيوبته الأصلية التي سلم كل قلب لها منذ
 أول صباه ومنذ لعب به لاهب الوجد والفرام وعامدها أن يكون بكتيتها وتكون
 هي بكتيتها أما هي فانها دخيلة على هواه أرادت أن تحبيه بذاتها بأعمالها وتجعله
 بواسطة اختها المرفعة أن يستنى إلى إجابة طلبها وكانت تتأكد أن منزلتها عنده هي
 أدنى درجة من منزلة عين الحياة إنما كانت ترى في ذاتها أنها سعيدة بالاجتماع به
 وبسليمه له بكل ما يسره ومن بعد ذلك أخذ كاسا ولأها وسقاها عين الحياة وبعد
 أن شربت أنشدت :

صاد الأسود بمقلة وسناء وسي العقول بطلمة وسناء
 واتي بأزرق ثوبه متوشحا فكأنه بدر يدا بسناء
 خبطت بدور الأفق منه عندما وافي بتلك الطلعة الحسناء

والنفس غرت سجدا لما بدا متخطرا بالقامة الهيفاء
وبلبل طرته ظلك وإتقى من صبح غرته وجدت هداى
قبارك الرحمن ما أحلاه من رشا غدا مرعاه بالأحشاء
ما كنت أحسب قبل اتى صدره ان الأسود فرائس لظباء
حتى طعنت بأسم من قد رقت من الحماضه بظباء
فاذا رنا وإذا انثى لاتذكروا يعض الظباء مع صعدة سمراء
سلطان حسن فى الملاحة قد قد خصه من شعره بلواء
وبرجنتيه مجتنب من بعضنا نار يشب عظامها بالماء
من رام يحيى فليست فى حبه حتى يعد غدا من الأجاء

وشاهد فهورشاه ضد انفادها هذه الآيات احرارا صادرا عن خفقان قلبه
لأنها كانت تنظر اليه نظرة المتحرق الولهان وتنشد بما يدورما اليه من الحب الكامن
فى قلبها وقد أهدته كل شعائرها ولم تد ترى لها بابا للشكوى من الرمان على القراق
والبعد بل كانت كل شكواها من الخفقان الذى كان يحدث لها عند تكلمها معه
لأنها كانت من سرورها لا تعرف من أى جهة تقدم له نفسها وتكاثف على حبه ولا
ترى وسيلة لسرووره غير اظهار ما هو كامن فى قلبها وكان يعرف منها ذلك ويتأكد
انها وإن كانت تحب فتد اباحتها بأسرارها له إنما ترى من نفسها أنها مضطرة إلى
ذلك ارضاء له وان شدة الحب تدورما بالرغم عن أميالها وأطوارها إلى التطرف به
ولذلك قد اعتادت أن تصف ويصفها وتشكو له ويشكو لها ولذلك سكبت كاسا وقابلته
بالمثل أى انها سقت لإياها وسأله الانشاد فانشدما

هجم الصباح فابن بالليل المفر وجياده بالنصر واضحة الفر
أو ما تراه نضى لحربك يادجى غضبا قتيلا كاد بمقتطف البصر
ودعا اليك وقد أمانك لثامه كاليت كشر للفرسة واكفهر
لا تقتر وترى المروعة منها فطلائع الاصباح خصت بالظفر
وكعبة الاجفان لولا لحظها لم أدر ان الشمس تطلع فى السحر
ايه ولولا نبت سالف خدما لم أدر ان الآس ينبت فى الشر
شمس على الأرداف أرخت شعرها لتريك ان المسك فى الورد انتشر
ولوت على الاجفان سالف خبر فحمت بمقرب صدقهاورد الحفر
وأرت بلال الحال رقب فى دجى ليل العذار صبيح منسما الآخر
ياظية الوصاء يا برء الأسى يا طمع الأهواء يا قيد النظر
اظبا جفونك أم ضيا عينك قد ترك الفؤاد أسير تخيل الفكر

فاذا نقرت نقرت عن عين المني وإذا سمرت سمرت عن وجه القمر
فقال عين الحياة من انشاده طربا ودوت من نفسها انها باعظم نعيم طيب لها
لان تصرف العمر بطوله على تلك الحالة دون أن تفكر بما سواها وكان فيروز شاه يرى
أيضا من نفسه سعادة تلك العيشة وراحته وبات يحسد نفسه على ما هي فيه من الفرح
وعينه تنقل من واحدة إلى الثانية ولسانه يمدح من جملها وما تمدحان منه ومن
أوصاله وتسكن له الخمر وتسقياته . وناموا على مثل ذلك الحال الى أن لاح جيش
الصباح بطلان نوره فذهب كل منهم الى غرفته لينام بجنب ساعات وتأخذ
النفس راحة

وفي صباح اليوم الثاني جلس الملك ضارب في ديوانه الجديد وجمع اليه وزراءه
وكبراء دوله واستشارهم في أمر الزفاف فقال طيطوس ان ذلك قائد اليك مناط
بك . قال اني كنت أحب أن أذهب إلى ايران وأزف ولدي هناك لانه وطنه إنما
ذلك لا يمكن قط إذ أن لابد من بست هذه الجيوش إلى الصين بعد زمان لاسما
واني أرى موافقة هذه البلاد لنا وحسن مناخها وعليه فاني أرى ذاتي مضطرا لأن
أبست فاستحضر الملكة من ايران لتأتي وتشاهد ولدها وتقرح يرثاه ولا ريب انها
يعزى شرق إلى ذلك وقد مضى مدة طويلة دون أن تعرف عنا خبرا وهذا الأمر
أهم لدينا من كل الأشياء ولا يصبر زفاف دون أن تكون حاضرة وان كان بذلك
كبير عاقبة إنما كل آت قريب فقال طيطوس ان ذلك واجب علينا فهي سيدتنا
وليس لها غرض هذا الولد ومن العدل أن يؤخر العرس إلى حين مجيئها ولابد أيضا
من الاتيان بكولندان بنت ملك الاسكندرية وبناج الملوك بنت المنذر بن النعمان
صاحب دين الطائف وطوران بنت الوليد ملك مصر وبالشاه سليم أبي
الأميرة انوش خطيبة فرخوزاد ليكون الفرح كاملا شاملا ولا يبقى بعد ذلك يوم
أحد علينا لأن كل الفرسان والاجال لولا أملهم بزفاف فيروز شاه لتزوجوا جميعا
غير انهم كانوا صابرين بعد زفاف مولاي ولديك والآن ينبغي أن يكون العرس
واحدا فنفسل أفذار تلك الأيام الماضية التي صرفنا بالعذاب والحزن . فقال الملك
ضارب اني أفكر بذلك ولهذا أطلب من كل رجالي وأبطال أن يكونوا حاضرين
هذه الافراح ومن منهم شاه أن يتزوج فلا يتأخر قط من كل عسكري كبيرا كان
أو صغيرا ويكون مصروف هذه الافراح من الخريفة الفارسية اكراما لولدي فيروز
شاه ولوجهه عين الحياة ولهذا فاني أفرضك أيها الوزير الحبيب والعامل الحكيم بتدبير
هذه الأمور وترتيبها وأن تكتب الكتب إلى الملكة تمرناج زوجتي وسائر الذين
ذكرت وكن أنت رئيس هذا العمل واني أسلم زمام مصاريف العرس واحتياجاته

إلى رفيقك الثاني دوش الرأى يكون كل ما يصرف ويفرق من يده بمحضتك ومعرفة . قال
أنى أنتظر مثل هذا اليوم فأخدم سيدى فيروز شاه فان فرسى به أعظم من كل فرح . وبعد
ذلك أخذ طيطلوس فكتب لمرئاج زوجة الملك خاراب كتابا يقول فيه

بسم الله المفرح المنعم لاله الا هو وحده

من طيطلوس وزير الملك خاراب إلى سيدتى مرئاج ملكة بلاد فارس وولادة فيروز شاه
صاحب الفعل الجليل والفضل العزيز

اعلى أيتها السيدة الكريمة المبرورة ومرئاج المحدرات وطر المحسنات اننا منذ خرجنا
من اليمن أتينا إلى مصر إلى حرب الوليد حاكمها وصرفنا زمانا ليس بقليل في عمارته ولا فينا
من الأهوال والمصائب ما يكمل القلم عن وصفه الا انه بمساعدته تعالى قد انتصرنا على تلك
البلاد وفزنا على ملكها وتملكناها وأدخلناها في حوزتنا وحيث لم يتيسر لنا هناك الحصول
على عين الحياة ولا رأيناها بل ترجع عندنا أنها سارت مع أبنائها إلى بلاد الرومان إلى الملك
قيصر وعليه فأتينا البلاد المذكورة بعد أن دوخنا في طريقنا كثيرا من البلاد كدمشق
واطاكبة وغيرها وعند وصولنا إلى الرومان باشرنا الحرب معهم لمدة ليس بقليلة حتى
بمساعدته تعالى تمكنتا بلاد الرومان وفزنا على كل معاند وعاصم فيها ودخلت عين الحياة
في حوزة ولديك وراق لنا العيش وانعم من البال ولهذا اختار سيدى الملك خاراب أن يرف
ابنته في هذه البلاد لأنها أعجبت جدا وطاب له المناخ بها ولذلك سلم إلى بأمر تدبير الوفاة
وان اكتب كتابا لك أنتمس منك الحضور مع بهزاد الذى أرسله سيدى الملك لخدمتك
في الطريق اذ لا يمكن أن يكون الزفاف بدون حضورك ومعاينتك فان فرسى به وأنعمى بوليك
الذى ساعد على كل أفرانه في زمانه وادعى من نساء ايران من جلب لك ويروق في بيتك
حضورها فقد قرب اليوم المنتظر وجاء الزمان المناسب لأن نخرج ونبتج أبنائك الله فنعرا
للدولة الفارسية ومصباح حكمة ينير كل نيرة وأدامك معنا لأفراحنا ومسرانا والسلام
وبعد أن فرغ من كتابة هذا الكتاب كتب كتابا آخر إلى الشاه سليم يدعو له الحضور
إلى ذراج بنته وقد كتب فيه

بسم الله العظيم الرحيم

من طيطلوس الحكيم وزير الدولة الفارسية إلى الشاه سليم حاكم البلاد البعيدة
بعد السلام عليك وتقديم الاحترام اليك أخبرك أيها الصديق الكريم والمحب
الطيب اعلم أننا بحوله تعالى قد توفقنا الى الغاية المطلوبة وذلك أننا انتصرنا على

المصريين ومملكتنا بلادهم فهرب الفاء سرور وبنته إلى بلاد الرومان إلى الملك قيصر فحضرنا
إلى هذه البلاد فوجدنا فيها الأعمال التي تذكر حتى انصهرنا وملكتنا البلاد وراقت أمورتنا
ولذلك عدنا على رفاق سيدنا وابن مملكتنا فيروز شاه ابن الملك خراب هذه الأيام في بلاد
الرومان إذ أنها دخلت في دنائنا وأهلكنا ملكها وكل أصاره ونورنا أيضا على رفاق فرخوزاد
وكل بطل إيراني أو قزيرغب في الزواج بحيث تكون الأيام فرح وسرور وبسم الفرح
أبجيع من الصمير إلى الكبير ولهذا أمرني سيدي الملك أن أكتب إليك كتابا أدعوك لحضور
رفاق وفداء فيروز شاه على عين الحياة وحضور رفاق فرخوزاد على السيدة أنوش كرمتمكم
صاحبة الأعمال المحمودة وقد بعث سيدي الملك خراب بهزاد بطل إيران وحاميتها ليأتي
بوجه الملك من إيران ثم يمر من حمراء البين فيكون حضوركم معه وتعمرون على لندن الطائف
فأتون بتاج الملوك بنت المنفون الثمان لتزفها ومن ثم طوران تحت بنت ملك مصر
وكولدان بنت ملك الاسكندرية فان لمن علينا عهدا ومواريق ونسأله تعالى دوام
أفراحكم ومسراتكم مع طول عمركم إلى الأبد والسلام

ثم طوى الكتاب وغتمه وقال للملك خراب لما كان من الواجب علينا القيام بحق
خدمة سيدي الملك رغبة لشأننا ولذلك أرى أن تأمر بهزاد أن يسير لهذه المهمة مع خمسة
آلاف فارس من الفرسان الكرام أي من الأمراء والأعيان فيأتون إيران ويمدون
في خدمة الملك ومن ثم يعودون إلى تلك الدواجم والبلدان فيأتون منها بكون لدان رفاق
الملوك وطوران تحت والفاء سليم . فقال الملك لقد أصبحت في هذا أيها الحكيم العاقل
الخير فان من الضرورة أن يكون بين أيديهم بطل من أبطالنا يمنع عنهم طوارق الخدائن
إذا لا سمح الله وقع لهم مانع في الطريق وإن كنت لا أخاف من أحد يسطو عليهم
إذ أن البلاد من حد إيران إلى هنا هي في يدي ومحت طاعق إلا أنه ربما صدق مرور
عدو فيها لا نعله وعدا عن ذلك من الضرورة أن يكون مع الملك من هب أحب الناس
عندي كانوا فيروز شاه أو هزاد الذي هو بمنزلة . وأما بهزاد فانه فرح فرحا لا يوصف
وأظهر الملك ذلك وقال لي إن أحب يا سيدي أن أخدم بين يدي سيدي الملك وإي
شرف أرجوه أكبر من هذا ولو انتدب مولاي طيطوس فيرى إليها لصعب عندي
وكدرني إنما أظن بحكمتك موضع النظر وأراد أن يعيد إلى بمثل هذه الخدمة كاجبار
خاطر من قبله .

فدعاه الملك على مثل هذا الكلام وأمره أن ينتخب له خمسة آلاف أمير
وفارس من رجال إيران ليصحبهم معه في سفرته وقال له سر في طريقك على بنات الملوك
فأحضر من معك وأحضر الشاه سليم أبو السيدة أنوش لأنه من عمالنا المخلصين وبعد أن انتهى

تدبير أمر هزاد بن خورشيد شاه وتقدم من الملك خاراب وقال له لقد سمعت
يا سيدى انكم قد بعتم لاحضار تاج الملوك بنت المنذر بن النعمان وهو اتى خطبتها
فى الاول لتضى وعاهدتها أن أكون لها بهلا وتكون لى زوجة ولا أنظر إلى غيرها
ومن ثم أيضا بعتم لاحضار كولندان بنت صاحب الاسكندرية والثانية أيضا لما طلبت
إلى أخلص لها الود والوفاء وعاهدتها أن أكون لها بهلا أجبها اليه وأما باضطرار إلى
ذلك وعاهدتها أن أحفظ ودعها ولا أرغب فى غيرها ومتى جاءنا لا يمكن أن ألقى لها العهد
معا يعنى لأحب أن أكون بهلا للثنتين فإذا باترى يكون من أمرهما ومن منهما
الواجب على امرأة خاطرها ومن منهما يمكن رد طلبها وكسر خاطرها مع أنهما
الاثنان قد حملتا معا مبروقا وأكرماتى مزيد الاكرام فأجاب الملك خاراب انا
لا تكسر بخاطر واحدة فن مالت اليها نفسك فأجعلها زوجة لك ومن تركتها زوجها
بغيرك من الأمراء ولا تنافى عنها بعد أن تكون قد حملت معنا مبروقا وأكرممت
وجائنا وكان خورشيد شاه عند ما كان بالاسكندرية رأى من كرمان شاه بعض ميل
من كولندان وأنه كان ينظر اليها نظر المتعجب من ذلك إنما كان لا يدى شيئا من دلائل
الحب لعله يحبه لها وبجبهه له ولهذا قال للملك خاراب اتى لأفضل واحدة منهما من
على الثانية كونها بدرجة واحدة من الحسن والأوصاف الحيدة إنما لما كان سبق منى
اليمين والعهد لتاج الملوك فمن الضرورة أن ألقى لها بوعدى وإما أسألك أن تسأل ابن
عمى كرمان شاه أن يقلبها زوجة له وأطلب ذلك حبا به لأنها من السيدات اللواتى يندرس
وجود مثلهن فى هذه الأيام حسنا وأدبا وأكراما لها أيضا بحيث تكون قد بدلتى عن
هو أحسن منى حسنا وكرما والى لطفها وأدبا ومتى وصلت هى إلى هنا تعرض عليها ذلك
وتدعها أن تقل ولا يرب أسألك أن تسأل ابن عمى كرمان شاه إلا الإجابة
والرضا لأن قلبه كان يشتعل بحبة كولندان وهو لا يقدر أن يديه أو ييوح به إكراما
لخورشيد شاه وما صدق أن سمع منه هذا الكلام حتى أجاب على ذلك وقال لولا أنى
أعلم أن ابن عمى هو فى ارتباك من ذلك كالحجرين شافقين وأنه لا يرغب فى كولندان
مرحاة لتاج الملوك لما وافقته على ذلك بل كنت أرغب من كل قلبى أن أراه مسرورا
متنمعا والآن حيث طلب إلى ذلك تخلصا من الهم والعنب من إحدى خطيبته فقد أجبته
اليه ومتى جاءت فأطلب اليك أن تدعها اليه وتعرض عليها أمر خورشيد شاه وعدم
اقتداره على القيام بوعده . ففكرهما الملك خاراب على ذلك وقال يسرنى أن أرى جميع
وجالى وابناء عمى على وفاق وحب واتى منذ وصول كولندان دهرتها إلى إتمام هذا
القصد رسالتها إجابة طلبنا .

وفي اليوم الثاني ركب جواد بالأمراء والأعيان الذين انتخبهم ليصحروه في خدمة
الملك ثم تراج أم فيروز شاه وردع الملك خاراب وسائر الأبطال والفرسان وخرج
من مدينة قصر فاصدا إجماع خلته وبق الملك بتدبير أموره في المدينة مع بقية رجاله
إلى أن كان اليوم الخامس من دخولهم فيها وإذ ذاك جمع الملك خاراب ديوانه وقال
أريد منكم أن تحاكموا طيفور فليس من نفع في بقائه ونضاف من أن يتخلص من
الأسر إذا تفاخروا عنه وبخلت من أيديها إلى حيث لا تعلم ولا أريد أن أعدمه ظلما
بدون أن يكون مستحقا لذلك بانفاق الجميع كي لا أكون مسئولاً بموته لدى العناية الإلهية
وأمام الطبيعة الإنسانية لاسيما وأن من العدل أن لا يكون الملك مستبدا بكل إجراءاته
لاسيما عند تحكمه بخلقة الله التي هو منها ونظيرها وقد من الله عليها كيف لا وهو
لا يقدر أن يوجد واجدا مثله وإن كان يتسلط على مئات ألوف منها وهذا مما لا يترك
ضميري أن يرتاح إليه فأحكموا فيه بالعدل والأمانة وإلا فأنتم مسئولون لدى الله
والملك فإن كان مستحقا لتقصاص فأحكموا به فإن التقصاص أيضا هو من الوجوب
الشرعي اللازم في دواوين الملوك حفظا لنظام الهيئة العامة ودفعاً للاضرار التي تنجم
عند عدمه . فأجابه وأمر طيطولس كبير الديوان أن يؤتى طيفور فأصرح فيروز
وأخبره مقبدا إلى بين أيديهم وعند دخوله نظروهم إلى البين ثم إلى الشمال ونظر
إلى الملك وقال حياك الله أيها الملك العادل الرحيم الكريم الذي أوجده الله كاملا في
جميع صفاته وزينه بالبرقة والرحمة فأجاب الملك تحية ونظر إلى الأرض متواضعا ثم قال
طيفور لست بمادل ولا راحم فالمعذرة الكاملة والمرحمة التامة هما من خصائصه تعالى
وما أنا إلا عبد من عبده أسلك الخطية وكثيرا أحمل مالا أرضيه . وها قد أحضرتك
الآن لا لأطلبك بل لأبدي أمامك ضعفي وعجزى عن أن أعرف كيف أقوم بوجبة
الربايا المسلمين إلى وافي وإن كنت أقدر الآن بكلمة واحدة أن أنقذ فيك التقصاص
خبر أن الله سبحانه وتعالى جعل للملوك الدواوين والمعاونين ليستشروهم في أمورهم
ووضعت الشريعة لتكون كتنظير تأديب على كل ما غفلت عنه ولذلك قد طلبت من رجال
جلسي أن يحاكموك ويحكموا عليك بما تستحق حتى إذا رأوا أنك برى من كل ماتهمت
به منعوا عنك المحاكمة ورحموا الدعوى فأجازيك بالإحسان عرض التقصاص . قال
أي أريد ذلك وأرفه وأسأله تعالى أن يظهر لديك براءتي لأنى طالما كنت أعرف من
أنى ساحور عندك بالمقام والرتب والمناصب إذا وجدت في ديوانك ووافق سيدي الشاه
سرور على التفرغ منكم والرضا إلى طلبكم ولو أطاعني منذ البداية لما وصلنا إلى هذه
البلاد غير أنه كان لا يرغب في زواج بنته بفيزور شاه فجاءته عليه كوني وزيره
وملتزم على الدوام بانقاذ مقاصده وحفظها .

قال الشاه سرور انى منذ البداية كنت أستشيرهم وأخبرهم انى أميل إلى فيروز شاه وأرغب فيه فيمنعنى في ذلك ويبين لى أنه مغل بشرفى وفاموسى ان لم يكن على الطريقة المألوفة . فأنكر طيفور رغبة الشاه سرور بفيزوز شاه وقال لو كان يرغب فيه وفى صالح بنته لما قدرت أن أقنعهم وحل سمعتم أن ملكا من الملوك الكبار يقاد إلى آراء وزيره بالرغم منه لا سيما وهو يؤكد أنها معاكسة لصالحه وعليه فانى ما كنت أقول له أمرا إلا إستانادا لقوته أليس هو أمرى وولى نعمتى فاما من سئل لى بأن أرجعه من أمر يريده حتما ولى دليل وشاهد أن الوزير طيطوس ملزوم على التوام بمروضة الملك ضاراب والسعى فى كل ما يوافق مقاصده . فأجاب طيطوس اننا نعرف ذلك إنما على الوزير العاقل أن ينصح مولاه ويقوده بأرائه وحكمته إلى ما به الصواب وان كان الملك لا يصنى إلى كلامه فلا يسلم معه بخواب بلاده كما فعلت أنت وانى أؤكد كل التأكيد أنك لو سميت بنصيحة الشاه سرور لأجاب فى الحال . قال انى صرقت الجهد فى أول الأمر فلم أستفد شيئا وأخيرا جاب بكرامة سيدى حملت ثقل أوامره على هوائى حفظا على الامانة الواجبة على نعم ان من المؤكد أن الأمر يقدر على إجبار الأمور غير أن الأمور لا يقدر على إجبار الأمر قال الشاه سرور هو وحده الخطيئى . ولست أنا فلو شاء منذ أول وجود فيروز شاه فى بلادنا معاملة الرقيق والقبيل لما جبرت على منعه . فبعد ذلك تقدم فيروز شاه بحضور هيئة المجلس وقال أجمعن لهذا الحائن أن ينكر ما ادعىه الآن عليه من أنه عندى . هورنك بعساكره إلى تعراء اليمن طلب الشاه سليم اطلاقنا من الاسر وإرجاع سلاحنا اليها لتدفع هذا العدو عنهم فيمنع هو فى ذلك وجعلنا وسيلة المصالحة والسلام ولسنا لهورنك ليقبضنا فى نار ولده فأجاب طيفور انى لا أنكر ذلك إنما ما فعلته كان من قبل السعى فى منع القتل منك وعن فرخزاد لأن الشاه سرور كارد أمر كل الاصرار على قتلكما وأملا كما فأنفذت هذا الأمر وسيلة لإبعادكما عن القتل أملا ان يسلم لكما الله من مخلصكما إذا طال فى اجهلكما وهكذا كان أليس كتبنا إذ ذك فى اشد السجون ضائبا وقدمنا للذبح وحصل التأخير فى ذاك الوقت بأشارتى وقد قيل فى الامثال لا تسمل خيرا فلا تاتى شرا . فقال الشاه سرور انى اشهد عليه انى كنت ازمعت على اطلاقكما عند ما عرفت انهما من شرقاء هذا العالم وابناء ملوكه فمنعنى وهو الذى بين لى الاسباب الموجبة لقاتهما وقال لى مرادا أن فيروز شاه قد خرق ناموسك وحرمتك وتهدد الايقاع بحرمك على خفة منك لأنه قبض عليه وهو يتسلق السلطوح والجدران من مكان وجوده إلى قصر عين الحياة وبسبب أهواله كانت تحركتى غفوة المحاماة عن العرض فاصنى له ولم أكن فى البداية أعرف ما هو حاصل بين بنى

وفروز شاه من الحب الطاهر ولا أعلم باجتماعهما قط . فقال الملك ضاراب انى لا
 أنكر كون ولدى قد سلك فى أول الأمر سبيلا غير مناسب أخطأ به غير انى عند ما
 جهت إلى نمرأ اليمين فى طلبه لم أصادف ما كنت اظنه من التواطى . والاتحاد
 قال وعند ذلك تقدم بهروز وقال انى شاهده بيقين ومعهته باذنى يحرك طومار
 الرجمى إلى قتل فيلزور البها . ان وقبة الابطال الذين كانوا أسره فى نمرأ اليمين ولولا
 وصولى فى نفس تلك الساعة بكتاب سيدى فيروز شاه لفضى عليهم جميعا فدفع طيفور
 من نفسه وجعلت تتقدم عليه الشكايات وتعدد الذنوب التى ارتكبها فى مصر وغيرها
 حتى انتهوا الى الملك فيصر وقسم الشاه سرور عليه البرهان بانفاقه مع الملك فيصر
 واجباره على زواج بنته بانبوش مع أنه كان يكره ذلك ولا يقبل به . بعد ان قتل انبوش
 ورأى عدم اعتباره منى اتفق مع منكوخان على الكفر والعداوة وبعد أن ثبت على
 طيفور كل هذه الارتكيات ووجدانه منغلط كل الخطأ لم يقبل أن يعترف بخطائه
 ورأى طيطلوس وبقيّة القربان والامراء انه يستحق القتل لحبائثه وتركه اخيرا عبادة
 الله وميله الى مجارة اهل الصين فى عبادتهم طمعا برضام حكموا عليه بالقتل وأسلوه
 الى بهروز العيار لينفذ فيه الحكم المذكور فاخذوا وابعاه الى اليوم الثانى وفى اليوم الثانى
 بهت قنادى قتل طيفور خارج المدينة بن عساكر إيران وأخرجه إلى تلك الناحية
 فاجتمع اليه ألوف من الناس يشاهدون مصرعه ليشتفوا منه وما من رجل بين عساكر
 الرومان والاعجم وغيرهم شفق عليه أو تحسر على موته بل كان الجميع يطلبونه برغبة
 راهبين فيه .

ثم ان بهروز جرد لهم طيفور من ثيابه ودعا بكامل العيارين وامرهم ان يأتى
 كل منهم بسوط قلعوا وقال فليضربه قبل موته كل واحد بعشرين سوطا دفعة
 واحدة قلعوا حتى ذهقت روحه وغاب من الألم والوجع وبعد أن فرغوا رجعوا
 عنه فرش على وجهه الماء ليجى إلى نفسه ويرى موته فلا يكون غائبا بعد أن وصى إلى
 نفسه أخذ بهروز الحيطاء الرزمة فمدها على جسده حتى دخلت فى لحمها ففجرت الدماء
 وتدفقت من جسده كالسحاب من كل ناحية وصيرب وهريصيح ويستغيث برما من راحم
 أو مغيث حتى قرب من الموت وصار على آخر وعيه من مفارقتة الحياة فامر بهروز
 للعيارين ان تهب جسده بحناجرها وأن يقطع كقطع شيا غرس ففعلوا وقطعوه وذبحت
 روحه إلى النار وبس القرار وقد اشتق به الجميع وأرتاحوا ولا سيما الشاه سرور فان
 دله كان مملوما من بنفسه مد تلك المحبة والافتقاد الاسمى ولما بلغ عين الحياة موته
 رثت مزيد السرور وشكرت الله على نوال ما تشببه من عدوها الذى حملها كل هذه
 الانتقال المتقدم ذكرها

وبعد أن ارتاح بالملك ضاراب ووجد أن لا شيء بعد بكدره تقدم منه فرخوزاد وسأله أن يمت إلى الأمر دولاب الذي كان عنده يستدعيه وقد اعتنى به وانتشله من الموت فقال له لقد أصبت ومن العدل أن تكافى. فاعل الجليل معنا على جيله كما أننا نقاص فاعل الشر على شروره ثم بحث فاحضره مع رسول مخصوص فلما حضر وجد فرخوزاد في ديوان الملك ضاراب فخاف في بادي الأمر إلا أن فرخوزاد تقدم منه وسلم عليه وقال له الملك ضاراب اتنا لانسى لك جيلا فعلته مع رجل ابراني من رجال لا يل مع أمير وسيد من قومي وقد بحثت اليك لا كالك على هذا الجليل. فقال اعلم ياسيدي اني ما فعلت شيئا إلا واجب على فعله قايما بحقوق الانسانية ومع كل ذلك فاني لم أعرفه إن كان ايرانيا أو رومانيا أو غير ذلك ولم ارد أن أعرف نك كي لا أكون قد فعلت جبلا لا عرف من ا كافي. وكان ذلك لخبري ونفسي فقد كافاني هو نفسه وقا تللى حدو قته وخلص لي زوجتي وهذا الجليل هو اعظم جدا من كل جيل ومعروف. فسر الملك ضاراب من حسن طويته وقال له أعرفك به الآن واخبرك من هو | فخر فرخوزاد ابن فيلورور البهلوان بهلوان نخفي وفارس بلادى وقد رماه الله يديك ولم يقبل أن يوصله الى غيرك والا ربما لو كان وقع يد غيرك لكان اصيب بمصيبة كبرى ولهذا اردت أن اكاكك فاطلب اما أن تأتى بقومك فتقيم بين قومي ويكون لك كرسى في ديواني كبقية الأمراء أو اطلب مقاطعة فانيتك عليها حاكما. قال انى ارضب ياسيدي ان اتشرف دائما بالمول أمامك وبين يديك فاذا كنت تسمح لي بأن اتى على ما اشرت في ديوانك فتلك منه لا اظن احصل عليها. قال اذن فأتى قومك الى بين قومي ويكون لك العلوفات والمصينات كبقية رجالى المتنازين ففعل وجاء المدينة واقام بقومة بين قوم فرخوزاد أى رجال البن الذين جاءوا مع انوش حيث استلم قيادتهم هو وصار الملك ضاراب بعد ذلك في هناك وراحة منتظر عجي. زوجته لاتمام الزفاف وهو يقم في المدينة يومان ويخرج الى صيراته وبين عساكره خمسة أيام في القلاة وفرخوزاد مع انوش في مسرة وحبور مقبان في كل الوقت على المصافات والمردة وشرب العنار ومثل ذلك كان بهما ذاربا مع كاتبة بنت ملك الشام مقتدين بغير وشاه فانه كان لا يخرج في اليوم الا ساعة فقط فيأتى الى أبيه ويقبل أباديه ويستأذن منه ثم يعود الى قصره على ما هو عليه من دواهي الالاس والصفاء وأما طيطوس فانه دائم اعداد المعدات وتبينة ما يلزم للعرس من مفروشات واحتفالات وولائم ونحوها.

هذا ما كان من هؤلاء. وأما جهاد فانه سار عائدا من الطريق الذى جاءوا منه

وبين يديه امرأة القريس المنتقم ذكرهم ولا زال يقدم حتى قرب من مصر فخرج الى ملتقاه القاه صالح مع وزرائه وادخلوه المدينة ومن بعد ذلك سألوه عن الملك ضاراب فأخبرهم بكل ما كان من أمره وقال القاه صالح ان سيدى الملك بعثنى لاحضر له زوجته ثمرتاج ام فيروز شاه حيث في نيته زواج ولده هناك ولهذا السبب حمدان يرف ايضا كل فرسانه واجاله وابناء عمه يوم واحد ولا جله امرنى ان احضر معى طوران تحت اثناء رجوعى من اران وان ادعوا من كل امرأة مصر من يرغب فى حضور هذا المرس المسير معى كى يكون المرس شاملا كاملا فارجوكم ان تيبأ اختك وتجهز امرها حتى اذا مرت وقت رجوعى اصحبها معى فلا اناخر بذلك . فاجابه واقام يومين فى مصر وسار منها الى الاسكندرية وعرض على كرتندان الامر نفسه وطلب ان تكون على استعداد الى حين رجوعه . ثم ذهب من هناك الى لندن الطائف فالتقت تاج الملوك وسأله عن حاله فعلمى لها ما جاء لاجله ففرحت فى داخلها وكانت تغلى كغيرها من بنات الملوك لاقطاع خبر القريس عن كل هذه المدة فى بلاد الرومان ومصر . قال وبعد ان اقام فى الطائف نحو ثلاثة أيام ودع من هناك واتصلق الى تراء البين الى حضرة القاه سليم فخرج للقاء عند ما علم بقدمه وهو مشتاق لا يعرف ماذا جرى على القريس فى تلك البلاد وعلى بنت انوش التى ارسلها لمعوتهم فلما اتى بهزاد ترحب به واحتفل مزيد الاحتفال كرامة له . وبعد ان قرأ مكتوب الملك ضاراب قال لاد من المسير معك اليه لاني باشتياق عظيم الى تقبل ايديه . وبعد أن صرف أيضا نحو ثلاثة أيام فى تلك المدينة ودع القاه سليم وسار بقصد ايران جماعته الى أن دخلها مخوفة بالنظيم والاكرام لان اهل المدينة لما عرفوا بقدمه خرجوا عن نكرة ايهم ليسلوا عليه ويعرفوا ما سبب مجيئه وما وراءه من الاخبار لانهم صرفوا اكثر من ست سنوات لا يعلون امرأة عن ملكهم ورجالهم ولهذا كانوا باضطراب وقلق ينتظرون يوما بعد يوم وشهراً بعد شهر الاستطلاع على خبر جديد يصل اليهم منه فلما عرفوا هذه المرة قدوم بهزاد خرجوا باجمعهم تقشوقاً الى ما تقدم وفى مقدمتهم أمين المدينة ولما رأوه سأله عن سبب حضوره فتأدى بينهم بنصر القريس على البين ومصر الى حد بلاد الرومان وأخبرهم بعرض فيروز شاه هناك ففرحوا مزيد القرح وأخذوا فى ان يصفقوا ويرقصوا ويطربوا الى أن دارت الولاتم فباينهم وأما بهزاد فإنه سار الى حضرة الملكة ثمرتاج فسلم عليها وبشرها بكل مسرة ودفع اليها كتاب طيلوس قرائه وفرحت القرح العظيم وشكرت الله على مثل هذه المنة الكبرى وقالت لبهزاد ان الله معنا فى كل حال وإن كنت ارجب فى أن

يكون ذلك في بلادهم لكن من ارادة العناية ان لا يكون هنا واني ساستعد
لرحيل بعد ايام الى بلاد الرومان فقط لما كنت اعرف كثيراً من رعايا دولتنا يرهبون
في حضور عرس ملكهم وابن ملكهم ومن احبوه الحب الزائد اطلب اليك ان تبعهم
المنادين بادون في المدينة ان بعد عشرة ايام نسير منها إلى حضور عرس فيروزشاه
لن يقل في مراقبتنا فليكن حاضرا وان مصاريف السفر والطريق هي على غزوة ايران .
فاجاب سؤالها وامر امير المدينة ان يفعل ذلك ففعل واخذت الناس في أن تستعد
للمسير وذهب بهزاد إلى قصر ابيه واجتمع بوالده ونسبها اياه فبكت وبكى عليه مدة
ثلاثة ايام وعملوا له مناحة كبرى وجهدوا له العزاء في ايران ثلاثة ايام والناس ترد
افواجا افواجا للتعزية . ومن ثم اخبر والده بما اتهم عليه الملك ضارباؤه ورفع
إلى ربه عائلته وان اخاه فرخوزاد سيزف على انوش بنت القشاه سلم ففرحت وعشت
نفسها للسير معهم إلى بلاد الرومان لتحضر عرس ولدها فرخوزاد وتكون برقة
الملكة تمرناج

هذا وفي هزاد في المدينة نحو عشرة ايام والمدينة في استعداد وفرح ولما انقضت المدة
طلبت تمرناج من بهزاد أن يركب في أول الجمع بجماعته ويخرج إلى الخارج لتبعه الاهالي
الذين رغبوا في السفر معهم فخرج بهزاد في المقدمة ورفع العلم الفارسي المخصوص به فوق رأسه
وامر ان يتبعه كل من رغب في المسير إلى الملك ضاربا ليشاهد زفاف فيروزشاه وما استقر
في خارج البلد حتى ازدحمت حواليه الاقدام وغاصت تلك الارض بالابطال والفرسان
والاهالي من شيوخ وشبان وأطفال ما بلغ عددهم أكثر من خمسين الف نفس وتبعهم
بعض نساء الأمراء وأولادهم وأطفالهم حتى كان لهم مشهد عظيم جدا ومن بعد ذلك
خرجت الملكة وهي مزينة بأبهر الزين في هودج من الحرير مجلل بالمنسوجات المزركشة
بالفضة والذهب ومشى بين يديها هزاد وجماعة من الأمراء والأعيان وكان إلى جانب
الملكة أم فرخوزاد وبعض الجواري المختصات بها لأجل خدمتها وإذا ذلك تحركت
ركابهم من إيران وخرجوا عنها بعد أن أوصوا أمين المدينة الذي قائم بصحة الحاكم عليها
بالتيقظ والانتباه ومشت بين أيديهم الاحمال مرفوعة على ظهور الجمال من تحف إيران ومن
مصنوعات المعجم تقدم في هرس فيروزشاه وأخذت الملكة شيئا كثيرا من مثل هذا لتزين به
عرس ولدها وأصبحت معها من الجوهر ما تندر وجوده لتفرقه على كتبها يوم زفافها ودام
نحو أربعين يوما تقريبا حتى وصلوا إلى قمزاه الفخ وأسرع المبشرون يبشرون القشاه
سلم بقدم الملكة فأمر أن تخرج الموسيقى اليمنية والسناجق بأجملها وأن تركب
الأمراء والأعيان أحسن ترتيب ونظام لملاقاة تلك السيدة الجميلة وخرجت زوجة
القشاه سلم ونساقه ولما اتفروا بها قدموا لها الاكرام والترحاب وهنأوها بالسلامة

الشاه سليم وفساؤه ولما التقوا بها قدموا لها الاكرام والترحاب وهاتواها بالسلامة
 وعادوا بين ايديها يطربون ويغنون مظهرين فرحهم إلى ان ادخلوها المدينة وانزلوها
 في القصر الذي كان لعين الحياة وحكى لها جزاء عنه فقالت اني اسر ان اقيم في مكان
 كانت تقيم فيه قبلا كتي ومن احبها ولدي واني دون ان اعرفها او اراها فقلني معلوم
 من الشوق اليها والحب العاتق البعد واني اتمني ان اصل اليها واشاهدها واروي شوق
 منها غير ان كل آت قريب . ثم امرت بهزاد ان يطلب من الشاه سلم سرعة المسير
 إذ لا يمكنها ان تقيم أكثر من خمسة أيام فقط للراحة . فأجاب وبأقل من المدة
 المذكورة هيا الشاه سليم كل شيء وامرت ايضا الملكة ان ينادى في تمامه ليس ان
 من يرغب في حضور رفاف فيروز شاه على سيدتهم القديمة عين الحياة فليخرج معهم
 على نفقة الدولة وكان كثير من الاعالي يرغبون ذلك فاصدقوا ان سمعوا حتى حلوا
 قباهم واستعدوا مزيد الاستعداد وخرجوا مع رجال ايران وكان عددهم ينوف عن
 اربعين الف خمس وبنيت الشاه سليم والها الرايات اليمينية المخصوصة بملوكها وساداتها
 وبعد ان سارت الجموع الى شطرين الفرس من اليمن واليمنيون من الشمال وكتبه
 الملكة مودعها المكمل ببيان الحبة والوقار ومشي بين ايديها بهزاد كالمعدة برفاقه وقد
 قالت له اني لا احب ان اتول في مكان بعد او ادخل مدينة الا في مصر لراحة ومن
 علم اسير الى الرومان دفعة واحدة لاني اعلم ان الملك وولدي هم بالانتظار يطلبون
 حضوري ولو حل اجنحة البرق ولذا تارفت جدا ان لا اضيق من الوقت ساعة فابست
 اماننا رسولين أحدهما إلى لندن الطائف لتركب تاج الملوك بمن يريدان يركب وتسير
 بقومها بين رجالنا والآخر إلى الاسكندرية إلى كرمندان لتاتي إلى مصر برجالها الذين
 يرغبون حضور هذا الزفاف وهذه الاعمال تختصر الوقت اختصارا مائتا بار ندم الملتقى
 والمواجهة إلى ملاد الرومان قالوقت ثمين الآن فأجاب طلبها وفعل ما امرته أن يفعل
 ولما قربوا من لندن الطائف بقيت الجمر سائرة وتقدم هزاد من المدينة فوجد
 تاج الملوك بالانتظار فأمرها أن تركب في عودجها وتسير بقومها فامتلت وهي لا
 تصدق أنها سائرة إلى ملتي خورشيد شاه وانها ستضم إلى جنبه بعد قليل من الايام
 وتركب معها من قومها نحو خمسة آلاف نفس من كبار قريتها وسادروا في جنب
 جيوش الفرس بعد ان حلوا من بلدهم الاحمال النفيسة من الاطياب والمفاخر
 ليقدموها في هرس فيروز شاه وعرس سيدتهم تاج الملوك وداموا في مسيرهم على هذا
 الترتيب ينزلون وقت الليل وقبل بزوغ الشمس يركبون واكثر الاوقات ياتون
 على ظهور الخيول حتى قربوا من مصر وشاهدوا اسرارها عن بعد فارسل بهزاد رسولا

يخبر الشاه صالح ووزيره أبا الخير بقدم الملك زوجة الملك ضراب وكان المصريون على استعداد لذلك فخرجوا عن بكرة أبيهم نساء ورجالا احتفالا لها ولقائها والنساء توطئوا والأرلاد تنادى بالفرح والموسيقات تعزف بالنهاى وأدخلوها إلى المدينة على أحب الأكرام واحتفال وأدخلوها قصر طوران نصف فتلقتها وترجبت بها وقبلت يدها وكان القصر موزنا بأجسى زينة وأغرها وانزلتها فى الغرفة التى كانت تقيم فيها حين الحياة وبعد أن استقر بها المقام جاءت إليها طوران تحت وقبلت يدها وجلست إلى جانبها تحدثها بما وقع لهما مع عين الحياة ومجيء فيروز شاه إلى القصر لئلا تملجبت أرسلت على خدودها دمة رفيقة وقالت ان عبة ابنى لها عبة الآلهة ولولا ذلك لما كان يحاطر بنفسه لأجلها ولا كان جر كل هذه الملوك والفرسان للمعاربة ست سنوات وأهلك ألوفاً ومبناات ألوف من الأبطال لأجلها ولولا تستحق ذلك لما فعل . وكانت تمزجاج تنظر إلى طوران تحت وتعيب من حسنها وجمالها وبهائها ولين قوامها وقالت لأرب أن مصفر شاه يستحقها فهو جميلة الوجه والمفنى وهو كذلك وكانت تمنى ونفسها تشتاق ان ترى عين الحياة لتعلم هل هى على كل هذه الارصاف المحكى عنها لتكتسب هذه المحبة العظيمة من ابنها حتى انه مرارا كثيرة ما فداها بنفسه وطلب الهلاك لأجلها وكانت تحبها لحب ابنها دون ان تقدر أن تتصور معنى جمالها لانها لم ترها قط ولا وصفها احد امامها . ولما عرفت الملكة بعمل ابى الخير الجوار واحيائه لولدها دعت إليها وانصت عليه وقالت له انى لا انكر معروفك حملت مع ولدك ولذلك اطلب اليك ان تسير إلى الرومان لتحضر عرسه وتنادى فى المدينة ايضا ان كل من رغب

انتهى الجزء السادس والعشرون وسيليه الجزء السابع والعشرون

الجزء السابع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

في المسير معنا فلا يتأخر ولا يرب أن ولدى يشتاق إليك ويحب من كل قلبه أن يراك في يوم عرسه حاضرا فرحه لأنه يذكرك معروفا ولا أظن أحدا عامله مثل ما عاملته ففرح أبو الخير من مجازتها ورقة خطابها وشكرها وقال لها من أنا يا سيدتي لا كرم منك ومن ولدك فاني عبد من أضعف عبيدكم وقد رفعت سيدى الملك إلى رتبة الوزار فوجعل لي مقاما بين هذا العالم وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا وإنى أحب من كل قلبى أن أتشرف في خدمة اعتابه يوم زفافه فأتيت عليه مزيج الشتاء وقالت له من الواجب أن تكون أنت من أقرب الناس إليه .

ثم أنه خرج من بين أيديها وهو يردد الشكر لها ويتعجب من انسابها ولطفها وقال لا يرب أنها تستحق أن تكون ملكة لفارس ولغيرها وزوجة للملك ضاراب وأما لفيروز شاه لانتها أكرم النساء أدبا ولطفها وخصها الله بكل فضيلة وبعد خمسة أيام من وصول الملكة إلى مصر وصلت كولندان برجال الاسكندرية وكان يبلغ عددهم نحو ٣٠ ألف نفس وبلغ ذلك الملكة فأمرت أن تنق في الخارج مع قومها وفي هودجها وأمرت بهزاد أن يخرج إلى الخارج وينادى بالرحيل ففعل وسار إلى كولندان وترحب بها وقال لها ان الملكة كانت بانتظارك وهي في هذه الساعة طالبة مبارحة هذه الديار فطلبت إليه ان يقدم احترامها وشكرها للملكة وكان الجميع ولا سيما البنات يرضون في سرعة المسير إلى الملكة . وبأقل من ساعة خرجت أهل مصر من كبار وصغار ما يبلغ عددهم نحو مائة ألف نفس في خدمة طوران تحت و بين ايديهم الهدايا والتحف مما خلا وتذر وقدم الشاه صالح خراج مصر إلى الملك ضاراب في ذلك اليوم من كل موجودات مصر فحمل نحو مائتي ألف حمل تحمل الاحمال على ظهورها الحظوة المصرية ومثلها وغيرها فحمل من كل ما يلقى بأن يقدم في عرس فيروز شاه وبعد ذلك خرجت الملكة تمر تاج راكية في الهودج وركبت طوران تحت في هودج آخر وسارت بين قومها المصريين ومن ثم سار الجميع مودعين أهالي مصر وديارهم وداموا في مسيرهم عدة أيام وكلما قربوا من مدينة أو بلد وعرف أهلها خرجوا لللتقامهم وقدموا للملكة احترامهم وافرغوا بين

أعطيت من الحكمة يديها الهدايا والتحف وسار منهم جماعة لحضور هذا العرس العظيم حتى خالت الأرض منهم واستلأت من كل جوانبها حتى من كان واقفا في أول القوم لا يقدر أن يدرك آخرهم قطر وكذلك من وقف بين الاحمال من الأول لا يمكن أن يدرك الآخر وكان نحو ثلاثين ألف عبد تسوق الجمال والاحمال ومثلها في مقدمتها راية على ظهور الخيول لتقودها وراءها ونحو ثلاثين ألف راع تسوق القطعان والمواشي وما هو من فصيلها والكل يتقدمون شيئا فشيئا حتى قربوا من ملاطية وشاهدت الملكة آثار الواقع هناك واستنهمت من هزاد فأخبرها بما وقع عندها وما كان من أمر صاحبها سيف الدولة وخرجت أهل ملاطية للملاقاة وطلبوا إليها أن تخرج فترتاح عندهم قليلا فأجابت إلى ذلك ودخلت المدينة باحتفال عظيم وأقامت في القصر التي كانت فيه عين الحياة مع امرأة سيف الدولة وبعثت من هناك الرسل إلى الملك ضاراب تعله 'بقرب وصولها وأنها ستقيم في انطاكية برمين أو ثلاثة أيام كي ترتاح من التعب الذي لاقته في سفرها هذا كونها كانت تسير بسرعة كلية .

وبعد أن أقامت نحو ثلاثة أيام في المدينة على إكرام وترحيب وولاتم فاخرة ركبت وسارت وأمرت بالجرع أن تسير وكانت منقسمة إلى قسمين كانتقدم واحدا إلى العين والآخر إلى الشمال وبين يديها هزاد وجاعته وما بعدت يومين عن المدينة حتى وصلت أطراف الجماعة إلى مدينة قيصر مع أن الملكة كانت تبعد عدة أيام ولهذا خرج الملك ضاراب بنفسه وخرج ولده فيروز شاه وطيطلوس الحكيم ودوش الراي وسيف الدولة وجميع فرسان فارس وأنصارهم والموسيقيات تعرف بأصوات الهناء إكراما وترجبا بملسكتهم وساروا بترتيب وانتظام في وسط القادمين حتى التقوا بتمرتاج وهي في هودجها فسلوا عليها وهي فيه وهتاوها بالسلامة واحدا بعد واحد وكلهم يستحبون مما صحبت معها وبما جاءت موتا كدوا أنه سيكون لفيروز شاه مراسا لم يسبق لغيره فاجتمع به الألوف ومئات الألوف والملايين من الناس وتفرغ لأجله الخزان والعصا ديق ونحوها وتنهرف به الجمال والنباق والقطعان بما لا يمكن عدده وحصره ثم تقدم الشاه سليم من الملك ضاراب وولده وسلم عليهما وهتاها بالتصاريح والظفر فترجبا به كثيرا وشكراه على غيرته ومعروفه وإهتمامه وأبداه لكل مؤانسة ولطف وفعل ذلك مع كافة الأمراء الآتين والرعايا صغارا وكبارا ثم تقدم فرخوزاد من الشاه سليم وقبل يديه قسلة وبكى كل منهما بكاء الفرح بملتقى الآخر وسأله عن بنته فأخبره أنها في راحة تامة وكذلك الشاه سرور فإنه سلم عليه وهتاها بالسلامة وبعد ذلك ساروا راجعين إلى المدينة وأمر الملك طيطلوس أن يوزل تلك الجرح في منازل موقفة كل على حدة في ضواحي المدينة بحسب ترتبه وتديره

فأجاب إلى ذلك وأسرع إلى هذه المهمة حتى أقام كل فريق في ناحية وضربت لهم الحيام
وجئت لهم الخدم لتقديم الموائد والأطعمة ودخلت الملكة إلى المدينة وقد فرشت لها
الأسواق بالآلقة الفاخرة لتدوس عليها ومنها الأمراء والأعيان إلى قصر الملك
وأخذت البنات الآتين معها إلى قصر مخصوص ودخلت القصر فرحة من كل ما تصادف
وترى وكان أكثر سرورها ولدها وقد أخذته إلى جابه وهي لا تقارقه وتنتظر إلى
وجهه نظر الحنو والرأفة وتشكره على سلامته وعلى أنها عاشت ورأته سالما ولما
استقر بها المقام قدمت لها المآكل والمشارب ثم طلبت الراحة والنمافانصرف عنها
الجميع وهم يؤملون بقرب يوم الزفاف اذ لم يكن من مانع بعد يمنع أو يبعد ثم دخلت
الملكة غرفة المدام بعد أن قبلت ولدها الرف قبلا وتبكي وتشكره وهو يقبل يديها
قامت مرتاحة وسار فيروز شاه إلى قصره واجتمع بهان أفروز وعين الحياة فلاقاه
كالعادة واكرمتاه وهنأته بسلامة أمه ووصولها إليه فشكرهما وقال ان من اللارم
ان تصرف هذه القيلة بالحظ والسرور والفرح اذ أن أعلم أن أمي في القدنا أخذنا إليها
ولا أعود أراكم إلى حين الزفاف حيث ذلك واجب في مثل هذه الظروف فسي بنفسها
تقوم بشأنكم وشأن جميع بنات الملوك. فأجابته إلى طلبه ورقنا المدام وحرفنا ليلة
بالانس والصفاء معه لم يسبق ان صرفوا مثله إلى حين الصباح

قال ولند إلى طيطلوس الحكيم وما وقع له في كل هذه الأثناء وهو انه لما أقام
الأمراء بعد تملكهم المدينة في قصورها وأخذ كل واحد قصرا لنفسه يقم فيه أخذ
طيطلوس قسرا له مع خدمه وحشمه وقد سر من انتظامه وكان في ذاك القصر جارية
تصلح شأنه وترتب أموره وإثائه في كل صباح ومساء وتفرشه بحسب مشتهاها وهي
رومانية لا تعرف الفارسية ولا غيرها وكانت من الحسن على جانب عظيم جدا يعشاء
اللون صافية الحد مشربة حمرة ذات قد قويم ولين وانعطاف على أتم ما يكون من الحسن
الذي يروق في عيني من هو كطيطلوس خبير بأحوال العالم يعرف الحسن الكامل ويعلم
الصفات الحسنة ولما وقعت عينه عليها تحركت فيه لواجب الوجد بالرغم عنه وأراد
ان يضبط نفسه ويمتنع عن سلوك هذا السبيل فخرج من القصر وطاف في جهات
المدينة لوحده دون نتيجة لأنه كلما اجتهد ليعود عنه هذا التصور تطرق تلك الجارية
أفكاره وتلوح أمام عينيه بقدها وجمالها وجمالها يزيد به الوجد وأبنا سار يتبعه إلى
أخيرا وحى إلى نفسه

وقال ما هذا الأمر ياترى البس ذلك من تدبيرات العناية فاني هشت عمرا طويلا
دون ان أعرف فتاة أو اميل إلى فتاة وكنت ارى من ذاتي اني اقدر على رد جماع النفس بما

والجلد أما الآن فلا سبيل للهرب من العشق فهو سلطان كل ميل ولا يرد قط بفضيله ولا يصبر فالمشقة وحده هو الذى يتسلط على عقول الحكماء والملوك والأمراء والأفراد ولا يفرق قط بين أحد ولا يكرم أحدا فإذا جاء إنسانا تحمك فيه بقوته ومن مانه زاد عليه وضيق كل طريق وطرقته ورماء بالفرش والذئاب ولا يراعى لا حكمة ولا فلسفة ولا دبا ولا معرفة ولا سلطانا . وماذا ياترى يمنعنى من أن اتخذ هذه الجارية حليمة وأسلوى غيرة من أبناء الملوك والوزراء . وهى فى يدي وتحس سلطانى . ثم فكر فى الأرض برمة وقال ماذا ياترى يقال عنى إذ أخذت جارية وهى خادمة فى القصر ألا يوجد بين بنات الملوك والأمراء من يصلح لى وبأى طريقة يمكن أن أخبر الملك خراباب بذلك ولا ريب أن الجميع يزدأون لى فى حقولهم ويحكى الناس بحق فيقولون تزوج بجارية أعدت لخدمة القصر وإصلاحه

قال وبعد ذلك عاد إلى القصر وهو معتمد على الزواج بها ولم ير مانعا قط إلا ما يتصوره من دثامة أصلها واعطاط قدره بين رجال فارس وهذا كان يشغله ويهتم إلى تدبيره وبعد أن دخل القصر وقع نظره عليها فحركت فيه القواجع وهاج به الفرام فدعاهما إليه وكان يعرف اللسان الرومانى فاطهر لما كل لطيفة وكرامة فقابلته بالمثل وأبدت لديه من الرقة واللفظ ما زاد فى هواه وصرف كل السهرة على تلك الحالة كلما بدت منه ساعة وانفرد بنفسه يتلبلل باله ويضع صوابه فيعود إلى طلبها ويدعوها إليه ويكلمها كلما خارجا عن دائرة الحب والشكوى حتى لحظت منه كل ما هو واقع فيه فصبرت عليه ولم تقبل أن تبدى أقل حركة تجيبها على أمكاره بل كانت تظهر له من الوداعة والعطف واللين ما يظهر له أم اليسع من الحوارى بل هى من درجة عالية . فقصدا متحاشيا ليدلم ما هو عليه من المعارف والآداب فوجدتها مهذبة كل التهذيب عارفة بالتاريخ والجغرافيا وأحوال الممالك والبلدان وقالت له فى آخر كلامها انى شاعرة أقول الشعر جيدا بالرومانية حتى يندبر بين قومي من يقول مثلى فسر من كلامها وقال لها هل لك أن تسمينى شيئا من شعرك لأرى رقة فلا ريب ولا شك أنه يكون بدعيا لطيفا لكونه صادرا من فتاة اتقنت الحكمة والتهذيب حتى أصبحت على غاية مايرام . فانشده باللغة الرومانية ما يقرب معناه إلى العربية ما يأتى

أيا سيدا حاز المكارم والعلما ومن شأوه فى حلبة الفضل لا يخفى
لذلك ينعو القول نظمته عقده وفرطت آذان المعالى بها شغفا
وكم فى طرق المعالى من يد عصرت بها غصن الوداد مع الأكفا

فذلك قد أفرزت الفضل أمينا
 فتأرق ذوى العليا، وامتد لها كفا
 متحفظي بها نعى عليك مفاحة
 وترشف معسول الأمانى بها رشفا
 دهاك بها إنسان عين أولى انتهى
 الروكة أشراق من الأخلص الأصفا
 نهادىكم عرف الرياض بحجة
 وتشر من صفو الوداد لكم صففا
 وكانت تنشد بلغتها الرومانية وفى لسانها لغة تزيد فى حلاوة إنشادها وحديثها
 حتى خيل للوزير طيغولوس الماقل الحكيم أن كامل المشق برمت وأوائله وآخره قد وقع
 عليه فلم يبق له من صبر ولا جلد وكان ينطق بما انطوى فى ضميره فتمتة حرة نفسه
 من أن يكلم جارية بهذا الشأن أو يفتحها بفرام وحب كجها العالم رشايتها وعظم عليه
 الحلال حتى كاد يفقد عقله ويغيب عن رعبه ولحظت هى منه ذلك وعرفت أن بقاءها
 عنده يضر راحته فصعدت أن تدعه ينাম وثبت لديها كل الثبوت أنه وصل إلى الدرجة
 الأخيرة من حبا . فقالت له يا سيدى إن النفس قد فعل فى أشده حقول أعد أقدوران
 أبقى بين يديك فاسمح لى أن أذهب إلى فراشى أنام هذه الليلة كوفى تبة . فقال لها لا
 ريب فى أن أذهب فى راحتك فأذهى إلى فراشك ونامى أمانة مطمأة قبلت بديه وخرجت
 مطهرة كل أدب واحتشام وبعد أن بعدت عنه زاد به الشوق فأخذ يمشى فى عاسنها
 وفيها هى عليه من الحسن والجمال والركة والآداب وتلاعبت بالبلابل وحركته ودواعى
 الحب فأراد أن يلهى نفسه بالنوم فلم يقدر فعاد إلى مكانه وأشعل غليونه وهو يجب
 من نفسه ومن أفكاره وكلما أخذ أن يلوم قلبه على هذا التطرف بالحب عاد إليه وأقننه
 أنه مضطر إليه وأنه لا يقدر على تركه . ولم ير وسيلة تخفف من مصائبه إلا التهاته
 بالقصائد والشكوى فيها فجعل ينشد

فديتك لو وطئت على جفون
 لما كاد تنبه من كراها
 وقد سدلت غداثها لتخفى
 إذا ابتسمت صباحا فى دجها
 وفى طرف الخفاء ليوث حرب
 تدور عليهم أبدا رحاما
 خفيت بسد لها فى الحى من أن
 يهب أشطهم أدنى شذاها
 بدت فوجعت من دهم كائن
 نظرت إلى وداع من لقاءها
 وقد حشرت حياء عن نظيم
 فمحتة تثارا مقلناها
 فلا أنسى وقد آنست وطاب الله
 ندى بما يحذنيه فاما
 حمام فى النصوصن تتوح شوقا
 تبوح بسر ما يعطوى حشاها
 فكان النفسن لى غصصا وكان الله
 حمام لنا نان جمت نواها
 فممت لوقوف الذرديع أطوى الله
 ضلوع من الشجون على لظاها

ظلمك أرى من بعدها في نساء الحى أحلى من سلاها
 وكان عندما ينشد الصعير يردد بعضاً من غليله فيضحك من نفسه كيف أنه علق
 بالحلم والغرام وهو جارية من الرومان مع أن أكبر بنات العالم كانت ترغب في أن
 تكون درجة له لقامه واختاره بين رجال فارس والحكمة وآداب وتعلمه ولا يستقر
 على مثل هذا الضحك حتى يجد من قلبه منها قريباً يسهل لديه طرق الغرام ويطلعه على
 سرائره وإن ليس في الحسن جارية أو سيدة فسيان عنده يزور كل من يطيب له أن
 يزوره وكان يتجنب كيف أن جارية مثل هذه تربت على الخدمة والضئيل قدرت أن
 تتعلم مثل هذه العلوم وتمي في صدرها معارف يعجز عن حل مثلها غيرها من عقلاء
 الرجال لا بل من الملوك والوزراء . ولم يأخذ نوم كل تلك الليلة وفي الصباح نهض
 وخرج من غرفته على أمل أن يراها فلم أراها فخرج إلى ديوان الملك وكان
 ذلك قصداً منها لأنها حاولت أن تبقى إلى بعد خروجه اختفاء من أن يشغله مآها فلا
 يخرج إلى الديوان وربما خرج عائداً متأثراً من جمالها وبها فظن حاك حالاً إلا أنها
 في المساء أصلحت نفسها إصلاحاً مربياً محملاً على الأدب والوقار ولا تتوجهت وقدمت
 له الطعام يدها فجلس على المائدة يأكل وخرجت من أمامه إلى أن اكتفى ثم قام
 إلى غرفته ودعاها وأخذ يشاغلها بأحداث العالم وأمور الدين فوجدها على أوى جانب
 تمى في صدرها أديان العالم وعبادتهم إلى آخر السيرة ثم استأذنت وخرجت وحسرت
 تلك الليلة كالليلة الأولى وفي الصباح نهض وسأل عنها فقيل له نائمة فانتبه إلى غائتها
 وشكر ذلك منها كل الفكر وخرج إلى ديوانه وهو لا يصدق أن ينصرف ذلك النهار
 حتى يعود إلى قصره ويشاهدها ولما انقضى وانفرط الديوان رجعت وهو مهووم من
 حالته يحسب أن يطلها على أمره ويوبخ لها بفراقه وقال في نفسه إلى متى هذا التهام
 فان صبرت على ذلك مدة أيام أصبت بمرض ليس أنا المعروف بالحكمة والتدبير
 فابن عقل وتديري ومن استمد المعرفة وأطلب التدبير وإذا كانت جارية لا بأس فذلك
 قسمة لي من الله تعالى ونصيب كتب لي ومن المواقف أن أحلها على الأميرات من
 النساء وأرفع شأنها وأخفى أمرها إلى حين زفاف فبهود شاء فظهره وأبدىه علناً وهذا
 ضرورى لأنى تأكدت أن لا مغرمه ولا مهرب فطرد إذا كنت أعلم ذلك فلما الإصرار
 على العناد . وعول أن يخالها بحبه تلك الليلة ويطلها على أسرار قلبه ويمسها من الخدمة
 ويحلها محل السيدات

قال ولما دخل القصر وجدها بانتظاره فقلقت بالترحيب والاكرام وأبدت له
 من الرقة والمذوبة ما أسكره ودخلت به غرفة الطعام فجلس على المائدة وجلست إلى
 [١٦ - فيروزتالك]

جانبه واخفت نأكل معه كالسيدات وهو يتعجب كيف رعت إلى أفكاره وسمعه فيها قبل أن تأتيها وبيت عنده أنها أدركت حبه وبعد أن فرغ من الطعام ونهضا عن المائدة . قالت له اني سألك شيئا يا سيدي أريد منك أن تجهيني عليه . قال وما هو فأوجزي واكدي اني لا اخفك قولا ولا أمنك من شيء تطلبت . قالت اني وإن كنت أعلم أنك من هؤلاء الناس وفلاسفتهم وقد يندر وجود من هو مثلك في هذا الزمان وأنت لا ترغب في مجالسة النساء هل صفة المدام إنما لي كلاما أريد أن أطلعك عليه وأخبرك به ولا يمكن ذلك إلا عند معاينة الخمر . وقد أعدت بواطي المدام على النسق اللائق بمكانك وكرامتك . فأطرق إلى الأرض وقال اني لا أسر من مجالسة من مثلك قط كرتك لسد من النساء الجميلات إنما أكره التطرف بشرب العقار . قالت لا بأس في هذه المرة وليس من سبب يملكه عندها سببها وهو المساعد لما أبدته . فقال اليك ما تطلبن وقد وجد نفسه مضطرا إلى الاقبياد اليها بالرغم من غايته وبما تدهره الباربيت وحكمته وتقهه فساروا بها إلى غرفة المدام فوجد هناك صفة معدودة عليها من كل أجناس الزهور والرياحين والفاكهة الطيبة والأثمار اللذيذة والحلويات الطيبة وزجاجتين من الخمر صغيرتين فقط وكل الآنية من الذهب الرواج المنقوش وإلى المائدة كرسيان من الأبنوس جلس هو على واحدة وجلست هي إلى جانبه . وقالت له أريد منك يا سيدي أن تعلم قبل كل شيء من أنا ليرتاح ضميرك وبالك وإني أعلم أن شدة الحب أوصلتك إلى درجة نهاية قناب عن ذهنك أن تسألني عن نسو مع أنه كان لديك من المسوغات ما يدعوك إلى ذلك كوني لو كنت جارية لما كنت حائرة على المعارف ولا تعلبت قط حتى أرى من تقضى اني أقدر أن أرضيك بها

فلما سمع منها هذا الكلام ظن نفسه أنه في منام ورأى ذلك منها دين الحكمة والتأمل والطف والتبصر إلا أنه قال لها اني ما كنت أعلم أنك تجهلين أمري وقد عرفت مؤكدة أنك في رغبة لا جابة طلى ولولا ذلك لما أدركته مني وعرفت ما لا أبدته لك حتى الآن . قالت اني عرفت حالتك وما أنا بما يجهل حالة الناس ولا سيما في مثل هذه الظروف التي لا تخفى دواخلها ولا يمكن لصاحبها أن يكتنمها إنما كنت أنتظر منك أن تستصفي من نسي وتعرف من أنا لتفزع من ذهنك ما يشغلك وتحسرك به دائما وهو اني جارية أو خادمة في هذا القصر والصحيح اني أنا نور بنت الوزير بيد أخطل وزير الملك قيسر وقد صرف على كل ما عروهان حتى علمني العلوم النادرة في غيري إذ اني وحيدة له وكان يحبني حبا عظيما ويستشيرني في كل أموره ويفعل كل ما أقوله له حتى اني منذ بداية هذه الحرب قلت له ان يطالع الملك قيسر على نتائج

وينصحه أن يرجع من هزمه ولا يفتح حرباً مع الملك ضاراً بل لانه لا يقدر على مقاومته :
فهران ذلك لم يكن لتلقى انبوش ابنه بعين الحياة ورغبته بزواجها ولما بلغنى مقتل ابني
وما وقع على الملك قصر وجهاته حزن عليه وصبرت على امرى وتظاهرت بانى
خادمة القصر لاعرف كيف يكون متبهى امرى وخوفاً من أن اكون مطمئناً لبعض
القبائل الجبلية وقد طلبنى في زمن ابى كثير من القبائل الامراء فامتنع اذ كنت أعلم
أنهم رجال نصف وخلاعة لارجال حكمة وادب ونويث ان لم يقسم لى الدهر يعمل
أسر من آداه يكون خيراً بمثل هذا الارتباط المقدس وواجباته صرفت العمر عذبة .
ولما دخلت أنت هذا القصر وجدت نوماً من السلى والتزينة وشكرت الله على وجودى
بين يديك ولو كنت اتى كل العمر خادمة ولم افرح زمانى بطوله فرحاً يقوم مقام هذا
الفرح لان ابى لأجل سائر الذين علونى كانوا يذكرون أن لارجل فى الدنيا اهرف
وأعلم من طيطلوس الحكيم الفارسى قد جمع بين كل علم وادب وفن ورياضة وحكمة
وساد على الامراء والوزراء والملوك واعيان حتى اخترق صيته السبع الطباق وسار من
المغرب إلى المشرق ومن الشمال إلى الجنوب وائى شئ احب لى من ان اصرف العمر
بين يديك وقد شاهدت منك اخفاف ما كنت اسمعه منك فكرامة اخلاقك ووسعة صدرك
اشغلا بالى وأرمياى بخلوص مودة وعشق فالى اعشق صفاتك فارجو ان تعاملنى معاملة
الآب الحنون والمخلص الزورف ولا تبعدنى عنك العمر بطوله فانت الغاية القصوى والمراد .
ثم اشارت تمدحه بهذه الايات

انت يا من تقاد طوعا اليه	وامثالاً قلوبنا واختبارا
ما تاخرت عن مديحه الا	لامور تفتت الامكارا
أنت من قبل الدهر كفى	ه ويدي اذا غضبت اعتذارا
احضنتى الاحوال عن كل شئ	لم تدع لى غلى اقتدارا
وحظوظ اذا عتبت عليها	نسجت لى من الهوى اعدارا
فصت بمر القويض بالفكر حتى	لك اهدى من اللالى الكبارا
فلعل انتيت منها بتدر	وقصورى بالفوم منك استجارا
كم اناس ما ان لهم في شعور	يطلبون الاشعار منا اختبارا
وفى يظن ان حاز كتباً	انها الفضل حاملا اسفارا
بك فخر القريض شرقاً وغرباً	وترى عند جامك المقدارا
كل بيت اذا تأملت معنا	ه يقينا حببتى سحارا
كل بيت تكاد تشربه الار	واح لعلنا إذا ادير عقارا

لو روتته الرواة يوما للصونات هتكت استارا
 ايس يحكى من راح بما اعزاء مقعد من سعى اليك وسارا
 كل طرف بغض من روج الفم من وامت المنور الاجارا

فلما سمع الوزير مطيوس كلامها ورقة معناها كاد يذوب عن الوعي وتاه عقله من ورقة معانيها وطية قلبها وميلها اليه واظهار ما ابدته لصوره وما زاده فرحا وكاد لا يصدق ما سمعه منها من انها بنت وزير خبير وانها من كرماء النساء واعظمهن فقال لها لا انكر انى احبك واهدى لك الآن حبي واطهره عيانا وما زدتني فيك سجاها وما شاعده منك من التهذيب والقرية وانى احب الآن ان اتخذك زوجة ومدرة للملكى ومن كنت انت زوجته وصاحبة بيته يكون سيدا ناجحا وما اوصلى الله اليك الا ليقرن حكمي بحكمته ريمحل نسلنا ادا قدر الله سيدا وانى اعرف ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد اجابنى الى هذه الايام بلا زواج دون ان افكر به قط حتى اوصلى اليك فعينى بك وارغمنى الى معايل الطيبة فقالت له من اين لى مثل هذه السعادة العظيمة ان اشرف بتقيل ابدك في المساء والصباح قال انى اعاهدك واتخذك لى زوجة وقدار تاح ضميرى وصرت منذ الآن خطيبة وعند مجرى الملكة تقام الافراح وتزفين على وارفى عليك والان فاشربى مسرورة وكونى مرتاحة - فقبلت بديه وشكرته على معروفته وقبولة لما زوجة ثم قدمت له الرياحين ورشته بماء الورد وسكبت كاسا من الخمر فستت واشتدت

فلم الراح يا نديمى لعل	اقتراهم ان شربت العقارا
واجعل كاساها على وزمزم	باسم من صبر العقل صارى
فهوة مثل دمة العين في الكا	س صفا فالبيل زاد اعتكارا
وادرها اذا الجوم تجلت	وشهدنا من زهرها الانوارا
وكان الساء روضة حسن	اطلمت في مقامنا ازهارا
واشربا كانها في الدجى في	د تلفض بالشعور عذارى
وكان الهلال يحكى لوقد را	ح من القرب زورقا وسوارا
فاسقينى من يدك ترى العج	ر عن الصباح فدا ما طلا زارا
وحل الليل بالنهار فان العي	ش اثناء ما يكون سجارا
فرياض حكيها الامر والور	د التضبيران فضة ونضارا
وكان الافراح فيها تغور	عن غوالي الجمان تبنى اقترارا
وحكى النهر معصما وسوارا	يتوى وارقمأ سيارا
فاقرع الكاس لاعدتك صرفا	فلى الصرف تصرف الاعمارا

واعتقد أنها حرام وزور لا توافقهم ردما والنصارى

وأسأل الصوفى الكريم رحيماً قابل التوب يفر الأوزار

ثم سفته ثانياً وثالثاً حتى ذاق لذة اجتماع ومؤانسة ومعاشرة أفاضت إليه أيام
الغيباب التي صرفها بترك اللهو والبعد عن مغازلة الغاديات على أن الله سبحانه وتعالى يمسى
بالمرء خصائص قابلة لسوءك مثل هذا السيل في زمان الحياة ليأمله بأن يكون ١٦ بعد
صاحب عائلة ورب بيت وخلق في أيام الغيباب والصبا لمن أتى أو ذكر أُمياً لا تنحصر
على الأكثر في الغرام وأسبابه وأوتاده وأفكاره تنقل وتختطف في دماغ كل من شبان
هذه الأجيال تطلوا للارتباط ورغبة في إيجاد المساعد الوحيد الذي هو الروحة المتعاضد
في مثل هذه الحياة ودفعها ومن المقرر الثابت أن كل شاب أو صبية منذ وصوله إلى
أول درجة من التخرج يرى أن أُمياته تطلب شيئاً ربما كان لا يعرفه ونفسه تسأله أن
يدخل أبواباً يحمل طرائفها ومعارفها وماتلك إلا بتدبيرات العناية الإلهية التي تقوى تلك
الأميال وتمتصها وتقودها أخيراً إلى الاضطرار بالارتباط بذلك المساعد المتقدم ذكره
ومن ثم على الغالب تعود الأميال إلى التأخر والضعف ولا يعود في المرء البصيرة حمة
السعى في ذلك الطريق. غير أن طيطولت لما كان قد حارب تلك الأميال منذ بداية
حياته وأهلكها بالتعليم والتدريب بقيت كأمته في ضميره تظهر الرغبات المناسبة لتسلط
عليه وتحكم فيه ومن ثم تتبدع عنه بعد قضاء مصالحتها منه وهكذا كان يغازل ويشتكى
ويتحجب كأنه في سن الفتوة ولما لعب به الغرام ودارت الحزرة برأسه جاش الشعر
في خاطره فأنشد .

نقض الجرح وكان اندملاً	وامتلأ القلب وقد كان خلا
عاده داء الهوى من بعدما	راح قد أفرق عنه وسلا
ماله تروعه زفراته	كلما اشتاق صبا أو شملاً
وإذا شام بروقا لمعت	غلب الدمع الحيا فانهما
ومنى أبصر بدراً طالما	ظنه عنه الذي قد أملاً
عاش في أرغد عيش نزهة	مستريحاً راق حالاً وحلاً
ليس يدرى ألم حتى أن أرى	ليه لم ير تلك المقللاً
فعلت فيه بطرف لو رمت	حجراً صلداً به لانفلاً
كيف لا يجرح قلبي طرفه	وإذا السيف تحرك قتلاً
بأبي الزيم الذي من لحظه	سرق الظلي الكحيل الكحللاً
لايم العصب على الحب الذي	سيف لحظه يبيح الأجللاً

والذى يصبو لأحداقها لم يمت بها إلا مجتلا
 خل منك اليوم باق قد سبق العيف اليه العذلا
 ويح قلبي من هوى ذى ضجع ظالم في حكمه لو عدلا
 ماله حمله ما لم يلق أنراه ظن قلبي جعلا
 غصن البان الذى فى قد سلب اللين القفا والاسلا
 يا خليلي بلا أمر سلا فى قرادى لحظها ما فعلا
 أمقيم معه يصحبها أم دعاه لردى فامثلا

وبالاختصار قد صرف طيطوس ليلة من ألد الليال التي مرت عليه باجمها ترك
 حكمته وعلمه ومعارفه إلى جنب وسلك سبيل الخلعة والحب والزهو مع المحافظة على
 الآداب والعفة وجاء النهار وهو مع عبيته الجديدة على مثل تلك الحالة المتختم ذكرها
 وفي الصباح ذهب كل منهما إلى فراشه قام فيه ريثما استراح ثم خرج طيطوس إلى
 ديوان الملك وهو مسرور في قلبه مرتاح في ضميره وكان يصرف تلك الأيام بتدبير
 معدات العرس وما هم باحتياج اليه وصار في كل مساء بعد الانصراف من السهرة عند
 الملك ضاراب يورد فيرى خطيبته بانتظاره وقد ميّزت له الصغر المعتادة فينبى ليلى على
 تلك الحالة وقد أغنى أمره عن الجميع ينظر الوقت المناسب وهو قدوم الملك والمباشرة بالأفراح
 ليطلع الملك على أمره ودام على مثل ذلك إلى أن جاءت الملكة كاتخدموا واحتفل بها وأخذت
 إلى القصر الذى أعد لها رحيلته وجد أن لابد من اطلاع الملك والأمراء على أمره إذ كان
 يجب أن يتزوج ثلثا كبقية رجال العرس فصر إلى أن كان المساء واجتمع في ديوان الملك
 والأمراء والسفهاء والملوك والوزراء بهتوته بقدم زوجته وبنشاورون
 بأمر العرس ومعداته وأن يبدأ في اليوم التالى بالأفراح والذين فقال الملك إن هذا
 بانتظاره غير أنه مفوض لحاضر الملك تمرناج ولا ريب أنها في الغد تطلب أن تعرض
 عليها واحدة بعد واحدة لترامن وترى عين الحياة ومن ثم نستشيرها في ماذا يكون
 وعلى أى طريقة تريد أن يكون هذا الرفاق وكيف تقام فيه الأفراح . وعند
 ذلك وقف طيطوس الحكيمة وقال أعلم أنها الملكة المعظم أنى خدمت دولتكم
 بأمانة واستقامة وأخلصت فيها بكل أعمالى وصرفت كل ما أعطانيه الله من الحكمة
 والمعرفة حتى صكنت أكتسب رضاءكم ورضى أهل وطنى وقومى باجمهم وكان ذلك
 يهمنى وبشغلى نظرا إلى المستقبل وما كمن فيه كبقية الجيلة البشرية أعرف أن المرء
 لا يمكن أن يتخذ في هذه الحياة وأنه لا بد من يوم ينزل فيه جسده ويرجع إلى أصله
 هكذا الله أراد وحمل وكان هو الوحيد أن أموت دون أن أترك من نسل ذكر الخدمة
 هذه النبوة من بعدى أو أن أعلم أو أطلب قى يلقى أن يكون بين أبدي سيدى الملك

أر بالحري بين يدي سيدي فيروزشاه ونسله من بعده غير أني كنت لا أسلك هذا السبيل لعلمي أن النسل لا يوجد إلا بالزواج وكنت لا أرغبه أرائتذ إذ أن قضى كانت بانفعال عنه لا سببا وإن كنت أحب أن أتزوج بنتا مهذبة عاقلة حتى لا أفسد الله بإرسال البنين تكون قادرة على تربيتهم بما يرضى الله وبأعلم لأن يكونوا ودواوين الملوك وأن يكون لهم ذكروشان وأعمال حسنة يصيرون به ذكرى من بعدى . وأما الآن فقد وفقني الله إلى المطلوب وقادني بالرغم عنى إلى الوصول إلى ما كنت أطلبه سابقا وأرغب فيه فاقى بالتضاء والقدر أقمت في قصر يداخل الوزير وذر الملك قصر وإذا فيه بنت له جمعت من الصفات الحسنة ما يتندر وجودها في غيرها فصرفت هذه المدة معها أمتحنها في كل العلوم العقلية والرياضية فاذا هي آية الحكمة ما تركت فنا إلا وتعلمته كأنها تاريخ العصر ومرآة آداب ونبذة المعارف وصفحاتها وطيه قد ملئت بكتيبات إليها وأحببتها وسألتها الاقتران فأجابتنى عن حكمة منها قالتلى إنها كانت لا ترغب الزواج بأحد إلا بمن أصلى من الحكمة ما أصليت ترقية لأدبها وطيه فها قبلت بذلك تمسقا منها للمعارف والفنون . وإني الآن أعرض عليك أن تضعنى في مصاف الذين يرغبون في الوقاف ويكون لهم حرس في هذه الأيام على أنى وإن صرت الآن كعلاء إلا أنى بالزواج شابا إذ لم يكن ذهفت قبل الآن على عادة هذه من الامراء الاولى التي اغترتها فمن الواجب أن أحاطها معاملة تليق بسنها وجمالها وصفاتها لأنها شابة وجيبة وليست بأدنى من غيرها من الواقي سيتزوجن في هذه الأيام ويقام لمن مقام في صدر هذه الافراح .

قال فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام من وزيره طيطلوس فرح غاية الفرح وقام اليه فقبله وقال له لا شئ يمرنى أعظم من هذا الخبر فأنت وحدك قد سبيت لى هذا السرور أليس من الضرورة أن تدخل سلك السبيل البشرى وتكون كواحد من أعضائه متحمما بمثل هذه النعم المعينة منه تعالى أليس من الضرورة أن يكون لك بين وبنات ليقام لك إلى الأبد ذكر في الدولة الفارسية أهل لو لم يتزوج فيلوزر البهلوان ويأتى بالأولاد النافعين الذين أخفوه وقاقوه لما اعتزت دولة الفرس وانتصرت أليس انى فيروزشاه وهزاد هما اللذان أقاما في صدر المجد وكل منهما جعل لأبائه مدحاعظما في قومه وفي غيرهم وانتصحت المملكة منهم . والآن فقد لاقت ما طالما كنت أتمناه وذلك بتدبيره تعالى لأنه لا يريد أن يحرم هذه الدولة من الانتفاع بل في نيته أن تنق يد إسمايل إلى الأبد معتزة بالمجد والانتصار وإني سأعد لك مركزا في هذا العرس فوق كل مركز لأنك أحق به من غيرك . قرح طيطلوس من كلام الملك وسر مزيد

السرور وكذلك جميع الامراء والقواد والوزراء فانهم شكروا طيطلوس على اهتمامه بالزواج على أمل أن يروا من نفسه من يقوم مقامه بعد وفاته ومن ثم انخرط الجميع من ديوان الملك وذهبوا إلى تصورهم يتحدثون بأمره وذهب هو إلى قصره فوجد محبوبته نور بانتظاره على حسب العادة قبلت يده وقبلها وذهبت إلى غرفة الطعام فأكلارا كنفيا وأخبرها بكل ما كان له مع الملك وأمرها أن تكون على استعداد لتقدم في الغد إلى الملكة ثم راج مع بقية البنات وربما تقيم في قصرها إلى حين الزواج فقرحت بذلك ووعدته بطاعة أمره وصرف تلك الليلة كالعادة ومن ثم عاد إلى الخمار .

وفي اليوم التالي نهضت الملكة من مرقدها وجلست في سريرها ودعت إليها الملك ضاراب فجاءها وسألها عن حاجتها فقالت له أريد منك ما سيدي الملك إجابة لسؤال قبل البائسة بالعريس وقيام الأفراح والمسررات إلى ما أسألك فيه الآن . قال أمرى فأتى أقصد لك أمرى على أسرع ما يكون ولا بد من النظر في رغائبك . قالت أنت تعلم أنني شوق رائد إلى عين الحياة خطيبة ولدي وأن قلبي ملهوف لرؤيتها وقد مضى الآن أكثر من ثمانين سنة منذ خروج ابنتي من إيران وأنا أسبغ بحديتها وأتدق إلى رؤيتها لأرى ما هي عليه من المحاسن والصفات كيف لا وقد هلك كثير من الناس وخربت عدة عمالك وانحط قدر الملوك بل وقتل جماعة منهم ورون صيتها في مشرق الأرض وغربها كل ذلك مما يستدعي أن أتدق إليها ولهذا السبب فكرت أمراً واحداً وهو أن أدخل كل البنات اللواتي جئن ليزفن على الامراء يوم عرس ولدي كي لا يقال إنني أفضل عين الحياة على غيرها لا سيما وأنا أحب أن أبن لامراء فارس وشاهاتها شرق إلى خطيائهن ومعاملتهن كأولادى . مما أريده أيضاً أن تبقى البنات في قصرى وتحت نظرى أقيم بينهن الأفراح وفى الأخير أصلح شأنهن بمهرقى وأزف كل واحدة على طالبها فتخرج من قصرى إليه وليس من الصواب أن يبقى كل خليل مع خليله ولا أريد أيضاً أن تبقى عين الحياة وجهان المروز عند ولدي إلى يوم زفافه وأن تزف وهى في يده ومن الموافق أن تبعدا عنه قبل الدخول هما عدة أيام أى أيام الأفراح إن شاء لشره وتنتهى لذلك اليوم . فقال لها الملك حسنا فعملين وإنى منذ هذه الساعة سأصدر أمرى أن يأتى كل أمير بمحبوبته إليك على حسب مشتاك ويكون لك ما تحلين ومن ذلك الوقت خرج إلى دوائه ودعا إليه جميع القواد والامراء وأمر خورشيد شاه أن يأتى بتاج الملوك وكولندان إلى قصر الملكة لفرامها ولتعرض على كولندان وجوب زواجهما بكرمان شاه ثم أمر فرخوزاد أن يأتى بأتوش أيضاً وأمره صفرشاه وطيطلوس وبهنزارقبا أن يأتوا بطوران نخت ونوردكلىة إلى الملكة وأمر ولده فيروزشاه أن يذهب بين الحياة

وجهان المروز إلى والدته . فأجاب الجميع وسار كل إلى قصره ينفذ أمر الملك وعاد الملك إلى زوجته فأخبرها بقرب مجيئ البنات إليها فنهضت من سريرها ولبست ملابسها الفاخرة المرسمة بالجوهر والياقوت وأرخت عليها مشعلها طويلا من النسيج الفارسي الكشميري مشغولا من دائره بالحرير الملون وفي كل حبكة من تلك الحرير ماسة بقدر الجوزة ولبست على رأسها التاج المخمض بها المصع بكل حجر كريم حتى أصبحت كأنها الشمس تضيء في رابعة النهار وكانت كما تقدم الكلام جمة الوجه والطلعة فسر الملك ضراب من عملها وكان قد مضى عليه عدة سنين وهو لم يرها في مثل هذه الزينة ثم ذهبت إلى غرفة الاستقبال وجلست على كرسى من العاج وإلى جانبها الملك وأقامته بالانتظار وإذا بخورشيد شاه قد أدخل عليها كولندان وتاج الملوك فنظرت إليهما ومما في حلقهما الفاخرة وعليهما من الملابس ما يدهش العقول وتعبت من حسنهما رجاءهما و سألت الملك ضراب عنهما فقال إن أحدهما هي تاج الملوك بنت المذر ابن النعمان صاحب الطائف والثانية كولندان بنت صاحب الاسكندرية ثم حكى لها خبر خورشيد شاه معهما وبعد ذلك تقدمتا منها وقبلتا يديها فقامت لهما وترجبت هما وقبلتهما بين الأعيان وأكرمتها مزيد الأكرام واجلستهما إلى جهة من القاعة وقالت لخورشيد شاه هناك يا ابن عمي بما أعطيت فإن الله قد أقسم لك نصيبا من السعادة في هذه الحياة وانت اقترح الآن لفرحك فما أنت الا كولد فيروز شاه يسرى أن أراك مرتاحا عنهما . وكان الملك ضراب قد بعث وراءه كرامان شاه لخضر لين يديه فامرهم أن يجلسا إلى جنب كولندان كما جلس خورشيد شاه إلى جنب تاج الملوك ثم قال لكولندان اعطيني أبنائي الأبنه الكريمة أني أشعر بما صنعتني معنما من الجبل أثناء وجود ابن عمي خورشيد شاه أسيرا في الاسكندرية وما سهلت لجيوشي من الطرق لفتح تلك المدينة ولذلك لا أنسى قط أننا أولومون بمكافأته على مثل هذا الجمل وإن ابن عمي المذكور كان قد عاهدك أن يكون لك زوجا وتكونين له أهلا في ذلك الوقت الا أنه كان قد سبق منه مثل ذلك الهدى إلى تاج الملوك بنت المذر ابن النعمان الحاضرة أمامك الآن وقد بادتنا بالمعروف كما بادتنا أنت أيضا وانتشكته مع فرخوزاد من الاسر وسلمتهما أيضا المدينة وعليه فقد فكرت واخترت أن أرفك على ابن عمي كرامان شاه الحاضر أمامك الآن فهو يحبك ويرغب فيك ولا أظن أنك تمنين طلي فمما في درجة واحدة حسنات ونبا وأدبا فأقبلتني ما أطلبه إليك واستقل بزوج واحد كما أن خورشيد شاه يرغب أيضا أن يستقل بزوجة واحدة . فلباسمعت كولندان هذا الكلام أطرقت إلى الأرض حياء وخجلا وقد احمر وجهها وكادت تحتقن من الحياء

فخالت لها الملكة انك لست انت الآن في مقام تخجلين من التصريح به بما في ضميرك
لأننا في حاجة كلية إلى جوابك ومن الياقة أن تجيبى الملك على غايته فهو ينظر في صالحك
ويرغب لك الخير وما أمل بخورشيد شاه فأسرعى بالجواب فقامت إذ ذك ثانية ودنت
من الملكة قبلت أيديها وأيدى الملك بعدها وقالت وهي معلقة إلى الأرض ائى لا
أحب أن أجيب في مثل هذا المعنى لأنى أرى من نفسى أنى جارية يد سيدى الملك يدبرنى
بحسب معرفته ويقدم لى ما يريد أهلك فى وسعى أن أخالفه وهو بمقام أب فصوح
حنون بصبر ينظر فى امرى نظر الرأفة والحب على ائى وان كنت قد شاهدت بخورشيد
شاه فى الأول قال أن أنا اعتبر كرم ان شاه اعتبار المعين المساعد وأرجو منه أن يقبلنى
خادمة فى بيته ولى بذلك شرف كبير لا أنساه منه قط ومن الصواب والحكمة أن
أكون مختصة به بحيث تكون تاج الملوك مختصة بمن عاهدته وعاهدها قبلا وانى أجدوه
لديكم الآن العهد لكرمان شاه وأخلصه الحب والطاعة . فلما سمع كرم ان شاه منها هذا
الكلام وفرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وحسب نفسه سعيدا وقام إلى الملك وقال
له ان كولدان قبلت بى عن طيب خاطر وصفاء باطن تكرما منها لطيفة أصلها وما
أعطاه الله إياه من العقل والحكمة وطيبه فأتى أعاهدها بحضورك على أن أكون لها
بجلا أميناً أحافظ على راحتها وأرعى لها الحب ما حيت ففكره الملك وشكرها وائى
عليهما . وحيث أمرت الملكة أن يعطى لكل من كولدان وتاج الملوك ثوبا من
الحرير المنسوج بالزرا كش القضية من صنعة للفرس فدفع اليهما وأفرغ عليهما وما
استمرت لحظة بعد ذلك حتى نظرت إلى باب القاعة فتأهت صية تدهش العقول قد
أصطبت من الجمال قسما كبيرا وعليها من الحل والحلل الفاخرة فسالت الملكة عنها فقال
لها الملك هذه انوش بنت الشاه سليم صاحبة الفعل الحسن المحمود هذه التى رفعت القعدة
هنا فى مصر بعد أن كنا فى الضيق وهى خطيبة فرخوزاد فلاكها الملكة بكل بشاشة
واكرام وترجبت بها واجلستها مع فرخوزاد إلى جانب من القاعة وهما بها وادرت
ان يدفع لها اجنا ثوبا من مثل الثوبين المتخدم ذكرهما لشكرهما عليها وانوش تعجب
من بهاء الملكة ورقة جانبا ولين معاملتها وهى مسرورة منها كل السرور ثم نظرت
الملكة إلى خارج الباب وإذا بها ترى صية يضاء بلون الباسمين قد تزينت بأحسن
ثوب وهى تميل وتنتظر كأنها غصن البان يحمل من فوقه بدرا عظيم الاشرار هى
المنظر . فادهمت الملكة من محاسنها وسالت الملك عنها فقال لها هذه كلية بنت
صاحب دمشق خطيبة بهمدار قبا وقد اخذ أسيرا إلى الشام فاجبه وتسيت
بغفلاصه ثم حكى لها باختصار كل ما وقع له معها . وبعد ذلك تقدمت كلية من

الملكة وسلمت عليها وقبلت يديها ومدحتها واثنت على انهما ولطفها فشكرتها والبستها
 ثوبا فاخرا من الثياب التي البستها ليقية البنات وأمرتها أن تجلس إلى جانب مع جندار
 جبا بالقرب من كرتندان وكرمان شاه فجلسا وهما من الفرح والسرور لا يجان على
 هذه الدنيا ولداها وأى غير فيها . وما استقرت على كرسيها حتى مالت الملكة بانظارها
 عنها إلى الخارج ووقعت أنظارها على ذات حسن باهر باهى مكللة بأكاليل اللطف والظرف
 والكآل ومن خلفها طيلوس . فسالت الملكة عنها فقال لها انى قبل الآن لم أرها غير
 انى أظن أنها بنت يداخل الوزير ووزير الملك قيصر وقد خطبها لنفسه طيلوس لما وجد
 فيها من التهذيب والكآل . فاعلمت على نفسها الفرح ولاقت طيلوس بكل ما يليق
 بهما وبسته ومقامه وميثا لها مكانا معتبرا في القاعة المقيمة فيها وأفرغت عليها حلة
 مدهجة وهنأت طيلوس بها وقد سرت منها كل السرور لأنها وجدت على جانب عظيم
 من الحسن والجمال والتعلق والقصاحة التي لم ترها قبل في غيرها من البنات وبعد أن
 جلس طيلوس وخطبته نور دخل على الملكة مصفرا شاه وإلى جانبه طوران تحت
 بنت الوليد ملك مصر وكانت قد رأتها قبل ذلك الوقت فسلمت عليها وترجبت بها كغيرها
 من البنات والبستها ثوبا مثل تلك الأثواب . وبعد دقائق قليلة شرعت الملكة تمرناج
 من نفسها بحاسة مفرحة فوق العادة وسمعت وطىء أقدام خفيفة لطيفة انتهت إليها
 بكليتها وقد رأت فتاة من أبداع خلقه تعالى حسنا تسير وطلايع الحسن تقدمها وجيش
 من الهية والوقار يحيط بروجها ويدور من أجلها واجمل الانوار حل محل حول در ذلك
 الوجه الحقيقي الفاضح المسى الكثير المجاذبة فاندفعت الملكة من هذا الجمال النادر
 المثال وصاحت على غير انتباه ان كانت هذه عين الحياة بنت الشاه سرور ليا السعادة
 ولدى ونهضت واقفة بالرغم عنها فقال الملك هي التي سحبتنا لأجلها من إيران إلى بلاد
 الرومان فوجهت كلامها إليها قائلة تستحقين انما القمر الشارق والظي النافر والقصن
 القويم ان تقع الحروب لأجلك بين عالمك العالم ليس فقط ست سنوات بل ثلاثين
 سنة تستحقين انبها الابنة الكاملة البديعة ان تأتي ملكة إيران ليس من بلادها
 فقط إلى هذه البلاد بل إلى أقصى بلاد العالم تستحقين انبها المحبوبة من الاله ومن
 الطبيعة ان تكوني سلطانة في إيران وملكة عليها وزوجة لقيسور شاه ثم اندفعت
 ادفع القرح من صينها واسرعت إليها فلاقته وقبلتها وهي تبكى مدهوشة من جمالها
 واندفعت بمفاعيل الحب الذي كان كامن في قلبها قبل ان تعرفها إلى ان تضمها إلى
 صدرها وقبلها في وجنيتها اللامعين وهي لا تعرف ماذا تقول او ماذا تفعل بل اغلقتها
 عن يدما وهي لا تسمى على ولداها ولا على جهان افروز التي كانت آتية من خلفها ولا

انتهيت اليهما في الحال إلا بعد أن اجلسنا حين الحياة إلى جانبها وصرفت أكثر من نصف ساعة قبلها وتظن اليها وتضمها وهي قبل أيديها وتفكر من انسابها وجاريتها ثم نظرت إلى جهان أفروز وسألت منها فأخبرها الملك أنها أيضا كستها وأنها من بنات الجان وأخبرها بقصتها وما كان من أمر أختها المرحمة فتعجب من ذلك ومالت اليها قبلتها واجلسنا إلى جانبها الآخر ودعت ولدها قبلته وهناته بحبونه وقالت له إنك لم تحط به يا ولدي بكل ما صلت بسبب حين الحياة فهي فوق ما كنت أظن وما فعلت شيئا إلا واستحقت أكثر من ذلك باضماف نعم هذه الفتاة الوحيدة التي يلحق بأن تكون زوجة لفيروز شاه ابن الملك خواراب فارس هذا الزمان وإنسانه وأجل رجال إيران وجها وعلا وصفه فاهنا بها وبجهان أفروز وانعم وتنعم حياتك بطولها ولا ريب أنك سعيد من الله مسعود بعنايت لا تؤثر فيك الحوادث مهما كانت في جنب توفيقات الباري ثم قالت للملك أنت تعرف أني صرفت ثمانى سنوات أتفوق على فراق ولدي وبعد عن كونه وحيداً وبعد ذلك لاقيت من الأكار وعارضة الأفكار والهموم بسبب هذا الفراق وبسبب حاجتك مع الأعداء وانقطاع أخباركم عنى كل هذه المدة الطويلة وكل ذلك قد نسبت في هذه الساعة وقد كنت أخفى أن لا أكون راضية من جمال عين الحياة فبالحقيقة قد أعطيت ما لم يسط إلى غيرها . فقال الملك وإن نظيرك صرفت ست سنوات انتقل من بلد إلى بلد وانقض من حرب قانع في غيرها دون أن أراها إنما كنت افكر أنى أروم إلى ذلك لأن ولدي يحبها ويريد لها ولذا كنت أشعر بميل غريزي اليها واشتاق أن ألقى بنفسى وعساكرى في سبيل حصوله عليها والآن قد زالت والحمد لله كل هذه الأخطار ولم يعد من عائق يمنع غسل تلك الأقدار بماء الراحة والفرح الكامل الجامع لكل الأسباب المسرة وإنى بحوله تعالى قد حولت على أن أجمل زفاف ولدى وبقيّة الأمراء بيوم واحد مخفوقاً بالاستعدادات التي لم يسبق لها نظير قط كى تضرب الأمثال فيها بعد به ويقال عن كل يوم طرب يوم زفاف فيروز شاه لاشيء أقدر أن أذهب أعظم من سرورى مثل هذه الأيام السعيدة ولا أروم أحداً من أمرائى على تموره بالحلب كما أنى لا أروم أيضاً بنات الملوك اللاتي تبعنا رغبة فينا ولكل فتاة من الفتيات الحق في أن تحب من تريد وإن كان من غير جنسها وبعد عن معتقدها بشرط أن تكون خصيصاً له وليس من العدل أن تلازم الابنة بسبعين ظروف مثل هذه الظروف إذ لا يمكن أن تضع أيام صباحها وتعمل شويبيتها فريسة لأنياب القهر والحكم وكمن حبيدين بصرفان الوقت بتعرقان دون ملوغي غاية والظروف تمنهما من نوال الوصال وتحول دون اجتماعهما وعلى هذا فاني أعذر الجميع وأفرح لفرحهم

وأطلب من الله أن يتم سرورنا على أحب ما نشتهي ليجتمع كل محبوب بحبيته بعد ذلك العذاب والبعاد وقطع الرجاء ومقاسات أشد الأهوال

وقد جمع الله الشئتين بعدما يظنان كل الفتن أن لا تلاقيا قال وكانت قاعة الجلوس الثمانية فيها ترمج من محاسنهم ومعا طين من الحل الذهبية والفضية وقد دفعت الملكة لجهان أفروز ثوبا نادر المثال كأنه الكوكب في السمعان وأفرغت أيضا على عين الحياة ثوبان أجمل الثياب كانت تستند لعمقه منذ كانت في إيران وقد رسمته بالحجارة الكريمة وجعلت أزراره من الجواهر تلمع في صدرها حتى الأرض لأنها كانت تعلم أن لأبد لها من اجتماعها بها راتها تحضر زفاف ولدها ولذلك شملت ثلاثة أبواب مخصوصة واحد عند أول ملاقاتها وهو هذا والثاني لتلبسها إياه يوم زفافها لتجلب به لتلبس على سواها والثالث وهو أيضا لتلبس في ثاني يوم الزفاف ثم إن الملكة قالت للملك وجميع الحضور اطلوا أني نويت أن أبقى عندى البنات هذه المدة فلا أحد منكم يرى خطيت قبل يوم العرس وذلك من الواجب لللاق إذ أن مرادى أن أدبر أمر من وأصلح شأنه وأقوم بأمره من ويأخذ كل واحد حروسه من قصرى لاسيا واتى عزمت أن أبقى خمسة عشر يوما مع البنات وسائر النساء اللاتي يرغبن الحضور في هذا العرس في فسحة خارج المدينة يكون فيها الفرح وأسباب الحظ قائمة من كل ناحية وأنصب ميدان سباق وهرج ولعب سلاح بين البنات ممن يرغبن مقارعة الرجال وأجمل أياما منها لقضاء والموسيقى والمهرات الكاملة وتكون في هذه المدة الولائم قائمة والدبائح مشقة كل التواصي والحرر تدار على جميعهن وأطلب إجراء ذلك الآن من حضرة سيدى الملك وإن لا يكون بين هؤلاء البنات ذكر قط بل يكون جمع المدعيرين نساء وبنات وكذلك الخادومات والطابخات والتاحرات الأغنام والمغنيات من جنسنا لتكون حرية كل منهن كاملة تسر وتفرح حسب مشتها دون أن يراقبها أو يلاحظها ذكر البتة وفي نفس هذه المدة يكون الفرح قائما بين كل من الرجال بمكان قيامهم على الطريقة التي يختارها سيدى الملك.

فلما سمع الملك ضاراب كلامها أجابها إليه . وقال لها إن البنات سيعلنن إليك من هذه الساعة وسأقوم لك بطلبك فتذهبن إلى خارج المدينة من جهة غربيها وأنصب لكن الحيام وأجمل كل ما تطلب حاضرا بعد يومين وأقيم بعيدا هتكن الخمر من صاكرى بحيث يجازى كل ذكر أيا كان يرغب في المرور من تلك الجهة فاسرحن وامرحن فالיום يوم هرمس فيروز شاء . واتى سأقيم مثل هذا الاحتفال بين رجالى وفى صاكرى على النسق الذى اشتبهه وبعد نهاية الايام

المذكورة ندخل المدينة للاف كل أمره على عروسه فيكون اليوم الأول مخصصاً لفيروز شاه على جهان افروز والثاني لعين الحياة وبقيّة البنات ليفرح الجميع بوقته واحد ويسرون معا .

قال ويعد أن قدم لهم الشراب مزوجاً بماء الزهر والسكر في كأسات من الذهب على صوان من ذهب أيضاً دهتم الملكة لتناول الغداء عندما ما كلوا وأقاموا باقي النهار إلى المساء وفي المساء خرج كل واحد منهم مودعاً حيثه متأماً من فراقها ولولا يمدون أنفسهم بالاجتماع بين بعد قليل من أيام الاجتماع المطلوب والمرغوب والمتنظر منذ أيام لما قدروا على الصبر وسار كل واحد إلى قصره ينتظرون ما يكون من أمر هذا الزفاف وتديراته . وفي صباح اليوم الثاني خرج الملك مع طبلوس إلى غرب المدينة واختاراً مكاناً للنساء موافقاً لطلب الملكة فأمر الملك أن تتخذ كل حصة منه وأن يمد من كل جهاته وتضرب فيه الخيام الكثيرة لقيام من أراد حضور هذا الاحتفال من نساء المدينة ومن النساء اللاتي أتين برقة الملكة تمرتاج وأمر أن يضربوا صواناً كبيراً التزم فيه الملكة نفسها مع كتبها عين الحياة و جهان افروز ويضرب إلى جانبه العواوين الفاخرة للمروسات . ودام الفعل كل ذلك النهار بطولته في تلك الأرض واليوم الثاني والاستعدادات قائمة على سابق وقدم والموائد تنقل إلى تلك الخيام والحنور تحمل وآلات الطرب والملاهي حتى كمل كل ما يحتاج إليه وما طلبته الملكة وبعد أن انتهى عمل كل شيء جاء الملك إلى الملكة وأخبرها بأنعام كل شيء على حسب مشتهاها فخرجت إلى المحل المذكور ونظرت فيه فأعجبها ترتيبه ونظامه ومن ثم قالت للملك إن أريد منك يا سيدي أن تبث المتأدين ينادون في المدينة أنني قائمة باحتفال ولدي فيروز شاه وإن أدهو كل امرأة وبنت إلى حضور هذا الاحتفال العظيم فمن رغبته منهن فلتذهب من نفسها إلى الخيام وتقيم فيها ومدته تكون إلى ١٥ يوماً ثم سأله أيضاً أن ينقل النساء اللاتي جئن من إيران وتمرزات البن ودهر وغيرهما إلى تلك الخيام إذ أنهم أتين مع رجالهن لهذه الغاية ففعل الملك ما سأله وأرتاح باله من جهنهن وذهب لقيام الولائم وعمل العرس بين الرجال . وخرجت الملكة مزينة بأحسن زينة ولبست التاج الفارسي المرصع بالجواهر المتقدم الذكر وجلست في صدر صيراتها وأخذ النساء والبنات يردن إليها ويقدمن التهانى لها يوقاف ولدها ثم تقبلن أيديهن وتفرجن إلى الخيام ليقمن بها وكانت قد قسمت الخادومات إلى فرق ونواحي فكل خمسين خيمة خادومات مخصصات تقمن بواجبات ضيفاتهن وعين جماعة منهن لتفريق ما يلزم من الطعام على كل ناحية كل يوم بيومه واختص بعضهم لتناول الموائد التي ترد في كل يوم من خدم الملك وتبثها ونحر القطعان في

كل صباح وتوزيعها على الترتيب حتى لا يكون خلل قط ولا ينقص أحد قط شيئا من
المآكل والمشارب وأسباب الحظ وكان موجود أكثر من مائتي ألف أتى في دهوة
الملكمة ولم يكن قط واحدة مهمة أوسع معنى بها وصرفت الملكة اليوم الأول والثاني
تتلقى الواردات عليها والمهنتات وهي جالسة كما تقدم وأجواق من المغنيات مع اختلاف
أجناسهن تتننن بالألحان المطربة العجيبة فكانت الأبرانيات تأخذن وقتا للفتاء على النسق
الأبراني والبنيات على حسب عادتهن والمصريات تتننن بالألحان المصرية والروميات
كذلك وكل جوق بدوره يضرب بالآلاته ويغنى بنغمه .

وفي اليوم الثالث أمرت الملكة بنقل كرسيا إلى الخارج إلى الميدان والمترك في
نصف الخيام فأمرت أن توضع في صدره وأن تصف الكراسي من اليمين وال شمال صفوا
صفوا على أحسن ترتيب ونظام وجلست بعد ذلك على كرسيا وهو مرتفع فوق الجميع
كأنها الكوكب في اللعان وجلست على الكراسي محوم نساء الأمراء والوزراء والأعيان
والقواد والسادات حتى احبكت الميدان من كل جهاته ووقف بقية النساء المتفرجات
من خلفهن صفوا صفوا وبعد أن انتهى الاجتماع ضربت صنوج المغنيات بالألحان
حرية حركة إلى مثل هذه الألعاب . وإذا ذلك أمرت تمرتاج أن تبرز إلى الوسط كل
فتاة لها معرفة ولطام بهذا الفن . وفي الحال نهضت أنوش بنت السليم واستأذنت
من الملكة وقبلت أيديها فأذنتها وبعد ذلك تناولت سيفا وطارقة وتوسطت الساحة
والتفتت ذات اليمين وذات الشمال ثم ذكرت الله ودعت للملكة العارسية بالانتصار
والفتوز لذلك ضاراب وابنه ورجاله وأبطاله بطول العمر والبقاء ثم رفعت السيف
فأدارته بالهواء على أخف حركة وأدقها ثم قفزت قفزات الغزال وضربت به على الطارقة
فسمع له صوت وقرقة وجلست تدور في تلك الساحة كأنها المنجنيق وهي تلعب بأعجب
لعب وأدق حتى انبهر منها كل من شاهدها ثم سألت البراز من النساء وفي الحال نهضت
عروسة ذاك المحفل وبدرسماته عين الحياة بنت الشاه سرور واستأذنت من حماها فأذنت
لها رست على الوسط وقد خففت ماطليا من الثياب وربطت صفاتها كالعصاة فوق
رأسها وحسرت قليلا من أذيال ثوبها وتناولت سيفا وطارقة وفعلت كما فعلت أنوش
وقد كشفت زودها فأرسلت نورا وبروقا شديدا اللعان أخذها بأبصار الجميع وكاد
يضيئين عن الصواب ولا سيما أنوش فأنها اندفعت من إشراق جبينها وياض زودها
ومن عملها وكانت لا تغفل في الأول أنها تحسن حمل السيف فرائ منها أنها قادرة
على اللعب وطارقة بفنونه تديره بأيديها برشاقة وخفة عجبتين وتقنن من اليمين
إلى الشمال كأنها الظبي النافر من الصيد . ومن ثم فاجأت أنوش وصدمتها فلققتها

بصدر رحيب واخذتا في القتال والمحاولة في الجبال . وقد تقدم معنا ان عين الحياة كانت عارفة شتون الحرب عامة بعض ابوابها ذات قلب قوى وجنان جرى فاخذت باعمالها فقول الجميع ولا سيما الملكة بمرتاج فانها انصرفت خراطرها اليها وصار قلبها متعلق بها وخائفة من ان يخرج احدهما الثانية وكانت تسر عندما تراهما قد افرقتا للتنقل في اطراف الساحة والعب بالسيف والرص فيه وشكرت الله انه قد جمع فيها كل الصفات وخصها بياض وجه واشراق طلعة وهية ووقار حتى انه لم يكن بين تلك النساء واحدة قط تضاهيها في حسنها فكانت ينبوع المحاسن التي اكتسبتها جميعهن لما من فتاة الا وتنظر اليها في نفس تلك الساعة وهي مع انوش على مثل تلك الحالة غير ان انرش كانت ابل واشجع وقد تعودت الغارات ومقاتلة الرجال وغرض المعامع ورمى السهام حتى انه كان يندر ان يقاس بمثلا اشد الرجال بسالة ومع ذلك فقد تبينت فيها الاندام فارادت مطالبتها وهي مأخوذة الابصار من اشراق جنبها ورياضها وعين الحياة تزيد في عملها وتعود في قتالها إلى ان مضى عليها اكثر من ساعتين وحبت نظر الملكة إلى انهما قد غاصتا بالعرف فخافت من تعب عين الحياة وثبت لديها مقدرة انوش عليها وتغاضبها عن ان تظهر لها ذلك فامرتهما بترك السلاح والرجوع عن الساحة إلى مركزهما وفي الحال اطاعتا امرها وعادتا اليها قبلتا بديها وقبلتهما بمزيد الفرح والسرور وبعد ان جلستا امرت ان يقدم لكل واحدة منهما كأسا منمشا من الشراب المفرح للقلوب فشربتا واستراحتا وبعد ذلك امرت الملكة ان يتقدم من النساء من اراد فاخذت النساء تلعب في تلك الساحة وترقص في ميدان القتال بالسيوف على ما تعلمن عليها كل ذاك النهار ومن ثم امرت الملكة بالانصراف وان تذهب كل فتاة إلى مقرها ليعدن في الصباح إلى ما يشابه هذا العمل

قال وكان الملك ضاربا كما تقدم قد خرج إلى بين عساكره واخرج الموسيقى الماوية المتعددة وزين الخيام بالزهور والرياحين ورفع فوق كل خيوان علم فارسي واجتمعت الفرسان من كل ناحية ومكان يتهيئون ويتعددون للقيام بهذه الأفراح بين يدي الملك وكلهم يدعون له بدوام الأفراح ويهتفون فيروز شاه بزفافه مقدار ثلاثة ايام وفي صباح اليوم الرابع امر الملك ان ينتصب معسكر القتال ويتقدم بين يديه الفرسان والابطال ليدروهم بحسب معرفته وان يركب كل على جواده ففعل الجميع وركب الملك ضاربا فوق جواده كأنه البرج الحصين ورفع فوق رأسه العلم الفارسي الكبير وهو علم الأسد والشمس فاخذ يخفق رأسه اخفاق الهية والوقار وفيه من علام الأفراح والسمرات ما يبين للرأي انه مشترك مع القوم فيها . ثم

أمر الملك أن تعرب بين يديه الموسيقى ساحة من الرومان بالاستعداد للقتال كالفرس كانوا يتحشرون لقتال الأعداء فجعلت الطبول تعرب والموسيقى تعزف كأنها تنفهم بوفوج القتال . ثم أمر الملك ولده فيروز شاه أن يتقدم إليه ففعل وهو على كمية كانه الجبل الراسي وبعد ذلك دعا يهزاد فدنا منه ووقف بين يديه وهو أيضا على جواده الذي جاء به من مصر أي فرس البحر فدفع ليد كل واحد علما وقال ترأسا هذا القتال الاسمي كل منكما يكون في ناحية وأوصيكابعدا للقتال وان لا يظهر فيه اتحاد وخفائن وان تتجبا ان يؤذى احد من جماعتك الآخر فليكن على سبيل اللعب والمزاح . ثم أله قسم الفرسان جميعهم الى قسمين تحت قيادة كل منهما قسما وترتبوا بعد ذلك على أحسن ترتيب وأبهى نظام ووقف الملك خارايب في صدر الميدان وأمر الموسيقى أن تعزف بالالحن المريحة وفي الحال هر فيروز شاه طله واقترح الرجال كاه الاسد الربيال وفعل مثله يهزاد وكان تحت قيادة كل منهما ألف فارس من فرسان ايران واجلأها فمادت الحرب على رحاها . واجتهدت الفرسان بما يزيد في ارتفاعها وعلاها . واشتبك كل فارس بأخروا خضعه في المحاولة . والمناخلة والمجادلة وبقية الأبطال والفرسان . تنظر عن بعيد بالعبان . وتعجب من سرعة قتال رجال ايران . وخفة جرمهم في وسط الميدان . وانتالهم كمرور الخمان من مكان إلى مكان . وبقى القتال على مثل هذا الحال الى الزوال . فاشار الملك خارايب بضرب طبول الانفصال وان يرجع الفريقان من ساحة المجال فانفصل الجمعان في الحال وجاءوا من الملك خارايب فقبلوا يديه كل بمفرده وشكرهم على ما شاهده منهم في ذلك النهار . وعاد الخيام والموسيقى بين يديه وتفرقت الأقوام لمناولة الطعام حيث ان الخدم قد هيئته ومن بعد ذلك أخذوا في المرح واللعب والمزاح كل ذلك اليوم وفي الصباح أمر الملك بنصب ساحة الصراع والعراك بين الفرسان والأبطال وانقطع ذلك النهار على تلك الحال وفي المساء عادوا إلى الخيام حسب العادة وفي اليوم الذي بعده رجعوا إلى الميدان وأمر الملك أن يأخذ القوم في اقتصاب ميدان لسباق الخيل وعين جوائز وحددها لمن يسبق في الأول ومن يسبق في الثاني وهكذا حرفوا إلى اليوم تعاشر على مثل هذه الأحوال وبعد ذلك أمر الملك أيضا أن يعطل القتال وفروعه ويأخذ القوم في الولائم وشرب الخمر والدقار والدورف والرقص في كل مكان وأن يكون الجميع مسرورين ولديهم من أسباب الحظ والجماء ما يكفيهم وقامت الأفراح في كل ناح وعلت أصوات المنيخ حتى ضج ذاك البر من أربع جهاته ورتعت المدايق والميدان من العرطب والسرور وكان النساء أيضا على مثل هذه الحالة وأصواتهن مرتفعة إلى الجور

الأعلى فبعضهم يفرط وبعضهم يرتص وبعضهم يصفق بالأيدي وغيره من يضرب بالدفوف وكن من شرب الخمر في كل نهار يصبحن بلا وعي ولا إدراك فيطلقن من مكان إلى مكان .

قال صاحب الحديث إنه في كل صباح كان يذبح مائتي ألف رأس من الخرفان وتقدم لعمل الأضمة الرجال ومثل نصفه النساء فكان الجميع يأكلون ويشربون من فضل الملك وغيره ويدعون له بدرام الأفراح والهناء وكان نحو عشرة آلاف نفس تطبخ الطعام وتصلح شأنه ونحو عشرين ألف تمت الموائد وتضع المأكول عليها وتفرقها في التواحي ويعد أن يعرغ الناس من الطعام ترفها وتعيدها وما بقي من المأكول يؤخذ فيوضع في البراري لما كلة وحوش البر وطيور القلادة . ومثل هذا العدد كان قائما لتقديم الخمر والهاكة كل ذلك عت بطولوس بحكمته ومعرفته وأوصى به بأن لا يترك أحد يذوق إكرام من المدعنين الذين جاءوا بقصد حضور فيروز شاه لأنه ملكهم وسيدهم فيكونون بذلك راضين من الخاص إلى الدون ومن الصغير إلى الكبير وكان مثل هذا جار بين النساء والجميع يطلبون أن تطال تلك الأيام وتمد فلا تنتهي غير أن أيام الهناء على الدوام قصيرة تقضى دون أن يشعر بها بعكس أيام الأكدار فتنأزى طريقة علة لا تقضى على المصائب إلا بعد اليأس والضجر . ولما قرب انقضاء تلك الأيام المذكورة وصارت على وشك النهاية أمر الملك بطولوس أن يأمر بتزين المدينة وتزويها ليدخلوا إليها ويمجروا ختام الزفاف فيها فوشى هذا العمل الذي أمر به الملك . ولما كان اليوم الرابع عشر جلس الملك في صروانه على كرسيه الخصوصي وجلس إلى جانبه ابنه يرتاحون ذلك النهار عما كانوا عليه ولما استقر بهم المجلس تقدم بطولوس من الملك ضارب فمناه بانقضاء هذه الأفراح على ما يرام وختمها شكر الجميع على ما لا يقوه من نعمه ثم أشار إلى فيروز شاه مدحه وبهته ويقول :

أيا سيدا ما زلت أسأله لطفاً	ويا ماجدا لم أتق حقاً له اكفا
تدمت شأنا واجتليت محاسنا	وحليت - معي حيت صار له شفا
لمررك قلبيا أدركت يا فدا	فبزت معانيها الحسان لك العطا
وكم حوت من غارات خدر مسجف	بغيداء جيد قد أاحت لك الرشا
فقابل - حلاها بالقبول فادها	غريبة وصف فيك أمربت الوصفا
ودم بالهنا طول الزمان مشيدا	لنوة إيران تسردما لطفنا
وظاقت هذا اليوم حل قلوبنا	بأبهج أوقات نهر بها عطفا

فشكره الملك ضارب على ذلك وأتى عليه فيروز شاه وقبل يديه ثم تقدم بعده درش الراي وفعل كما فعل بطولوس ثم أشار أيضا بهته :

أجد غرامى وهو الجسم عاقل
ولم أر مثلى حافظا من الهوى
إذا أحدثت عيني لنفرك نظرة
لناظرك الفتان بالسحر آية
فتى همرت منه الممالى ولم تكن
سراج لبيت الملك إذ هو مظلم
ووه لدين الله سيف وناصر
أغر البأس والتعنى فاما حاسة
إذا أقرت نمر البيض فى أفق كفه
من القوم حلوا ذرورة المجد والتقى
بروضون من تحت الدروع كأنما
أأجهدك النماء عتدى وقد تمت
فعم لأيام المسرة روتقا
وعش بالهنا دهرًا لسمدك ظاهر

وبعد أن فرغ دوش الراى من إنشاده طاد إلى مكانه بعد أن شكره الملك خرابه
ولم يروشه ثم تقدم سيف الدولة صاحب ملاطبة فهناك هذا الزفاف السعيد وشكر
من إفضال الدولة الأبراية الفخيمة وإنعامها عليه وقربه منها ثم أشار بعد ذلك بغيره
فبروشاه بما يأتى :

كوكب السعد بالنجاح أنارا
ودد الطرف فى وجوه تراها
وغمصون تنقى بماء نعم
وزرات تقدمت فاضاءات
تجلى هرائسا وعليها
وترى الروض فى شباب وحن
فتنشق من الرنى نفحات
واغتم حبة الأعظم واعلم
وتتمتع بمدح فرع كريم
قتراه فى السلم أحلم من كا
قد بما ظلة الخطوب صباح
أمرانا محتاج للملك طيا

وجلا عن صدورنا الأكدارا
حنات تكفر الأوزارا
قد أرتقى الشموس والأقارا
وأفاضت على الورى أوارا
من جيوب التمام تلقى نثارا
جسل النور برده المطارا
مهديات ما يدهش الأجسارا
أن فيهم قد تلقى الافتخارا
من أصول ذكت ملا ونثارا
ن وفى العزم صارما بتارا
مسفر من جبته أسفارا
وشاء قد صطر الافتخارا

ان اياه الكرام هم اليا من جلالا ورفعة واعتبارا
ولهم غرس نعمة في البرايا وهبات تدقق أنهارا
وبحور السماح منهم أكف طاعم النبر الرطيب النارا
واشترى منهم النفوس كرم ودعاهم أمة أحرارا
أيها السيد العظيم شأنا عزك الله رفعة واقتدارا
واها اليوم بالوفاء ودم في هذه الدنيا تحبل الأثمارا
واقبل الوقت بالسرور زمانا فزهان السرور نحك سارا
وبعد أن جلس سيف الدولة في مكانه تقدم بيده الشاه سرور وقد شكره الملك
ومدح من صهره ثم أشار بيته بهذه الآيات :

هذه ليلة السرور التي كل ولي يمشيها سرور
وأنا اليوم في طلابك كالنور لآب تجري دموعه ويدور
وتعام السرور عندى أن أم كن من وجهك الجميل المحصور
فقام إليه فيروز ساه وقبل يديه وشكره على مجارته وهو محمد الزمان الذي قاده
إلى الوفاق والرضا بينه وبين عمه ليكون زمن العرس واقفا ما من شيء يشوبه وبعد
أن رجع الشاه سرور جلس على كرسى وقبلة مملوءة من الفرح والسرور . ثم تقدم
بهذا شاه إلى محو فيروز شاه قبله وهناك بالعرس وأشار يقول :

لا تخش يارب الحبيب همودا	فلقد أخذت على العباد همودا
وليفتين فراك عن صوب الحيا	صوب المدامع إن طلبت مزيدا
كم غادت بضاك يوم وداعنا	سحب المدامع مثيلا مورودا
ولكم سكبت عليك وافر أدمي	في ذلك اليوم الطويل مريدا
ولقد عذبت بك الظباء سوانحا	بظلال شمعك والحسان الغيدا
وحملت أعياء الفراق وقته	فردا وحاربت الزمان وحيدا
ورصت أنجبه فاكتست السها	سقى وأكسب جفنى التسيديدا
نجم ندين له النجوم خواصها	ملك تفر له الملوكة سجودا
ضمت بر يك من السيوف برارقا	ومن الجياد دلازلا ورعودا
رأى يرى ما صحت أطباق الثرى	وعلا تزيد إلى السماء صمودا
يا أيها الملك الذى ملك الورى	فقدت لدولته العباد عيدا
كم غارة شعواء حين شهدتها	أعطيت فيها النصر والتأييدا
في نارها كنت الخليل وإنما	عند التماس حديدها داودا

اخضت وجه الارض من جنت العدى
 زوجت اهبكار العدا بنفوسهم
 كفروا فامنت الرؤوس لانها
 ضاللت على القتل الفلاة بأسرها
 وجرت على الخيل الهما مذلة
 يا ويح قوم اخضبك بهمهم
 ولحصنوا في قلعة لم يعلموا
 حتى ربيت حصونها بكتائب
 من ائمة كسروا غمود سيوفهم
 نزعوا الدروع عن الجسوم وأسبقوا
 مروا بها خور السيوف فارجفت
 لولم يورد خدما منهم حيا
 قدفت بمن فيها اليك كاسها
 قالوا وقد وجدوا لبأسك رفة
 سألوا البقاء فكان مانك الحبا
 لو شئت ما اجئت صفحك يا لها
 نبلوا السلاح مخافة لما رأوا
 ظنوا السحاب إذا ثلثان هجاجة
 سكرروا وما سكرروا بكاس مدامة
 أوليتهم لما أطاعوا أنما
 فانظر تجد مع كل نفس منهم
 وصفا الزمان وتلف مرادكم
 وفرشت فيما بيننا سرر المنا
 قاهنا ونم متوسدا حجر المنا
 ثم جلس هزاد شاه في مكانه وتقدم بعده فرخزاد بن فيلزور البهلوان فنهال هزود
 شاه بـروال البؤس وأيام الهناء وأشار يقول

أمولاي يا انسان عين زمانه
 لقد جل ما أرنيت من فضائل
 سررت بها أهل المودة والولا
 فاجهدت في أوصاف قدرك طاقى
 ومن شك في هذا فليس بأسان
 فضاق يتعداى لا طرق امكانى
 ولكنها أودت بجمادك الشانى
 وحاولت لمس التيرين فاعيانى

تفضل بصفح من قصور مدائمي فوصفك لا ينه مثل بتيان
 فانت ابن بيت لم يزالوا يقابلوا أساء من يحي بصفح وإحسان
 لأنتم بدور المعلوم والدي إذا غاب بدر لاج بدورها ثاي
 بقيتم لعصر أتم لجر ليله وفخر بيه من صدور وأحيان
 ودهتم مدى الأيام بالانس والصفاء بكثرة انعام وصحة أبدان
 تحبون أوقات السرور بنعمة تدوم والفراح وبشر واحسان
 ثم تقدم بعده مصف شاه قلعه في عارضي رهاء تمنة الأهل والحلان وأشار
 يمدحه وي طرح لديه تهايه وانشد

هزوا القدود وأرهقوا الاجفانا أو ما رأيت البان والغزلانا
 ونزرا معاطفهم وقد لاحوا ليل أبصرت أنمارا طلت أغصانا
 رجلوا بروق مباسم ما أومضت إلا وأمطر دمي العقبانا
 وبهجتي منهن خرد خدعا قد شاكل النعمان والسوسانا
 حرس بأسود شعرها أعطافها وكذا الأسوار يحرس الكتبانا
 وجلت معاطفها الشهود ولم أكن شاهدت باما أسر الرومانا
 ناديت ميسما المضد دره يا جوهرا كيف اعتديب جمانا
 ودهوت بلبل خال ورد خدودها يا عنبرا أبدا حي مرجانا
 ضما ولولا أن ريقك قرقف ما صبت يا غصن النقا نشوانا
 والقضب ما ساقى الفلافل عندما صاحت أزارعها لها تيجانا
 ووصح أظهر آية يحمر بها صبغ الظلام فغلك السلطانا
 مولى إذا ملنا لب صفاته كي نستمد الروح والريحانا
 أمل علينا مجده فاذا انشئ معنا فلا ندري الذي أملانا
 منهل طلق إذا وعد الغنى بالبشر أطبع بره الاحسانا
 كالغيم ما سطعت لوامع برقه إلا وأهدت غيبه المنانا
 شرف اليه ويث ملك شامخ بعلا الكمال بناله إيمانا
 يقظان أبلغ قد جلا بجبهه وحسامه الظلاء والاعطانا
 ملك تشامخ ملكه فلاجل ذا أضفى المارك لره عدانا
 لا يستكن الرعب بين خلوه واليث لا يخوف المرحانا
 جل إذا رقت لواظف سره فرت لها ضم الكلا عيانا
 كم لبث غاب صبره فريسة أرماحه كي تقرى العقبانا
 أمقتل الصبد الكفا برهيه لمن ادخرت السيف والمرانا

لم نكتسب أعداك إذ حاربهم صافي الدروع لم اكتسوا أكفانا
 طردت أوجهم بحيث لقيتهم أرقام وحيونهم أذقنا
 وكان منطقهم بمنحة طرسه زهر بروض قط الغدران
 من مشرم في الداسحب وان جن الوغي قترام شيانا
 جعلوا السروج أرائكا لزولهم والسمر قضا والظبا غلجانا
 والنبل فورا والحام مطاعها والقع روحنا والعدا ضيفانا
 حيد إذا قامت جنون سيوفهم جعلوا الطلا لسيرهم أجانا
 ولينكم في الدهر ان سناكم سر القلوب وشنف الأذانا
 خدم الزمان ركابكم قاصكم بهاته ووقاكم الاحسانا
 أنا هذا الدهر كوكبه نضى . على الملوك ترفعا ومكانا
 وبعد أن انتهى صفر شاه من كلامه رجع إلى مكانه فجلس وقام بعده
 كرمان شاه قبل يد الملك وتقدم من فيروز شاه قبله وهناه بهذا الإيقاف
 السيد وانشد

أيا ملكا أحى مكارم من معنى بحسن السجايا أو بين نقيه
 واني وإن بأكرت بالمدح منشدا لداع لمليكم بمنح الدجاة
 جواهر لفظ قد حلت وتكررت اليكم بها لا للأنام وسيلتي
 فأنت ملائى واعتمادى وغايتى وعزى وسلطانى وأمنى ومنيتى
 وغوثى وفخرى واتخاى رعدتى وكفى ومطاني وكذى وعدتى
 ولا زلت في عز وجاه ورفعة ونصر وملك واتخاى وقدره
 ويسر وخير وارقاء وعزة وأمن وعين واقتراح وبهجة

انتهى الجزء السابع والعشرون وسيله الجزء الثامن والعشرون

الجزء الثامن والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

ودام ما رنت روض باحداق نرجس ومهما شدت ورق باعواد دوحه
ومن ثم قام خورشيد شاه وأشار يقول مهتا ومادحا

يا زهر روض يقتطف وهلال مم في سدف
اشرب هنيا قاللا أحلا شراب يرتشف
وانشق أزار روضة خلنا شذاها يقتطف
والثم ثنايا غادة حوت الملاحه والظرف
يا من علا أعلى الشرف إذ حاز بالنسب الشرف
أصبحت مناج الهدى ونهجت ذنبح من سلف
أوضعت شاكلة الصوا ب فكننت عن سلف خلف
لو لم تكن روضا لما أبديت زهرا يقتطف
يا بدر مجد قد أضا وسحاب جود قد وكف
لازات دهرك جامعا جل المحاسن والظف
ولقيت أسباب المنا ووقيت دائرة التلق
ما مد زاهر راجر وأبان درا من صدف

وطاد خورشيد شاه عفوا بقاء الملك وولده شاكرا التفاتهما وعنايتهما وبعد
أن استقر به المقام نهض الخواجه اليان وقبل يدى الملك ثم قبل يدى فيروز شاه
ومدحه على كرمه وجوده وقال له طالما باسدى كنت أنتظر مثل هذا اليوم السعيد
الذى أتمكن به من أن أقف بين يديك وأهديك حق مالك هل من البخل والمعروف
فأنت السبب الوحيد لاجاء اسمى وارقتاى ووجودى فى دواوين الملوك وبين اصحاب
المقامات ثم أشد يقول

فؤاد صبا لم يرجته حذار ووجد له بين الضلوع قرار
وشوق كمين فى الجوانح ماچه بيد التانى زفرة وآوار
ذكرت والذكرى ترجمها النوى غداة استقل الظاهرون وساروا
تناموا وجسى فى المعادة قاطن وصبرى يحوم قلبى جار

وليل سرينا فيه والقلب ذاكر
 بكينا لأدبنا الحاجر حرقه
 ولما وصلنا الديار مشية
 لتناجها الاعتاب ندى نحيه
 وكطخت أجفاني بأمد نربها
 ولولا ظباء من آخر مجد
 ولولا سقاء في الإغدى وبأسه
 ولولا نداء إذ يؤمل أمل
 جوار له في كل يوم مواهب
 يحصل وفي أيديهم سمر كأنها
 إذا جال في الميدان خلت فغنمنا
 له أذنا سمع إذا صاح صائح
 كأنها إذ ذاك رأس براعة
 تساقه ربح الصبا فيفتها
 طبق الحياة قد يستهل حياؤه
 فلر كان البدر المنير بهاؤه
 ولو كان للبحر الخضم نواله
 فيا فارس الهجاء دست مكرما
 ويا ملكا مالت إليه قلوبنا
 وجد لدخيل جاء يخدم بابكم
 زمان التداي والدموع فرار
 وقاضيت عيون دونن بحار
 وطالب لنا بعد البعاد جوار
 وقد زاد منا عند ذاك وقار
 فصحت ومل يشق العيون غبار
 لما لاح في قطر السماء منار
 لما سار في جو الحروب غبار
 لما هم كل العالمين يسار
 فليس لراج من حماء فرار
 لظي طار منها الذنون شرار
 على أجدل فيه العقول تحار
 تشوق لأوان هراء تقار
 متفقه قد - حرفه شفار
 فليحسها فيظ لذلك وعار
 يبشر على حر الجبين يمار
 لكان له وسط السماء قرار
 لما كان في الدنيا فلا وقار
 تقاد له طول الزمان مهار
 تنهى فان الانس قبك يدار
 بلطف به كل الانام تحار

وبعد أن جلس الخواجه اليان مكانه ومدحه فيروز شاه على إرشاده وخلوصه
 وروعه بكل جميل ومعروف وأنه سيكون عنده على الدوام معززا مكرما وتقدمته
 من هذه القريتان والابجال والقواد واحدا بعد واحد وكل منهم يقدم له التهنئة
 ومدحه بقصيدة ويعود إلى مكانه وكان بين كل مرة تضرب الموسيقى الايرانية بأنغام
 السرور والتهاني اجابة لطلب الملك ولما فرغ الجميع من تهنيتهم له وما تقدم ذكره
 تذكر ما مر عليه وما عرض به رجال وخطر بباله مالاقي من الاموال وكيف تطلب
 على كل الصعوبات التي سالت دون غايته إلى أن نال مراده وهو لا يصدق أن ذلك
 اليوم يوم زفافه وخطبه ما جعله أن يردد منشدا

شذها السبر واقتحام البوادي ونزولي في كل يوم بروادي
 ومقيل ظل المطية التراب فراشي وساعدا ما وسادي

وضجيجى ماضى المضارب مضرب
 أيضا أنضرب الحديدة بما
 وقبصى درع كأن عراما
 وبدي لفظى وفكرى أنيسى
 ودليل حسن التوسم فى اليه
 وإذا ما هدى الظلام فكمل
 ذاك أنى لا يقل الضيم نفسى
 هذه عادتى وقد كنت طويلا
 فإذا سرت أحسب الأرض ملكى
 وإذا ما أقمت فالناس أهلى
 قد تبيت العليا جهدا بجدى
 وبلفظى إذا نطقت وفضل
 غير أنى وإن أتيت من النط
 إنما مضجى بنمى وقوى
 معشرا أصبحت فضائلهم فى
 البسوا الأملىن أثواب هر
 كم عبيد أبدى لنا زعفر القو
 وربما من صدره بسام
 ضربنا إليه فى أحجم السه
 وأتينا من الخيول بسيل
 وبرزنا من الكفاة باطوا
 كلنا حارلوا المودة منا
 وأخذنا حقوقنا بسيف
 فكان السيوف حاصف رح
 ولئن قلت الحوادث حدى
 ولقد نلت من معنى النفس ماره
 وتقصفت إنما العيش أطرا
 أصلحه القيون من عهد عاد
 شق قدما مرائر الأساد
 حبك المل أر حيرن المجراد
 وسرورى مائى وصبرى زادى
 د لبادى الأعلام والأطواد
 من نجوم السماء فى الليل عاد
 ولو أنى اقترشت شرك الفتاد
 وشديد على شر اعتيادى
 وجميع الانظار طوح قيادى
 أينما كنت والبلاد بلادى
 وركوبى أخطارها واجتهادى
 وجدالى عن منصبى وجلادى
 م بلفظ يذيب قلب الجواد
 وقنائى وصارمى وجوادى
 أرض تتلى بألسن الحساد
 وأذلوا أعناق أهل العناد
 وأخفى فى القلب قدح الزناد
 نثبت فى القلوب والآكباد
 ر بخاب يسير بالأساد
 ساق فوق المضارب قل الرعاد
 د علوم تسمى على أطراد
 شامدرا الخيل مشرفات المهاد
 غيت بالدما عن الاغهاد
 وم فى هوما قوم عاد
 فلقد أحلص الإيمان انتقادى
 ت وأدركت منه فوق مرادى
 ر وكل مصيره لنفاد

واتقضى ذاك النهار على مثل تلك الحال يظهر كل تغير وشاء هناك وسروره
 هذا الزفاف السعيد وعند المساء قال الملك ضارب لوزيره وبقية أمراء وأعيانه اتنا
 قد صرفنا أربعه عشر يوما فى هذا المكان على الخط والهاء دون أن يرسل لنا الله ما

يكثرنا أو يبعث علينا أمرا نكرمه ولذلك أرى من الراجب أن نجعل يوم غد هو اليوم الأخير يوم صلاة وصوم وعبادة لله عز وجل لنقدم له شكرنا وشكورنا برحمته وعمله والثناء البنا منذ البداية إلى النهاية فهو الإله الراجب علينا بنفسه بأذياه ورحمته إلى الأبد لأنه وإن نسيناه أيا ما فهو لا ينسانا قط بل ينظر إلينا ويساعدنا في كل دقيقة وساعة. وعليه فليكن معلوما عندكم ذلك لتكثروا على استعداد مثل هذا اليوم الذي هو عندنا من أم الأيام وأفضلها وبدونه لا يمكن أن ينتهى زفاف فاجاب الجميع طلبه وعرفوا اضطرابهم إلى ذلك كون قلوبهم كانت مملوءة من حبه تعالى وخوفه. وبعث الملك بأمره إلى الملكة ياذها أن تصرف نفس ذك اليوم على هذا الخط المتقدم ذكره لتكون العبادة عبادة وهكذا كان فان اليوم الخامس عشر صرف بالشكر لله والصوم والصلاة حتى كان في كل مكان وفي كل جهة ترتفع الأصوات بالصلاة فلا يسمع غير ذكرا لله سبحانه وتعالى وتردد اسمه طول ذاك النهار إلى أن انقضى إلى مسائه وعند المساء تناولوا الطعام مشربين برحمته تعالى وقبل صلواتهم لديه وبعد العشاء جاؤوا إلى صيوان الملك واجتمعوا حواله فامرهم أن يكونوا في صباح الغد على استعداد للدخول إلى المدينة حيث انقضت أيام الأراح في الخارج وإن الذين يدخلونهم الأحيان والأمراء والقواد فاجابوه إلى طلبه ثم سال الملك طيطوس إذا كان قد انتهى العمل من رينة المدينة وتنويرها. فاجابه ان هذا قد انتهى عمله إذا أن العاملين قد حضروا اليه وأخبروه بذلك. فسر الملك منه وباتوا تلك الليلة على نية الذهاب إلى المدينة في الغد.

قال وكان للمدينة أربعة وعشرين بابا كبيرا أقيم على كل باب قبة من النحاس الأصفر وعلى أعلاها درابيت تدور حاملة الأنوار تدبرها معها وعلى عواميد القبة قناديل من الزجاج الكثير الألوان ما بين أحمر وأخضر وأصفر وما شاكلها وهي محاطة بغروع الرياحين الحاملة الأبرار الحمراء والبضاء والصفراء ومثل ذلك كان أعلى كل باب وجانباه أى أنها كانت مغطاة بالرياحين وفي وسطها الأنوار المختلفة الألوان وفوق كل باب ثلاثة أعلام كبيرة فارسية واحد في الوسط ودر الأكبر وإلى جانبه اثان أصفر منه ومثل هذا كانت جميع أسواق المدينة وقصورها فقد علققت عليها القناديل الملوثة تحيط بها من كل جهة بحيث تغطي جدرانها فلا يرى منها شئ. البتة سوى القناديل المذكورة وكان قصر الملك ضاراب هو القصر الكبير في المدينة وكان مرقعه في وسط المدينة تماما ولهذا علققت القناديل مرسلة من كل باب من أبواب المدينة إلى القصر المذكور أى أنه وصلت حال طويلة مرسلة من الأبواب إلى أعالي القصر المذكور وعلق في تلك الجبال القناديل وأخذت التداير اللازمة في كل

الجهات لتوفير في أثناء الليل وأمر طيطاوس أن تفرش أسواق المدينة من قصر الملك حاراب إلى قصر زوجة القائمة فيه مع البنات بالمنسوجات العجمية الثقيلة التي هي من نزع السجادات من قصر الملكة أيضا إلى قصر ولدما فيروز شاه بحيث لا تمشي المروس إلا على السجادات فلا تنوس بأرجلها الأرض أو بلاط الأسواق وأن تواد الأتوار في تلك الطرقات وتحف بالزهور والرياحين من كل جهاتها وكان كل ما أمر به ودبره وقد انتهى بوقت قريب لأن كل ذلك قد تم منذ دخوله المدينة قبل اثنيان الملكة إلى حين العازة إليه

قال وفي صباح اليوم السادس عشر نهض الملك حاراب فركب على جواده وأمر الأمراء والشاهات أن تركب وتزل المدينة فركب الجميع وساروا بعد أن أوصروا المساكين بالحفاظ على السكينة ومداومة الأفراح مدة ثلاثة أيام آخر لحدهم أي إلى اليوم الأخير الذي ينتهي به زفاف فيروز شاه على عين الحياة وكذلك زفاف بقية الأمراء وعين لهم ما هو من أسباب هذا الحناء ليدوم عندهم الثلاثة أيام المذكورة وتزل محفوظا بكبراء قومته حتى دخل المدينة معهم وكلهم يتمجبون من هذا الترتيب الذي تقدم ذكره ومن عمل طيطاوس ورسمه الذي كان يرسمه للعاملين والشاغلين بمثل هذه الأمور ودخلوا قصر الملك فوجدوه مفروشا بالمفروشات الجديدة الذهبية والحريرية كلها جديدة كانت قد هبت منذ أشهر مثل ذلك اليوم وكذلك الأواني وبقية الأثاث فانه كان جديدا ومن الدرجة الأولى في الحسن والاقان وغلاء الثمن وكانت كل حيطان القصر من الداخل مغطاة بالسجادات الفارسية الملصكية التي كانت تشغل للبلوك وهي التي أحضرتها معها الملكة من إيران استعدادا لمثل هذا اليوم فقدمتها لتفرش في قصور الفرسان وقصر الملك وكانت كرسى الملك مجللة بوشاح من الذهب وعليها أي على مكان جلوسه فيها قماش من الحرير الناعم جدا معشوم من ديش النعام الناعم أيضا وهكذا كانت إلى جانبه كرسى ولده صاحب هذه القصة وعريس ذلك الاحتفال وكانت كامل كراسي الأمراء تقاربها في الشكل والهيئة إلا أنها كانت أصغر منها مقدار أو لمادخل الملك واستقر به المقام قال لرجاله وأمراته فليذهب الآن كل منكم إلى مكانه يأخذ لنفسه الراحة ويبيت هذه الليلة على سرير الحناء على أمل أن تعودوا إلينا في الغد فيكون الغد مخصصا لزفاف ولدى على جهان لفروز في مساءه واليوم الذي بعده يكون زفافه على عين الحياة بنت الشاه سرور وكذلك يكون زفاف بقية الأمراء في نفس اليوم المذكور وهو الذي كنت أنتظره منذ سنين وأعوام أنا وبقية قومي ورجالي وكثير من العالم أيضا الهين لنا الراغبين في مصلحتنا فأجابوا طلبه وذهب كل إلى مكانه وكان فيروز شاه يرى من نفسه احتياضا

وكدرا فاستأذن من أبيه أيضا وذهب إلى قصره المخصوص فوجد على أبيه وأتى
 ما يكون من الحسن والرواق يريد قصر أبيه إقنا وجمالا هو أنه لم يفكر بذلك بل
 كان يرى من نفسه شيئا وكدرا كيف أنه يوف على جهان أفروز قبل عين الحياة مع
 أنه لا يفضلها عليها ولا يرغب فيها وكيف يمكنه أن يعيش معها كل تلك العمر وهي
 تطلب مقارعة عين الحياة ومزاحمتها فيه ويضم الزمان الذي جاء بها وأوصلها إليه مع
 أنه كان في غنى عنها وما يشتهي إليه إلا لتخرج فرحه بأكدار وكان أكثر منه وغيظه
 عندما يفكر أن عين الحياة ستكدر في الغد إذا شعرت بوقافه على جهان أفروز فعلا
 ودخوله بها وأنها مهما كانت كريمة الأخلاق لا بد أن تتأثر من ذلك إذ أن الطبيعة
 الإنسانية تغلب عليها وتجهزها إلى أن ترى من نفسها أنها اتخذت شريكا به تطلب بها
 النيرة وتسمى عرضة للغيظ والحق. وأكبر شيء كان يكدره ماسبق منه من الوصل لجهان
 أفروز مع أنها لم تلاق في الحب مالاقتها ولا تصلمت لأجله ما يحمله من المصائب
 والأحوال والتفتت من مكان إلى مكان حتى أصبحت في أقصى عالمك العالم وأبعدا
 مشقة عن بلادها. وكثيرا ما ذكر في الاحداث بوعده ورجوعه من محبة جهان أفروز
 إلا أنه يرى اضطراره إلى ذلك إكراما لاختيار المرفة ولوعده لها بأنه سيدخل عليها
 قبل عين الحياة. وصرف كل تلك اليلة بمثل تلك الأفكار إلى أن استقر أخيرا أن
 يبقى على ما هو عليه وأن يقدم بصادق وعده حفظا لشرفه وتأموسه وأنه متى اجتمع
 بعين الحياة يستدر إليها وهي من نفسها تعلم أنه لا يجب جهان أفروز بتعشق ولا يميل
 إليها قط من ذاته وتعلم أيضا أنها مالكة لكل قلبه وحدها دون غيرها وأن لا يمر
 مزيد السرور إلا بالاجتماع بها والتقرب منها وهذا الفكر أراحه وقال سوف بعد
 ذلك تظهر الأيام لها ما يجعلها بأمان وأطمئنان وسترى بعد هذا الزفاف حلوصي لها
 واعتاقى بها أكثر من ذلك.

هذا وكانت تمر تاج الملكة قد دخلت المدينة بعد نهاية احتفالها بمن معها من
 النساء والبنات وتفرقن عنها كل إلى ناحية وأعلنت إلى قصرها البنات اللاتي عندها
 من قبل ودخلت القصر وأقامت فيه ذاك النهار تصلح شأن جهان أفروز لعلها
 أنها ستوف في اليوم الثاني على ولدها وميت لها كل ما تحتاجه وأخرجت لها ملابس
 العرس وجعلتها على أتم الاستعداد وديرت من بعدها شأن الباقيات على أمل أنهم
 في اليوم الذي يكون بمسده يكون زفافهن على الأمراء وكانت أفرحن جهان أفروز
 لأنها فكرت في أن تكون هي مقدمة عليهن وعلى عين الحياة وأنها عن قريب تنال
 ذاتها وما كانت تتمناه من فيروز شاه وعرفت كل هذا منذ رأتها في الاسكتورية
 إلى هذا اليوم على الأمل والرجاء فتظفر هذا اليوم لتحسب من نفسها أنها زوجة له

وقد قربت إلى نوال غايتها وحازت الساق على الجميع وأعد لها يوماً مخصصاً وصاوباً معه
على فراشها بالسرور والفرح تمنى اقتضاء تلك الليلة لتكون في اليوم الثاني مع فيروز
شاه وكانت حالتها هذه بخلاف حالة عين الحياة التي شعرت في ذلك اليوم بمعظم الغيظ
والسكدر من مسابقة جهان أفروز لها إلى حبيبها وأثرت فيها هذه الحالة ولعب بها يوم
من العيرة والحسد ولو لم تر سلى من نفسها لا تفطرت مرارتها وانثقوا ذمها وأصيبت
بالجنون لكنها قالت في نفسها ماذا يا ترى أقدر أن أعمل اليس هو نفسه يقبل ذلك
ويسرنى أن أفعل غايته وأرادته وأنى أعرف معرفة أكيدة أنه لا يفضلها على ولا يحبها
بقدر حبي عنده والبرهان أن كل قلبه عدو وطالما وجه إلى بآيها وأعرض عنها وقال
لى ان أنا التي سأصبح ملكة إيران ويقدم التاج لى وحدى وأشار كى فى حياته وملكه
وهذا دليل قوى على ارتفاع منزلتى عنده على سواى وهو يحبنى بمثل مودته ولا يمكن
أن يرجع عن حبنى قد عاهدنى ولا يكذب قط بهذه ولا يرجع عنه كيف لا وقد لا تقى
من أجلى عذاباً من أشد العذابات وأصعبها ورمى بنفسه مرات كثيرة إلى المهلك والمخاطر
طمعاً باستحاج كلمة منى أو أملاً بنظرة من وجهى على أن هذه الدخيلة لم تكن ولا وقعت
من أفكاره ولا صغى وراءها قط بل هى سمعت وراءه وطلبت هى التي تشقه وليس
هو الذى يمشقها . ولما فكرت أخيراً أنها هى المنتدبة لم تقدر أن تضبط نفسها من زيادة
الحق منها والغيظ من مزاحمتها وأجهدت كثيراً أن تطرد عنها هذه الأفكار وتسل
عنها بنعيمها فلم يطعها قلبها بل أخذت أن يحارب أفكارها ليتسلط على تملقها ليقنعها
أنها بشر وأنها من جملة النساء اللاتي تفعل بهن النيرة إلى حد الجون كاتفعل بالرجال
أصحاب النخوة والمروءة إذ لا يقدرّون على السماح لأحد أن ينظر إلى نساءهن وكانت
حرب قوية قائمة داخلها بما ألقها كل تلك الليلة ولم يأخذها نوم قط وأخيراً قالت لا
خلاص لى من هذه الم رحلة القوبلة إلا بالاتكال على سيدى ومخلصى فيروز شاه فسوف
أعرض عليه أمرى وأسأله أن يتسبب بإبعادها هنا فلا تكون على الدوام مزاحمة لى به
ومن ثم يكون لى وحدى . وما من خصام به ولا شريك يحاسنى وقد صدق من قال
تركت حبيب القلب لأعن ملامه ولكن جنى ذنباً يأول إلى التروك
أراد شريكاً بالمحبة يتنسا وإيمان قلبي لا يميل إلى التروك
وذلك مشهور فى كل نفس أنى كانت أو ذكراً وما لزوم للبحث عنه والأخذ
فيه وما من أحد ياوم عين الحياة على مثل هذه الأفكار الصادرة من قلب مملوء
بالحُب والحلوص . وعندما فكرت بالاتكال عليه ارتاحت نوما وصبرت إلى حين
الاجتماع به فتمرّضه عليه . وكانت هذه الأفكار ليست تشغل قط فيروز شاه وعين

الحياة بل كانت موضوع صحت وإهتمام هموم أمراء إيران وشاهاتها ومن ثم في تلك الدعوة يتمججون من وقروح هذا الأمر الذي وقع بالصدفة قلباً فهو وشاه إلى أن يتخلله زوجة قبل هين الحياة ويرف عليها قلبها وهي تنظر وترى .

قال ولما كان صباح اليوم الثاني مزدخولم المدينة نهض الجميع من مراقدهم ولبسوا ملابسهم النظيفة وجاءوا قصر الملك ومثلهم فيروزشاه فانه نهض متكدرا من نفسه وخرج إلى قصر أبيه ودخل عليه وقبل يديه وجلس وهو متقبض وظهوره من حالك أنه غير راض من هذا الزفاف كل الرضا ولم يخفف أمره هل أحد إنما كان ذلك بالتقصاء والتقدير والصدقة المجية . ولهذا أمر الملك الموسيقات أن تنحصر إلى قصره في الحال وأن تقام في المدينة كل أسباب الزيتة والقهو وأن يطرب الجميع وأن تدار الخمر على الحضور قاصداً بذلك أن يلهي ولده عن حالك لجرى ذلك وأخذ الفرح يدور على الجميع كانه مكلف من نفسه إلى ذلك لا يأتي بالفرض المطلوب لا من فيروزشاه ولا من رجاله الذين كانوا يفرحون لفرحه ويتكبدون لكدره ولحظ هو من نفسه المركز الواقع فيه وأنه محتاج إلى طرد هذه الأنكار من رأسه وإظهار كل سرور وفرح جبا بقومه وأقاربه ومن حوالبه فجعل يضحك ويفرح دون أن يقدر على إخفاء ما يظهر على وجهه من الادة الظاهرة . وعلى ذلك طلب الملك ضاراب من طيطلوس أن يقنع ولده بترك هذه الأوهام من رأسه وأن يبين له وجوب القيام بالعرس بفرح وطرد كل هم وكدر يطراً عليه . فقدم طيطلوس منه وقال له إن حالك هذه التي ترغب أن تخفيها هي ظاهرة للبيان وقد لحظها منك كل من هو في هذا المكان ولا سيما أبوك . وهذا عين التلظ منك وإن كما نعلم أنك صادق الحب لدين الحياة فقد استدلتنا منك أنك كاره في هذا الزفاف على جهان أفرورد مع أنك وعدتها به وهذا فارسيا ولا يمكن الرجوع عنه قط وأنت تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سمع للرجال أن يتخذ الواحد منهم أكثر من زوجة لأنه خلقهن لتعاون لنا والتعاقد وسلطانا عليهن وسلم بأيدينا زمام أمرهن وجعلن وسيلة لنعمتنا وعلّة كبري لآحياء جبلت التي خلقها وأوجدتها بحيث تكثر وتتناسل والسبب الوحيد في منعنا هذا الاختيار بأن الرجل يقدر أن يأخذ أكثر من واحدة بوقت واحد وغبة في إكثار النسل بحيث أر الرجل إذا اكتفى واحدة ربما تكون حاقرة ملائدة قط فياتزم إلى أخذ غيرها لآحياء نسله وإيجاد من يقوم بمصالحه بعده وإذا اتخذ اثنتين أو ثلاث وكى كلهن ولودات كان ذلك أفضل وأحسن في ميثاقه سبحانه وتعالى لآلئام خليفته وهذا السبب الوحيد في خلقه للنساء مع أمور أخرى كثيرة ضرورية لا ارتباط الرجل بأكثر من زوجة يعرفها كل إنسان . فإذا كان الله سبحانه وتعالى

منحنا هذه السلطة وغيرها بانخاذ الساء فلا تتكدر من حكمه علينا بهن ومن اللازم
 للاروب الآن أن تفسرورا عظيما عليك أن لابد من دقائك على جهان افروز ولا تقدر
 أن ترجع عنه وانت ساع به وانها تصبح في نهاية هذا اليوم زوجتك من لحكم ودمك
 فقال فيروز شاه إن أعراف ذلك غير أني لا أحب أن أسرب وواج هذه كسروري بزواج
 حين الحياة وكان أن الله سبحانه وتعالى منحنا السلطة ولم يحرم علينا أن نتخذ أكثر من
 واحدة كذلك غيرنا فيهن ولم يمننا من تفضيل بعضهن على البعض وليس من العدل
 أن أكون بزفاف جهان افروز بحالة كالحالة التي يجب أن أكون بها يوم زفاف حين الحياة
 ومع كل ذلك فاني أعمل إرادة أبي وأسلم بأمرى إليه تعالى أن يرى التعزية بقلب
 حين الحياة كي لا تكون عبوة من هذه الدخيلة . ومن تلك الساعة أخذ أن يتدرج
 إلى ساواة قومه بالفرح والسرور والنبطة والخبور مؤملا أنه لابد من معنى ذلك النهار
 وتلك الليلة . [بيان القند يفرف على حين الحياة .

قال وصرف ذلك النهار بالحظ والمسررات التكيفية والمآكل والمشارب إلى أن
 كان المساء فأشعلت المدينة بالانوار ولعبت في آفاقها الانوار النارية من كل مكان
 وقام الفناء في كل ناحية . ثم نهض الملك ضاراب وأمر أن ينهض الجميع ويسيرون
 إلى قصر الملكة لاجراء الزفاف فيه وكتابة العقد فتبهضوا جميعا وساروا إلى قصر
 الملكة وكانت جهان افروز قد تزينت بأغر الملابس التي كانت قد أعدتها مثل ذلك
 اليوم وهي من صنعة الجمان تكاد تدهش الابصار بما زاد في حسنها وجمالها حتى كانت
 شدة التأملين وهجة للرائين ولما رأها فيروز شاه كاد يؤخذ بذلك الجمال الباهر ولولا
 تعلقه التعلق الشديد بيمين الحياة لاتخذها معبودا له إلا أنه صبر على نفسه وقال هي
 ليلة لتقتضي وفي الحال نهض بطولوس فأخذ العروس وقدمها من الملك قبلت أيديه
 وأبدى الملكة وهي لا تقدر أن تصف عظم الفرح الواقعة فيه وبعد ذلك قدمت من
 فيروز شاه وكسب عقد الزفاف على النسق الفارسي المعروف عندهم في ذلك الزمان
 وجيئة تقدم الجميع فهناؤا فيروز شاه وكانت الملكة قد أعدت المعدات اللازمة
 عند اجتماع الآتين اليها فامرت أن يقدم لهم الشراب ونحوه وبالاختصار بعد أن
 صرفت السهرة في قصر الملكة أمر الملك أن يسير ولده إلى قصره محفوا بالأمراء
 والعطاء وان الموسيقى تعزف امامه إلى حين وصوله إلى قصره ومن ثم يرجعون عنه
 إلى مساكنهم ليرتاحوا تلك الليلة إذ ان في تلك الليلة التي بعدها يكون أمرهم طويلا
 وسهرهم كثيرا وفرحهم اعظم عظيما . وهكذا كان فان الجميع ساروا بين يدي فيروز شاه
 إلى قصره حتى دخله ومن ثم تفرقوا عنه وذهب كل إلى مكانه ودخل فيروز شاه
 وهو وحيد مع جهان افروز ورأى من نفسه انها صارت زوجته شرعاً وانه مضطر ان

بما طما كعامة الزوجات فأخذها إليه وترحب بها وكأنه عنده طول تلك الليلة وقد صرخوا
ليلة هناه لم يصرف شيئا لغيره وشاء من خلق إلى ذلك اليوم وبعد أن نال كل منهما هناه على
أحب ما يرغب تكررارا وابتقى نور النهار وأخذ الصباح في أن يتقدم حينئذ بهض جهان
أفروز قبلت يديه وقالت له اعلم ياسيدي أني أريد أن أطلب إليك أمرا ولا أحب أن
يمنعني منه قط لاني صرت الآن في يدك ونحت أمرك ومسئولة بك وبراحتك. قال قولي
مهما أردت فاني لا أمنك من أمر تريد به. قالت أحب أولا أن تقسم لي بحياة أيك
وحبة عين الحياة لا تمنعني منه فأقسم لها بطلبها. فقالت له اعلم ياسيدي أني كنت أفرق
وقاطع ليل على مثل هذه الليلة وقد نلتها كرامتك ولطفنا وأذكنت أحب عين الحياة كالحبها
أنف وقد تعلق قلبي بهما لك ولما وجدتها من كرامة الأخلاق ورقة الجانب لاسيا وهي
نفسا التي سبقت قبلت أن أكون زوجة لك قبلها وقد قبلت أنت بعدها ذلك بالرغم من
احساساتك وإرادتك فأنت معذور على كل حال لأنك عاهدتها قبل وأخطتها الود
واخترتها منذ عدة سنوات شريك حياتك وزوجة بيتك فوجدت من نفسي قسمة عظيمة
لا أقدر أن أحملها قط وكنت مرارا كثيرة أفكر في أن أرجع عن طلي وأبعد عنك فلا
أكدر عيشك بها ولا أكدر عيشها بك ولا أكون بينكما علة كسر غير أن حي كان
يمنعني وتطلبات قلبي لا تطيعني أن أرفض سعادة أعدها لي الزمان واختارتها لي الصدق
فالتزمت أن أصبر لبعده هذه الليلة بحيث نلت مرادى وأطقت تلك الجرات التي كانت تعسر
بيران حي لك حتى صرت أقدر أن أقول

وأقول للمذال موتوا حسرة هذا الحبيب وما أنا المتشح

وأرى من ذاتي الآن وإن كنت أهد نفسي منك بلذة عظيمة وبسعادة عظيمة
أبدية بالقرب اليك والنظر في وجهك غير أني سأطلب على أميالي فأقهرها ترضية لعين
الحياة وخدمة لك وأسرعنكا إلى بلادى وما ذلك إلا لاكون كعين الحياة كريمة الأخلاق
فأترك لها من تحبه ولا أقبل أن تكون أعظم مني كرامة ولا أريد منك أن تمنعني في ذلك.
قال كيف يكون ذلك بعد أن صرت زوجتي وأصبحت مضطرا للمحافظة عليك. قالت
أنت أقسمت لي فلا يمكن أن تحتبة سمسك وترجع عنه واني أقسم لك بحبك الذي هو أفضل
ما أحسنه في هذه الدنيا أني أبقى عافضة عليه وأصون نفسي حتى اقتضاهم روي أني غير ذكرك
لا أذكر ففهم فيروز شاه كأنها عظميا سقط عن قلبه ووجد في داخله راحة كبرى وقال لها
حيث أقسمت لك فلا بد من القيام بنفسى فلا أمنك شيئا فتضاربه قط ثم ودعها
وودعه الوداع الأخير وخرجت من أمامه بأكية العين حزنة القلب وسارت إلى

بلادها لا ترد فيا بعد ولا تذكر في هذه القصة . وبعد أن ذهب من أمام فيروز شاه تأثر
لرحيلها وحزن حزنا مؤثقا لأنها على كل حال صارت من لحمه ودمه وعرفها معرفة الزوج
للزوجة وبقي يحوم من ساعة على حاله إلى أن أشرقت الشمس فنهض من فراشه ولبس
ثيابه وإذا بأبيه قد دخل عليه مع طيطلوس الحكيم ودوش الراى لينثوه بما مضى عليه
فلا تاهم وترحب بهم وأخبرهم بما كان من جهان أفروز وأنها اختارت الرحيل إلى بلادها
وأنها لا ترجع فيها بعد إليهم فثأروا من ذلك إلا أنهم قالوا إن الأخير في بعدها لعين الحياة
ولك وقد نظرت موضع النظر وفعلت الفعل الجليل الحسن . ثم أقاموا في قصره نحو ساعة
وخرجوا وذهبوا إلى الملك فأخبروها بما تقدم ففرحه وأخبرت عين الحياة وذهب الملك
إلى قصره لقيام عرس ابنته في ذلك النهار وبقية الأمراء ووزرائهم على البنات في تلك الليلة
قال وبعد أن ذهب الملك من قصر ولده نهض فسلمه وهو مسرور بما سبلاه في ذلك
النهار ثم دخل غرفة اللبس فأفرغ عليه ثوبا على الذهب مرصعا بالالماس والياقوت وخرجا
بالأخرجة الذهبية في كل جهاته وأخرج سيفا مجوهرامصنعا بالذهب مرصعا أيضا بالحجارة
الكريمة من أعلاه إلى أسفله فتخفق به في وسطه ووضع على رأسه قبعة من الذهب الخالص
في أعلاها حزمة من المجوهر عاتية يشعاع ذهبي حتى أصبح من رأسه إلى قدمه محاطا بالذهب
ولما انتهى من لبس ثيابه تقدم أحد خدمه وأخبره أن الموسيات عند الباب بانتظاره وقد أعد
له جواده الكمين للركوب ليسير إلى قصر أبة فخرج إلى الخارج وإذا به بالجواد مسرجا
بسرجه من الذهب الخالص المرصع بالحجارة الكريمة أيضا فركبه وفي الحال ضربت
الموسيات أمامه بالخان التهانى وكانت طوائف من المساكر واقفة إلى الجانبين صفوفا
من قصره إلى قصر أبيه حين ارتفاعه على ظهر الجواد ضج الجميع وصاحوا بصوت واحد
فليحي فيروز شاه ولبنأ ملكنا وروصوا بسيوفهم علامة للسلام له فسار بتلك العظمة
والاحتفال وهو يبعي رجاله عن الجانبين وهم يدهون له بالنصر وطول العمر والاقبال
وبقي سائرا وكان كاتقدم أرض الطريق مفروشة بالسجادات المعجبة حتى وصل من
قصر أبيه فنزل عن جواده وإذا بطيطلوس ودوش الراى ينتظرانه في الخارج وعليهما
الملابس الرسمية الذهبية والوسامات الفارسية تلح دليهما ولما دخل باب القصر تقدما
منه ووضع كل منهما يده تحت أبطه وسار به إلى باب قاعة الجلوس فخرج أبوه الملك
ضاربا إلى ملاقاته عند بابها وعند ما رآه خر ساجدا بين يديه وقال له امنحنى
للبركة يا أبى فرفع يديه فوق رأسه وقال له فلياركك الرب يا أبى ولكن فرحك
كاملا ولنحنى بأيا ملك دولة الفرس ثم رفعه وقبله وقبل يديه وسار كل إلى كرسيه وجلس

عليها . وبعد أن استقر به المجلس أمر الملك أن تسهر الموسيقى إلى قصر ابن همه
كرمان شاه وأن يؤتى به على مثل هذا الاحتفال ففعلوا وجاءوا به مكرما معظما فدخل
على الملك وقبل أيديه . قبل فيروز شاه قبلة وكان عليه من الملابس الرسمية الذهبية
ما هو من ملابس الملوك وبعد أن جلس أتى بمصفر شاه ومن ثم بخورشيد شاه وفرخزاد
وكلهم بالملابس الرسمية الملوكية واجتمع في القاعة الشاه سرور والشاه سليم وسيف
الدوله والجميع عليهم ثياب الأفراح وكذلك هزادفاته لبس ملابس أياه المختصة به كلها
من الذهب الوهاج ووضع على رأسه القباء الأخضر المذهب الذي أنعم به عليه الملك
وبالاعتزاز أن تلك الثمرة كانت مملوءة من الذهب بما لا يمتن بتمن ولا يقدر بحساب
وبعد أن سمع اجتماع الجميع أمر الملك أن ينهضوا إلى مأدنة الطعام قداموا وأكلوا حتى
اكثفوا وكانت المائدة وما عليها من الذهب الخالص ثم رجعوا إلى مراكرم وجلسوا
على كراسيهم فأمر الملك أن يدار عليهم الخمر والتغولات وأن تضرب الموسيقى بأصواتها
المفرحة وأن يبنى المغنون وأن يصرف بعد ذلك النهار بأعظم ما يكون من أسباب
الفرح والسرور وهكذا صار . وكان فيروز شاه فرحا جدا فخلق على وجهه في كل
دقيقة علامات السرور والاستبشار وهو يحيي الجميع ويظهر مستهوى سروره وفرحه بما هو
فيه وهذا الذي كان يزيد في سرورهم ويبرهن إلى أياه وإلى الجميع خلوص ودهمهم للحياة
وأنه يحبها بحبة لا تقاس بها حبة حتى أصبح معنى الحظ والمرح بخلاف اليوم السابق
فانه كان غير مسرور من نفسه . وانقضى ذلك النهار على مثل تلك الحالة والجميع في بسط
والشراح ولا سيما فرخزاد وكرمان شاه ومصفر شاه وخورشيد شاه وبهمزاد قبا
فان كلا منهم بعد نفسه أنه سيلقى بعد ساعات قليلة حبيته وينسحب إلى خلوته وتقضى
تسويلات غرامه وهم يرفسون بأرجلهم ذاك الوقت القصر الضيق
ولما كان المساء اشتعل ذاك القصر بالأنوار من كل جهته ومثله المدينة بأجمعها
حتى لم يعد يرى قط بيت أو سكن أو قصر كبيرا كان أو صغيرا دون توير من
الخارج من الأعلى إلى الأسفل كل هذا والموسيقى تضرب من كل الجهات على
حسب ما تقدم وكانت الملكة تمر تاج قد سألت الملك أن يتناول الطعام في ذاك المساء
في قصرها مع كامل الأمراء والأعيان ولذلك أمر أن يسرع الجميع إلى هناك فركب
الملك وركب إلى جانبه فيروز شاه وركب من بعده أخيه وحدا بعد واحد على
تلك الصفة وساروا بين طوائف الصاكر من المتخرجين إلى قصر الملكة حتى دخلوا
وإذا بها قد فرشت أرضه من الباب إلى كامل الغرف من الدخان الحريري النسي
الذين ليدوس عليه ولدها ولما استقر بهم المجلس قدم نحو الباب ثم دعي إلى غرفة

الطعام فاكلوا واكثفوا وعادوا إلى مكانهم ينتظرون أمر الملكة لأجراء العقد قال وكانت الملكة تمر تاج قد اصلحت يدها شأن العروسات باجمعين على حسب ما اشتهت والبستين الملابس الفاخرة وزيتهن بأهين الحل والجواهر ووضعت على رؤوسهن اكاليل من الزهور البيضاء وافرقت على كل واحدة وشاحا من الكشمير المرصع بالأخرجة الذهبية وكانت ابها من منظرا وهي من الحياة لأنها البستها ذلك الثوب الذي كانت تعده منذ زمان لئلا هذه اليلة البينة الانيسة وجعلت كل ما عليها من الرأس إلى القدم من الجواهر الثينة اللامعة ووضعت بين رجلها كرسي من الذهب تضمها عليه حتى كانت تبرز كل من رأها وقد زاد هذا في محاسنها التي كانت تشرق في ذلك المحفل بأشدة الانوار والامعان . ولما أتى الملك ورجاله إلى القصر وضمت فوق كل واحدة من العروسات شواء رفيعة من الحرير الأبيض . وعند فراغهم من الأكل وارتياحهم قليلا دعهم لقد غول لكتابة العقد فدخلوا جميعا وكانت قد هيات لهم علات الجلوس فجلس كل في مكانه وقد نظر فيروز شاه إلى عين الحياة نظرة الحب الخالص فكاد يقبع إلى الأرض من عظم ما اصابه لانه انتمش بما هي عليه وما اطاعها اقده من الحسن الذي كان يزيد بها كل دقة وكذلك عين الحياة فانها سرقت نظرة منه بطرف عنها فوجدته على تلك الحالة وهو مجل بالذهب وانوار وجهه اللامع تسطع وتلعب وتضيء ضياء الافكار ولو ما تحول بنظرها حالا عنه لوتمت إلى الأرض دون شك انما تجلست وحسرت على نفسها وجعل قلبها يخفق وهي تكتم وخافت من التفتية وجعلت تعود بنظرها اليه مرة بعد مرة أي انها كانت في كل فترة تبتك بنظرة خفية اليه ثم تحول عنه بسرعة واصبحت غير راجية للحالة التي هي فيها وهكذا كاد يقل كل فتاة مع فتاها . ولما استقر بهم الجلوس امرت الملكة ان يقدم إلى الجميع الشراب فشربو ثم امرت إحدى الخدم ان يقدموا على صينية من الذهب تاجا مرصعا كانت قد اعدته لتلبسه لصين للحياة في وقت عقدها فأتى به وكان اشبه بالكيل في دائرة جواهر كل واحد منها بقدر الجودة مشغولة على احسن ترتيب ونظام واتقن صفة منقوش بالذهب في كل جوانه نقشا بديما وكان لمان ذلك التاج يشبه لمعان البرق الخاطف حتى انه كاد يقارن تاج الملك الذي على رأسه وهو التاج الفارسي بقيمة مجوهراته او تاج الملكة وهو تاج ملكها هيته وتركبه . ولما دخل الخدم بذلك التاج عمولا على صينية من الذهب على ايدهم قالت الملكة أي استاذن من سيدي الملك ان يسمح لولده فيروز شاه ان يلبس هذا التاج بحسب العادة لانها تستصح الملكة في بلاد فارس والمملكة على اطبا وستلس ذات يوم التاج المرفوع الآن على رأسى ومن

الواجب حفظا لمادة فارس أن ترق بهذا التاج الذي هو بمقام الاكليل ومراً عن التاج الحقيق الذي يرفعه إلى رأسها بعد قليل من الأيام حيث يشاء الله سبحانه وتعالى فأجاب الملك سؤالها وطلب إلى فيروز شاه أن يتقدم إلى عين الحياة ويقدم لها التاج عن العصابة ويرفعه إلى رأسها . فأجاب هذا الطلب غير أنه كان يرتجف من داخله لما اعتراه من الخفقان عند ما أمعن بها النظر جبدا ورفع التاج وقرب منها فرفعت إجلالا ودنت منه وقد أخفضت رأسها قليلا وهي مطرقة إلى الأرض فوضعه عليها ورجع إلى أبيه قبل يديه وبني والده وجلس في مكانه ولما وضع التاج على رأس عين الحياة وجدت من نفسها أنها دخلت في درجات الملكات الفارسيات وهي لا تصدق بذلك وقد زادت بهاء فوق بها . وجمالا فوق جمال وأخذت الآوار تتدفق وتخرج من فوق رأسها على حينها فتلطها أمواج الحسن بما هي عليه من القوة والقبضان وتدفقها دفقا قويا بما يحصل من الانظام والتقاء القوتين وهكذا كانت كأنها ينبوع لكل حسن وجمال ومصدر لكل رنة ورواق ولم تكن نبات الملوك بين يديها إلا كالحاديات أمام السيدة لائهن وإن كن جيلات ذاك الزمان إنما جالهن كان كالحاديات عند جمالها .

وبعد أن استقرت الملكة نحواً من ربع ساعة وعاد كل شيء كما كان أخرجت علبة من الذهب مرسمة بأسمى الحجارة الكريمة قشعتها وأخرجت منها عقداً من الحواجر الكثيرة كل واحدة بقدر البيضة يساوي ملك ملك وتقدمت من عين الحياة فألبسها إياه في عنقها وكان وهو في يدها يشرق ويلعب بلعنان البرق حتى اندمشت منه الجميع إلا أنه لما صار على عنقها اختفى ما هو به من الزرق والبهجة وأكمد لمعانه بما ضلوه من ياض عنقها ولمعانه ثم إن الملكة أخرجت عقداً آخر أدنى منه درجة وألبسته أخرى يدها وأخرجت ثالثاً فألبسته كلبية ورأبها فعلقته بعنق طوران تحفت وخامساً بعنق تاج الملوك وسادساً بعنق كوكلدان وسابعاً بعنق نور وكلها ألبست فتاة عقداً قبلت يدها على هذه المنة والاکرام ولما انتهت الملكة من عملها ومن تقديم هداياها إلى العروسات عادت إلى كرسيا وسألت الملك لإجراء العمل بكتابة العقد فأمر بطيوس الوزير بذلك فنهض في الحال وعقد لعين الحياة على فيروز شاه وطلب لها البركة من الله سبحانه وتعالى وسأل أباه أن يباركه فياركه وأمهاده الرضا ودعاه بالتوفيق والسعادة وطول العمر والبنين وإذا ذاك صفقه الجميع فرحاً واستبشاراً وصاحوا فليحي سيد الفرس وملكهم ثم جلس إلى جانب عروسه ومن ثم كتب عقد مصفر شاه على طوران تحفت بنت الوليد ملك مصر ودعاه بالتوفيق معها وأجلسه إلى جانبها ومن بعده عقد تاج الملوك بنفسه النعمان بن المنذر صاحب لادن الطائف على خورشيد شاه ابن عم الملك خسرواب ومن بعده

عقد لكوندان بنت صاحب الاسكندرية على كرمان شاه وهما الجميع ومن بعده عقد
لفرغوزاد على أنوش بنت الشاه سليم وفرح الجميع له ولا سيما أخوه بهرادشاه بطل
إيران وبلوانها فانه تقدمته وهما وقيله في جينته وبين عارضيه قبله موافقاواظهر
له شكره وكانت قلوبهما قد رافت وصفت وامتلأت من الحب والخير . وبعد أن انتهى
طيطلوس من عمله طلب من دوش الراى أن يعقد له على نور بنت الوزير يداخل
وزير الملك فيصر فكتب له كتابه ووقع الشهود على كل عقد وشهدوا على كل عريس
وعروس وبعد أن انتهى كل عمل أمر الملك أولا بضرب موسيقات التهانى في نفس
ذاك المحفل ففعلوا وكانت الملكة قد استحضرت جوقا من المغنيات فأمرتهن بضرب
الآلات والغناء . وكن من الروميات فضربن الآلات وهن الغناء المطرب حتى كان المكان
برقص من عظم الفرح ومن طربه بدوبة الفاطنين وحسن أصواتهن قالو يقين على مثل
ذلك إلى أن مضى قسم كبير من الليل والحرر تدار على المحضور بأمر الملكة من كل
أنواعها وقبل انقضاء السيرة أمرت الملكة أن تضر مائدة الحلوى المعدة لمثل هذا العرس
فأحضرت وتنهض الجميع إليها ووجدوا من طيب المأكلى التى كانت الملكة قد أمرت
صنمها ما ياخذ بشهوة كل إنسان فاتها كانت من الأكلات العروفة من ملوك الفرس
وفيرم وبعد انقضاء مدة الأكل والاكتفاء نهضوا الجميع يشكرون من الملكة ومن
حسن إنعامها وإكرامها للجميع واعتانها بهم .

وبعد أن راق لهم الوقت مدة نصف ساعة قال الملك خراب الآن قد انتهى الوقت
ولم يبق من وسيلة التطويل لأن الليل أوشك أن ينقضى وصار من اللازم علينا أن نطوف
فى المدينة بالمروسات والعمران ومن وصل إلى قصره أدخلناه إليه وذلك رغبة بأن
يعود الجميع على أهل المدينة لأنهم لا يزالون بالانتظار وكثير منهم ومن رجالنا ورجالنا
وغيرهم قد دخلوا المدينة وأقاموا على جدرانها وسطوحها وفى طرقاتها أملا بأن يروا
ملكهم وعروسه ذاهبا بمثل هذا الاحتفال إلى قصره وعليه إكراما لهم وحبا بأجابه
رغائبهم أريد أن أطوف بولندى وزوجته وأمرأى بملكى ونسائهم فى الشوارع الى
أن يدخل كل سيد الى قصره ومن ثم نعود اذلا بد اذ ذاك أن يكون قد أشرق الصباح
أو كاد يشرق . فراقته الجميع على رأيه وتصحبوا من حله ورفقه واتقاهه الى صالح
رحبه وانتمائه هانى كل زمان ومكان ولا سيما الشاه سرور فانه اندهش من كل هذه
الاعمال التى كان يراها ويسمعها وهو يذم نفسه على ما فرط منه بحق صهره فيروزشاه
ركان بنظر إليه وهو جالس الى جانب بنته نظر المتعجب من جماله وقد عرف اذ ذاك

حق المعرفة وكشف الحجاب الكثيف الذى كان يستر أعينه ان فيروز شاه هو
أجل رجل فى ذلك الزمان كما أنه أشجع رجل وأبسل فارس فيه وان لا يلقى ان
يكون لعين الحياة زوجا غيره فاختطف الاله وما خلق الا لها وكثيرا ما كان
يحدث نفسه بنفسه ويقول أين طيفور العين الحديث ينهض من حفرة هلاكه ويأتى
للى هذا المحضر فى هذين القمرين الذين لا فظير لهما فى هذه الدنيا وهل من العداة
والرأى أن ينما عن بعضهما .

وبعد أن فرغ الملك ضارب من كلامه نهض واقفا ووقف من حواله جميع رجاله
وابناء همه من الكبير الى الصغير وأخذ كل امير يد امير وكل فتاة يد حروس
وخرجوا الى الخارج وكانت الخيول مسرجة بالسروج الذهبية بعضها للرجال وبعضها
للنساء فركب الجميع وفى مقدمتهم عين الحياة بتلك الصفة المبهجة كالسكوكب الوداح
ومشت الموسيقىات بين ايديهم تعرف بأصوات الهناء والفرح واحدة بعد واحدة .
وامر الملك ان يحمل بين يدى عين الحياة احمال الذهب من البين واليسار ترمى بها على
الناس لتلتقطها وهكذا كان فان عين الحياة اخذت قبض من تلك الاحمال قبضة بعد
قبضة وترش بها على المتفرجين والساكر الذين كانوا وفوقها على جانبي الطريق فكانت
الاقدام تزدحم للاتقاط فكانت اكفها مصدر النقى لكثيرين من الناس من الرومان
وغيرهم اذ ان الذهب كان ينساق من سماه يديها كتساقط الأمطار من صدر السماء . ولهذا
كان الدعاء قائما من كل مكان للملك ضارب رولده لانهما يذوق الكرم والرحمة وقد
افرشا الخزان واخرجا الذهب الذى جاء به من حدابران الى بلاد الرومان فافرقوه
يوم واحد حتى ان الأرض كانت تفرح وتبسم ضاحكة من مرور عين الحياة عليها حيث
اتها قد مرحت ترابها بالذهب . وما مشوا الا القليل حتى مروا بقصر مصغره فامر
الملك ان يدخل اليه بعروسة طوران تحف فاستاذنه ودخلها وكان قصره مزينا ومفروشا
بالفرش الفاخر لسطم على عروسة ودخل بها الى غرفة النوم وهو مملوء من السرور
والفرح . واما الملك ضارب فانه سارع من تقدم ذكرهم على تلك الصفة المنظمة
والرؤوف حتى مروا بقصر خورشيدشاه فامر الملك ان يدخل بعروسة تمرناج الى قصره
ويتفرد به فاجاب واخذها من يدها بعد ان استاذن منه للدخول ودعاه بطول العمر
والبقاء والعز والارتقاء ودخل القصر قاصدا غرفة المنامة حيث كان سرور المنامة معدة
لمثل تلك القيلة المنتظرة .

وسار الملك ضارب وعين الحياة على حالتهما ترش الذهب من البين الى الشمال
والناس تلتقط وفيروز شاه ينجي الجميع بابتسام وبشاشة وهم يدعون له ويتمنون بقاءه
اما هم لا متلاء اشواقهم من النظر اليه والشاء سرور يسير من خلف بنته وعصره

ولم يأت به الخراجا البان وهو مأخوذ من هذا العمل متعجب من تلك الحالة البهجة
وقد قال لخرجا البان اتى لا أقدر أن أكافئك أيها الرجل الأمين المهابد لى وشخصى
لأنك أنت بالحقيقة السبب الوحيد الذى قاد هذا الرجل العظيم فى العالم البان وأرسله
إلى بلادنا ولو كنت ذو عقل وحكمة منذ الأزل لما اخترت سواء لى صبرا أم لا أن الله
قد أحمى بصبرى عن النظر إلى الصواب وأبعد عنى معرفة الحقيقة وذلك العين طيفور
الذى إلى ابداء كل هذا العناء حتى خسرت ملكى ووطنى وأهلى ولو لم تداركنى عين
الحياة بما أعطيت من الحكمة والقدرة وما ارتبطت به من الحب لنحوى خدعت نفسى
أيضا خسارة الموت والمهلك إلا أنها كانت تعرف حتى المعرفة أن العناية الإلهية تسر
مزيد السرور إذا حافظت على طاعتى وحى وسهلت لى طرق الراحة عليه فقد أجهدت
نفسها لتوفق بينى وبين غير شاه وتجمعتنا على المحبة والسلام ولم تقبل أن تسلم ذاتها
له دون أن أكون معه على أم رضا ووفائى . قال انها مصيبة بذلك حكيمة نظرت موضع
النظر ورأت إلى مستقبلها بعين الصواب لأنها لو قبلت أن تكون زوجة لفيروز شاه
غير ملتفتة اليك لما لتبت من العناء والراحة بل كانت فى كدور داخلى وعذاب ضمير
إذا تكون قد باعت أباهما بيع الحياة والامانة وكانت تدم من العالم أجمع وتلام من
الكبير إلى الصغير لأن زوجة فيروز شاه تكون ذات موقع فى السنة الملوك وأبنائهم
ووزرائهم وأمرائهم وعرسها يكون له شأن فى كل زمان ومكان فكانت حينئذ تذكر
بالاستهزاء والاحتقار فيقال أنها أخذت سية وقبلت لغايتها بهلاك أيها أو يبعده عنها
وهى هذا نهى الآن كاملة فى كل شىء ألم تر أن الاحتفال العظيم الذى هو فيه لم يسبق
أن سمع بمثله قط منذ بداية الخليقة إلى هذا اليوم قد اجتمع فيه من الناس مئات الآلاف
والآلاف الآلاف من الرجال والنساء من أفاصى الأرض حتى أذانها وبذر فيه من
الذهب ما لا يقدر بحساب كان نهرا يتدفق على الناس من كل جهة فكيفما ملك وجدت
الذهب مكرما وموجودا وبذورا بعضه على الأرض وبعضه فى السقوف وبعضه معه
الأرض كانه تراب لا بل أدنى من التراب فأشكر الله على مثل هذه النعمة التى أوصلك
إليها حتى أصبح أول رجل فى الدنيا زوجا لبتك ومساعد لك ومعينا لأمورك ولكل
أحوالك بعد أن لاقت عذابا وأهوالا . قال اعلم انى فى حيرة عظيمة من أمورى
لا أعرف ما تنتهى إليه أحوالى لأن الشاه سليم قد صار صاحب بلادى وحاكمها
وسيدىها وقد نصب الملك ضراب عليها ووعده بكل جميل ولا يمكن أن يحث بوعده
معه لأن الفرس أصحاب صدق ووفاء فلا يمكن أن يرجعوا بقول عزموا عليه ونووه ولهذا
أريد منك لأنك مقبول الكلمة عند صبرى وبممكنك أن تدكرنى عنده بعد انتهائهم من

وفاته واني سأطلب أيضا من بنى عين الحياة أن تذكرني أمامه وتسلمه إرجاع ملكي أو غيره بحيث يمد إلى جامي وسلطاني وأكون حاكما لا محكوما ولا تقعد من يدي تلك السلطة التي استلبتها من آبائي وأجدادي على أني مرار كثيرة قويت أن أسعى بذلك فيمنعني الحياة وأصبر نفسي وأقول لا بد لهم من ذواتهم أن ينتقموا اليه ولا يمكن أن يفسقوا ويتناضوا حتى واني أخاف أن يكونوا بجمرة من ذلك مرتبكين بيني وبين القاء سليم . قال لا بد من النظر في ذلك بعد هذا اليوم واني أعلن أن صهرك لم يفعل عنه قط إنما من الواجب عليهم أن لا يفكرون به ولا يبدونه إلا بعد نهاية الوفاق بحيث تنحصر زفاف بنتك واني أرى من المناسب أن تقسم ملكك اليمن إلى قسمين قسم لك وقسم للشاه سليم ويضاف عليها بعض ملحقات من البلاد التي دخلت في أيديهم قال اني أقبل ذلك ولا أرغضه وعلى كل حال فإن الله يدير أمري بحكمته ورحمته والملك ضارابه يعاملني بعده وكرامته واني أشعر من نفسي أن حالتي مستكررا أحسن من الأول بكثير لأن صهرى قادر على كل شيء ويده كل شيء . وهو سيكون السيد على كل هذه البلاد التي دخلت في يده وتسلط عليها من بلاد إيران حتى بلاد الرومان قال أصبت به فهو وحده الذي يقدر أن ينفع ويضر غير اني أرى أنه من الضرورة مدد من الزمان أن الفرس سيسبغون إلى بلاد الصين لتخليص أمراتهم منها ولا يمكن للملك ضارابه قطع أن يتركهم أو يتغاضى عنهم ولا يمكن للملك الصين أن يسلمهم دون حرب وقاتل بل يقيمهم ضده إلى حين وصول الفرس إليهم حيث يجعلهم مفتاح شر وعناد

كل هذا يجري بين الشاه سرور والخواجا البان وهما سائران في ذاك المضل إلى جانب بعضهما والملك ضارابه وغيروز شاه وباقي الأمراء والفرسان سائرون على أنهم ترتيب ونظام مشغولون بالأفراح والمسرات وبما يلاقون من أجواق المتفرجين إلى أن وصلوا إلى قرب قصر كرمان شاه فوقفوا عنده وتقدم إذ ذاك من الملك ضارابه وقبل يديه واستأذنه بالدخول إلى القصر بروسه فأجابهم وقبله وعناه باتمام فرحه ومسراته على كل خير وتوفيق ودخل كرمان شاه وادخل معه كولندان بنت الاسكندر صاحب الاسكندرية ولا يصدق بأن نال منها مرادا أو يجتمع بها بمثل هذه الخلوة وكان قلبه مولما بها منذ رآها في الاسكندرية دون أن يسمح له الزمان أن يجتمع بها أو يحكي لها ما بقلبه بل كان يتحمل قتل هواها وهو قاطع الرجاء منها لعله أنها ستكون زوجة لخورشيد شاه وإن الحب بينهما ممكن ولا يمكنه أن يراحمها . قال وسار الملك بتلك الأبهة والاحتفال على الطرقات من مكان إلى مكان حتى قرب من قصر فرخو زاد فوقف واسترقب الجميع والموسيقى تضرب على مثل ما هي عليه

لاشتر دقيقة واحدة عن العرف والهاء. وإذا ذاك تقدم فرخوزاد من الملك قبل يديه وسأله الإذن بالدخول إلى قصره . وفي الحال انصدرت دمة رقيقة من عيني الملك وقال له اها أيها النمل الكريم لأمين دولتي المرحوم فيلوزو الذي قتل ظلماً في هذه الحرب وصرف كل العمر في خدمتي وطاعتي وأن لا شيء أحب إلي من أن أرى نفي قادراً على مكافأة أولاده الذين تركهم في ملكتي يخدمونها نفس خدمته وأعظم أمر أشبهه في زمانه كله هو أن يكون ذلك الأمين ساعداً معنا الآن بمساعد وبرى مجد أولاده وعظمتهم وفرحم فوق كلامه هذا في قلوب الجميع ومامنهم إلا من يهكي على فيلوزو وتذكره لأنه صاحب الفضل عليهم وأستاذ بهلوانى إيران وعجب الجميع . ثم ان الملك ضاراب قال لفرخوزاد ادخل الآن سعيداً مع زوجتك ويسرنى أن أراك سروراً كما يسرنى أن أرى أحاك بهراد قائماً في منصب أبيه يحيى له ذلك الاسم الشريف المحبوب من كل رجال إيران وإذا ذاك قبل فرخوزاد يد الملك ضاراب ويد همه الشاه سليم وقبله كل منهما ودخل إلى قصره بمروسة أنوش وهى إلى جانبه كالبدن المتير مسرورة لسروره لأنها لاقت من من هو أعظمها أملاً تلك الآلة كالآنى هو أيضاً وقد خطبا بعضهما قبل كل أمير وقناة من رجال إيران أى منذ أكثر من ست سنوات من حين سبى فيروز شاه من إيران وانفراقه ووقوعه في المدينة السليمية وليس في الإعادة إقامة ولهذا دخل بها إلى غرفة منامه وانقردها لوحده يشكر الزمان الذى عاد فجاد له بالاجتماع

: وكان فرح الشاه سليم يوقاف بنته على فرخوزاد ليس بأقل من فرح الملك ضاراب يوقاف أبيه حين الحياة لأنها كانت وحيدة له محبوبة منه حبة الآلة لاهمه شيء من هذه الدنيا إلا أمرها وكان أيضاً يحب فرخوزاد حبة الابن الأمين الصادق متوقع في مدينته إلى ذلك اليوم وكان أعظم شيء يسره أيضاً خلوصه لدولة إيران ووقوعه عندهم بأرفع مكان وأعلى درجة حتى أهم كانوا يعتبرونه أيضاً اعتباراً عظيماً ويفضلونه على سواه وكان يسير مع تلك الحفلة هو يطلب منه تعالى أن يبيد في ههنا بنته وأن يردزها ألقه البنين وتندوم مع صهره على الوفاق وطول العمر وقد سرع سمعه من الملك بإظهار عواطفه وشوره لشعر صهره والتفاتة إليه كونه ابن فيلوزو البهلوان الذى كان الرجل الأول في مملكة إيران بنسبة طيطلوس وزيره الأول بخلاف الشاه سرور فان بعض الحسد الذى كان مجبولا عليه بمحرك إذ ذاك في قواده وحسب أن حبة الملك لفرخوزاد ولأولاده فيلوزو تزيدي في رتبة مقام الشاه سليم وتقدمه أكثر فأكثر من الملك ولهذا قال للشهواجي أليان أن مثله الشاه سليم تنمو على الدوام عند الملك ضاراب ومن هذا أرى أن لا بد

من بقائه في منصبه ولا يمكن للملك أن يفصله عنه وإذا فصله وقصد أن يعيد إلى ملكي
تحتكر أولاد فيلزور وهو لا يرغب في كدروم فإمن وسيلة أرى الرجوع إلى نورا ابن
والسلط عليها كالأول

فلم الخواجه اليان أنه حشد القاء سليم من ذاك الاعتبار غير أنه قال كن مرتاحا
يا سيدى وانظر إلى الأمور بعين بصيرة أليس صهرك هو عند الملك ضاراب أهن
عن صهر الشاه سليم وأحب عنده من كل إنسان بل هو أحب من نفسه أيضا أليست
بنك كته ومحبوبة لديه أكثر بكثير من أتوش بنت الشاه سليم فأنت على كل حال أفضل في
عين الملك وأحب عنده وعند ولده من الشاه سليم لكنه صادق الخدعة معهما مخلص الحب لها
ولدر لهما فلا بد من مكافأة واعتباره على كل حال وأما ما فعلت أنت معهم من القبايح
والعداوة وما سببت لهم من العذاب والحروب قد أصبح الآن لسيا منسيا ولا ظن أن أحدا
منهم يذكرك فيها بعد أو يفكر به لأنهم كرماء الأخلاق صافون البواطن لا يأخفون
المحرم بحريته إذ تأب اليهم واحتراف بذنبه قارفع من ذهنك كل هذه الأوهام واعتدى أن
الملك سيمبذك إلى ما كنت عليه غير ملتفت إلى الماضي وذلك مراعاة لبنتك عين الحياة
التي أصبحت كواحدة منهم بل سيدة عظيمة ليهم ولا يمكن إذا سألت زوجها أمرا يمتنها منه
أو يرجعها عنه لأنها عنده أفضل من العالم أجمع وأفضل من كل مالها وكما لا تهمو
يحبها بتعشق عجيب قوى لا نظيره . فاطمان فكر الشاه سرور من كلام وزيره الخواجه
اليان ورأى أنه بقدر أن يسود إلى ملكة إذا اعتلت بنته عين الحياة بأمره وسألت زوجها
عليه وطلبت إليه أن يكرمه ويحسن معاملته وما زاده اطمئنانا ما يملئه في بنته من الميل إليه
والرغبة في صالحه وكان يسير إلى جانبه أيضا ولداه الشاه أسد والشاه ليت وهما كاليهما
حاضرا من كل ما يشاهدان وينظران من ذاك الاحتفال وكان يقع على قلوبهما ما يقع
على قلب اليهما وتحركهما تلك الأعمال إلى محبة الفخار والمجد وتمنيان أن يكون لكل
عنهما احتفالا مثل هذا الاحتفال وكانت مزية الطمع مولدة فيهما أصلية وحطت اليهما
بالارث ولذلك كما يتمنيان أن يكون كل ذاك الذهب الذي يذل من أيدي اختبهما هو
لهما ومن يحب العجائب أن تكون عين الحياة بنتا للشاه سرور إذ لم يكن فيها ولا حفة
قط من صفاته ويل كل ما كان فيها كان وحيداً ومحجوباً يندر وجوده في غيرها من النسب
والرجال وقد يظهر أن الله ما زينها بتلك الصفات الحسنة إلا ليحلمها بين فيروز شاه
ويصلحها لتكون زوجة له وأن تحمل على قارب الناس متقبضة إلى يته بمجيش الدماء
والاستحسان ومروا بعد ذلك على قصر همتراربا وأمره بالدخول إلى قصره فدخل
زوجته كلية بعد أن قبل بدي الملك وشكره وكان بمنزلة يشوق إليها يكاد لا يصدق في
اجتماعها

قال ويق الملك خاراب في مسيره بعد ادخال فرخوزاد إلى قصره في صدر ذلك
المحفل المشهود من كل إنسان حتى وصل إلى قصر بيداعطل الوزير وهو القصر الذي
أقام فيه طيلوس الوزير لوقوف الملك هناك وأمر الناس بالوقوف ودعا طيلوس أن
يدخل بعروسه إلى قصره . فقال له اني لأرغب في ذلك بإسدى الآن بل من الواجب
على أن ابقي بخدمة سيدى فيروز شاه إلى حين وصوله إلى مكانه بحيث أكون قد أتممت ما أنا
بانتظاره لأنه سيدى وعلى المبدأ القيام بخدمة السيد فقال الملك أن هذا لا يمكن قط ولا أرغبه
وليس من العدل إلا معاملتك كبقية أهل وقومي مع أنك أفضل من الجميع عندي ولا يمكن
لدولة إيران أن تسرى بدون رأيك أو تعزى بقدر حكمتك فلماذا أنت ميزان تقدمها
وتجاسها فادخلوا هنا بمرسك هذا وافرغ كفرج هيرك ولا يلبق بنا أن ندعوك إلى
مراقبتنا إلى أكثر من هذا لاسيما وإتلافنا من المسير وبعد دقائق قليلة نصل إلى
قصر ابني فدخله إليه ومن ثم يعود كل إلى حال سبيله وما حاجة بعد لمراقبتك فأجاب
طيلوس سؤال الملك ودنا منه فصالحا وتودعا ودخل طيلوس إلى قصره مصحبا
معه نور وهو مسرورا بها وهي مسرورة به وقد ثبت عندها أنها زوجة لأفضل رجل
في العالم وأحكم رجل وأنه رفيع المقام بما يقابل درجة الملك خاراب اكراما واعتبارا
في الدولة العارسة ومن ثم دخل وإياها إلى غرفة منامة

قال صاحب الحديث وهكذا قد انتهى اجتماع كل محبوب بحبيبته من تلك
البنات الثلاث تقدم ذكر حديثهن معنا في هذه القصة منذ بدايتها إلى تلك الساعة
ولم يبق إلا فيروز شاه الذى بقى سائرا مع أبيه قاصدا قصره لأن مصفر شاه دخل
على محبوبته طوران تحت وصرف معها بقية تلك الليلة على المسرة والهاء . وقال منها
كل ما كان يتمناه غير أنها لاتأتى منه بوله قط بل تكون عاقر . وكذلك خورشيدشاه
فانه اختل بزوجته وأنها من عظم شوق زائد ودام على التقبل والعتاق وبث أشواق
وشكرى فراق قضى ومضى ولم يبق له أثر وهذه هى تاج الملوك تحمل منه بالبطل
شبرواه وسأنى معنا ذكره في ما يأتي من هذه القصة إن شاء الله ويقى معها على تلك
الحالة إلى اليوم الثانى وأما كرممان شاه فانه يلذ له ذكر يدعى شبرواد يفرج آفة
عظمى وطامة كبرى ويكون له حديث يذكر وليس كرممان شاه كان مع عروسه
بأقل مناه وبسط من غيره بل لاقى مثلها لاقوا وشاهد مثلها شاهدوا وكانت صاحبة
غنج وخلاعة ودلال فأسكرته حتى كادت تفيقه عن الهدى وفرخوزاد مع عروسه
بالخط والسرور وكانت تتلقاه ملاقاتة المقتات الوطان حتى اقتضى عليه ما بقى من
ذلك الليل بما زاده في أنوش حبة وتعلقا وقد سلمته بنفسها تسليم الزوجة لزوج فقال

حنا حلالا كل ما كان يستاء ويتطلب منذ سنين وهي تروح منه حامل بولد ذكر يدعى
أردوا أيضا يكون له من هذه القصة نصيب عظيم وحديث يحكى فيها بهن ومثله جرى
على طيطلوس فانه نظر إلى عربسه نظر الشاب إلى الشابة وأحلمته عمل الرضا وصرف
آخر ليلته معها بما أمر به الله تعالى وكتبه على جبين كل ذكر وأنثى وأحله في رأس كل
مخلوق من خلقته لسانا كان أو حيوانا قايما وظيفته التناسل وستة التوارث التي سنها
عليهم واحياء وانماء للفصل بالأرض وما عليها وتدير أمورهارتصينها على الدوام وقد
قيل انه يأتى لطيطلوس الحكيم من زوجته هذه نور ولد يدعى يزرجر ويكون حكيما
حافلا كآبيه ويكون له كغيره شأن في دولة فارس ويكون محبوبا من الجميع كآبيه أيضا
ولا يأتى له غيره ومثله كان عمل بهمنزار قبا أحد ملوكة الفرس غير انه لاقى من زوجته
كليلة ما سره جدا وجملة بأرفع درجة من البسط والانشراح لأنها كما تقدم كانت من
نساء الشام الموصوفات بالركة والطف وحسن المسيرة والهدال والقصف وهكذا
قد اقتضى عرس أولئك الأمراء والشاهات والقواد وتم عليهم بوجه السرور الأخير
دون مكر أو حدث مانع يمنع من قضاء اغراضهم وإتمام أدراسهم .

وأما فيروز شاه فانه بقى سائرا إلى جانب أبيه ومن جانبه الآخر عين الحياة على
جواد حال مسرج بالذهب كما تقدم وهي تثر الذهب فوق الرؤوس على مثل ما تقدم
ومن خلفهم بقية الملوك والأمراء والوزراء والشاهات حتى قربوا من قصر فيروز شاه
ولذا هو يرجع وينور بأشد الأنوار وقد تجمع حوله ألوف من الناس ينتظرون وصول
العروس والعريس اليه وكان الوقت إذ ذاك آخر الليل وكادت أوار النهار ان تكشف
ظلمة سواده الأخير وعند وصول الجميع إلى تلك الساحة صاح الناس صباح الافراح
والمسرة وصفقوا بأيديهم لمظم الفرح والهناء وكان كثيرات من النساء فرق الجدران
والسلطوح ترططن وتبدين أصوات الفرح والهناء محيات الرجال على أصوات الدعاء
والافراح ولما وقف فيروز شاه أمام قصره وقف الجميع لوفقه ونظر إلى أبيه منتظرا
أمره وإذا بالملك قد دعا بالشاه سرور ان ينزل بقلته عن جوادها يده إلى الأرض
ويقدمها لخطيبها فيروز شاه تسلم الرضا والقبول من كل خاطره وقلبه ليقبل يده ويتال
منه المساحة ويتال منه المكافأة عن هذا التسليم وكان باقى بين يدي عين الحياة شيء من
الذهب المحمول على رؤوس العبيد فثرتة كله على القوم الموجودين قبل نزولها من
الجواد ومن ثم تقدم أبوها إليها وانزلها بلطف وتأن وكذلك فيروز شاه نزل عن
جواده وتقدم من همه لقبيل يديه وقال له اطلب منك باهى السباح عن كل غلط وذنب
صدر مني فيما مضى لأنى كنت السبب في كل هذه الاسباب السابقة ولو لم اطلب

زواج بنتك لما وصلت إلى هذه البلاد غريبا مشتتا بعيدا عن الوطن قال بل أرجو منك
الساح لان الله الآن قد أنار بصبري وعرفت خطاي وذنبى الذى ارتكبتته واتى لى
قبلت منك منذ البداية لما وصلت إلى مثل هذه الحالة ونزع ملكى منى ولحق بى من
الاحاثه ما لم يلحق بشى من أدنى الناس واتى الآن أشكر الله وأحمد على منته فلم يقبل
بها حتى بل قربى منكم وقربكم منى حتى قادنى إلى الصواب وجعلنى أن أزوجك ببنى
برصائى وقبولى وهامى الآن صارت زوجتك وبين يديك وما من حاجة ان أوصيك
بها . ثم سلمه إياها وكان قلب حين الحياة ملوا من الفرح بهذا الواقع والحب وشدت
على يد فيروز شاه فأدرك غايته وعرف بعظم شعورها ولما كان هو أيضا قد امتلا
من الفرح والسرور ولم يعد من عظم السعادة يعرف فى أى درجة هو أو بماذا يكافئه
حبه ولذلك قال انى لأشعر الآن بسعادة عظيمة ونعمة كبرى ولا أكر مقدار هذا
التسليم الذى سلمنى إياه وكم هو كبير عندى وعظيم وثمين إلى ما فوق أفكار البشر وعليه
فانى أحب ان اكافئك بما من حقك ولا أضيئه سدى فهو أغلى من مالك العالم وانتهوا وأطلب
إلى ابى ان يصادق على ما أقوله وهو انى أرجع اليك ملكك وبلادك فى نفس هذه الساعة
وهذه الحقيقة ويكون دلا من طيفور الخواجه البان وكلما غاب عنك وقد تمتك يعاد
اليك وتزاد لفرقة واتى احوش على إنشاء سليم بلاد الروان فيكون احد القياصرة الابن
ملكوما وتكون له مدة حياته واتى افرح الآن بحيث أرى ذى قادرا ان اكافئك بما ترضاه
وان كان لا يحسب شيئا بالنسبة إلى هذه الجوهرة التى غرقت امرها إلى وملككتها بمساعدة
البارى فلما سمع الشامسرور هذا الكلام كاد لا يصدق ووقع على عنق صهره يقبله ويسكب
دموع الفرح والسرور ويشكره سبحانه وتعالى على منته العظيمة فقبل بديه وقال الملك
ضارب لقد أصبحت يارلى ونظرت موضع النظر واتى أجيبك إلى وعدك هذا .

قال ومن ثم دخل فيروز شاه وعين الحياة إلى القصر وكانت ارضه مفروشة بالاقمشة
الكشميرية الثمينة المقدار من حمل الفرس التى هى اثمن من كل قماش وعليها كثير من
من الورا كش الذهبية والفضية تنسوسها عين الحياة بأرجلها .

قال وبعد ان دخل القصر العريس والعروس ذهب الباقوان يتفرقون كل إلى
مكانه وانفض ذاك العرس على احب ما يرام واشهى ما يطلب ولما صار فيروز شاه فى
غرفته المدة للنمأة تلقى حين الحياة بكل ترحيب وإكرام وهنأ نفسه بها وعامها بكل
رقة ولين وحكى لها عن جهان افروز ومآقالتة عنها وكيف انها طلبت البعاد ترضية لها
وكيف ان طلبها جاز القبول عنده وتناهى بفرح لانه كان من اجل ذلك فى شاغل عظيم

ولبال اعظم وصرف يوما ثقيلا جدا بالغ والكدر لم يسبق له ان نظرمثه قط فحككت
لهى ايضا ما حل عليها من جرى الافكار التي وقعت عليها في نفس ذلك اليوم وكيف انها
لم تتم كل تلك اليلة وقالت له اخبر اتى وان كنت عرضت لمفاصيل الطيبة وتاملت جدا
من جرى مزاحمتها لي فيك إنما يصعب علي جدا ان اسمع مثل هذا الكلام من انها غلبت علي
اميا لها وتحملت ظلم بصادك لأجل مع انها اصبحت زوجتك بسنة اقوى وشريته منى وما من
شيء اريده الآن وان كنت قبل ذلك اطلب بصادها وان الاقيا واشكرها علي احساناتها
واودعها ومع هذا فان الله سبحانه وتعالى قد دبر امرنا بحكمته وما حاجة لدكر ما دنى
وحيتذ صعد إلى سريره المعد لنامته وهو من الدياج المحشور يرش السام ففرق في
وسطه وانامت هي إلى جانبه لقضاء فروض الزواج وإطفاء لواحج الوجد والغرام ومساواة
من سبقه من المزدوجين وكان الوقت إذ ذاك صباحا علي الناس وليلا عليهم ودام طول ذلك
النهار واليلة التي بعده وهو علي سريره يتم بمحاسن عين الحياة ويسر من جمال كتب
لأجله ولم يخرج من سريره إلا وقت العشاء وعند منارة الطعام ولما كان صباح اليوم
الثاني نهض مسرورا منعم البال فرحان القلب يردد قول من قال .

قـة لـيـلـة انـس قد ظفـرت بـها قـضـيـتـها سـهـرا احـل من الـوسـن
قـربـتـها وعبـون الـدمـر عـاقـلـة حـتى و لم اخـش فـيـها حـادث الـزمن
فـي خلـوق رـجـبـة الـاكتـاف عـاطـرة انـقـاس قد جـلـسـت فـي منـظر حـسن
شـارة فـرط اشـواق يـرغـمـها و تـارة طـول شـكـواها يـرغـمـي
وبـات ظـى تـناجـيـنا لـوا حـظـه بـين الـورى هـى كـانـت مـثـلـا الفـن
تـعـزى الشـمـول إلى مـعـنى شـيـأ تـله و الـاذ يشـبه مـنـه رـقـة الـبدن
بـلـنا كـمـصـنـين فـي روض يـرغـمـنا رـيح الصـبا لـها غـصـا عـلى هـصن
وبـات حـدى شـك فـي مـعـاقـبى إـياه حـتى حـسـبـت الـطـيف صـاحـبـى
بـالـيـلـة مـنـه ارحـضـى الزمان بـها عـنه عـلى انـه قد كان يـسـخـطـنى

وخرج من خلوته وتطيب واقام في قاعة الجلوس الى أن جاء ابوه وعنه والامراء
فهنأوه الهناء الكامل وأقاموا عنده نحو من ساعة لمواصر فوهاه الى منازلهم وبقي
ابوه وعنه ومن ثم اخذ المهنتون والمباركون يردون اليه كل ذلك النهار وكذلك عين
الحياة فانها بعد ان خرجت من خلوتها ليست ثريا ايضا كانت قد اعدته لها حماها
من ايران لصباح يوم الزفاف وخرجت الى غرفة ثانية كبرة وجاءت اليها حماها أى
المسكة تمرناج وهنائها وثقلتها بالخلى الفاخرة والجواهر الثينة وقبلتها مرارا وهي تقبل
أيديها وبقيت عندها كل ذلك النهار والنساء ترد للتفانى حتى المساء وانصرف كل

إلى مكانه ومن ثم عاد فيروز شاه مع زوجته إلى الاقتراد لجلسا على الطعام وأخذوا يأكلان ويطعمان بعضهما حتى اكتفيا وبعد ذلك جلسا على صخرة المدام وصرا قسما من تلك الليلة عليها وهما على أحب ما يكون من السرور والهناء تقيها ويسقيها وتقبله ويقبلها وتعانقه ويباقتها حتى دارت رأسها الخنثرة فقاما إلى المام وفي الصباح خرجا كالأيوم الأول . قال وصرف فيروز شاه أكثر من ثلاثة أشهر على تلك الحالة ما خرج من قصره قط ولا نرك زوجته يوما واحدا إلى أن طهر عليها الخبل ففرح مزيد الفرح وعرف أبوه بذلك فزاد فرحه لوق فرح وثبت عنده وجود وريت ثالث الملك وهزم في نيته أن جاءت مولد ذكر يدعيهم كاسم أبيه وكذلك الملكة تمتاز فاتها فرحت مزيد الفرح وأعطت وأوهبت وأقامت تنتظر يوم الولادة

وفي كل هذه المدة كان الملك قائم مع امراته ووزرائه على حسب العادة لا يهتمون بأمر ولا يهكرون بشيء والذين جاؤوا لخدمته هذا الزفاف يتفقون إلى بلادهم قوما بعد قوم وأمير بادامير إلى أن مضى أربعة أشهر واذ ذاك دعا الملك مولده فيروز شاه أن يخرج من قصره إلى ديوانه فأطاع وخرج واجتمع عند الملك رزراؤه من الكبار إلى الصغير وحينئذ قال لهم اعلوا أفي سادعتكم الألامور خطيرة يقتضى النظر فيها والرأى في تدبيرها وهي أولا مسألة الشاه سرور والشاه سليم فإن ولدى قد سمح لعمه بالرجوع إلى ملكه وأعادته إلى بلاده كما كان وزاده فوق كل ذلك أن سألني أن أضيف إلى ملكه بعض بلاد دخلت في بدنا وهذا لا بد منه وقد أجبت طلبه وقد أشار ولدى أيضا إلى أنه قد وثأته بملك الرومان وأعهد بحكمومتها إلى الشاه سليم بدلا من الدين وهي على كل حال أوسع ملكا وأكثر سكا وأكثر مالا وقد أصاب في ذلك ومن اللازم النظر فيه أهل يقبل كل منهما ما أعهد إليه من ولدى وفي الحال نهض الشاه سليم وقال ان ما أشار ولدى هو كبير على ولا أستحقه ومن أين لي يا سيدى أن أقدر على القيام بمهام ملكه مثل هذه المملكة وأشكر نعمتكم إذ قدرتموني قدرى وأنعمتم على عما لا أستحق . والحق يقال أفي كنت مزما ان في مثل هذا الاجتماع بعد نهاية الزفاف أن أتجلى من نزواء الدين وأسلم برشها إلى صاحبها وملكها وأعود إلى بلادى إلى المدينة السليمية وكفاني فخرا وإكراما عنكم ان قبلتم بتي زوجه لاحد أحيانكم وادركم من اللازم أولا وآخرنا ان اسلم أمورى إليكم لهما امرنم به فاني أقوم به واني ان بقيت في بلاد الرومان حاكما فأكون عليها كاملا لكم ادفع الجزية في كل عام . فثكره الملك ضاربا على رقبته ولطفه وانامه وباركه له الجميع بملك الرومان وأمر الملك ضاربا ان يقدم له التاج القيصرى فقدم اليه ورفعه على رأسه واجلسوه على كرسي قيصريه وأصبح منذ ذلك

الحين حاكما على بلاد الرومان وأمر الملك أيضا طيطولوس في أن يكتب إلى عموم الولاة والحكام والملوك المجاورين بقيام الشاه سليم ملكا عظيم . ثم بعد ذلك قال لرجال ديوانه وإن أمرا آخر أريد أن أجريه وهو إرجاع سيف الدولة إلى ملاطية حاكما عليها مستقلا وأزيدة قوتها حكومة أنطاكية وحلب وما جاورها فيعاد أمرها إليه فهو من العظام الذين خدموا دولتي بأمانة واستقامة وصدق . فسر سيف الدولة مزيد السرور عند سماعه هذا الكلام وشكر الملك عليه وأمر طيطولوس من الملك أن يكتب إلى حكام تلك البلاد بذلك ويدهوهم إلى طاعة ملكهم الجديد .

وبعد أن فرغ من كل ما تقدم قال من حيث قد راق البال من هذه الجهة ولم يبق علينا ما نفكر فيه إلا أمر واحد وهو الذي أهم من كل شيء . وقد دعوتكم لأجله لتتأهبوا به وتعرضوا على بأفكاركم من قبله وذلك أني مغفل البال على الموام من جهة الأمراء الذين في الصين وليس في وسمى أن اتقاعد عن إرجاعهم إلى ولو ملكت وملك كل رجالي وملكتي ليس هم الذين قاتلوا أماننا وأسروا بسبنا فليس من العدل أن اتقاعد عنهم أو نرجع إلى بلادنا دون أن يكونوا معنا فأبدوا رأيكم في ذلك وما ترونه موافقا . فأطرق الجميع يفكرون في ذلك ومن ثم تكلم طيطولوس فقال اعلم يا سيدي أن من العدل والإصابة إرجاع رجالاتنا والسعي خلفهم وإن كانوا من أدنى خدمتنا فكم بالحرى هم من السادات والأمراء والقواد غير أنه قبل المباشرة بالعمل أو الفكر بأمر آخر خطر لي أن نبعث بكتاب إلى جهان ملك الصين نسأله إطلاقهم وإرجاعهم إلينا حسبا للنزاع وتركنا للحروب أذ ليس يتنا وبينه من عداوة أصلية أساسية فإذا أجاب كان ذلك من مراحه تعالى والا يكون الله سبحانه وتعالى قسم لنا نصيبا بالحرب وقد رجلي ورجلاتنا أن تدوس تلك البلاد البعيدة فلما سمع الملك والباقر هذا الكلام رأوه صوابا وعليه طلب الملك منه أن يكتب الكتاب إلى جهان ليبحث مع الرسل فاخذ طيطولوس وكتب بسم الله الحى الذى لا يفشل ولا يئام يده الأمر والنهى وهو على كل شيء قدير . من الملك خراب سلطان الاصحاب وقامح البين ومصر والرومان وقاهر الملوك العظام إلى جهان صاحب الصين وحاكما .

اعلم أيها الملك العظيم أن الاله الذى أعبد هو وحده الذى يجب أن يعبد ويكون إلها لكل من عب ودب لانه هو صانع الخلق وواحدما تكونت بأمره الكائنات وسمارت بحسب ارادته ومشيته ولذلك تراه لما كنا مطيعين وصاياه وطاعين على طاعته فينظر إلينا ريسر أماننا ويساعدنا على كل حروبنا والبرهان أننا نحن فئة

قبله في عين الملوك الكبار خرجنا من بلادنا واسترنا على اليمن بقوة السيف وكذلك على السودان أجمع وقتلنا هودنك وطومار الزنجي وكان هو أقوى والمساعد سبحانه لا إله الا هو ثم جئنا من اليمن الى مصر ندخول البلاد في طريقنا قلنسى الى طاعتنا ولا تخافك ما كان عليه ملك مصر من العظمة والقوة ونفوذ الكلمة فاختصنا ببلاده بقوة السيف وفتحنا ما وفتحنا عليها الاعلام الفارسية ودخلت في يدنا ثم جئنا اليمن فنشر سلطتنا على كل العواصم التي نمر فيها حتى بمساعدته تعالى استرنا أخيرا على بلاد الرومان وقتلنا الملك قيسر وصارت البلاد بلاد فارسية وبالتنصاف والقدر وقع يدوجالك الذين يشتهم لصره الرومان بعض قومي وهم طومور وسيامك سيابا وجمناز قلى وأخذوا الى بلادكم أسارى ولا ريب أنهم باقون الآن عندهم وعليه قد بثت اليك هذا الكتاب أولا لاذكر بالله سبحانه وتعالى وأعرض عليك طاعته وعبادته قتال الخير العظيم في هذه الدنيا وسعادة الآخرة ولا تملك أخيرا تكون حياتك بالنار وآخرتك قنار والعذاب . وثانيا لما كان ليس من عداوة أصلية بيننا وبينكم ولم نقصدكم قط بشر بل انك أنت المبتدئ بالشروع والعداوة حيث بثت صاركك لمساعدة عدونا علينا دون أن يكون سبق لنا سابق أذى لك والاله الذي نعبد لم يشأ أن نتخذ فينا سهام الاخصام بل ساعدنا فقررناهم وقال قومك بسماع منه نصيبا كنصيبهم فبناء على ما تقدم اطلب اليك أن تبعث الى رجال القائمين في أسرك على الاكرام والراحة وهذا تكون قد رفعت من بيننا سيبا عظيما ومنعت انتساب حرب قوية وجعلت بيننا روابط حب وولاء قتال أجر حق داء عباده تعالى ولكن وكذا عندك أيها الملك العظيم اني لا أرك رجال قط ولست انا كمن تظن اني أغلب أو أفهم مع ما اعرفه من مساعدة لمقيي وما أعطاني إياه من السلطان والقوة أرغب جيدا في السلم والأمان ولا أحب أن أصل أذية إلى أقل عباده تعالى وقد وضعت لديك غايي ومقاصدي فاذا كنت عاقلا حكما تلقاها ملقى القبوله واحمل بمرجبها ولا تدع الكبر والعظمة تنفع في أنفك فتلقيك على بساط التدم فجا بعد والسلام على من وعى إلى نفسه وعمل بإرادة رب الأنام

وبعد أن انتهى طيطلوس من كتابة الكتاب قرأه على الملك فأعجب ثم خمنه بحتمه ودعا بشربك العيار فدفعه اليه وقال له خذ معك عشرة فرسان من فرسانى واحمل ما يحتاجه اليه في طريقك من المأكول ذهابا وإيابا لأن اللاد بعيدة والطريق طويلة وادخل على ملك الصين وادفع اليه كتابي وأتى منه بالجواب حالا واسرع مهما أمكن من السرعة فاني قائم على الانتظار فأخذ الكتاب منه وقبل يديه وخرج من حضرته وانتخب عشرة رجال لمراقبته في الطريق وحمل أحمال الطعام وما

يحتاج اليه ويخرج بهم من قيصريه بقصد بلاد الصين . وأقام الملك ضاراب من بعده
 ينتظر موته ويفرور شاه عاد إلى القيام عند عين الحياة لا يخرج إلا قليلا وكذلك
 مصفر شاه وبقية الذين زوجناهم بهذه القصة منذ أمد قريب وأما بهزاد فانه صرف
 بقية العمر بلا زواج لانه كان لا يرغب فيه وقد سأله الملك ذلك لاجاء النسل فلم
 يقبل وقال له اعلم أن ذلك واجب على انما لم تطلبه نفسي حتى الساعة ولا أريد أن
 أنرك خدمتك ساعة

فهذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من منكوخان وزير الصير فانتاكتنا قد
 تركناه مهزوما مع رجاله من بلاد الرومان وسائرا الى بكين عاصمة الصين وهو
 حزين جدا على أولاده الذين قتلوا من سيوف أهل ايران ، وعلى ما قد من صاكره
 الذين جاء معتزا بهم وفي فكره أنه يعود بالغنائم والأموال ومعه أسارى ايران السابق
 ذكرهم ونق في مسيره عدة أيام وليال يقطع تلك المهامة والتقفار ويمر على البلدان
 والضياع حتى قرب من بلاد الصين ولم يبق بينه وبين العاصمة الا يوما واحدا فقل
 بمن معه هناك وأقام يوما ريثما استراح وفي اليوم الثاني أمر العساكر أن يسهروا مشاة
 الى المدينة وأن يكتفروا من الصباح والبكاء والنواح ويحثوا التراب على رؤوسهم
 وعند وصولهم أبواب المدينة ينادون بالويل والعناء ويلطمون على وجوههم حتى
 يسمع لهم صوت عظيم فأجابوه الى طلبه وساروا بين يديه وهو أيضا ماش على رجله
 مكشوف الرأس بنوح ويكي أولاده المقتولين حتى وصلوا الى المدينة وهناك أيضا
 أكثروا من البكاء وزادوا في الصباح حتى ارجعت المدينة من أصواتهم وشاع خبر
 وصولهم على تلك الحالة وانتشر ما حل بهم في كل المدينة حالا فتأثر الجميع لعلمهم
 وسمع جهان ذلك وهو في أعلى سمائه فسأل حجاجه المخاطين بخدمته على السبب فثروا
 له كل ما سمعوه وما هو واقع من الوزير منكوخان فعون جدا حزنا مزدوجا بالغيظ

انتهى الجزء الثامن والعشرون وسيله الجزء التاسع والعشرون

الجزء التاسع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

والغضب وأرغى وأذب وذم الزمان ولعن العرس الف لعنة وتغضب عليهم ودعى لهم بالمحاق والخراب وأمر في الحال أن يؤتى بمنكوخان إليه ليعرض عليه تفصيل ما كان من أمره فأمرعوا إليه وأحضروه بين يديه وهو مطرق إلى الأرض مرق الثياب مكشوف الرأس بحالة يرى لها . فقال له جهان احك لي ماذا جرى عليك ومن قدران يصل بشره إليك وأنت تحفظ بركات الآلهة ورحمتي أنا قال . اعلم ياسيدي أن الذي فعل معنا هذه الأفعال هم الفرس رجال الملك ضاراب الذي جاء لقتال الملك قيصر وقد قتلوا أولادي بأجسهم وأحرموني لأذي الرقاد وقد أرقعوا بالسكاكر وشقروا وأنا أجهد النفس إلى الثبات واطلب من النار أن تبعث بغضبها إليهم فتحرقهم بشدة حرارتها فلم تسمع ولم تعجب لأن لا وجود لمبادتها في تلك النواحي فهم يعبدون لها يقولون أنه محبوب لا يروونه ويفكرون أن له قدرة وما أشبه ذلك يهريجها عند الحاجة دون أن يعلموا السبب وإني متى تكون ولهذا السبب أرى أن النار غضبت عليهم وهجرت تلك الجهات وبعثت ضياء ولا تريد أن يكون لها اسم أو نفوذ بين أولئك الكفرة . وإن أخبرك ياسيدي والمهي بالحق أن بين الفرس رجال وأبطال يتدبرون وثلثم في هذا الزمان ولا سيما فيروز شاه ابن الملك ضاراب وبهزاد بن فيلوز والبهلوان فهما آتيا الحرب والقتال ولا أظن أن أحدا يقدر على التغلب عليهما في هذا العالم إلا إذا كان مرفوقا برضاك عليه وإحسان بركاتك إليه وإني في الوقفة الأخيرة انتقمتم لنفسي من الفرس قتلتي كثيرا منهم وأسرت أروسة فرسان وأبطال من الأمراء المعززين عند الملك ضاراب على أمل أنه يسعى خلفهم ويأتي لخلاصهم إلى هذه البلاد فترسل حينئذ بغضبك عليهم أو إذا شئت أن تتنازل من علو سمالك فتلافيهم وتبذلهم وتفرمهم في الأرض كالماء المنثور قال لقد أصعبت بأسرك هؤلاء الرجال الذين ذكرتهم فأحفظ عليهم ودمهم يكونون في السجن إلى حين يهيء ملكهم إليهم إنعام زيادة الحفظ لا تدع أحدا يوصل إليهم أذى فإن حفظهم أبدانهم مطلوب ما إلى الآلهة حتى إذا انتصرت على الفرس وساعدتنا عليهم قدمنا لها مقدمة منهم فيكونون محبصي الأبدان ستمنا لأجسام وأما أنت فإني أهزبك على أولادك وإني أسأل لك النار أن تعين لهم مكانا شديدا من أماكنها

وأما لا تحمل بأرواحهم إلا في أجسام محبوبة منها قائمة في وسطها أوين مديها .
 وأما من جهة الملك ضاراب فاني سأنتظره بعض أشهر فإذا جاء إلى اقناذ قومه
 جازيته على نفسه بما استحقه وإذا خاف من سطوتى وامتنع عن الانبان إلى بلادى ورضى
 بهلاك رجاله ونخلت عنهم سرت اليه بنفسى ونزعت ما كرهته وأنتيت به لأقدمه النار
 في يوم عيدها وانى أرى نفسى محتاجا لأن أسير ليس فقط لأجله بل لأجل كل الملوك
 الطاغين الباغين الذين اتخذوا عبادة غير عبادتها حتى انى أرى احتياجى أيضا
 أن أملك الدنيا بأسرها فأخفيها إلى ملكى وبلادى وتكون ملكة الصين سائدة على
 العالم أجمع

قال فلما سمع منكوخان كلام جهان قبل الارض تكرارا بين يديه وخرج إلى
 خارج قصره وجاء بالأسارى فوضهم بالسجن وأمر بالمحافظة عليهم أن يرضعوا في
 أمتع السجن وأحضنتها إنما يكرمون ولا يهانون وتقدم لهم الماء كل الذبذبة الطيبة فعملوا
 وبعد ذلك أقيمت المنامة في المدينة على الذين قتلوا وقتلوا مقدار ثلاثين يوما على الهام
 وبعد ذلك أقاموا على الانتظار ينتظرون ما يكون من الملك ضاراب إلى أن مضى أكثر
 من ستة دون أن يحصلوا على نتيجة وبعد السنة وصل اليهم شبرك بكتاب سيده الذى تقدم
 ذكره وسأل عن قصر الملك في المدينة وأخبر أنه جاء بكتاب من ملك القرم فأخذه
 إلى دار الوزير مدير المدينة ولما وصل اليه دفع له الكتاب محترما ومطونا باسم جهان
 صاحب الصين فلما رأى الوزير ذلك لم يقضه لأنه كما تقدم كان لا يعرض على الملك إلا
 بكتابات الملوك فقط وما سواها لا يعرض عليه ولذلك أخذه وسار إلى قصر الملك وطلب
 إلى حجاب أن يطلعوه على قدمه حيث يعرض عليه أمرا مهما فدخلوا اليه ونادوه وأطلعوه
 على طلب مدير المدينة لسماع له بالدخول ولما صار الوزير بين يديه وهو مطرق إلى
 الارض لا يرفع رأسه إلى فوق إذ لا يسمع له أن ينظر إلا أنه وهو في سباته وكان كما تقدم
 لا يقدر أن ينظر إلى وجه الملك وهو في أحالي مجده بل عند خروجه يحق لكل رجل كبيرا
 كان أو صغيرا السجود له والتقرب منه ولما صار في وسط القاعة وبدأ الحجاب على رأسه
 حل الملك برأسه وسأله عن سبب مجيئه فأخبره أن رسلا جاءوا من قبل الملك ضاراب
 يصلون كتابا اليه . فأمره أن يقرأه فقرأه ولما فرغ اضطرب جهان وغضب وقال له
 أظن هذا الرجل العجى طاب الأرواح انى كفى من ضعفاء الملوك أخاه أراحسب
 له حسابا أو أرضى بذكر إلهه ولهذا أريد منك أن تهيبه على كتابه بما استحق وتخبره
 أن لابد من موته وهلاكه وتبديد جماعته وانى لا أسلم اليه جماعته قط وإذا جاء بنفسه قرنته
 اليهم مع ولده وبددت رجاله وإذا لم يأت استخرت النار وسرت بنفسى اليه وأدبته

على نفسه . فخرج الوزير عند سماعه كلامه وسار إلى دار الحكومة وكتب إلى الملك ضراب ما يأتي :

من جهان إله الصين ورسول النار إلى الملك ضراب ملك بلاد الصين والفرس الساكنين في قرنة الدنيا .

اعلم أيها الرجل أنه وعلى كاهك وقهمت ما تضمنته وجبت من تعديك حدود قدرك واختارك بنفسك وإلهك كإنك قائد الحس أسمى البصيرة من جهة المعبود الوحيد الذي يجب أن يكرم ويراعى لأنها ينبوع كل خير تنفع من يستمد بمحبتها وبمحتاجها لقضاء أي أمر أراده وتضر بمن يدنو منها ولا يعتبر قوة سلطانها بخلاف إلهك الغير منظور وأما طلبك رجالك الأسارى عندنا فقد أمرت يقاومهم عندنا إلى الأبدى السجن لا أخرجهم منه إلا أمواتا أو أقدّمهم ضحية للنار عند الانتصار وإذا أطمعتك النفس بالمسير إلينا والقُدوم علينا أملا بخلاصهم قرناك اليهم وجاهزتك المجازاة التي تستحقها لأنك قتلت رجالنا وبددت قبة من صاكرنا وعلى كل حال لا بد من ملاقاتك وأنا بانتظارك في بلادى عدة شهور وأهوام فإذا لم تأت إلى في الآخر سرت أنا إليك لأجمل بلادك كلها صيفة وأضيف ما بقى من عمالك الصالح خارجا عن طاعتي إليها ولا تميز بولادك ورجالك غلدى من الأبطال والفرسان كثير منه وعندى من الجيوش والأبطال ما هو بعدد الزمل والحصى حتى أن ملوك الهند والسند وغيرهما يسمعون إلى وينقاد لأمرى فادع إلى ذلك والسلام إلى من خدم النار ورضى بعبادتها وكانت راضية عليه .

وبعد أن فرغ الوزير من كتابة الكتاب وقعه باسم جهان ودفعه إلى شريك وجماعته فأخذوه وعادوا سائرين إلى بلادهم إلى ملكهم حتى وصلوا إليه بعد معاناة مشاق السفر وطول الطريق وعند وصولهم دخلوا عليه ودفعوا إليه الكتاب فتلاه طيطلوس على الجميع وهم يتعجبون من الملك جهان واختباره بنفسه وادعائه وبعد أن سمع الملك ضراب ذلك ثبت لديه وقوع الحرب بينه وبين الصينيين ولذلك قال لرجاله إنه لم يبق من شك بانتصاب هذه الحرب وبعد أيام قليلة تنفرق من هذه البلاد لتدبير أمورنا نعم إن حربنا مع الصين هي حرب قوية لم تلاق قط مثلاً لكثرة جيوشهم وفرسانهم التي هي أشبه بالجراد المنتشر غير أنى أرجح أننا سنفوز عليهم بمساعدته تعالى وهو لا يقبل أن يهملنا ويترك الكفرة وعبدة النار تتسلط علينا وتفعل بنا ما لا يطاق أمام عينيه وإذا كان لابد لنا من ذلك فاطلب إليكم النظر فيه وكيف يكون سيرنا والرجيل من هذه البلاد وتعديل قوتنا وما يلزم لنا في مثل هذه الحرب . قال له طيطلوس إنى

أسأل الملك أن لا يسجل في مثل هذه الحرب بل من اللازم تهيئة كل ما يلزم فيها وهندي من الرأي والاصابة أن يسير في هذه الحرب الفرسان والأبطال فقط إذ أن بلادنا أصبحت عرضة للغراب والاحمال كل هذه المدة حتى أنه ربما يظن سكان تلك النواحي وملوكها أننا تركناها أولم يعد في وسعنا أن نرجع إليها فينقذون قوتهم فيها ولا سيما إذا تأكدوا أننا سرنا بأجمعنا إلى الصين وهي بلاد بعيدة موصولة بآخر الدنيا فإذا باترى يكون من أمرهم وأعظم شيء أرى وجوب النظر فيه هو أن كثيرا من رجائنا قد طعنوا بالسن وأضعفتهم الحوادث في هذه الحرب والجراح والنساء أيضا اللاتي لا يمكن حملن إلى تلك البلاد مع أولادهن ومن الاصابة أن يدمب بين سبى الملك ويصحب معه بعض البهلوانية ويأخذ النساء إلى إيران ويرجع إلى كرسيه وكرسي أبيه وأجداده ولدينا من الأبطال والفرسان ما يكفي القيام بكل مهام . ويلزم لنا جيوش كثيرة واستعداد عظيم في أثناء هودته يمر على العواصم والبلاد فيقيم بقدر ما يمكن لجميع المساكين والمؤن ويرسلها إلى هنا بلدا بعد بلد وعاصمة بعد عاصمة فينضم الجميع إلى ما تنتخبه من بقية عسكرنا الحالي من الذين لا تزال أجسامهم قادرة قوية وقد تحسروا بالحرب واختبروا أحوالها فقال الملك ضاراب إن هذا العمل يحتاج إلى وقت طويل ولا يمكن أن ينتهي سنة أو سنتين قال وأئن كان في ذلك طويل وقت إنما يجب التثاقى بالعمل والتبصر فيه بحيث لا يكون في تدبيرنا نقص ولا ينقض بعد الصين عتاقا إذا كان لدينا ما يكفي من كل وجه فونا بالمطلوب والا إذا وقع بنا نقص واحتجنا إلى زيادة عسكر لا يمكننا أن نحصل عليه في الحال ولا بعد سنة فتأخر أمورنا ونسبر إلى الخراب والافتقار . فوافق الجميع رأى طيلوس وقر قرارهم أن يعملوا بموجبه وكذلك الملك ضاراب واستحسنه لأنه كان يشوق زائد إلى بلاده وخافا عليها من عدو وأمر آخر ليمده عنها وربما اقتطع الأمل من رجوعه إليها .

قال وكانت في تلك الأثناء قد ولدت عين الحياة ولدا ذكرا ذات حس وجمال وبهاء شبه أباه خلقة وميتة وفرح به فيروز شاه والملك ضاراب وكان ليوم ولادته عظيم احتفال وفرح بين الفرس أعظم من يوم الزفاف وقد دعاه الملك ضاراب مهن كاسم أبيه . وفي نفس ذلك الأسبوع ولدت أيضا أنوش ذكرا فدعا الملك اسمه اردوان وكذلك كولندان ولدت ذكرا صوبح الوجه جميل الطلعة كبير الجنة فدعوا اسمه شيرواه وولدت أيضا تاج الملوك ولدا عليه سمة الأبطال ودلائل الشجاعة منذ الصغر دعوه اشيرزاد وفي الأخير ولدت نور يدا غل زوجة طيلوس ولدا دعوه بروجهر وأقاموا الأفراح مدة ليست بقليلة وكل أب مسرور بولده فرح به إلى أن ثبت وجوب دعائهم إلى الصين فاختاروا قرانهم وأرجاعهم مع أمهاتهم إلى

إيران من أن يصحبهم إلى تلك البلاد البعيدة خوفاً من أن يطرأ عليهم أمراً أو
يصابون بأمراض

وفى الملك ضاراب في قيسرية نحواً من نصف سنة بعد ذلك حتى حيا كل ما يلزمه
ودبر ما يحتاج إليه وبعث أمامه كل ملك من الملوك إلى بلاده يدبر ما م في حاجة إليه
ويجمع الرجال ويبعثها إلى مركز اجتماعها العام فصار سيف الدولة والقاسم وروامراء
العوامم والأعيان إلى مثل هذه الغاية وبعد مضي السنة أشهر جمع الملك إليه صاكره
وأمر طيطوس وولده فيروزشاهم بهزادشاه أن ينتخبوا منهم من يصلح للحرب ويتقدموا
من لا يصلح ليأخذهم معه إلى إيران قتلوا وجعلوا ينفقون واحداً بعد واحد حتى
فرغوا فكان مجمل ما اختاره من الأشداء نحو مائتي ألف فارس والباقيون سألوا الملك
استصحابهم معه فجمعهم إلى بعضهم وأمرهم أن يتجهوا للسيير وتاد إلى المدينة وأمر
كل رجل أن يصلح أمر زوجته ويعد لها ما تحتاجه إذ أنه عزم على الرحيل بعد ثلاثة
أيام وهكذا كان وقد ودع كل رجل زوجته وابنه وحزن لفراقها مريد الحزن وسأل
الله الرجوع إليها والاجتماع بها وكذلك النساء يكنين على فراق أزواجهن وبعدهن
عنهن ولا سيما حين الحياة قائما كانت في حزن شديد لفراق زوجها تلم الزمان الذي
ما أفرحها حتى أبكاها وما سرها حتى أحزنها وحسبت كل المدة التي قضت معه بالثناء
لا تحسب بشيء في جنب ذلك الفراق الطويل الذي لا تعرف نهاية مدته فطلعت إليه أن
أن يصحبها معه . فقال لها اني كنت أرغب في ذلك لكن ليس من سبل إليه أولاً ولا لجماراته
بقية الأمراء والفرسان الذين يعملون كقملهم ويقتدون به على الدوام وثانياً اجابة لطلب أبيه
ودفعها للذئاب والتمب الذي يلحق بها إذا سارت معه وخوفاً عليها من الأعداد فلما
سمعت كلامه سكنت باكياً فأنحطت تسأل الله منه أن يمنحها الصبر ويمنحه السلامة والمودة
إليها بوقت قريب

وفي نهاية اليوم الثالث ركب الملك ضاراب بمن عزم على الركوب بهم وأركب
النساء كل واحدة على هودج وخلص بها الخدم والعبد ليخدموها في الطريق وركب
الرجال الذين عمدوا على الرجوع إلى إيران معه وأخذ الملك ضاراب من يهلواني
ملكته للركوب معه احتساباً للمحاجة مرادخت الطبرستاني وشهرين الديلمي الملقباني
وبعد الخافي القبرواني وخرج من المدينة ومضى على طريق ملاطية بعد أن أوصى ابنه
بالتيقظ والانتباه ودبر الأمور على أحب ما اختار وخرج الجميع معه وساروا في وداعه
يوماً كاملاً ومن ثم ودع الملك ولده وقبله وسأل أقصا لأمته وأن يوفق في سفره ويحفظه
من هزائل ملك الصين وحربه وكذلك ودع كل الأبطال والفرسان وهم في بكاء ونحيب

على هذا الفراق والملك لا يعرف نهاية هذا البعاد وما تكون عاقبة الخير أم لنجاح
وتقدم كل أمير من زوجته فأعاد وداعها وأوصاها بالمحافظة على ولده وحسن تربيته
ومن ثم رجع الجميع في حالة الكدر والحزن وسار الملك خارا بن معه هذه الأيام
قليلة حتى وصل إلى ملاطية فدخلها باحتفال عظيم وأقام فيها مع سيف الدولة نحو ثلاثة
أشهر وقد بحث بالكتب إلى حلب وانطاكية وما حواليا يطلب إتيان المساكين وجمع
القرسان وجعلت ترد إليه أفواجا أفواجا حتى اجتمع عنده نحو مائة وخمسين ألفا من
الرجال فبعثهم إلى ولده فيروز شاه مزودين بالمؤن والذخائر ما يكفيهم إلى عدة سنوات
وبعد أن فرغ من هناك رحل إلى سورية ودخل دمشق فخرج أهلها عن بكرة أبيهم إلى
ملاقاته وترحبوا به وهناؤه بالسلامة وأقام عندهم نحو ستة أشهر يجمع بالمسكين من
من بطرك ولبنان ويبروت وصور إلى حد أورشليم حتى اجتمع عنده نحو مائتي ألف
فارس من الرجال الأشراف المعتادين على الحرب والقتال . وبعد أن زودهم بالمؤن واكفاهم
من العدد أمرهم بالمسير إلى بلاد الرومان إلى ولده فيروز شاه فركبوا وساروا وبعد ذلك
بأربعين يوما الملك خارا بن سورية وفلسطين بمن معه من النساء والرجال وساروا إلى مصر حتى
وصلها وعرف بقدمه الفداء صالح فخرج لملاقاته بمن معه من كل أمير وقائد وأدخل على
الوحيب والإكرام وبعد أن استراح الملك خارا قليلا من الأيام أمر الأشاء صالح المذكور
أن يكتب الكتب إلى محال بلاده ويجمع المساكين ما يمكن جمعه من ابن عشرين إلى
أربعين من الأرياف والصعيد والاسكندرية وغيرها وأن يبعث بالاحلال والمؤن والذخائر
الكثيرة فأجاب في الحال وكتب الكتب وأرسلها بهذا الطلب وأقام على الانتظار
قال وأما عين الحياة فأتها دخلت القصر التي كانت مقيمة فيه مع طوران تحت
وتذكرنا تلك الأيام الماضية وما جرى لهما فيه مع مصفر شاه وفيروز شاه ونحرك
في قلوبهما لواعج الحب والغرام كل واحدة لنحو زوجها وكانت عين الحياة شديدة
الحب قوية الذكري لا يبرح من خاطرهما قط شخص من أحبته عجة الآلهة صرقت
كل تلك المدة بالعذاب والتعب والتفنت من مكان إلى مكان على أمل أن
تصرف بقية العمر بعد زواجها به على الراحة والطمانينة والهناء والسعادة وقد لانت
منها جانبا ما لبث أن انقضت كالظل لم تضر به ولا رعت اليه كات تسلي نوا عا بالنظر
إلى وجه ولدهما حين إذ تجد فيه من ملاح أياه وجهته أشياء كثيرة كلها عند تلك
النظرة لا تقدر أن تضبط نفسها عن البكاء الناجع عن الحزن إليه والندوق لآيه وحله
صرقت في نفس ذلك القصر وقتا على مثل تلك الحالة هي وطوران تحت وقد أنشدت
تفكو البعاد والفراق وغدر الزمان :

بدا والدجا فحمة كالليب له شر بالدرارى ترامى
 فبيح القلب أشراقة ونبه لوعته مم ناما
 سرى موهنا فاستطار الفؤاد إلى ما تذكر منه وهاما
 تذكر أيامه بالنعيم فحن وما كا إلا مناما
 آثار له من جواء القديم وقلده الوجد طوقا لزاما
 نحرشه فسباه جوى وحردة قفضاه غراما
 وقد خاله الطرف سقط الزناد أمال إلى القلب منه الضراما
 لقد كان فى راحة قلبه فجير إلى عاقبه حساما
 أبابرق كم ذا تنفى الحشا أحمدا تروم أذاه على ما
 تقول وأسباب هذا الغرام ضروب تحيد فيه الأناما
 أمن كبدى سيفه وحلت فيدى الوجيب إلى ان يداما
 منازل كان المني خادما بها والزمان لدينا خلاما
 فلأما لأيامها لو تنوم وآه لخلي لو كان داما
 فشدتك والود يا صاحى يراه القنى الحر دينا لزاما
 اعزنى ان كان طرف يمار فأنسان عيني بدمعى عاما
 يرى لى فؤادى وراء الركاب اسار وإلا لعجز اقاما
 خف الله يا ظيات النفا اما فى دمي تحملين الاناما
 رعى الله منكن ظليا اخر احل بهسمى داء عقاما
 افار عليه اعتناق الصبا واحد رشف لاه ابتساما
 إذا ما بدا خده فى الدجى أحال الدجى من ضياه عياما
 فودع لا كان ذاك الوداع وسار فودع جفنى المناما

وقد ملأت حجرما من فيضان بحر دموعها التى كانت تساقط حالة لإنشادها وليس
 ثامها من يسليها أو يصبرها بل كانت لديها طوران تحت التى اخذت بالشادها وتحرك
 حنا غرامها مثلها ووجدت نفسها تدعوا من داخل فؤادها للشكوى والحب فانشدت

ليالى الحما ما كنت إلا لآيا وجيد سرورى بانتظامك حاليا
 فرقت منك الدهر ما كان ريقا وكدر منك البعد ما كان صافيا
 وقد كنت أخشى من تجافى احنى فلما فقدناهم وددت التجافيا
 ومن لى بعد منهم وتجنب إذا كان منا منزل القوم دانيا
 لقد ارسلت نحوى القوادى من الحما ورائع ارخصن الكبا والفرايا

وما احتقنا الوداع وقد وهى عقود لآلى نحره وماتيا
 لحلت عقود الدمع ما كان عاطلا وصطل عقد العزم ما كان حائلا
 أسير ومن فولى ونفى ووجهنى وخلقى ويمئى الهوى وشماليا

وبقى الملك ضاربا في مصر تسعة أشهر يجمع المساكر ويذكرها ويعددها
 ويهيئ ما يحتاج إليه إلى أن كملت وكان عددها نحو مائتي وخمسين ألفا ولما انتظم
 عقد اجتماعها أمرها بالركوب وبمضا لولده مع كتاب يطمته به عن محنته وصحة
 زوجته وولده والنساء جميعا وأولادهن . ومن ثم ركب من مصر عن معه سائر الجبهة
 اليمن وبقي سائرا إلى أن مر بطن الطائف قال اليها وأقام فيها نحو عشرين يوما واختار
 منها ماله ودمع وتاج الملوك فصر أيتها وهي يشوق زائد إليه لأنها تربت فيه وصرفت
 أيام صباها هناك ولا سيما تلك الأيام القليلة الحلوة التي قطعتها فيه مع خورشيد شاه
 وبعد ذلك نهض الملك ضاربا من الطائف ومشى بقومه إلى جهة تعزاء اليمن فدخلها
 باحتفال عظيم جدا وأقر الشاه سرور عليها وأعاد إليه ملكه كما كان وكتب بذلك إلى
 كل بلاد اليمن وأمر الولاة والحكام بارسال المساكر والأبطال وما يتحضر من المؤن
 والذخائر وأقام في تعزاء اليمن على الانتظار نحو من نصف سنة وجرى لعين الحياة في
 قصرها من الحزن والسكاكة ما لم يجر على قلبها قط قبل ذلك الحين وهي في مزيد شوق
 وذكرى وولوع إلى أيام فيروز شاه وكلما طالت الأيام يطول عليها الوجد والهمام وكان
 ابنها قد نزع وعشى وصار عمره أكثر من أربع سنوات فكانت تنسلى به وتلاعبه
 وتصرف الوقت بالاعتناء به ويترقبه على حسب ما أعطيت من الدراية وكذلك باقى
 الأولاد لأنهم كانوا بصر واحد يكبرون على الدوام ويتمنون شهرا بعد شهر . واجتمع
 في تعزاء اليمن نحو مائتي وخمسين ألف رجل ما بين فارس وماش وحينئذ أمرهم الملك
 بالمسير تحت الراية الفارسية إلى بلاد الرومان ومن ثم انتقل من هناك وسار إلى جهة
 بلاد مصحبا معه زوجته والنساء ومن تقدم ذكرهم وكل فكره موجه إلى جهة ولده
 وما تنتج الحرب تلك ويدعو الله أن تكون العاقبة إلى خير ونجاح ونصر مجيد

وأما فيروز شاه فإنه بقى في مدينة الرومان على ما تقدم يطفى الأبطال والفرسان
 والمساكر التي ترد من أيه قوما بعد قوم ولية بعد فيته وكلما وصل إليه جماعة منهم
 أنزلهم في جهة من تلك الأرض وأمرهم بالقيام فيها والمحافظة على ما جاءوا به من
 الذخائر والمؤن والمهمات ومضى على ذلك نحو ثلاث سنوات حتى امتلأت تلك
 الأرض بالمساكر والأبطال وتغنى سبلها وجلبها ووديانها وأصبحت تروج بالأسلحة
 وتنج بالرجال وكلهم ينتظرون الأمر بالركوب والمسير إلى بلاد الصين وبعد ذلك

أخذ فيروز شاه بتيجه كل ما مولاهم له في مثل هذه السفرة الطويلة فأقبل ركوبه جمع اليه العيارين وقال لهم اطلوا أنت منبرنا إلى بلاد الصين أصبح قريبا ولا بد منه ولذلك أوصيكم بالانتباه وحرف الدقة إلى كل امر ولا يخفكم أن في الصين عيارون من الدرجة الأولى وكلهم أصحاب حيل وخداع فإذا لم تتخلوا حذركم من الآن وتحضروا إلى ما تحتاجون اليه والا أرسلوا آذاهم البنا ورمونا بلاعيبهم وانقلوا هناك من يمز علينا وبالعكس إذا استهم لأنفسكم أو قدم بهم وجعلتم لكم ولدولة إيران ذكرنا جيدا ورميت بقلوبهم خوفا لا ينقضي على مدى السنين فوعده الجميع بأن يكونوا على أتم ما يرام

وحينئذ أعلن فيروز شاه بين قومه والجموع القائمة هناك أن يستدوا إلى مدة ثلاثين يوما ومن ثم يركبون إلى جهة الصين قاصدين الحرب والقتال فأخذ كل منهم يستعد إلى أن جاء اليوم المذكور وفيه خرج فيروز شاه إلى الخارج واعتلى فوق كمينه كاه البرج الحصين وأمر التغير أن ينادى بالركوب والمسير وبأقل من ساعة أخذت الرجال تملو غيولها وتتقدم كل فئة إلى ناحية تحت إمرة قائدها وأبهرها وهكذا سار الجميع من تلك الأرض يتقدمون إلى جهة طريق الصين وكان في المقدمة فرخوراد برجال النين ومن بعده كرم ان شاه ومصفر شاه وخورشيد شاه وجشيد شاه وفي الوسط فيروز شاه بالعظمة والجلال تحت العلم الأكبر برجال إيران الأشداء ومن بعده قاهر شاه وبقية الملوك والفرسان وفي المؤخرة بهزاد شاه مع رجاله وقد أضاف إليه فيروز شاه رجال مصر بأجمعهم ليكونوا تحت امرته وكان جملة المسافر نحو ألف ألف وثلاثمائة ألف نفر ما بين فارسي وبمبي ومصري وروماني وشامي ومحمدا وكان العيارون يطوفون فيما بينهم على النوم ويأتون في المساء إلى فيروز شاه وهم بهروز وشبرنك والأشوب وبدرتات وطارق وكودك ونهوم من عياري إيران وغيرهم الذين دخلوا في خدمتهم ولم يكن الا قليل من الايام حتى استلوا طريق الصين وساروا عليها وفيروز شاه مشتاق إلى الحرب والقتال يتنقز قرب وصوله إليها ليعجل بها ويرجع إلى بلاده إلى عين الحياة لأن قلبه كله عندها لا ينساها قط بل على الدوام يفكر بها وبولده ولما تمادى به السير وقويت عليه الذكري أشار يقول

ثقي وحقلك ان البعد يهزيني	ونار حبك وسط القلب تكويني
عين الحياة ركبت البر مجتهدا	بحر العدو وكاس الشوق يسفيني
عين الحياة بعباد لا أومله	وغير ذكرك شيء لا يسلبني
يا عين لا تقسري ان العباد اذا	سقطا يؤثر في حبي ينسني
بل اكدي ان طول البعد يذهب في	إلى تزايد اشتواقي وتمكني

كيف السلو ووجدى لا قرار له
 كيف التصبر والاحشاء في حزم
 أصبت في كبدى منه ولئى أمل
 وائى ذاهب نحو العداة على
 كأنه البرق نمحى ليس تدركه
 ويل لأعدائى إن راموا معاندى
 سأضرب الرأس فى لئلى مأزعه
 وأقسم الصين عدلا لا أجور به
 وبعد هذا ترفى قد رجعت ولئى
 ويرجع النهر يوفى بعد نهره
 وشخص حسنتك فى قلبى يناجنى
 من الفراق وسهم الشوق يرمينى
 بلطف طيفك بأنيى فيشفينى
 جواد هزم سريع الجرى ميمون
 حيون ناظره وسط الميدان
 وألف ويل إذا ما جلست فى الصين
 وأترك الذبل فى لوى وتلويى
 بين وحش البرارى والشياطين
 صيت يترج هامات السلاطين
 وعادة النهر أرفيه ويوفينى

ودام فيروز شاه فى مسيره على مثل تلك الحالة أفكاره تتلاعب بين الحرب مع
 الصين والابقاع بهار بين الاهتمام بجيوشه والالتفات إلى منع الاضرار بهم وبين التذكّر
 بعين الحياة وبلذذ عيش انقضى فى بلاد الرومان وكذلك جميع أمراء فارس وشاهاتها
 ما عدا بهزاد فانه كان كل فكره موجها إلى الاهتمام بالحرب وما ينتج عنها وهو يتشوق
 بفروخ صبر إلى الوصول إلى ساحة القتال ليجرد السيف الذى طالما جرده واخترق
 به صفوف الأعداء وقال ما تمنى فيه وبقى الجيش على مسيره بأن وراحة تأمين لأن
 فيروز شاه كان لا يجب أن يهلك بالسرعة بل كان يسيره من الصباح إلى الظهر ليأمره
 بالنزول للفداء فيفعلون وبعد أن يأكلوا ويرتاحوا نحو ساعتين بحيث يكون قد سكن
 هيجان البر من حرارة الشمس وبرد النسيم فيسيرون إلى ما بعد الغروب وهكذا كانت
 حالة سفرهم على أحب ما يكون من الراحة والاطمئنان ومجانبة التعب إلى أن مضى
 عليهم أكثر من ستة أشهر وفى الشهر السابع وصلوا إلى بلاد الملك عجيب وهى فى منتهى
 الحد الواقع من بلاد الصين وكانت رجة جدا وغصبة غاية الخصب وكان بينها وبين
 بكين عاصمة بلاد الصين نحو شهر تقريبا وهى متقادة لأمر ملك الصين تدفع إليه الجزية
 غير أنها مستقلة الاجزاء لا تراجمه بشيء .

قال وعند وصول فيروز شاه إلى تلك البلاد هب عليه بارد نسبها ونظر إلى اتساع
 أرضها وخصب كلاهما حتى مع أنها كبيرة جدا وهى أشبه بروضة خضراء يابسة لا يرى
 فيها أرض يابسة قط اختار القيام فيها عدة أشهر أولا للراحة وثانيا للاستعداد وجعلها
 مركزا عاما يأوى إليه ويقم فيه عند الحاجة وعلى هذا أمر الرجال الذين معه أن يحطروا
 على تلك الأرض ويضربوا خيامهم ويسرحوا خيولهم فيها فعملوا وارتاحوا كل تلك

الليلة وهم في أنعم بال وأطيب عيش مسرورين من معاملة فيروز شاه لهم ومن اعتناهم بهم وهو بطوف من مكان إلى مكان يتفقد الجميع ويؤانس الجميع ويوصيهم بالمحافظة على صحتهم وعدم التعرض لما يذوقه من مرض أو وباء فكانوا يجيئون به بطاعة وحب عجيبين ولا يعملون إلا ما يأمرهم به وبعد أن استقر به القيام دعا بطارق و بدر قنات وقال أريد منك أن تسير من هنا إلى هذه المدينة البعيدة التي نراها من هذا المكان فادخلاها وجسالي أخبارها وحالة ملكها واسمها وأتيتني بما تريانه مفصلا فأجاباه إلى طلبه وانطلق كل منهما في جهة بعد أن لبسا ملابس الدرويش وغيرا حالتها وغابا نحو ثلاثة أيام وفيروز شاه مقيم في تلك الأرض مع قومه على الانتظار وإذا بهما قد دخلا عليه وقال له طارق اعلم ياسيدي أن المدينة اسمها مدينة السرور وهي ذات أسوار منيعة وحصون مشيدة وبها من الأبنية الفاخرة ما يندر وجوده في غيرها وقد دخلنا أسواقها وعاملنا جماعة من أهلها ودخلنا بينهم فإذا هم أصحاب أنس ولطف عجيب يهشون ويبتشون على الدوام ويظهر من أمرهم أنهم يكرهون عبادة النار ويرغبون في الخروج عن طاعة جهان ملك الصين إذا أنا بينا لهم أننا من بلاد الحجاز نمداه تعالى فأظهروا فرحهم من ذلك وقالوا إن هذه العبادة محبوبة عندهم منذ إنشاء هذه المدينة إنما لما تغلبت الصين عليهم أوجبتهم إلى تركها وهي لا تزال محفوفة بالسرى بينهم يملها الآب للابن والابن لابنه بطريقة خفية لا يقدرون على ابتناء معابد ومساجد إذ أن المعابد القديمة أصبحت هياكل للاصنام والآوان وأقيم بينهم معبد للنار يأتون إليه في يوم عيدها منتظرين من خوفهم من ملك الصين بالطاعة لها وعبادتها وهم يطلبون إلى الله أن يرسل إليهم من يخلصهم منه ولهم ثقة كبرى بمساعدة الله سبحانه وتعالى من أنه لا يتركهم زمانا طويلا على عبادة النار ويستبشرون الحالة التي هم عليها تجربة منه لعدم انبائهم إليه في البداية حق الانبئاء . ومن ثم سألنا عن اسم ملكهم فقيل لنا اسمه الملك عجيب فاستدلفنا على ديوانه وأتينا فطلبنا احسانه وسألنا ما سألنا قومه لحسينا حالنا وأتانا دروايش من الحجاز نمداه الله عز وجل فلما سمع كلامنا تنهد ولم يدركه بل أمر لنا بالطعام وأكرمنا وبعد ذلك أنعم علينا وخرجنا مسرورين منه فرحين بما لقينا وعندنا إذا همت فإرسل اليه بكتاب الطاعة فلاربيب أنه يوافق وينقاد إليك ويأتى لخدمتك بكل رجاله وقومه . فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام فرح غاية الفرح وأمر أوزير بكتب كتاب إليه يأمره بالانقياد والطاعة وعبادة الله ويحذره من سطوة الفرس والذين جاموا بخاربه الصير فأخذ وكتب :

بسم الله الجامع والمشتت يفعل بعباده ما أراد وهو الخبير العليم .
من فيروز شاه ابن الملك ضراب ملك بلاد الفرس وسيد اليمن ومصر والرومان

وما حواليا الى الملك عجب صاحب مدينة السرو .

اعلم أيها الرجل الكريم أن لا بد أن تكون أخبارى قد وصلت اليك وبلغك طرف من أممالي حيث قد خرجت برجالى من بلادى إيران تحت الراية المظفرة وهى الراية الفارسية وتحت الكلمة التوحيد والتسبيح وهى كلمة الحق سبحانه وتعالى فتسلكت بلاد اليمن والسودان ومصر وسورية والرومان وكل البلاد من حدود إيران إلى تلك النواحي ومن الرومان إلى هذه المدينة أيضا لأنى أنها سرت نشرت كلمة طاهى وأعلنت كلمة الله ودعوت الناس إليها فيتلقوها بالقبول والفكر ولا خفاك أن جهان قد بعث بوزيره منكوخان إلى حربنا وقاتلنا مع أولاده وأربعمائة ألف فارس من قومه ومائتوا أمانا أكثر من القليل حتى تشدوا كلهم وقتل أولاد منكوخان جميعا فرى طلب النجاة لنفسه مكثفا بأربعة رجال من رجالنا جاء بهم أسارى وأبقاهم عنده ولما كانوا من عبدة الله سبحانه وتعالى ومن قومنا كان لا بد لنا من السعى خلفهم وإرجاعهم فأبينا بلاده لأجل هذه الثغاية ولأجل أن يحمل من فيها يعبدون الله ومن يمم نعود من حيث أتينا . وقد عرفت أيها الملك العاقل ما أنت عليه من الرقة والحلم والتعقل وأن فى قلبك محبة الله وخصت فيك من أيك ومن يجب الله لا تقطع محبة من قلبه ولا يمكن أن يتركه البتة ولهذا قد جهتاك الآن لسننا كمتهددين أو بقصد لك شرا إلا إذا رفضت طلبنا ولم تجبنا إلى ما نسالك به وهو أن تفتح لنا بلادك فندخل إليها كضيوف ونقيم فى ضواحيها ولا تثقل عليك بشئ بل كل ما تحتاجه هو معنا يكفينا إلى أكثر من عشرة سنين وما يأخذه رجالى من المدينة يدعون نمت بأكثر من مقداره لأن لدينا من الأموال أيضا ما لا يفرغ ولا يمتلئ بمرور السنين والاهوام وطلب اليك أيضا أن تنزل الراية الصينية عن أسوارك وترفع الراية الفارسية وتنادى باسم الملك ضاراب أبى وسيدى وتهدم معابد النيران وتكسر الأصنام والأوثان وتقيم المعابد والمساجد لله سبحانه وتعالى وتشر عبادته بين قومك فن أطاع كان خيرا ومن صهى فجزاؤه الموت واعلم أيها الملك العاقل أننا قادرون على كبح ملك الصين ونزع الملك من يده وهدم بلاده من الأول إلى الآخر فلا تتوهم منه ولا تخف أن يعود اليك بسوء فلدينا من الفرسان والابطال ما لا يوجد مثلم فى هذا الزمان أو فى غيره فكن حكيما وأجب بالنظر والقبول وانظر موضع النظر والسلام ختام .

وبعد أن فرغ من الكتاب ختمه ودفعه إلى طارق فأخذه وسار مع بدو فئات كعبارين من عيارى الفرس بملابس تدهش الأبصار وسار إلى المدينة وكانت تبعد نحو يوم ونصف يوم عن الجيش ودخلوا أسواقها والناس تعجب من أمرهما حتى وصلوا إلى ديوان الملك

وهو عتبك ما عيان المدينة والوزراء . ولما وصل طارق وهدفتات نظر الجميع اليها
 عند هذين من أمرها ومن ملابسها ودما طارق من الملك وقال له اعلم أيها السيد أني
 منذ ثلاثة أيام أتيت إليك مع رفيقي هذا كدرويشين أجس أخبارك وأكشف على أحوال
 المدينة وسكانها من قبل سيدي فيروز شاه ابن الملك ضاراب بطل هذا الزمان وفارس
 ميدانه من لم يخلق الزمان له ثني قوة الجنان وفصاحة اللسان فما عثرة العبيد وسيف
 ابن ذي يرن من بعض عبيده إذا ركب الجواد أو أشهر يده الحسام وما لقمان إذا
 خلق وتكلم ولا حاتم وغيره يصلح أن يخدم في ركابه إذا فتح يده ووهب وقد رجعت
 إليه محبته وحكيت له عن أسك ولطفك فسر مزيد السرور وأعادني مع رفيقي إليك
 بهذا الكتاب كيارين لا كدرويشين كافي الأول لادفعه إليك وأبشرك بقرب راحتك
 وأبلغك رسالته وأدعوك إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ولا تحف من ملك الصين
 ورجاله فين يدي سيدي فيروز شاه أبطال وفرسان كهزاد بن فيل زور البهلوان هلولان
 تحت بلاد فارس وقاتل تمر تاش وأولاد منكوخان وآخره فرخوراد صاحب الوقائع
 المشهورة والقارات المأثورة وآخره بيلتا بهلولان تحت كرمان شاه من يسجد لقائم
 سيفه كل جبار عنيد وخورشيد شاه وكرمان شاه وجنيد شاه وقاهر شاه وقد يكفي
 سيدي فيروز شاه وحده فهو قاتل طرمار الزنجي بضربة واحدة شطرنه من رأسه
 لفي بطن فيه الذي كان يركبه وعدا من ذلك فإن عندنا من العيارين أكثر من
 مائة حيار تحت أمره استاذنا بهروز بن الفول الذي لا يصعب عليه أمر من أمور
 الدنيا إذا شاء انتزع جهان من سمائه وأخرجه من بين قومه دون أن يدع أحدا يشعر
 به أو يراه ومن هؤلاء العيارين شيرنك والاشوب واما سيد عيارى مصر وبدر
 قتات الحبة الرقطاء وكودك عيار الملك قيصر وغيرنا فانظر إلى نفسك موضع النظر

قد انتهى الجزء التاسع والعشرون من سيرة فيروز شاه بن الملك ضاراب
 ملك بلاد فارس وبه انتهى المجلد الثالث من هذه السيرة وسياتي ان شاء الله
 المجلد الرابع مبسوفا بالجزء الثلاثين

